

تأليف

أبي محمّد عبد الله بن مُسْلم بن قتيبة الدِّينَوريّ

المتوفى سنة ٢٧٦هـ

الجزء الاول

كتاب السلطان ـ كتاب الحرب ـ كتاب السؤدد

شرحه وضبطه وعلّق عليه وقدّم له ورتّب فهارسه

الدكتور يوسف علي طويل

أستاذ الأدب الأندلسي في الجامعة اللبنانية

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

هذا كتاب «عيون الأخبار» أقدِّمه للقـارىء الكريم بحلّة جـديدة بعـد أن تجشَّمْتُ عناء مراجعته غير مـرة. ألَّفه آبن قُتَيْبَـهْ ليكـون تـذكـرة لأهـل العلم وتبصرة لـمُغْفل التأدُب ومستراحاً للملوك من كَدِّ الجِدِّ والتعب وذلك حين تبيَّنَ شُمُولَ النقص وشُغْلَ الخليفة العباسي عن إقامة سوق الأدب. يقول في مقدمة هذا الكتاب: «وإني تكلَّفْت لمغفل التأدُّب من الكتّاب كتابـاً في المعرفـة وفي تقـويم اللسان واليـد حين تبيَّنْتُ شُمُولَ النقص ودروسَ العلم وشُغْـلَ السلطان عن إقامة سُوْق الأدب حتى عَفَا ودَرَس. . » وفي مقـدمة كتـابه «أدب الكـاتب» أوضح أيضاً حال الأدب المتردِّية في عصره فقال: «فإني رأيت أكثر أهل زمـاننا هـذا عن سبيل الأدب نـاكبين[1]، ومن آسمه مُتَـطَيِّريْن[2]، ولأهله كـارهين: أما الناشىء[3] منهم فراغبٌ عن التعليم، والشادي[4] تارك لـلازدياد، والمتـأدِّبُ في عنفوان الشباب ناسٍ أو متناسٍ. . . وصار العلم عاراً على صاحبه، والفضـلُ نقصاً، وأموالُ الملوك وَقْفاً على شهوات النفوس. . » ونحن نقول: كيف يجرؤ

---

(١) ناكبين: ج ناكب وهو العادل عن الشيء.

(٢) متطيِّريْن: متشائمين.

(٣) الناشىء: الحَدَثُ الشاب.

(٤) الشادي: الذي شدا من العلم شيئاً، أي أخذ منه طرفاً وتعلّمه.

آبن قتيبه على هذا القول وبغدادُ آنذاك مقرُّ الثقافة الإسلامية المزدهرة ومركزٌ مرموقٌ للحياة الأدبية والعقلية معاً؟

وإذا لم تنحصر موضوعات «عيون الأخبار»[١] في القرآن والسُّنَّة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام فإنها ـ كما يقول آبن قتيبة ـ مرشدةٌ لكريم الأخلاق، زاجرةٌ عن الدناءة، ناهيةٌ عن القبيح، باعثة على صواب التدبير؛ لأنَّ علم الدين والحلال والحرام تقليدٌ لا يجوز أن نأخذه إلَّا عمَّن نراه حجَّة. كذلك لم يكن كتابه هذا وَقْفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة، ولا على خواص الناس دون عَوَامِّهم، ولا على ملوكهم دون سُوْقتهم، بل وفّى كلَّ فريق منهم قِسْمَه. ولكي يروِّح عن القارىء من كَدِّ الجِدِّ، ضَمَّن هذا الكتاب نوادر طريفة وكلمات مُضْحكة تدخل في باب المِزاح والفُكاهة. يقول: «مَثَلُ هذا الكتاب مَثَلُ المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لآختلاف شهوات الآكلين».

وكان آبن قتيبة يتلقَّط أخباره عن جُلسائه وإخوانه وعمّن فوقه في السنّ والمعرفة، كما وقف على كتاب التاج، وكتاب الآيين، وكتاب إبْرَوِيْز، وآداب آبن المقفع، وكتب الهند ولكن دون أن يذكر آسماً لكتاب هندي آعتمد عليه. يقول مثلاً: «قرأتُ في كتاب للهند إنَّ فلاناً. . .» كما آعتمد على أقوال علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، وعلى أقوال بُزُرْجِمَهْر، وإسحاق بن راهَوَيْهْ، وأبي حاتم السِّجِسْتاني، وأحمد بن الخليل، وعبد الرحمن بن عبد المنعم، وأبي سهل، وعبد الملك بن مروان، وميمون بن ميمون، والمدائني، وأبي عبّاد الكاتب، وآبن الأعرابي، ومحمد بن عبيد، ومحمد بن داود، وعلي بن محمد، وآبن سيرين وغيرهم. وقد لجأ إلى الإتيان بأخبار وأشعارٍ آتّضعت عن

---

(١) ذكره أبو الطّيب اللغوي الحلبي، والنديم، والخطيب البغدادي، وابن الأنباري، والقفطي، وابن خلّكان، والسمعاني، وابن العماد الحنبلي، وحاجي خليفة، وبروكلمان، كما ذكر في دائرة المعارف الإسلامية وفي أماكن أخرى.

قَدْر كتابه لسببين؛ أحدهما الحاجة إلى ذلك، والآخر أنَّ الحَسَنَ إذا وُصِلَ بِمِثْله نقص نُوْراهما.

صنَّف كتابه أبواباً مُقْرِناً الباب بشكله، والخبَر بمثله، والكلمةَ بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها. وهذا الكتاب حِلْيَةُ الأدب، ونِتاجُ أفكار الحكماء، ولِقاحُ عقول العلماء، وسِيَرُ الملوك وآثار السَّلَف. قسَّم المؤلف فيه الأخبار والأشعار وجمعها في عشرة كتب؛ كل كتاب بمثابة باب. فالكتاب الأول هو كتاب السلطان، وفيه أخبار السلطان وسيرته وسياسته، إلى جانب آختياره القضاة والحجّاب والكتّاب، وفيه يكثر من النقل عن الفرس والهند مما يشير إلى تأثر الأدب العربي بأدب هؤلاء، ولكنه في موضوع القضاء لم ينقل إلاَّ عن أحكام العرب والمسلمين. والكتاب الثاني هو كتاب الحرب، وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها، ووصايا الجيوش وعُدَدِها وسلاحها. وفي الكتاب الثالث يسهب المؤلف في الحديث عن مخايل السؤود وأسبابه ويتحدث عن الذلّ والمروءة والغنى والفقر والبيع والشراء. والكتاب الرابع هو كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة، وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع، إلى جانب طبائع الجن والسِّباع والطير والحشرات. والكتاب الخامس هو كتاب الهلم والبيان، وفيه الأخبار عن العلماء، والبيان والبلاغة والخطب والمقامات ووصف الشعر، إلاَّ أن المؤلِّف لم يعرض للشعر بالتفصيل؛ لأنه أفرد للشعراء كتاباً هو «الشعر والشعراء»، وهو إذا ذكر نتفة في هذا الكتاب، فإنما كراهية منه أن يُخْليه من فن من الفنون. والكتاب السادس كتاب الزُّهْد، وفيه أخبار الزُّهّاد، ومناجاتهم ومواعظهم وذكر الدنيا والموت، ينقل فيه الكثير عن اليهود والنصارى. ثم يليه كتاب الإخوان ، ويحثُّ فيه على حسن آختيار الإخوان. وبعده كتاب الحوائج ، ويتضمن الأخبار عن آستنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والهديّة والرشوة ولطيف الكلام. ثم الكتاب التاسع، وهو كتاب الطعام، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيّبة، والحلواء، وما يأكله فقراء

الأعـراب، ومـا يُصْلِح الأبـدانَ من الغـذاء والحِمْيـة وشـرب الـدواء، ومضـارّ الأطعمة ومنافعها، إلى جانب نُتَفٍ من طب العرب والعجم. وهو هنا ينقل عن كتاب الحيوان للجاحظ وكتب أرسطو، ولكنه يعرض المعلومات عَرْض مُـدْرِكٍ لأمور الطب عارفٍ بها. وأخيراً كتاب النساء، وفيه الأخبار عن آختلاف النساء في أخـلاقهنَّ وخَلْقهنَّ وما يُختـار منهنَّ للنكاح ومـا يُكْرَهُ، خـلا أخبـار عُشّـاق العرب. وهكذا آختار آبن قتيبة خير ما رُوي فرتَّبه وبـوَّبه وجمـع ما تشـابه منـه تحت عنوان واحد لكِـلِ كتاب من كتبـه العشرة، فـظهر أديبـاً حسن الذوق في الإختيـار يمتاز عن غيـره من الأدبـاء في هـذا الميـدان، بحيث أوصـل عمليـة الاختيار إلى مرحلة الكمال والترتيب.

ولقد ضمَّن آبن قتيبة كتابه أبياتاً من الشعر مُشاكلةً لأخبـاره. ويتّضح من مَنْهَجِهِ الذي رسمه في مقدمة كتابه أنه صاحب مِنْهاج حديث يعتمده الكثير من أدبائنا في الـوقت-الحاضـر، ولا يؤخذ عليـه سوى آستـطراده أو تكراره لأخبـار نحن بغنى عنها.

وهـذا الكتاب صـدىً لشخصيـة صـاحبـه، فهـو أديب رفيـع الـذوق في آنتخاب الأخبار، مثقفٌ ثقـافة واسعـة، كثيرُ الميـل إلى الأدب والتاريـخ. كما يعدُّ كتابه مرجعاً ذا فائدة كبيرة في عالم الأخبار والأدب، والمؤلَّف فيه صاحب ملكة مرهفـة للتعبير النثري الدقيق، ممـا جعله فريـداً بين كتب القديم وأحـد مصادر النقل الرئيسية، تأثّر به آبن عبد ربه في كتابه «العقد الفريد» كثيراً سواء في الترتيب والتبويب أو فيما جاء به من موضوعات.

ورغم أنه طبع غيـر مرة في غيـر بلد فإني رأيت أن أُعْنى بـه لما فيـه من تصحيف وتحـريف ونقص وزيادة، فـراجعته وقـابلت كثيـراً من نصـوصـه بمـا يوافقها في مصادر أخرى ككتاب البيان والتبيين للجـاحظ، والعقد الفـريد لابن عبد ربه، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والكامل في اللغة والأدب للمبّرد، والكامل في التاريخ لابن الأثيـر وغيرهـا من المصادر والمـراجع. ونـظرت فيه

بـدقة متناهية، وقمت بضبط ألفـاظه، وأوضحت مـا غمض فيه من مشكـلات مكمّلاً ما نقص من عباراته ومتحـرّياً أصـحّ ما قيـل في نسبة الشعـر والنثر إلى أصحـابه، فَجَشِمْتُ الأمـر معتمـداً في ذلـك النَّصَبَ على الـراحـة، فكـان أن ترجمْتُ لأكثر من ثلاثمائة شخصية أدبيـة وعلمية وفسَّـرْت أكثر من تسعين آيـة قرآنية وردت جميعها في الجزئين الأول والثاني مع تحديد العـديد من المـواضع والأماكن؛ لأن الجزئين الثالث والرابع قام بشرحهما وضبـطهما زميلي الـدكتور مفيد قمحية. وبذلك خـرج هذا الكتـاب في ثوب قشيب لم يَعْتَـدِ القراء على مثله من الطبعات السابقة التي تكـاد تخلو من الحواشي والتـوضيحات، راجيـاً أن يشبع رغبات أهل العلم وملتمساً العذر منهم إن هُمُ عثروا فيـه على خطأ؛ ذلك العِصْمة ليست إلاَّ لرب العالمين.

وآرتـأيْتُ أن أتمِّم عملي هذا بتقـديم نبـذةٍ عن سيـرة المؤلِّف مـوجـزةٍ، فأقول: هو الكاتب أبو[1] محمد عبد الله بن المسلم بن قُتَيْبَةْ الـدِّيْنَوَرِيّ (بكسـر الـدال وسكون اليـاء وفتح النـون والواو معـاً وكسر الـراء وتشديـد الياء) سُمِّي بذلك لأنه ولي قضاءالدينور مدة فنسب إليهـا[2]. والدينـور بلدة من بلاد الجبـل عنـد قَرْمِيْسِيْنَ خـرج منها خلق كبيـر[3]. وقـال عنـه السمعـاني: إنـه من أهـل الـدينور، أقـام بها مـدة فنسب إليها[4]. وقيـل: المَرْوَزَيّ (بفتـح الميم والـواو وسكون الراء ثم الـزاي المكسورة واليـاء المشدودة) نسبـة إلى مَرْو الشَّـاهْجان (بسكون الهاء) ومَرْو الشاهجان مدينـة عظمى تبعـد أربعين فرسخـاً عن مدينـة مَرْوَ رُّوْذ، وهي إحدى كـراسي خُراسـان، وكراسي خـراسان أربـع مدن؛ مـرو

---

(١) سماه حاجي خليفة أبا بكر. أنظر كشف الظنون (ج ١٠ ص ٣٢).

(٢) أنـظر كتاب الفهرست ص ٨٥، وتاريخ بغـداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) ووفيـات الأعيـان (جـ ٣ ص ٤٢) ونزهة الألبّاء ص ٢٠٩، والكامل في التاريخ (جـ ٧ ص ٤٣٨) وبغية الوعاة ص ٢٩١. وقال القفطي في إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٣): «وأقام بالدينور مدة فنسب إليها».

(٣) راجع وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٤).

(٤) الأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣ ـ ٦٤).

الشاهجان، ونيسابور، وهَرَاة، وبَلْخ. قيل لها: مرو الشاهجان لتتميَّز عن مرو الرُّوْذ. والشاهجان لفظ عجمي معناه «العظيم» و«روح الملك»؛ فالشاه: الملك، والجان: الروح. ومرو هذه بناها الإسكندر ذو القرنين، وكانت سرير الملك بخراسان، وزادوا في النسبة إليها حرف الزاي فيقال: مَرْوَزِيّ كما قالوا في النسبة إلى الريّ: رازيّ، وإلى إصْطَخْر: إصْطَخْرَزِيّ. ومَرْوِ رُّوْذ (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الواو وتشديد الراء المضمومة وتسكين الواو) أشهر مدن خراسان، وهي مدينة مبنية على نهر، والنهر يقال له بالعجمية «الرُّوْذ» بضم الراء وسكون الواو، والنسبة إليها مَرْوَ رُّوْذيّ ومَرْوَزِيّ[1].

وأبو محمد من أصل فارسي، إذ ولد أبوه مسلم بمرو، لذا يقال له المروزي[2]. وذكر الخطيب البغدادي والسمعاني أن ولادة أبي محمد كانت ببغداد سنة ٢١٣[3]هـ. وقال آبن خلكان: ولد آبن قتيبة ببغداد، وقيل: بالكوفة[4]. وقال النديم وآبن الأنباري: ولد في الكوفة في مستهل رجب سنة ٢١٣[5]هـ، ولذلك يقال له الكوفي. ولم يشر آبن الأثير إلى مكان ولادته بل آكتفى بالقول: «وهو كوفي»[6]. وقال آبن خلّكان والسمعاني والسيوطي إنه نزل بغداد فتربّى فيها وسكنها وعلى أهل العلم فيها تثقّف حتى قام فيها بمهمة التعليم مدة[7]. وقال القفطي: ولد ببغداد ونشأ بها وتأدّب[8]. وقال بروكلمان: ولي آبن قتيبة قضاء الدينور ثم آنتقل إلى بغداد فظل يزاول التدريس والتعليم

---

(١) راجع وفيات الأعيان (جـ ١ ص ٢٧ و ٦٩).

(٢) راجعْ المصدر السابق (جـ ٣ ص ٤٢) وتاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٤) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).

(٣) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٤)

(٤) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢).

(٥) الفهرست ص ٨٥، ونزهة الألباء ص ٢٠٩.

(٦) الكامل في التاريخ (جـ ٧ ص ٤٣٨).

(٧) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٤) وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٨) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٣).

بها إلى أن توفي سنة ٢٧٦[١]هـ. وقُتَيْبَةْ (بضم القاف وفتح التاء وسكون الياء وفتح الباء وبعدها هاء ساكنة) هي تصغير قِتْبة، بكسر القاف، وهي واحدة الأقتاب أي الأمعاء، وبها سمِّي جدُّه، والنسبة إليه قُتَبِيّ (بضم القاف وفتح التاء وكسر الباء وتشديد الياء) ولذلك لقَّبه الذهبي بالقتيبي[٢]. وقال السمعاني: القُتَيْبي والقُتبي نسبة إلى جدِّه قتيبة المشهور بهذه النسبة، أو إلى بطن من باهلة وهم رهط قتيبة بن معن بن باهلة ابن هلال[٣]. وليس صحيحاً ما ذكره الزركلي من أنَّ آبن الأنباري سماه عبد الله بن مسلمة وأنَّ آسمه وقع في دائرة المعارف الإسلامية محمد بن مسلم[٤].

وكان آبن قتيبة في نظر الخطيب البغدادي وآبن خلّكان والقفطي والسيوطي وآبن العماد الحنبلي ثقةً ديناً فاضلاً[٥]. وقول الدارقطني إنه كان يميل إلى التشبيه قول مردودٌ في نظر السيوطي؛ لأن له مؤلَّفاً في الردّ على المُشَبِّهة[٦]. وأضاف السيوطي قائلاً: قال البيهقي: كان آبن قتيبة كَرَّامياً[٧]،

(١) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٢).

(٢) انظر وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٣ ـ ٤٤) وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٣) الأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣ ـ ٦٤).

(٤) انظر الأعلام (جـ ٤ حاشيةً ص ١٣٧) ونزهة الألباء ص ٢٠٩، ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٨).

(٥) انظر تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٤) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).

(٦) بغية الوعاة ص ٢٩١. والمُشَبِّهة فرقة من كبار الفرق الإسلامية شبَّهوا الله بالمخلوقات ومثَّلوه بالحادث. وقال الشهرستاني: إن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرّحوا بالتشبيه فقالوا: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء، وقد أجاز مُشَبِّهة الحشوية على ربِّهم الملامسة والمصافحة، وذهبوا أن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة. وأضاف قائلاً: ومن المشبِّهة من مال إلى مذهب الحلولية وقال: يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل، عليه السلام، ينزل في صورة أعرابي. والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول، والحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل. راجع الملل والنحل (جـ ١ ص ١٠٥ ـ ١٠٨).

(٧) نسبة إلى أبي عبد الله محمد بن كَرّام، الذي كان ممن يثبت الصفات منتهياً فيها إلى التجسيم =

وقال الحاكم: إجتمعت الأمة على أنه كذّاب، وقال الحافظ الذهبي: ما علمْتُ أحداً آتّهم القتيبي في نقله مع أن الخطيب قد وثَّقه، وما أعلم الأمة أجمعت إلَّا على كذب الدجّال ومسيلمة[١]. وقال آبن العماد: قال الذهبي في المغني: عبد الله بن قتيبة رجل صدوق، وقال الحاكم: أجمعت الأمة على أن القتيبي كذّاب، قلت هذا بغي وتخرص، بل قال الخطيب هو ثقة[٢].

ولقد عاصر آبن قتيبة الجاحظَ، إلَّا أنه كان على خلاف معه؛ فالجاحظ معتزليٌّ من المتكلّمين، وهو من أهل السنّة كما يقول ابن تيميّة[٣]. سكن بغداد ودرس فيها علم الحديث دراسة واسعة على يد أساتيذ كبار، كان أَوَّلَهم أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مَخْلَد بن تميم بن مرة الحنظلي المَرْوَزِيّ المعروف بآبن راهْوَيْهْ. جمع هذا بين الحديث والفقه والورع وكان أحد أئمة الإسلام. عدّه البيهقي في أصحاب الشافعي، وقال أحمد بن حنبل: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين. وقال إسحاق عن نفسه: أحفظُ سبعين ألف حديث وأذاكر بمئة ألف حديث، وما سمعْتُ شيئاً قط إلَّا حفظْتُه. له مسندمشهور. وكانت ولادته سنة ١٦١ هـ، وقيل: سنة ١٦٣ هـ، وقيل: سنة ١٦٦ هـ. رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشام، وسمع من سفيان بن عُيَيْنَة ومَنْ في طبقته، وسمع منه البخاري ومسلم والترمذي. سكن في آخر

= والتشبيه. والكرامية ـ يذكر الشهرستاني ـ طوائف يبلغ عددهم آثنتي عشرة فرقة، وأصولها ستة؛ العادية، والتونية، والزرينيّة، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية. وأضاف الشهرستاني قائلاً: نصَّ أبو عبد الله أنَّ معبوده على العرش آستقر وأطلق عليه آسم الجوهر. وزعموا أنَّ في ذات الله سبحانه حوادثَ كثيرةً مثل الإخبار عن الأمور الماضية ومما أجمعوا عليه من إثبات الصفات قولهم: الباري تعالى عالم بعلم، قادرٌ بقدرة، حيّ بحياة، وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته. أنظر الملل والنحل (جـ ١ ص ١٠٨ ـ ١١٢).

(١) بغية الوعاة ص ٢٩١.
(٢) شذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٧٠).
(٣) انظر الإسلام (جـ ١ ص ٤٠٢).

عمره نيسابور وتوفي بها سنة ٢٣٨ هـ، وقيل: سنة ٢٣٧ هـ، وقيل سنة ٢٣٠ هـ. وراهْوَيْهْ (بفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واو مفتوحة وبعدها ياء وهاء ساكنتان) لقبُ أبيه أبي الحسن إبراهيم، لُقِّب به لأنه ولد في طريق مكة، والطريق بالفارسية «راه» و«ويه» بمعنى «وُجِدَ» فكأنه وُجِدَ في الطريق[1].

وشيخ آبن قتيبة الثاني هو أبو حاتم السِّجِسْتاني الذي ذكره أبو الطيب اللغوي الحلبي والخطيب البغدادي وآبن الأنباري فقالوا: أخذ آبن قتيبة عن أبي حاتم السجستاني وغيره[2]. ولكن آبن خلّكان والسيوطي أفردا له ترجمة كاملة فقالا: أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجُشَمِيّ السِّجستاني نَحْوِيٌّ لغوي مقرىء، نزيل البصرة وعالمها، إذ لم يكن جوٌّ بغداد يحلو له ليقيم به طويلاً. كان إماماً في علوم القرآن والآداب، عالماً باللغة والشعر وعلم العروض، وعنه أخذ المبرد فكان يحضر حلقته ويلازم القراءة عليه وهو غلام. له شعر جيد، ولكنه لم يكن حاذقاً بالنحو فكان إذا آجتمع بالمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل وبادر بالخروج خوف أن يسأله بمسألة في النحو. ونشير هنا إلى أنه قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرّتين، وروى عن أبي عبيدة والأصمعي وغيرهما. وكان يختم القرآن في كل أسبوع. من مصنفاته: «إعراب القرآن» و«ما يلحن فيه العامة» و«الطير» و«المذكر والمؤنث» و «النبات» و«المقصور والممدود» و«القراءات» و«الإدغام» و«الحشرات» و«الوحوش» و«السيوف والرماح». وكانت وفاته في سنة٢٤٨ هـ، وقيل سنة ٢٥٠ هـ، وقيل سنة ٢٥٤ هـ، وقيل سنة ٢٥٥ هـ، بالبصرة. والجُشَمي (بضم الجيم وفتح الشين وبعدها ميم مكسورة وياء مشدَّدة) نسبة إلى عدّة قبائل، لكل منها جُشَم. والسِّجِسْتاني (بكسر السين والجيم وسكون

(١) انظر ترجمة آبن راهْوَيْهْ في تاريخ بغداد (جـ ٦ ص ٣٤٥ ـ ٣٥٥) و (جـ ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (جـ ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠) و (جـ ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٢) راجع مراتب النحويين ص ٨٤، وتاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) ونزهة الألباء ص ٢٠٩.

السين الثانية وفتح التاء) نسبة إلى سَجِسْتان الإقليم المشهور. وقيل: نسبة إلى سجستان أو سجستانة إحدى قرى البصرة[١].

والثالث الذي حدَّث عنه ابن قتيبة ببغداد هو أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزيادي. وقد ترجم له السيوطي ـ نقلاً عن ياقوت ـ فقال: كان الزيادي نَحْوياً لغوياً راوية، قرأ على سيبويه كتابه ولم يتمَّه، وروى عن أبي عبيدة والأصمعي، وكان شاعراً ذا دعابة. توفي سنة ٢٤٩ هـ. ومن مصنفاته «الأمثال» و«تنميق الأخبار»[٢]. وترجم له ابن خلّكان وذكر أحد تلاميذه ببغداد وهو أبو بكر يموت بن المزرَّع العبدي البصري، وقال: قدم ابن المزرَّع بغداد في سنة ٣٠١ هـ وهو شيخ كبير، فحدَّث بها عن الزيادي، وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي[٣]. وقد ذكر القفطي هؤلاء الأساتيذ الثلاثة دون أن يترجم لهم فقال: «روى (ابن قتيبة) عن العلماء أمثال إسحاق بن راهَوَيْهْ، ومحمد بن زياد الزيادي، وأبي حاتم السجستاني»[٤]. كما ذكرهم الخطيب البغدادي والسمعاني وقالا: محمد ابن زياد الزيادي بدلاً من إبراهيم بن سفيان الزيادي. وأضافا إليهم أبا الخطاب زياد بن يحيى الحساني[٥].

والرجل الرابع الذي حدَّث عنه ابن قتيبة هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوي النحوي الذي ذكره أبو الطيب اللغوي وقال: أخذ ابن قتيبة عن الرياشي وغيره[٦]. وقد ترجم له السيوطي فقال: قرأ الرياشي النحو على

---

(١) انظر ترجمة السجستاني في وفيات الأعيان (جـ ٢ ص ٤٠٥ و٤٣٠ ـ ٤٣٣) و (جـ ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٦٥.

(٢) انظر بغية الوعاة ص ١٨١، ومعجم الأدباء.

(٣) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) و (جـ ٧ ص ٥٣ ـ ٥٤).

(٤) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٤).

(٥) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣).

(٦) مراتب النحويين ص ٨٥.

المازني، وقرأ عليه المازني اللغة. وأضاف: قال السيرافي: كان الرياشي عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعي، وأخذ عن المبرّد، وله مصنفات كثيرة منها كتاب الخيل وكتاب الإبل. قتله الزنج بالبصرة بالأسياف وهو يصلي وذلك سنة ٢٥٧[١] هـ. كذلك حدّث آبن قتيبة عن رجال آخرين نذكر منهم عبد الرحمن آبن أخي الأصمعي[٢]، وحرملة بن يحيى التجيبي المتوفَّى سنة ٢٤٣ هـ، وأبا الخطاب زياد بن يحيى الحساني البصري المتوفى سنة ٢٥٤ هـ. ولم يذكر آبن العماد من مشايخه سوى آبن راهويه فقال: «سكن (ابن قتيبة) بغداد وحدَّث بها عن ابن راهويه وطبقته»[٣].

ولما آشتغل آبن قتيبة بالتدريس في بغداد تخّرج عليه تلاميذ كُثُر نذكر منهم آبنه أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة. وُلد أبو جعفر هذا ببغداد وكان فقيهاً قاضياً روى عن أبيه كتبه المصنَّفة كلها. تولّى القضاء بمصر، وكان قدمها في ١٨ من جُمادى الآخرة سنة ٣٢١ هـ، وتوفي بها في شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ وهو على القضاء[٤]. وترجم له ياقوت في معجم الأدباء فقال: كان أحمد كاتباً، حدَّث بكتب أبيه كلها بمصر حفظاً ولم يكن معه كتاب، وحدَّث عنه أبو الفتح المراغي النحوي، وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي وغيرهما. وقال السيوطي: حدَّث عن عبد الله بن قتيبة آبنُه القاضي أحمد[٥]. وقال السمعاني: إنّ آبنه أبا أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة، المولود ببغداد سنة ٢٧٠ هـ، روى بمصر عن أبيه عن جدِّه كتبه المصنّفة. وأضاف: كان حفيد ابن قتيبة ثقة[٦].

---

(١) بغية الوعاة ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) انظر مراتب النحويين ص ٨٥.

(٣) شذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).

(٤) راجع تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢ ـ ٤٣) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٧٠).

(٥) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٦) الأنساب (جـ ١٠ ص ٦٤).

كذلك روى عن آبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتُوَيْه بن المَـرْزُبان الفارسي الفسوي. وقد ترجم له آبن خلّكان فقال: إبن درستويه نَحْويٌّ وعالمٌ فاضلٌ أخذ فن الأدب عن آبن قتيبة والمبرّد وغيرهما ببغداد، وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره، وأضاف قائلاً: ولد آبن درستويه سنة ٢٥٨ هـ وتوفي سنة ٣٤٧ هـ ببغداد، وكان أبوه من كبار المحدثين وأعيانهم. ودُرُسْتُوَيْه (بضم الدال والراء وسكون السين وضم التاء وفتح الواو وسكون الياء) هكذا قاله السمعاني، وقال آبن ماكولا في كتاب «الإكمال»: هو بفتح الدال والراء والواو. وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان، منها «تفسير كتاب الجَرْمي» و«الإرشاد» في النحو، و«الهجاء» و«شرح الفصيح» و«المقصور والممدود» و«غريب الحديث» و«معاني الشعر» و«الحي والميت» و«الأعداد» و«أخبار النحويين»[١]. كذلك ترجم له السيوطي فقال: كان آبن درستويه أحد من آشتهر وعلا قدره وكثر علمه، صحب المبرّد ولقي آبن قتيبه، وكان جيد التصنيف، وأخذ عن الدارقطني وغيره[٢]. وهنا يناقض قولَ آبن خلّكان السابق الذكر: «وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطني وغيره»[٣]. وأضاف السيوطي قائلاً: كان آبن درستويه شديد الإنتصار للبصريين في النحو واللغة[٤]. كذلك ذكره الخطيب البغدادي وابن الأنباري فقالا: «وأخذ عنه (عن آبن قتيبة) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه وغيره»[٥]. وقال القفطي: روى عن أبن قتيبة العلماءُ كولده أحمد، وأبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي[٦].

---

(١) انظر وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٤ ـ ٤٥).
(٢) بغية الوعاة ص ٢٧٩.
(٣) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٤).
(٤) بغية الوعاة ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
(٥) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) ونزهة الألباء ص ٢٠٩.
(٦) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٤).

وممن رَوَوْا عن آبن قتيبة نذكر أيضاً أبا سعيد الهيثم بن كُلَيْب بن شُرَيْح آبن معقل الشاشي البِنْكثي، وقد ترجم له ياقوت فقال: أصله من تَرْمِذ (وقيل بكسر التاء والميم جميعاً، وقيل بضمهما) سكن بِنْكَث (بكسر الباء وسكون النون وفتح الكاف) فنسب إليها. وبِنْكَث قصبة إقليم الشاش. وكان إماماً أديباً حافظاً رَحّالاً قرأ الأدب على أبي محمد عبد الله بن مسلم ببغداد، وروى عن عيسى بن أحمد العسقلاني، وأبي عيسى الترمذي وغيرهما من أهل خراسان والعراق. روى عنه أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد الخزاعي. مات أبو سعيد بالشاش سنة ٣٣٥ هـ. وأضاف ياقوت قائلاً: وله مسند في مجلدين ضخمين سمعناه بمرو على أبي المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد الحافظ[١]. والشاش - كما يذكر آبن خلّكان - مدينة وراء نهر سَيْحُوْن[٢].

ومن تلاميذ صاحب «عيون الأخبار» نذكر كذلك أبا محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البيّاني، مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان. وقد ترجم له الحميدي فقال: إنه إمامٌ من أئمة الحديث وحافظ مكثر مصنّف، كان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره. أصله من بيّانة، وسكن قرطبة عاصمة بني أمية بالأندلس، وبها مات سنة ٣٤٠ هـ عن سنّ عالية. سمع محمد بن وضّاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني وجماعة، ثم رحل إلى بغداد فسمع أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي، وأبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. من مصنفاته «أحكام القرآن» و«فضائل قريش» و«في الناسخ والمنسوخ»[٣]. كذلك ترجم له السيوطي - نقلاً عن آبن الفرضي - فقال: كان آبن أصبغ بصيراً بالحديث والرجال، نبيلاً في النحو والشعر، سمع ببغداد من ثعلب والمبرّد وآبن قتيبة[٤].

---

(١) انظر معجم البلدان في آسم «بنكث» ص ٥٠٠.
(٢) وفيات الأعيان (جـ ٤ ص ٢٠١).
(٣) جذوة المقتبس ص ٣٣٠ - ٣٣١.
(٤) بغية الوعاة ص ٣٧٥.

كـذلك روى عن آبن قتيبـة عبيد الله بن عبـد الرحمن السكّـري، وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ، وعبيـد الله بن أحمد بن بُكَيْـر التميمي[١]. ولـم يذكـر آبن العماد سوى آثنين من تلاميذ آبن قتيبة هما أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة وآبن درستويه[٢].

ولقد آتّسعت معارف آبن قتيبة بحيث بدا لنـا حامـلاً صولجـان المعرفـة والعلم، مرتدياً ثوب الجدل والحوار، مُصَنِّفاً من الفئة الأولى بين كبـار العلماء والأدبـاء والكتّاب. تصـانيفه متعـدّدة النواحي تتنـاول معارف عصـره وتُعَـدُّ من أمهات المكتبة العربية والإسلامية. وكان هدفـه من أكثر مصنّفـاته ـ كمـا يقول بروكلمان ـ أن يقدِّم إلى طبقة الكتّاب وأصحاب الدواوين ما يسـدُّ حاجتهـا من الأدب والتاريخ، ولكنـه تناول في آثنين من كتبـه مسائـل الخلاف التي كـانت سائدة في عصره، فراح يدافع بقوة عن القرآن والحديث تجاه مطاعن الفلاسفة وأهـل الشكّ من علمـاء الكلام[٣]. ولقـد أقرأ جميـع مؤلفاتـه ببغداد إلى حين وفاته، وإليكها:

١ ـ **معـاني الشعر الكبيـر**: يـدور هـذا الكتـاب، كمـا هـو واضـح من عنوانه، حول موضوعات الشعر، وهو مـطبوع في حيـدر آباد، دائـرة المعارف العثمـانيـة، سنـة ١٩٤٩ (٣ أجـزاء في مجلدين) تحت آسم «كتـاب المعـاني الكبير في أبيات المعاني». ولقد ذكـره النديم وقـال: يحتوي على آثنتي عشـر كتاباً، منهـا كتاب الفـرس ويضم ٤٦ بابـاً، وقد عـدّه القفطي[٤] كتـاباً مستقـلاً بـذاته. كتـاب الإبل ويضم ١٦ بـاباً. كتـاب الحرب، عشـرة أبـواب. كتـاب القدور، عشرون باباً. كتاب الديار، عشرة أبواب. كتاب الرياح، أحد وثلاثون

(١) انظر تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣ ـ ٦٤).
(٢) شذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).
(٣) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٢).
(٤) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٥).

باباً. كتاب السِّباع والوحوش، سبعة عشر باباً. كتاب الهَوَام، أربعة وعشرون باباً. كتاب الأيمان والدواهي، سبعة أبواب. كتاب النساء والغزل، باب واحد. كتاب الشَّيْب والكبر، ثمانية أبواب. كتاب تصحيف العلماء، باب واحد[1]. هذا وذكر القفطي وبروكلمان هذا الكتاب بآسم «معاني الشعر» وذكره الزركلي بآسم «المعاني» وقال: إنه مطبوع ويقع في ثلاثة مجلدات[2]. ولقد ذكر حاجي خليفة كتباً لثعلب والأخفش وابن عبدوس الكوفي وابن درستويه تحمل اسم «معاني الشعر» دون أن يذكر اسم ابن قتيبة أو كتابه[3].

٢ ـ **عيون الشعر**: ذكره ابن النديم وقال: يحتوي على عشرة كتب هي؛ كتاب المراتب، كتاب القلائد، كتاب المحاسن، كتاب المشاهد، كتاب الشواهد، كتاب الجواهر، كتاب المراكب، كتاب المناقب، كتاب المعاني، وكتاب المدائح[4].

٣ ـ **الشعر والشعراء**: ألَّفه آبن قتيبة ـ كما يذكر في مقدمته ـ في الشعراء، وأخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم وأحوالهم وقبائلهم وأسماء آبائهم، وعن أقسام الشعر وطبقاته، وكان أكثر قصده للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جُلّ أهل الأدب. وله طبعات عديدة، منها طبعة دار الثقافة ببيروت، سنة ١٩٦٩، ويقع في جزئين. وورد في الفهرست ودائرة المعارف الإسلامية بهذا الإسم[5]. وذكره أبو الطيب اللغوي بآسم «الشعراء»[6] كما ذكره آبن

---

(١) الفهرست ص ٨٥.
(٢) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٥) وتاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٥) والأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).
(٣) كشف الظنون (جـ ٢ ص ١٧٢٩).
(٤) الفهرست ص ٨٥.
(٥) نفس المصدر السابق ص ٨٦، ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٦) مراتب النحويين ص ٨٥.

خلّكان والقفطي والسيوطي وآبن العماد الحنبلي بآسم «طبقات الشعراء»[١]. ثم عاد آبن خلكان وذكره بآسم «أخبار الشعراء»[٢].

٤ ـ **المراتب والمناقب عن عيون الشعر**: ذكره النديم والسيوطي دون تعليق[٣]. وقد يكون جزءً من كتاب «عيون الشعر» الذي يحتوي على عشرة كتب، من بينها كتابا «المراتب» و «المناقب».

٥ ـ **أدب الكاتب**: ذكره آبن خلّكان وقال: كان العلماء يقولون: كتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب لأنه طوّل الخطبة وأودعها فوائد. وأضاف قائلاً: يحوي أدب الكاتب من كل شيء وهو مُفَنَّن، وإن كانت الخطبة فيه طويلة لا يعني ـ كما يقول أكثر أهل العلم ـ أنه خطبة بلا كتاب[٤]. ثم علّق عليه في مكان آخر فقال: صنّفه آبن قتيبه للوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المعتمد بن المتوكل الخليفة العباسي[٥]. ولقد صرح آبن قتيبه بذلك في مقدمة كتابه فقال: «فالحمد لله الذي أعاذ الوزيرَ أبا الحسن ـ أيّده الله ـ من هذه الرذيلة، وأبانه بالفضيلة. .»[٦] وذكره آبن خلدون فقال: «وسمعْنا مِن شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن (الأدب) وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبَعٌ لها وفروع عنها»[٧]. وذكر آبن خلكان أن أبا محمد عبد الله بن

(١) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٥) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).

(٢) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ١٥٨).

(٣) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.

(٤) وفيات الأعيان (جـ ٦ ص ٤٠٠).

(٥) المصدر السابق (جـ ٣ ص ٤٣).

(٦) أدب الكاتب ص ٥ من المقدمة.

(٧) كتاب العبر (جـ ٢ ص ١٠٧٠).

محمد المعروف بآبن السِّيْد البطليوسي الأندلسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ شرح هذا الكتاب شرحاً مستوفىً، ونبَّه على مواضع الغلط منه، وفيه دلالة على كثرة آطّلاع الرجل، وسمّاه «الإقتضاب في شرح أدب الكتاب»[1]. وكتاب «الإقتضاب» هذا حققه مصطفى السَّقّا وحامد عبد المجيد، القاهرة، سنة ١٩٨٠. وذكره حاجي خليفة وقال: قيل إن كتاب «أدب الكاتب» خطبة بلا كتاب لطول خطبته مع أنه قد حوى من كل شيء. وله شروح أفضلها شرح أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السِّيْد البطليوسي، وهو شرح مفيد جداً ذكر منه أن غرضه تفسير الخطبة والتنبيه على غلطه، وشَرَحَ أبياته، وقد قسّم على ثلاثة أجزاء؛ الأول في شرح الخطبة، والثاني في التنبيه على الغلط، والثالث في شرح أبياته، وسماه «الإقتضاب في شرح أدب الكتّاب». ومنها شرح أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المتوفَّى سنة ٥٣٩ هـ، وسليمان بن محمد الزهراوي، وأبي علي حسن بن محمد البطليوسي المتوفَّي سنة ٥٧٦ هـ، وأحمد بن داود الجذامي المتوفَّى سنة ٥٩٨ هـ، وإسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفَّي سنة ٣٥٠ هـ. وشرح بعضهم خطبته خاصةً كأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفَّى سنة ٣٣٩ هـ، ومبارك بن مفاخر النحوي المتوفي سنة ٥٠٠ هـ، وبعضهم شرح أبياته كأحمد بن محمد الخارزنجي المتوفّى سنة٣٤٨هـ[2]. وذكره بروكلمان وقال: صنَّفه آبن قتيبه قبل كتاب «عيون الإخبار»، وقام بشرحه أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي المتوفَّى سنة ٣٣٧ هـ، والجواليقي، وابن السِّيْد البطليوسي[3]. كما ذكره القفطي، وآبن الأثير، والنديم، وابن الأنباري، والسمعاني، وآبن العماد الحنبلي دون تعليق[4]. وورد آسمه في دائرة المعارف الإسلامية مع إشارة إلى

---

(١) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٣).

(٢) انظر كشف الظنون (جـ ١ ص ٤٧ ـ ٤٨).

(٣) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٧).

(٤) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٥) والكامل في التاريخ (جـ ٧ ص ٤٣٨) والفهرست ص ٨٥،

أنه محقق سنة ١٩٠٠[١]. وذكره الخطيب البغدادي بآسم «أدب الكتّاب»[٢] وهذا الكتاب مطبوع في ليدن بريل سنة ١٩٠٠، وهناك تحقيق آخر لمحمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، سنة ١٩٦٣، وطبعة أخرى حققها محمد الدالي، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢.

٦ - **ديوان الكتّاب**: ذكره النديم والسيوطي وحاجي خليفة دون تعليق[٣].

٧ - **إعراب القرآن**: ذكره النديم والقفطي والسيوطي وابن العماد دون تعليق[٤]. وورد في دائرة المعارف الإسلامية هذه العبارة: هذا الكتاب بالنسبة إلينا من الكتب الميّتة[٥]. وذكره ابن خلكان بآسم «إعراب القراءات»[٦]. وقد يكون ذلك تحريفاً من الناسخ، وكيفما آختلفت التسمية فإنهما كتاب واحد، وإنَّ كتاب «القراءات» الذي سيرد آسمه بعد قليل هو غير «إعراب القراءات». وفي فصل «علم إعراب القرآن» ذكر حاجي خليفة عدداً كبيراً من العلماء الذين صنّفوا في إعراب القرآن، دون أن يذكر آسم آبن قتيبة. من هؤلاء أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفًى سنة ٢٤٨ هـ، وأبو العباس محمد ابن يزيد المعروف بالمبرّد النحوي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ، وأبو زكريا يحيى ابن علي الخطيب التبريزي المتوفًى سنة ٥٠٢ هـ، وأبو عبد الله حسين بن أحمد المعروف بابن خالويه وغيرهم. وأضاف قائلاً: علم إعراب القرآن من فروع علم التفسير، ولكنه في الحقيقة هو من علم النحو[٧].

ونزهة الالباء ص ٢١٠، والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).

(١) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٢) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠).

(٣) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (جـ ١ ص ٨٠٧).

(٤) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).

(٥) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٦) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢).

(٧) كشف الظنون (جـ ٢ ص ١٢١ - ١٢٣).

٨ ـ **معاني القرآن**: ذكره السيوطي دون أي تعليق يذكر(١).

٩ ـ **مُشْكِلُ القرآن**: يبحث في قوة بيان العرب، وإعجاز القرآن ووجوهه واللحن والمتشابه منه، وقد ذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وآبن الأنباري، والسمعاني، وابن خلّكان، وآبن العماد نقلاً عن ابن خلّكان، والسيوطي، وبروكلمان(٢). وذكره النديم بآسم «المشكل»(٣) وقد يعني بذلك «مشكل القرآن» أو «مشكل الحديث». وورد في دائرة المعارف الإسلامية باسم «تأويل مشكل القرآن»(٤). وبهذا الإسم الأخير شرحه ونشره السيد أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤. وطبع مرة ثانية في القاهرة، دار التراث، سنة ١٩٧٣. وقد جمع بينه وبين «غريب القرآن» العلامة آبن مطرِّف الكناني في كتاب أسماه «كتاب القرطين»، وطبع هذا الكتاب بالقاهرة.

١٠ ـ **غريب القرآن**: هو تتمة لكتاب «مشكل القرآن» وقد ذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وآبن الأنباري، وابن خلّكان، والسيوطي، وابن العماد، والبغدادي دون تعليق(٥). وورد في الأعلام ودائرة المعارف الإسلامية بآسم «تفسير غريب القرآن»(٦)، وهو مطبوع بهذا الاسم الأخير بتحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨.

١١ ـ **الردُّ على القائل بخلق القرآن**: ذكره السيوطي دون تعليق(٧).

---

(١) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٢) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) ووفيات الأعيان (جـ ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢١٠، والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩) وتاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٨).

(٣) الفهرست ص ٨٦.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٥) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢٠٩، ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩) وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (جـ ٢ ص ١٤٦).

(٦) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (جـ٣ ص ٨٦٩).

(٧) بغية الوعاة ص ٢٩١.

١٢ ـ **القراءات**: ذكره النديم دون تعليق[١]. وورد في دائرة المعارف الإسلامية هذه العبارة: هذا الكتاب، بالنسبة إلينا، من الكتب الميّتة[٢].

١٣ ـ **آداب القراءة**: ذكره حاجي خليفة[٣].

١٤ ـ **غريب الحديث**: يعالج هذا الكتاب مسائل الحديث منذ الرسول ﷺ حتى معاوية، وقد ذكره النديم وقال: أحسن فيه المؤلف[٤]. وذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وابن الأنباري، والسمعاني، وابن خلكان، والسيوطي، وابن العماد نقلاً عن ابن خلكان، دون تعليق يذكر[٥]. وذكره حاجي خليفة في فصلٍ عنوانه «علم غريب الحديث والقرآن» فقال: جمع أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفَّى سنة ٢٢٤ هـ كتاباً في غريب الحديث أفنى فيه عمره حتى لقد قيل فيما يُرْوى عنه أنه جمعه في أربعين سنة، وبقي كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه في غريب الحديث إلى عصر ابن قتيبة، فصنف هذا كتاب «غريب الحديث» المشهور، «حذا فيه حذو أبي عبيد فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر منه، وقال في مقدمته: أرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال ولا غريب القرآن أيضاً»[٦]. وذكره الزركلي وقال: طبع منه جزآن فقط في الهند، ومنه أجزاء مخطوطة في الخزانة الظاهرية بدمشق[٧].

---

(١) الفهرست ص ٨٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٣) كشف الظنون (جـ ٢ ص ٤٣).

(٤) الفهرست ص ٨٥.

(٥) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢١٠، والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).

(٦) كشف الظنون (جـ ٤ ص ١٣٧).

(٧) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).

١٥ ـ **مختلف الحديث**: يذكر فيه المؤلِّفُ المُشَبِّهةَ وينسبهم إلى الافتراء على الله تعالى في أحاديث التشبيه، كما يتَّهم فيه الجاحظَ بأنه يذكر حجج النصارى على المسلمين بأقوى مما يذكر الردَّ عليهم. ولقد ذكر هذا الكتاب كلٌّ من النديم، والسمعاني، والسيوطي، ولكن دون تعليق[١]. وذكره آبن خلّكان وحاجي خليفة بآسم «إختلاف الحديث»[٢]. وذكره الزركلي وبروكلمان بآسم «تأويل مختلف الحديث» وقال هذا الأخير: يحاول فيه آبن قتيبة إبطال جميع آعتراضات الفلاسفة على الحديث من وجهة نظر أهل السنة[٣]. كذلك ورد في دائرة المعارف الإسلامية بهذا الإسم الأخير وجاء فيها أنه من أشهر كتب آبن قتيبة في الفقه[٤]. كما طبع هذا الكتاب بهذا الإسم في مطبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٦ هـ بتحقيق فرج الله زكي الكردي، ومحمود شكري الألُوْسي، ومحمود شبندار زاد. وهناك طبعة القاهرة بتصحيح محمد زهري النجار، سنة ١٩٦٦.

١٦ ـ **إختلاف تأويل الحديث**: ذكره النديم والسيوطي دون تعليق[٥]. ويرجَّح أن يكون هذا الكتاب نفس كتاب «مختلف الحديث» السابق الذكر.

١٧ ـ **مشكل الحديث**: ذكره الخطيب البغدادي، والقفطي، وابن الأنباري، والسمعاني، وابن خلكان، وابن العماد[٦]. وذكره النديم بآسم «المشكل»[٧] وقد يعني به «مشكل الحديث» أو «مشكل القرآن».

---

(١) الفهرست ص ٨٦، والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣) وبغية الوعاة ص ٢٩١.
(٢) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٢٤٠) وكشف الظنون (جـ ١ ص ٣٢).
(٣) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) وتاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٧).
(٤) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٥) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.
(٦) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٤) ونزهة الألباء ص ٢١٠، والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).
(٧) الفهرست ص ٨٦.

١٨ ـ **المشتبه من الحديث والقرآن**: ذكره الزركلي وقال: إنه ما يزال مخطوطاً[1]. وذكره بروكلمان باسم «المتشابه من الحديث والقرآن»[2].

١٩ ـ **إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث**: يكشف هذا الكتاب، كما يتضح من عنوانه، أخطاء أبي عبيد القاسم بن سلام، التي وردت في كتابه «غريب الحديث». ولقد ذكره النديم[3]. وسماه حاجي خليفة «إصلاح غلط أبي عبيدة» وقال: شرحه أبو المظفر محمد بن آدم الهروي المتوفَّى سنة ٤١٤[4] هـ. وذكره القفطي، وآبن خلكان، وآبن العماد نقلاً عن آبن خلّكان، باسم «إصلاح الغلط»[5]. وذكره السيوطي باسم «إصلاح غلط أبي عبيد»[6]. وورد في دائرة المعارف الإسلامية باسم «إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام» (آيا صوفيا، ٤٥٧، ظاهرية، ٧٨٩٩)[7].

٢٠ ـ **المسائل والجوابات**: ذكره النديم، وآبن خلكان، والقفطي دون تعليق[8]. وذكره بروكلمان بهذا الإسم أيضاً وقال: أكثره مستمدٌّ من الحديث[9]. وذكره السيوطي والزركلي ودائرة المعارف الإسلامية بآسم «المسائل والأجوبة»[10]. ولقد طبع هذا الكتاب باسم «المسائل والأجوبة في

---

(١) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).
(٢) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٨).
(٣) الفهرست ص ٨٦.
(٤) كشف الظنون (جـ ١ ص ١٠٨).
(٥) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٥) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).
(٦) بغية الوعاة ص ٢٩١.
(٧) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٨) الفهرست ص ٨٦، ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٣) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦).
(٩) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٨).
(١٠) بغية الوعاة ص ٢٩١، والأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧)ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

الحديث واللغة»، القاهرة، مكتبة القدسي، سنة ١٣٤٩ هـ، ويقع في ثمانٍ وعشرين صفحة تدور كلها حول أجوبة آبن قتيبة عن أسئلة كانت وُجِّهت إليه، وتختص الأسئلة والأجوبة بالحديث أكثر مما تختص باللغة.

٢١ ـ جامع الفقه: ذكره النديم دون تعليق[١]. وذكره القفطي بآسم كتاب «الفقه»[٢]. كذلك ورد بهذا الإسم في دائرة المعارف الإسلامية مع العبارة التالية: هذا الكتاب، بالنسبة إلينا، من الكتب الميتة[٣].

٢٢ ـ التفقيه: ذكره النديم وقال: «هذا الكتاب رأيت منه ثلاثة أجزاء بنحوستمائة ورقة بخط نزك[٤] وكانت تنقص على التقريب جزئين، وسألْتُ عن هذا الكتاب جماعة من أهل الجبل فزعموا أنه موجود وهو أكبر من كتاب البندنيجي وأحسن»[٥]. كذلك بهذا الإسم كل من القفطي وحاجي خليفة[٦]. وذكره آبن خلكان بآسم «التَّقْفية»[٧]، وأعتقد أنه خطأ من المحقق وليس من الناسخ.

٢٣ ـ دلائل النُّبُوَّة: ذكره النديم، والسيوطي، وحاجي خليفة دون تعليق[٨]. كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية بنفس الإسم مع التعليق التالي: هذا كتاب لاأهمية له تذكر، فهو بالنسبة إلينا، من الكتب الميّتة[٩].

---

(١) الفهرست ص ٨٦.
(٢) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦).
(٣) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٤) نزك كلمة فارسية بمعنى الناعم.
(٥) الفهرست ص ٨٥.
(٦) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦) وكشف الظنون (جـ ١ ص ٧٦٣).
(٧) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢).
(٨) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (جـ ١ ص ٧٦٠).
(٩) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

وذكره ٱبن الأنباري بٱسم «دلائل النبوّة من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام»[١].

٢٤ ـ **معجزات النبي ﷺ**: ذكره أبو الطيب اللغوي الحلبي[٢].

٢٥ ـ **إدريس النبي**: لم يَرِدِ ٱسم هذا الكتاب في أي من المصادر التي تترجم لٱبن قتيبة، وهو مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية تحت رقم MS.170 I 21 Sa A.

٢٦ ـ **خلق الإنسان**: يبحث في أسماء أعضاء الإنسان وصفاته، وقد ذكره النديم، والسيوطي، وحاجي خليفة دون تعليق[٣].

٢٧ ـ **الردُّ على المُشَبِّهة**: في هذا الكتاب يدفع ٱبن قتيبة عن نفسه تهمة الزندقة التي رُمي بها، وهو لم يُرْمَ بها إلّا لأنه تخطّى معاصريه إلى مرتبة الأفذاذ النابهين ووصل إلى درجة من العلم لم يستطيعوا التوصل إليها. ولقد ذكره بهذا الإسم كل من النديم، والقفطي، والسيوطي[٤]. وتجدر الإشارة هنا أن حاجي خليفة ذكر كتاب «الرد على المشبهة» للقاضي بدر الدين ٱبن جماعة محمد بن إبراهيم الشافعي المتوفَّى سنة ٧٣٣ هـ دون أن يذكر ٱسم ٱبن قتيبة[٥]. وورد في تاريخ الأدب العربي ودائرة المعارف الإسلامية[٦] بٱسم «الإختلاف في اللفظ والرد على الجَهْمية[٧] والمُشَبِّهة». طبع هذا الكتاب

(١) نزهة الألباء ص ٢١٠.
(٢) مراتب النحويين ص ٨٥.
(٣) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (جـ ١ ص ٧٢٢).
(٤) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦) وبغية الوعاة ص ٢٩١.
(٥) كشف الظنون (جـ ١ ص ٨٣٩).
(٦) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٩) ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٧) قال الشهرستاني: الجهمية هم أصحاب جَهْم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت-

بالإسم الأخير بتصحيح الشيخ محمد زاهر الكوثري، القاهرة، مكتبة القدس، سنة ١٣٤٩ هـ. ويقع في ست وثمانين صفحة.

٢٨ ـ جامع النحو: ذكره النديم والسيوطي[١]. وقال حاجي خليفة: وهو كبير وصغير[٢]. وذكره أبو الطيب اللغوي والقفطي بآسم «النحو»[٣] كما ورد في دائرة المعارف الإسلامية بهذا الإسم الأخير وعُدَّ فيها من الكتب الميتة[٤].

٢٩ ـ جامع النحو الصغير: ذكره النديم والسيوطي[٥]. وذكره القفطي باسم «النحو الصغير»[٦].

٣٠ ـ التسوية بين العرب والعجم: ذكره النديم والقفطي وبروكلمان[٧].

٣١ ـ فضل العرب على العجم: ذكره الزركلي وقال: إنه ما يزال مخطوطاً ويقع في أربعين ورقة[٨]. والمعلوم أن الأستاذ جمال الدين القاسمي نشر بعضاً من هذا الكتاب في مجلة المقتبس، المجلد الرابع ص ٦٥٧ ـ ٦٦٨ ومن ص ٧٢١ حتى ٧٣٥. كذلك نشر الأستاذ محمد كرد علي قطعة منه في رسائل البلغاء، طبعة ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م من ص ٢٦٩ حتى ٢٩٥. وورد

بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه، وأن الإنسان لا يقدر على شيء وإنما هو مجبورٌ في أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما. أنظر الملل والنحل (جـ ١ ص ٧٦ ـ ٨٧).

(١) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.
(٢) كشف الظنون (جـ ١ ص ٥٧٥).
(٣) مراتب النحويين ص ٨٥، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦).
(٤) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٥) الفهرست ص ٨٦، وبغية الوعاة ص ٢٩١.
(٦) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦).
(٧) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦) وتاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٦)
(٨) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).

هذا الكتاب في دائرة المعارف الإسلامية بآسم كتاب «العرب» وجاء فيها: حققه كرد علي في رسائل البلغاء سنة ١٩٤٦[١]. ونحن نعتقد أن آبن عبد ربه نقل عنه في العقد الفريد، الجزء الثالث في فصلٍ عنوانُه: «كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب».

٣٢ - **الردُّ على الشعوبية**: ذكره الزركلي وقال: إنه مطبوع. وذكره بروكلمان وقال: إنه مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي، القاهرة سنة ١٣٣١ هـ/١٩١٣[٢] م.

٣٣ - **العرب وعلومها**: ذكره الزركلي وقال: إنه مخطوط. وذكره بروكلمان وقال: يوجد قسم منه في القاهرة[٣].

٣٤ - **الألفاظ المُغْرَبَة بالألقاب المُعْرَبَة**: ذكره الزركلي وقال: إنه مخطوط في القرويين. وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ما نصه: هذا الكتاب من الكتب المشكوك بنسبتها إلى آبن قتيبة[٤].

٣٥ - **البلغة في شذور اللغة**: هذا الكتاب عبارة عن عشر مقالات لغوية لأئمة كتبة العرب، وقد ظهر معظمها في مجلة المشرق، وألحقت بالفهارس على طريقة حروف المعجم. نشرها أوغست هفنر والأب لويس شيخو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، سنة ١٩٠٨، وتقع في ١٧٦ صفحة.

٣٦ - **تقويم اللسان**: ذكره حاجي خليفة دون تعليق[٥].

٣٧ - **الإشتقاق**: ذكره الزركلي وقال: إنه مخطوط[٦].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٢) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) وتاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٧).
(٣) نفس المصدرين السابقين والصفحتين.
(٤) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٥) كشف الظنون (جـ ١ ص ٤٧٠).
(٦) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).

٣٨ - تعبير الرؤيا: ذكره أبو الطيب اللغوي، وذكره النديم ضمن الكتب المؤلفة في موضوع تعبير الرؤيا ككتب الكرماني وآبن سيرين وغيرهما. كما ذُكر في دائرة المعارف الإسلامية وجاء فيها: هذا الكتاب، بالنسبة الينا، من الكتب الميّتة[١]. وتحت عنوان «علم تعبير الرؤيا» قال حاجي خليفة: هو علم يُتَعَرَّفُ منه المناسبة بين التخيّلات النفسانية والأمور الغيبية لِيُنْتَقَل من الأولى إلى الثانية. وذكر كتباً مصنّفة في التعبير دون أن يذكر آسم كتاب آبن قتيبة[٢].

٣٩ - المعرفة: لم يَرِدِ آسم هذا الكتاب في أي من المصادر التي تترجم لابن قتيبة. وهو مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية، مكتوب بخط فارسي واضح، سنة ١٠٢٠ تحت رقم MS. 492. 7 I 135 mA

٤٠ - المعارف: هوكتاب في التاريخ يتناول فيه المؤلف مسألة مبدأ الخلق، وقصة الطوفان، وتاريخ الأنبياء والرسل، وسيرة الرسول الكريم ومغازيه، والعرب الجاهليين، وأنساب العرب، وأخبار الصحابة والتابعين والخلفاء والولاة إلى عصر آبن قتيبة، ورواة الشعر، والفقهاء والمحدثين والقراء وأصحاب الأخبار، والنحو. وفي الختام يذكر نوادر الحوادث ويتحدث عن أُسر الملوك في جنوبي الجزيرة وشمالها، وملوك الفرس قبل الإسلام. والمؤلف في هذا الكتاب ينقل عن الكتب السماوية والعهد القديم مما يشير إلى أنه كان على دراية بالكتاب المقدّس. ولقد ذكره آبن خلّكان وقال: إن هذا الكتاب يترجم للرواة وأشهر الخطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة[٣]. ولا بدَّ أن نشير هنا إلى أن آبن خلكان ينقل من هذا الكتاب معلومات لا يستهان بها أوردها في صفحات

---

(١) مراتب النحويين ص ٨٥، والفهرست ص ٣٧٨، ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٢) كشف الظنون (جـ ١ ص ٤١٦).

(٣) وفيات الأعيان (جـ ١ ص ١٩٥).

عديدة من كتابه «وفيات الأعيان»، كما ينقل من كتب آبن قتيبة الأخرى ولاسيما «الشعر والشعراء» منها. ولقد ذكره أبو الطيب اللغوي، والنديم، والخطيب البغدادي، والقفطي، وآبن الأنباري، وآبن الأثير، والسمعاني، وآبن العماد، والزركلي، ودائرة المعارف الإسلامية[1]. وذكره بروكلمان وقال: يُسْتقى من مقدمة «عيون الأخبار» أن كتابَيْ «المعارف» و«الأشربة» هما بمثابة تكملة لكتاب «عيون الأخبار»[2]. وهذا الكتاب مطبوع في غوتنجن، سنة ١٨٥٠، وطبع في مصر بتحقيق ثروت عُكاشة، القاهرة، سنة ١٩٦٠. ويوجد طبعة دار المعارف، سنة ١٩٦٩ (ويقع في ٨١٧ صفحة) وطبعة القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ (ويقع في ٢٢٧ صفحة).

٤١ ـ **الأشربة**: يتضمن هذا الكتاب الحديث عن المشروبات الخمرية بأسلوب أدبي جميل. ولقد ذكره النديم، والقفطي، وآبن خلكان، وحاجي خليفة، وآبن العماد نقلاً عن آبن خلكان، والزركلي، ودائرة المعارف الإسلامية[3]. وهو كتاب مطبوع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي، ويقع في ١٤٧ صفحة. ولقد نقل آبن عبد ربه عنه ما يتعلق بباب الطعام والشراب وضمّنه كتابه «العقد الفريد» في فصل «في فرش الفريدة الثانية» الجزء السادس ص ٢٩٠ ـ ٣٧٨.

٤٢ ـ **العلم**: ذكره النديم وقال: يقع في خمسين ورقة. وذكره القفطي دون تعليق[4].

---

(١) مراتب النحويين ص ٨٥، والفهرست ص ٨٦، وتاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٥) ونزهة الذهب ص ٢١٠، والكامل في التاريخ (جـ ٧ ص ٤٣٨) والأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩) والأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٢) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٣).

(٣) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٥) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وكشف الظنون (جـ ٢ ص ١٣٩١) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩) والأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٤) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦).

٤٣ ـ القلم: ذكره السيوطي دون تعليق[١]. وقد يكون هو نفس كتاب «العلم» بحيث حصل تحريف من المحقق أو الناسخ.

٤٤ ـ الأنوار: يبحث هذا الكتاب في مواسم العرب ويتحدث عن علم النجوم، ومنازل القمر، والفصول، والبروج، والرياح، والبرق، والسحاب. ولقد ذكره النديم، والقفطي، وابن خلكان، والسيوطي، وحاجي خليفة، وبروكلمان، ودائرة المعارف الإسلامية[٢]. وذكره السمعاني باسم «الأنوار»[٣] ولعله تحريف من المحقق أو الناسخ. وهو كتاب مطبوع في حيدر آباد، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦، ويقع في ٢٣٥ صفحة.

٤٥ ـ فرائد الدُّرّ: ذكره النديم دون تعليق[٤].

٤٦ ـ حكم الأمثال: ذكره النديم[٥].

٤٧ ـ الحكاية والمحكي: ذكره النديم[٦] أيضاً.

٤٨ ـ الخيل: ذكره النديم، والقفطي، وابن خلكان، والسيوطي[٧]. وذكره حاجي خليفة بأسم «الحيل»[٨] بالحاء، ولعله تحريف من الناسخ أو المحقق.

٤٩ ـ الرحل والمنزل: ذكره الزركلي وقال: إنه مطبوع، وهو عبارة عن

(١) بغية الوعاة ص ٢٩١.
(٢) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٣) وبغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (جـ ٢ ص ١٣٩٩) وتاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٦) ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٣) الأنساب (جـ ١٠ ص ٦٣).
(٤) الفهرست ص ٨٦.
(٥) نفس المصدر السابق والصفحة.
(٦) نفس المصدر والصفحة.
(٧) الفهرست ص ٨٦، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦) ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وبغية الوعاة ص ٢٩١.
(٨) كشف الظنون (جـ ٢ ص ١٤٦).

رسالة. وذكره بروكلمان وقال: نشره لويس شيخو في مجموعة Dix anciens traités رقم ٥[1].

٥٠ ـ **النبات**: ذكره الزركلي دون تعليق[2].

٥١ ـ **الجراثيم**: ذكره بروكلمان وقال: يستوعب أصول العالَم والبهائم وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات وغير ذلك[3].

٥٢ ـ **الميسر والقِداح**: ذكره النديم، وآبن خلكان، والقفطي، وحاجي خليفة، وآبن العماد، والزركلي، ودائرة المعارف الإسلامية[4]. وهو كتاب مطبوع في ١٧٣ صفحة، نسخه وصحَّحه محبُّ الدين الخطيب، القاهرة المطبعة السلفية، سنة ١٣٤٣ هـ.

٥٣ ـ **آداب العشرة**: ذكره النديم دون تعليق[5].

٥٤ ـ **الجوابات الحاضرة**: ذكره السيوطي وحاجي خليفة[6].

٥٥ ـ **الكلام**: ورد في دائرة المعارف الإسلامية ما نصه: كتاب «الكلام» من كتب آبن قتيبة التي نعتبرها ميتّة[7].

٥٦ ـ **تاريخ الخلفاء أو الإمامة والسياسة**: يبحث في تاريخ الخلفاء المسلمين منذ الخلفاء الراشدين وحتى آستخلاف المأمون من قبل الرشيد، ويتضمن الحديث عن فتح الأندلس وولاتها. ولقد شكَّ العلماء في نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة، مستندين في ذلك على أن أحداً من العلماء الذين ترجموا

---

(١) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) وتاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٩).

(٢) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).

(٣) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٨).

(٤) الفهرست ص ٨٦، ووفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٣) وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦) وكشف الظنون (جـ ٢ ص ١٤٦٥) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩) والأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧) ودائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

(٥) الفهرست ص ٨٦.

(٦) بغية الوعاة ص ٢٩١، وكشف الظنون (جـ ١ ص ٦٠٩).

(٧) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).

له لم يذكره، فقال الزركلي: «وللعلماء نظر في نسبته إليه»[1]، وقال بروكلمان: ينسب هذا الكتاب لابن قتيبة، إذ يذكر دي خويه أنه صُنِّف بمصر أو في بلاد المغرب في أثناء حياة ابن قتيبة، وأن بعض أقسامه مأخوذة عن كتاب في التاريخ ينسب إلى ابن حبيب المتوفَّى سنة ٢٣٩[2] هـ. وورد في دائرة المعارف الإسلامية ما نصُّه: هذا الكتاب من الكتب المشكوك بنسبتها إلى ابن قتيبة[3]. وقال دوزي في صدر كتابه «تاريخ الأندلس وآدابه»: أشكُّ في صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن قتيبة لأسباب كثيرة. وقال محقّق كتاب «أدب الكاتب» في مقدمته: ينسب إلى ابن قتيبة كتاب «الإمامة والسياسة»، «ولكن الأثبات من ذوي الدراية والبحث يشكّون كثيراً ـ وحقَّ لهم ـ في أن يكون ابن قتيبة ناسج بُرْدَته». طبع هذا الكتاب بمصر بتحقيق طه محمد الزيتي، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٩٦٧. وأعادت طبعة مؤسسة الوفاء بلبنان سنة ١٩٨١، وهي طبعة رديئة. والكتاب جزآن في مجلد. ونشر ريبيرا مختارات منه في كتاب «تاريخ افتتاح الأندلس» لابن القوطية، صفحة ١٠٥ ـ ١٠٦، مدريد، سنة ١٩٢٦.

٥٧ ـ **وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة إلى ولده**: تقع في خمس عشرة صفحة، نشرها إسحق موسى الحسيني ببيروت سنة ١٩٥٤.

٥٨ ـ **أرجوزة الظاء والضاد**: ذكرها بروكلمان وقال: نشرها داود چلبي في مجلة لغة العرب، الجزء السابع ص ٤٦١ ـ ٤٦٣[4].

ولقد اختلف الاقدمون في تحديد وفاة ابن قتيبة فقال النديم: توفي سنة ٢٧٠[5] هـ. وقال الخطيب البغدادي: قرأت على الحسن بن أبي بكر عن

---

(١) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).
(٢) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٣٠).
(٣) دائرة المعارف الإسلامية (جـ ٣ ص ٨٦٩).
(٤) تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢٩).
(٥) الفهرست ص ٨٥.

أحمد بن كامل القاضي، قال: مات عبد الله بن مسلم بن قتيبة في ذي القعدة سنة سبعين ومائتين. وأضاف قائلاً: أخبرنا محمد بن عبد الواحد، حدثنا محمد بن العباس قال: قرىء على آبن المنادى ـ وأنا أسمع ـ قال: مات آبن قتيبة فجأة؛ صاح صيحة سُمعت من بُعْد ثم أُغمي عليه ومات. قال آبن المنادى: أخبرني أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ أنَّ آبن قتيبة أكل هريسة فأصاب حرارة ثم صاح صيحة شديدة وأغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر فآضطرب ساعة ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السحر ومات وذلك أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين[1]. وقال السمعاني: مات آبن قتيبة فجاءة، صاح صيحة سُمعت من بُعْد ثم أُغمي عليه ثم هدأ فما زال يتشهد إلى وقت السحر ومات وذلك أول ليلة من رجب سنة ٢٧٦ هـ، وقيل: مات في ذي القعدة سنة ٢٧٠[2] هـ. وهكذا ينقل السمعاني عن الخطيب البغدادي إلاَّ أنه لم يذكر عن الهريسة شيئاً. وذكر السيوطي أن الهريسة كانت سبباً في موت آبن قتيبة، معتمداً في ذلك على ما جاء به الخطيب البغدادي، ومخالفاً إيّاه في تحديد الوفاة فقال: مات آبن قتيبة سنة ٢٦٧[3] هـ. وذهب آبن الأنباري والقفطي مذهب الخطيب فرويا كيفية موت آبن قتيبة ولم يرجِّحا سنة وفاته فتراوحت عندهما بين ٢٧٠ هـ و٢٧٦[4] هـ. وكذلك ذهب آبن الأثير فقال؛ توفي آبن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ، وقيل: سنة ٢٧٠[5] هـ. أما آبن خلكان فقد تميَّز بموقفه حين حدَّد سنة الوفاة فقال: قيل: توفي آبن قتيبة في ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ، وقيل: سنة ٢٧١ هـ، وقيل: أول ليلة في رجب وقيل منتصف رجب سنة ٢٧٦ هـ، والقول الأخير أصح

---

(١) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠ ـ ١٧١).

(٢) الأنساب (جـ ١٠ ص ٦٤).

(٣) بغية الوعاة ص ٢٩١.

(٤) نزهة الألباء ص ٢١٠، وإنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٦).

(٥) الكامل في التاريخ (جـ ٧ ص ٤٣٨).

الأقوال. ثم عاد وروى نفس ما رواه الخطيب حول كيفية موته[١]. كذلك ذكر آبن العماد رواية من تقدمه، وقال: توفي آبن قتيبة سنة ٢٧٦[٢] هـ. أما حاجي خليفة فإنه تعثّر في تحديد الوفاة فذهب إلى أنها كانت في سنة ٢٧٦ هـ، ثم قال: توفي آبن قتيبة سنة ٢٧٠ هـ. وفي مكان آخر يقول: توفي سنة ٢٦٧ هـ، ثم ذكر سنة ٢٦٦ هـ، وأخيراً حدّد سنة ٢٦٣[٣] هـ.

ولقد أشاد والمؤرخون بذكر آبن قتيبة وأطنب النقاد والكتاب في الثناء عليه فعدّوه إمام مدرسة بغداد النحوية، التي خلطت بين مذهبي البصريين والكوفيين. ففي مقالته الثانية من كتابه «الفهرست» تحت عنوان «أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلطوا المذهبين» قال النديم: كان آبن قتيبة عالماً نحوياً لغوياً، صادقاً فيما يرويه، ورغم أنه كان يغلو في البصريين، فقد خلط المذهبين وحكى في كتبه عن الكوفيين. وأضاف قائلاً: كان عالماً في غريب القرآن ومعانيه وفي الشعر والفقه كثير التصنيف والتأليف[٤]. وتجدر الإشارة هنا أن المدرستين المتنافستين في البصرة والكوفة أخذتا منذ القرن الثالث الهجري، تتقاربان وتندمجان إحداهما في الأخرى[٥]. وقال الخطيب البغدادي: إبن قتيبة «هو صاحب التصانيف المشهورة»[٦]. وذهب آبن الأنباري إلى أنه فاضل في اللغة والنحو والشعر متفنن في العلوم[٧]، وقال القفطي: ابن قتيبة نحوي لغوي عالم وصاحب التصانيف

---

(١) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٣).
(٢) شذرات الذهب (جـ ٣ ص ٤٣).
(٣) كشف الظنون (جـ ١ ص ٨٠٧ و ٥٧٥ و ٣٢ و (جـ ٢ ص ١٢٠٤).
(٤) الفهرست ص ٨٥.
(٥) أنظر تاريخ الأدب العربي (جـ ٢ ص ٢٢١).
(٦) تاريخ بغداد (جـ ١٠ ص ١٧٠).
(٧) نزهة الألباء ص ٢٠٩.

الحسانِ في فنون العلم[1]. وقال آبن خلكان وآبن العماد: ابن قتيبة لغوي نحوي، وتصانيفه كلها مفيدة[2]. وهو في نظر السيوطي لغوي نحوي كاتب وراسٌ في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس[3]. وقال بروكلمان: تجاوزت شهرته دائرة النحو واللغة العربية[4]. وقال الزركلي: كان آبن قتيبة من أئمة الأدب ومن المصنّفين المكثرين[5]. أما أبو الطيب اللغوي فقد وقف موقفاً مناقضاً لمواقف هؤلاء فقال نقلاً عن الأشناندانى خلَّط آبن قتيبة عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات، وكان يتسرَّع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرّضه لتأليف كتابه في النحْو، وكتابه في «تعبير الرؤيا» وكتابه في «معجزات النبي ﷺ وعلى آله» و«عيون الأخبار» و«المعارف» و«الشعراء» ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفق بها عند العامة ومَنْ لا بصيرة له[6].

وكان لا بدَّ أن نشير إلى الدراسة القيمة التي قام بها عبد الحميد الجندي بعنوان: «ابن قتيبة: العالم الناقد الأديب» طبعة القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٣، وتقع في ٤٣٦ صفحة.

وأخير أقدم جزيل شكري ووافر تقديري للأستاذ محمد علي بيضون مدير دار الكتب العلمية للفتة الكريمة التي بدرت منه وكانت حافزاً لي على تحمل

---

(١) إنباه الرواة (جـ ٢ ص ١٤٣).
(٢) وفيات الأعيان (جـ ٣ ص ٤٢) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٦٩).
(٣) بغية الوعاة ص ٢٩١.
(٤) تاريخ الأدب العربي (جـ ٤ ص ١٣٧).
(٥) الأعلام (جـ ٤ ص ١٣٧).
(٦) مراتب النحويين ص ٨٥.

مشاقّ هذا العمل. كما أعترف بفضل زميلي الـدكتور مفيـد قمحية في إخـراج هذا الكتاب على هذا النمط.

والله نسأل الهداية إلى سبيل الرشاد

بيروت في ١٢ آب ١٩٨٥

الدكتور يوسف علي طويل
أستاذ الأدب الأندلسي
في الجامعة اللبنانية



مصادر ومراجع المقدمة

١ - إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي (١ - ٣) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠ - ١٩٥٥.

٢ - الأنساب للسمعاني (١ - ١٠) تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره. طبعة ثانية، بيروت ١٩٨٠ - ١٩٨١.

٣ - أدب الكاتب لابن قتيبه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر ١٩٦٣.

٤ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي (جزآن في مجلد واحد) طبعة ١٩٤٥ - ١٩٤٧.

٥ - الأعلام للزركلي (١ - ٨) طبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠.

٦ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (جزآن في مجلد واحد) دار المعرفة، بيروت.

٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١ - ١٤) دار الكتاب العربي، بيروت.

٨ - تاريخ العلامة آبن خلدون (١ - ١٤) دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.

٩ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١ - ٣) دار المعارف بمصر ١٩٦١.

١٠ - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.

١١ - دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثالث، طبعة جديدة ١٩٧١.

١٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (١ ـ ٨) مكتبة القدسي، القاهرة هـ.

١٣ ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين (١ ـ ٣) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العاشرة.

١٤ ـ كتاب الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا ـ تجدّد، طهران ١٩٧١.

١٥ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١ ـ ٢) منشورات مكتبة المثنى، بغداد.

١٦ ـ الكامل في التاريخ لأبن الأثير (١ ـ ١٣) دار صادر، بيروت ١٩٧٩.

١٧ ـ مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي النحوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٩٥٥.

١٨ ـ الملل والنحل للشهرستاني (١ ـ ٢) تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦١.

١٩ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي (١ ـ ٢٠) طبعة مصر.

٢٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (١ ـ ٥) دار صادر، بيروت ١٩٥٥.

٢١ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٧.

٢٢ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (١ ـ ٨) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الإمام أبو محمد بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَرِيّ رضي الله عنه: الحمد لله الذي يُعْجِزُ بَلاؤُه صفة الواصفين وتفوت آلاؤُه عددَ العادّين وتَسَعُ رحمته ذنوبَ المسرفين، والحمد لله الذي لا تُحجَب عنه دعوة ولا تخِيب لديه طِلْبة ولا يضل عنده سعيٌ، الذي رضي عن عظيم النِعَم بقليل الشكر وغفر بعَقْد الندم كبيرَ الذنوب ومحا بتوبة الساعة خطايا السنين، والحمد لله الذي آبتعث فينا البشير النذير السراج المنير هادياً إلى رضاه وداعياً إلى محابَّته ودالاًّ على سبيل جنته ففتح لنا باب رحمته وأغلق عنا باب سخطه. صلى الله وملائكتُه المقرَّبون عليه وعلى آله وصحبه أبداً ما طَما بحرٌ وذرَّ شارقٌ وعلى جميع النبيين والمرسلين.

أما بعد، فإنَّ لله في كل نعمة أنعم بها حقاً وعلى كل بلاء أبلاه زكاة: فزكاة المال الصدقة، وزكاة الشرف التواضع، وزكاة الجاه بَذْلُه، وزكاة العلم نَشْرُه، وخير العلوم أنفعها، وأنفعها أحمدها مَغَبَّة، وأحمدها مغبَّة ما تُعلِّم وعُلِّم لله وأريد به وجه الله تعالى.

ونحن نسأل الله تعالى، جلَّ وعلا، أنْ يجعلنا بما علمنا عاملين وبأحسنه آخذين ولوجهه الكريم بما نستفيد ونُفيد مريدين ولحسن بلائه عندنا

عارفين وبشكره آناء الليل والنهار هارفين إنه أقرب المدعوِّين وأجود المسؤولين.

وإني كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكُتَّابِ كتاباً من المعرفة وفي تقويم اللسان واليد حين تبيَّنْتُ شُمول النقص ودروسَ العلم وشغلَ السلطان عن إقامة سُوق الأدب حتى عفا ودرَس، بلغْتُ به فيه همّة النفس وثَلَج الفؤاد وقيَّدتُ عليه به ما أطرفني الاله ليوم الإدالة، وشرطْتُ عليه مع تعلّم ذلك تحفُّظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلاً إذا كاتَبَ، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور. ولما تقلَّدْتُ له القيام ببعض آلته دعتْني الهمة إلى كفايته وخَشِيْتُ إن وكَلْتُه فيما بقي إلى نفسه وعوّلْتُ له على آختياره أن تستمرَّ مَرِيرتُه على التهاون ويستوطىء مركبه من العجز فيضرب صفحاً عن الآخر كما ضرب صفحاً عن الأوّل، أو يزاول ذلك بضعف من النية وكَلال من الحدّ فيلحقه خَوَر الطباع وسآمة الكلفة. فأكملْتُ له ما آبتدأْتُ وشيَّدتُ ما أسَّستُ وعملْتُ له في ذلك مَنْ طَبَّ لمن حَبَّ بل عمل الوالد الشفيق للولد البرّ ورضيت منه بعاجل الشكر وعوّلت على الله في الجزاء والأجر.

فإنَّ هذا الكتاب، وإنْ لم يكن في القرآن والسُّنَّة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالٌ على معالي الأمور مُرْشِدٌ لكريم الأخلاق زاجرٌ عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعثٌ على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعِمارة الأرض وليس الطريق إلى الله واحداً ولا كل الخير مجتمعاً في تهجُّد الليل وسَرْد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير.

وهٰذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرةً ولأهل العلم تذكرةً ولسائس الناس ومَسُوسهم مؤدّباً وللملوك مستراحاً من كدِّ الجِدّ والتعب وصنَّفْتُها أبواباً وقرنت الباب بشكله والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها وعلى الناشد طلبها، وهي لَقَاح عقول العلماء ونَتَاج أفكار الحكماء وزبدة المَخْض وحلْية الأدب وأثمار طول النظر والمتخيَّر من كلام البلغاء وفِطَن الشعراء وسِيَر الملوك وآثار السلف. جمعْتُ لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نَفْسَك بأحسنها وتقوّمَها بِثقافها وتخلِّصَها من مساوىء الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خَبَثِها، وتَرُوضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم، وتصل بها كلامك إذا حاورْتَ وبلاغتك إذا كتبْتَ، وتستنجح بها حاجتك إذا سألْتَ، وتتلطف في القول إن شفعْتَ، وتخرج من اللوم بأحسن العذر إذا اعتذرْتَ فإنَّ الكلام مصايد القُلوب والسحر الحلال، وتستعمل آدابها في صحبة سلطانك وتسديد ولايته ورفق سياسته وتدبير حروبه، وتعمُر بها مجلسك إذا جدَدْت وأهَزَلْتَ وتوضح بأمثالها حججك وتَبُذّ باعتبارها خَصْمَك حتى يظهرَ الحقُّ في أحسن صورة وتبلغَ الإرادةُ بأخف مؤْونة، وتستولي على الأمد وأنت وادع وتلحق الطَّريدة ثانياً من عِنَانك وتمشي رويداً وتكون أوّلاً هذا إذا كانت الغريزة مُوَاتيةً والطبيعة قابلة والحسُّ منقاداً، فإن لم يكن كذلك ففي هذا الكتاب، لمن أراه عقلُه نَقصَ نَفْسَهُ فأحسن سياستها وسَتَرَ بالأناة والرويَّة عَيْبَها ووضع من دواء هذا الكتاب على داء غريزته وسقاها بمائه وقدح فيها بضيائه، ما نعَش منها العليلَ وشَحَذَ الكليلَ وبعث الوَسْنان وأيقظ الهاجعَ حتى يُقَاربَ بعون الله رُتَبَ المطبوعين.

ولم أَرَ صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب

الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامِّهم[1] ولا على ملوكهم دون سُوْقتهم، فوفَّيْتُ كلَّ فريق منهم قِسْمه ووفَّرت عليه سهمه وأودعته طُرَفاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها والزوالِ والانتقال وما يتلاقَوْن به إذا آجتمعوا ويتكاتبون به إذا آفترقوا في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين وأشباه ذلك لعل الله يعطف به صادفاً، ويأطِرُ على التوْبة متجانفاً، ويردع ظالماً ويلين برقائقه قسوة القلوب. ولم أُخْلِه مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهبٌ سلكه السالكون وعَرُوضٌ أخذ فيها القائلون، ولأروّح بذلك عن القارىء من كَدِّ الجِدّ وإتعاب الحق فإنّ الأذن مَجَّاجة والنفس حَمْضَةٌ، والمَزْح إذا كان حقاً أو مقارباً ولأحايينه وأوقاته وأسباب أوجَبْته مشاكلاً ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصغائر إن شاء الله.

وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المِزاح والفكاهة وما روى عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مرّ بك، أيها المتَزمِّتُ، حديثٌ تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فآعرف المذهب فيه وما أردنا به.

وآعلم أنك إن كنت مُسْتَغْنِياً عنه بتنسكِكَ فإن غيرك ممن يترخّص فيما تشدَّدْتُ فيه محتاجٌ إليه، وإنَّ الكتاب لم يُعمل لك دون غيرك فيُهيَّأ على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه تَوَقِّي المتزمِّتين لَذَهَبَ شَطْرُ بهائه وشطرُ مائه ولأعرض عنه من أحْبَبْنا أن يُقبل إليه معك.

وإنما مَثَلُ هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين، وإذا مرَّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج

(١) العَوَامُّ: ج عامة، وعامة الناس خلاف خاصّتهم.

أو وصف فاحشة فلا يَحْمِلَنَّك الخشوعُ أو التخاشعُ على أن تُصعِّر خدَّك وتُعْرِضَ بوجهك فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المَأْثَم في شتم الأعراض وقول الزُّوْر والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَزَّى بعَزَاء الجاهلية فأَعِضُّوه بِهَنِ[1] أبيه ولا تَكْنُوا». وقال أبو بكر الصدّيق، رضي الله عنه، لبُدَيْل بن وَرْقاء[2]، ـ حين قال للنبيّ ﷺ إنّ هؤلاء لو قد مَسَّهم حَزُّ السلاحَ لأسلموك ـ: «إعْضَضْ بَبْظر اللّات[3]، أنحن نُسْلمه!». وقال عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه: «من يَطُلْ أيْرُ أبيه ينتطقْ به». وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه: [طويل]

فلو شاءَ ربِّي كان أيْرُ أبيكُمُ   طويلاً كأير الحارث بن سَدُوس

قال الأصمعيّ: كان للحارث بن سدوس أحدٌ وعشرون ذكراً، وقيل للشَّعْبيّ: إن هذا لا يجيء في القياس، فقال: أيْرٌ في القياس، الولد ذكرٌ. وليس هذا من شكل ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأنّ ذلك تعيير وابْتِهَارٌ في الأخوات والأمهات وقذفٌ للمحصنات الغافلات، فتفهَّم الأمرَيْن وافرق بين الجنسين، ولم أترخّصْ لك في إرسال اللسان بالرَّفَث[4] على أن تجعله هِجِّيراك[5] على كل حال[6] ودَيْدَنَك في كل مقال، بل الترخّص منّي فيه عند حكاية تحكيها

---

(١) الهَنُ: الفَرْج.

(٢) هو بُدَيْل بن وَرْقاء بن عبد العُزّى بن لُحَيّ، أدهى العرب. أنظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ص ٢٣٩.

(٣) اللّات: صنمٌ كان بالطائف لثقيف، بني على صخرة ثم هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شُعْبة. المصدر السابق ص ٤٩١.

(٤) الرَّفَث: الفُحْش.

(٥) الهجّيرَى: الدّأب والعادة. يقال: هذا هِجّيْراك: أي دأبك وشأنك.

(٦) الدَّيْدَن: الدأب والعادة.

أو روايـة ترويهـا، تنقّصها الكنـاية ويـذهب بحلاوتهـا التعـريض، وأحببْتُ أن تجـريَ في القليل من هـذا على عادة السَّلَفِ الصـالح في إرسـال النَّفْس على السجيّـة والرغبـة بها عن لِبْسة الريـاء والتصنع. ولا تستشعـر أنَّ القوم قـارفوا وتنـزّهْتَ وثَلَموا أديـانَهم وتورّعْتَ. وكـذلك اللحنْ إنْ مـرَّ بك في حـديث من النوادر فلا يذهَبنَّ عليك أنَّا تعمدنـاه وأردْنا منـك أن تتعمده لأنَّ الإعـراب ربما سَلَبَ بعضُ الحديثِ حُسْنَهُ وشاطَر النادرةَ حَلاوَتَهـا، وسأمثـل لك مثـالاً: قيل لِمـزْيَد المـديني ـوقد أكـل طعامـاً كَظَّهُ[1]: قِي؛ فقـال: مـا أقي، أقي نَقـاً ولَحْمَ جَـدْي! مرْتي طـالقٌ لو وجـدتْ هذا قيـاً لأكلته. ألا تـرى أن هذه الألفـاظ لو وفّيت بـالإعراب والهمـزِ حقوقَهـا لذهبَتْ طِـلاوتها ولاستبْشَعَهـا سامعُهـا وكان أحسن أحوالها أن يكافِىءَ لُطْفُ معناها ثقلَ ألفاظهـا فيكون مَثَلُ المُخْبر عنهـا ما قـال الأوّل: [بسيط]

إضربْ نَدَى طلحةَ[2] الخيراتِ إن فخروا ... ببُخْلِ أشعثَ وٱستثْبِتْ وكُنْ حَكَما

تخـرجْ خُزَاعـةُ من لؤم ومن كَرَمٍ ... فـلا تَعُـدَّ لهـا لُؤْمـاً ولا كَـرَمَـا

ولمثل هذا قال مالك بن أسماء[3] في جارية له: [خفيف]

أمُغَـطًّى منِّي على بصـري للـ ... ـحبّ أم أنتِ أكملُ الناس حُسْنَاً؟

---

(١) كَظَّه الطعامُ يَكُظُّه كَظّاً: ملأه حتى لا يطيق النَّفَس.

(٢) أعتقد أنه طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي المدني، ويقال له طلحة الجُوْد وطلحة الخير وطلحة الفيّاض. توفي سنة ٣٦هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٢٩.

(٣) هو أبو الحسن مالك بن أسماء الفزاري، شاعر غزِلٌ ظريف وأخو هند بنت أسماء زوجة الحجاج. وقع منه ما أوجب حبسه مدة طويلة. توفي حوالي ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧.

وحديثٍ أَلَــذُّهُ هــو مِـمّــا ... يَشْتَهي النـاعتـون يُـوْزَنُ وَزْنَاً
مَنْـطِقٌ بــارعٌ وتَلْحَـنُ أحيــا ... ناً وأحلى الحديثِ ما كانَ لحْناً[1]

وإنْ مرَّ بك خبرٌ أو شعر يتَّضعُ عن قَدْر الكتـاب وما بُني عليـه فٱعلمْ أنَّ لذلك سببين: أحدهما قلة ما جاء في ذلك المعنى مع الحـاجة إليـه، والسبب الآخـر أن الحَسَنَ إذا وُصِل بمثله نقص نُـوراهما ولم يتبيَّن فـاضل بمفضـول. وإذا وُصِل بما هو دونه أراكَ نقصانُ أحدهما من الآخر الرجحانَ، ومـدار الأمر وقِـوَامُه على واحـدةٍ تحتاج إلى أن تـأخذ نفسـك بها وهي أن تُحْضـر الكلمـة موضعَها وتصلها بسببها ولا ترى غبناً أن يتكلم الناس وأنت ممسك، فإذا رأيْتَ حالاً تُشاكِل ما حضرك من القول أحضرْتَه وفرصة تخاف فوتها ٱنتهزتهـا، وكان يقال: انتهزوا فرصَ القول فإن للقول سـاعات يضـرُّ فيها الخـطأ ولا ينفع فيهـا الصواب، وقالوا: ربَّ كلمةٍ تقول: دعني.

وإن وقفْتَ على بـاب من أبواب هـذا الكتاب لم تَـرَهُ مُشبَعاً فـلا تَقْضِ علينا بالإغفـال حتى تتصفَّح الكتب كلهـا، فإنـه رُبَّ معنىً يكون لـه موضعـان وثلاثة مواضع فنقسم مـا جاء فيـه على مواضعـه، كالتلطف في القـول يقع في كتاب السلطان ويقع في كتابِ الحوائج ويقع في باب البيان، وكـالإعتذار يقـع في كتاب السلطان وفي كتاب الإخوان، وكالبخل يقع في كتـاب الطبـائع وفي كتابَ الطعام، وكالكبَر والمشيب يقع في كتاب الزهد، ويقع في كتاب النساء.

وٱعلم أنَّا لم نزل نتلقَّط هذه الأحاديث في الحـداثة والإكتهـال عمن هو

(١) ذكر الزِّركْلي هذا البيت فقط وعدَّه من أبيات مالك السائرة وقال: منطق صائب وتلحن. . الخ. الأعلام ج ٥ ص ٢٥٧. ومعنى البيت: إنها تُعْوِصُ في حديثها فتزيله عن جهته كي لا يفهمه الحاضرون، وخير الحديث ما فهمه صديقك الذي تريد إفهامه وحده، وما خفي على غيره. وقيل: تلحن: تخطىء في الإعراب؛ وذلك أنه يُسْتَمْلَحُ من الجواري إذا كان خفيفاً.

فوقنا في السنّ والمعرفة وعن جلسائنا وإخواننا ومن كتب الأعاجِم وسِيَرهم وبلاغات الكتَّاب في فصول من كتبهم وعمَّن هو دوننا غيرَ مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنّاً لحداثته ولا عن الصغير قَدْراً لخساسته ولا عن الأمَة الوَكْعاء لجهلها فضلاً عن غيرها، فإن العلم ضالَّة المؤمن من حيث أخذه نفعه، ولن يُزْريَ بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تُستنبَط من الكاشحين، ولا تَضِيرُ الحسناءَ أطمارُها ولا بناتِ الأصداف أصدافُها ولا الذهبَ الإبريزَ مَخْرجُه مِنْ كِبَا[1]، ومن ترك أخْذَ الحسن من موضعه أضاع الفرصة، والفرص تمرّمَرَّ السَّحَاب.

حدثني أبو الخطاب قال: حدّثنا أبو داود عن سُليمان بن معاذٍ عن سِمَاك عن عكرمة عن آبن عباس قال: «خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فإنه قد يقول الحكمةَ غيرُ الحكيم وتكون الرَّمْيةُ من غير الرامي». وهذا يكون في مثل كتابنا لأنه في آداب ومحاسن أقوام ومقابح أقوام والحسن لا يلتبس بالقبيح ولا يُخْفى على من سَمِعَهُ من حيث كان. فأما علم الدين والحلال والحرام فإنما هو آستعباد وتقليد ولا يجوز أن تأخذه إلا عمّن تراه لك حجة ولا تقدح في صدرك منه الشكوكُ، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدَثين إذا كان متخيَّر اللفظ لطيف المعنى لم يُزْرِ به عندنا تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه فكل قديم حديث في عصره وكل شرف فأوّله خارجيُّهُ، ومن شأن عَوامِّ الناس رفع المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم المتقدّم وغُفران زلته وبخس المتأخر والتجنّي عليه، والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم.

---

(١) الكِبا: المزبلة والكناسة، مثناها كِبَوان، والجمع أكْباء.

وإني حين قَسَّمْتُ هذه الأخبار والأشعار وصَنَّفْتُها وجدْتُها على آختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميزة، كل كتاب منها مفرد على حدته، كتاب الشراب، وكتاب المعارف، وكتاب الشعر، وكتاب تأويل الرؤيا.

فالكتاب الأوّل من الكتب العشرة المجموعة «كتاب السلطان» وفيه الأخبار من محل السلطان وآختلاف أحواله وعن سيرته وعما يحتاج صاحبه إلى آستعماله من الآداب في صحبته وفي مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن يأخذ به في آختيار عُمّالِه وقضاتِه وحُجّابه وكُتّابه وعلى الحكام أن يمتثلوه في أحكامهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الثاني «كتاب الحرب» وهذا الكتاب مشاكلُ لكتاب السلطان فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش وعن العُدد والسلاح والكُرَاع[1] وما جاء في السَّفَر والمسير والطِّيَرة والفَأْل وما يؤمر به الغزاة والمسافرون، وأخبار الجبناء والشجعاء وحِيَل الحرب وغيرها وشيء من أخبار الدولة والطالبيِّين وأخبار الأمصار وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الثالث «كتاب السُّؤدد» وفيه الأخبار عن مَخَايل السؤدُد في الحَدَث[2] وأسبابه في الكبير وعن الهمة السامية والخِطَارِ بالنفس لطلب المعالي وآختلاف الإرادات والأماني والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذلّ والمروءة واللباس والطيب والمجالسة

(١) الكُراع: الخيل والبغال.
(٢) الحَدَثُ: الفتيُّ، والجمع أحداث.

والبناء والمُزَاح وترك التصنُّع والتوسط في الأشياء وما يُكْرَهُ من الغلوّ والتقصير واليسار والفَقْر والتجارة والبيع والشراء والمَدَايَنة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الرابع كتاب الطبائع والأخلاق وهذا الكتاب مقارب لكتاب السؤدُد فضممْته إليه وجعلْتُهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وذمِّهم وعن مساوىء الأخلاق من الحسد والغِيبة والسِّعاية والكذب والقَحَة وسوء الخلق وسوء الجوار والسِّباب والبخل والحمق ونوادر الحَمْقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطير والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الخامس «كتاب العلم» وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثَر والكلام في الدين ووصايا المؤدِّبين والبيان والبلاغة والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخُطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السادس «كتاب الزهد» وهذا الكتاب مقارب لكتاب العلم فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن صفات الزهّاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبَر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهّاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب السابع «كتاب الإخوان» وفيه الحث على آتخاذ الإخوان

وآختيارهم والأخبار عن المودّة والمحبة وما يجب للصديق ومخالفته الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوَداع والتهادي والعيادة والتعازي والتهاني وذكر شرار الإخوان وذكر القرابات والولد والاعتذار وعتب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

والكتاب الثامن «كتاب الحوائج» وهذا الكتاب مقارب لكتاب الإخوان فَضَمَمْتُه إليه وجعلتهما جزءاً واحداً فيه الأخبار عن استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجِدّ والهدِيَّة والرشوة ولطيف الكلام ومن يُعتمَد في الحاجة ومن يُستسعَى لها والإجابة إلى الحاجة والردّ عنها والمواعيد وتنجُّزها وأحوال المسؤولين عند السؤال في الطَّلاَقة والعُبُوس والعادة من المعروف تُقْطَع الشكر والثناء والتلطف فيهما والترغيب في قضاء الحوائج وآصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الآخبار.

والكتاب التاسع «كتاب الطعام»، وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحَلْواء والسَّوِيق[1] واللبن والتمر والخبائث منها التي يأكلها فقراء الأعراب، ونازلة الفقر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأَكَلَة والمَنْهُومين والدعاء إلى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحِمْية وشرب الدواء ومضارّ الأطعمة منافعها ومصالحها ونُتَف من طِبِّ العرب والعجم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

---

(١) السَّوِيقُ: الناعم من دقيق الحنطة.

والكتاب العاشر «كتاب النساء» وهذا الكتاب مقارب لكتاب الطعام، والعرب تدعو الأكل والنكاح الأطيبْين فتقول: قد ذهب منه الأطيبان. تريدهما، فضممته إليه وجعلتهما جزءاً واحداً وفيه الأخبار عن آختلاف النساء في أخلاقهنّ وخَلْقهنّ وما يُختار منهن للنكاح وما يُكره وآختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقبح والدَّمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمُهُور وخِطَب النكاح ووصايا الأولياء عند الهِدَاء وسياسة النساء ومعاشرتهنّ والدخول بهنّ والجماع والولادات ومساويهن خلا أخبار عُشّاق العرب فإني رأيْتُ كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودِع هذا الكتاب منها إلا شيئاً يسيراً، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

فهذه أبواب الكتب جمعتها لك في صدر أوّلِها لأُعفيك من كَدّ الطلب وتعب التصفُّح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودْعتُها ولِتَقْصد فيما تريد حين تريد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه، فإن هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيوناً مختارة أكثرُ من أن يُحاط بها أو يُوقَف من ورائها أو تنتهي حتى يُنتَهى عنها.

وقد خفَّفْتُ وإن كنْتُ أكثرْتُ، وآختصرْتُ وإن كنْتُ أطلْتُ، وتوقيتُ في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقّاه مَنْ رضي من الغنيمة فيها بالسلامة ومِنْ بُعد الشُّقة بالإياب، ولم أجد بُدّاً من مقدار ما أودْعتُه الكتابَ منها لتتممَّ به الأبواب، ونحن نسأل الله أن يمحو ببعضٍ بعضاً ويغفرَ بخيرٍ شرّاً وبجِدٍّ هَزْلاً ثم يعود علينا بعد ذلك بفضله ويتغمدنا بعفوه ويعيذنا بعد طول الأمل فيه وحسن الظنّ به والرجاء له من الخيبة والحرْمان.

كتاب السلطان

محل السلطان وسيرته وسياسته

حدّثنا محمد بن خالد بنِ خدَاش قال: حدّثنا سَلْمُ بنُ قُتَيبة عن آبن أبي ذئب عن المَقْبُريّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَحْرِصون على الإمارة ثم تكون حَسْرةً ونَدامة يومَ القيامة فَنِعْمَتِ المُرضِعةُ وبِئْسَتِ الفاطمةُ»[1].

حدّثني محمد بن زياد الزيادي قال: حدّثنا عبد العزيز الدَّارَوَرْدِي قال: حدّثنا شَرِيك عن عَطَاء بن يَسَار أن رجلاً قال عند النبي ﷺ: بِئْسَ الشيءُ الأمارةُ[2]. فقال النبي ﷺ: «نِعْمَ الشيءُ الإمارةُ لمن أخذها بحقِّها وحِلِّها».

حدّثني زيد بن أَخْزَمَ الطائي قال: حدّثنا آبن قُتَيبة قال: حدّثنا أبو المِنْهال عن عبد العزيز بن أبي بَكرة عن أبيه قال: لما مات كِسْرى قيل ذلك للنبيّ ﷺ فقال: «من استخلفوا؟» فقالوا: آبنَته بُوران، قال: «لن يفلح قوم أسندوا أمرَهم إلى آمرأة».

حدّثني زيد بن أخزم قال: حدّثنا وَهْب بن جرير قال: حدّثنا أبي قال: سمعت أيُّوبَ يحدّث عن عكْرمة عن آبن عباس أنه قَدِمَ المدينةَ زَمَنَ الحَرّة[3]

---

(١) الفاطمة هي المُرْضِع التي تَفْطِمُ رضيعها فتفصله عن الرَّضاع.

(٢) تقدير الكلام: بِئْسَ الشيءُ هو الإمارة.

(٣) زمن الحَرّة: أي وقعة الحرّة. وسيأتي ذكرها فيما بعد.

فقال: من آستعملَ القومُ؟ قالوا: على قريش عبدَ الله بن مُطِيع، وعلى الأنصار عبدَ الله بن حَنْظلة بن الراهب فقال: أميران! هلك والله القَوْم.

حدّثنا محمد بن عُبيد قال: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحق عن هشام بن حسّان قال: كان الحسن يقول: «أربعة من الإسلام إلى السلطان الحُكْم والفيء والجمعة والجهاد». وحدّثني محمد قال: حدّثنا أبو سَلَمة عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قَلابة قال: قال كعب: «مَثَلُ الإسلامِ والسلطان والناسِ مَثَلُ الفُسطاطِ والعمودِ والأطنابِ والأوتادِ، فالفُسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأطناب والأوتاد الناس، لا يصلُح بعضه إلا ببعض».

حدّثني سهل بن محمد قال: حدّثني الأصمعي قال: قال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك: «السلطان سُوْقٌ فما نَفَق عنده أُتِيَ به». وقرأت في كتاب لابن المقفَّع: «الناس على دين السلطان إلا القليلَ فليكنْ للبِرّ والمروءة عنده نَفَاقٌ فَسَيَكْسُد بذلك الفُجُوْرُ والدناءة في آفاق الأرض». وقرأت فيه أيضاً: «المُلْك ثلاثة: مُلْك دين ومُلْك حَزْم ومُلْك هوى، فأما ملك الدين فإنه إذا أقام لأهله دينهم فكان دينُهم هو الذي يعطيهم مالهم ويُلْحق بهم ما عليهم، أرضاهم ذلك وأنزل الساخطَ منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم. وأما مُلْك الحزم فإنه تقوم به الأمور ولا يسلم من الطعن والتسخُّطِ ولن يضرَّه طعنُ الضعيف مع حزم القوي. وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودَمَار دهر».

حدّثني يزيد بن عمرو عن عِصْمة بن صُقَير الباهليّ قال: حدّثنا اسحق ابن نُجَيْح عن ثور بن يزيد عن خالد بن مَعْدان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله حُرَّاساً فحرّاسُه في السماء الملائكةُ وحرّاسه في الأرض الذين يأخذون الدِّيوان».

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني سَعيد بن سَلْم الباهلي قال: أخبرني شُعْبة عن شَرَقيٍّ عن عِكْرِمة في قول الله عز وجل: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾(١) قال: «الجَلاوِزَةُ(٢) يحفظون الأمراءَ».

وقال الشاعر: [طويل]

ألا ليت شِعْرِي هلْ أبيتنَّ ليلةً خَلِيّاً مِنْ آسم الله والبركاتِ

يعني باسم الله، وفيه قول الله ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ أي بأمر الله.

وقرأت في كتاب من كتب الهند: «شرُّ المال ما لا يُنْفَقُ منه وشرُّ الإخوان الخاذلُ وشرُّ السلطان مَنْ خافه البريءُ وشر البلاد ما ليس فيه خِصْبٌ ولا أمن».

وقرأت فيه: «خيرُ السلطان من أشبه النَّسْرَ حوله الجِيَفُ لا مَنْ أشبَهَ الجيفةَ حَوْلها النسورُ» وهذا معنى لطيف وأشبهُ الأشياء به قولُ بعضهم: «سلطانٌ تخافه الرعيّةُ خير للرعية من سلطان يخافها».

حدّثني شيخ لنا عن أبي الأَحْوص عن آبن عمّ لأبي وائل عن أبي وائل قال: قال عبد الله بن مسعود: «إذا كان الإمام عادلاً فله الأجْرُ وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوِزْرُ وعليك الصبر».

وأخبرني أيضاً عن أبي قُدامة عن عليّ بن زيد قال: قال عمر بن

---

(١) سورة الرعد ١٣، آية ١١. ومعنى الآية: إن للإنسان ملائكة تتعقّبه قدّامه ووراءه ويحفظونه بأمر الله من الجن وغيرهم. تفسير الجلالين.

(٢) الجلاوزة ج جِلْواز، وهو الشُّرْطي؛ قيل: سمّي بذلك لِجَلْوزته بين يدي أميره، أي لخفّته في الذهاب والمجيء. والجلواز عند الفقهاء أمين القاضي أو الذي يقال له صاحب المجلس.

الخطاب رضي الله عنه: «ثلاثٌ من الفَوَاقر[١]: جارُ مُقامةٍ[٢] إنْ رأى حَسَنَةً سَتَرَها وإن رأى سيئة أذاعها، وامرأةٌ إن دَخَلْتَ عليها لَسِنَتْكَ[٣] وإن غِبْتَ عنها لم تأمَنْها، وسلطانٌ إن أحْسَنْتَ لم يَحْمَدْكَ وإن أسأْتَ قتلك».

وقرأت في اليتيمة: «مَثَلُ قليلِ مضارِّ السلطانِ في جَنْب منافعه مَثَلُ الغَيْث الذي هو سُقْيا الله وبركاتُ السماء وحياةُ الأرض ومَنْ عليها، وقد يتأذّى به السَّفْر[٤] ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدرُّ سيولُه فَيَهلِكَ الناسَ والدَّوابَّ وتموجُ له البِحارُ فتشتدَّ البليّةُ منه على أهله فلا يمنع الناس، إذا نظروا إلى آثار رحمة الله في الأرض التي أحْيا والنباتِ الذي أخرج والرزقِ الذي بَسَطَ والرحمةِ التي نَشَرَ، أن يُعَظِّموا نِعْمَةَ ربهم ويشكروها ويُلْغُوا ذِكْرَ خواصِّ البلايا التي دخلت على خواصّ الخَلْق. ومَثَلُ الرياح التي يرسلها الله نُشُرا بين يدي رحمته فيسوقُ بها السَّحابَ ويجعلها لَقَاحاً للثمرات وأرواحاً للعباد يتنسّمون منها ويتقلّبون فيها وتجري بها مِياههم وتَقِدُ بها نِيْرانهم وتسيرُ بها أفلاكهم وقد تضرُّ بكثير من الناس في بِرِّهم وبَحْرهم ويخلُص ذلك إلى أنفسهم وأموالهم فيشكوها منهم الشاكُون ويتأذّى بها المتأذُّون ولا يُزِيلها ذلك عن منزلتها التي جعلها الله بها وأمرها الذي سخَّرها له من قوام عباده وتمام نعمته. ومَثَلُ الشتاء والصيف اللذين جعل الله حَرَّهما وبَرْدَهُما صلاحاً للحَرْث والنَّسْل ونَتاجاً للحَبِّ والثمر، يجمعها البَرْدُ بإذن الله ويحملها ويخرجها الحرُّ بإذن الله ويُنْضجها مع سائر ما يعرف من منافعها وقد يكون الأذى والضرّ في حَرِّهما وبَرْدهما وسمائمهما وزَمْهَرِيْرهما وهما مع ذلك لا ينسبان إلا إلى الخير

(١) ج فاقِرة، وهي الداهية التي تكسر الفقار؛ يقال: عَمِلَ به الفاقرةَ: أذلَّه بها.
(٢) المُقامة بضم الميم وفتحها: المجلس أو الجماعة من الناس، والجمع مقامات.
(٣) لَسِنَتْ: فَصُحَتْ أو تناهت في الفصاحة والبلاغة.
(٤) السَّفْر: ج سافر، وهو المسافر.

والصلاح. ومن ذلك الليلَ الذي جعله اللهُ سكناً ولباساً وقد يستوحش له أخو القَفْر وينازع فيه ذو البليَّة والرِّيبة وتعدو فيه السِّباع وتَنْسابُ فيه الهوامّ[1] ويغتنمه أهلُ السَّرَق والسَّلَّة[2] ولا يُزرِي صغيرُ ضَرَره بكثير نفعه ولا يُلحِق به ذمّاً ولا يضع عن الناس الحقَّ في الشكر لله على ما مَنَّ به عليهم منه. ومَثَلُ النهار الذي جعله اللهُ ضياء ونُشُوراً وقد يكون على الناس أذى الحرّ في قَيْظهم وتُصَبِّحهم فيه الحروب والغارات ويكون فيه النَّصَبُ والشخوص وكثير مما يشكوه الناس ويستريحون فيه إلى الليل وسكونه. ولو أن الدنيا كان شيءٌ من سَرّائها يعمُّ عامةَ أهلها بغير ضَرَرٍ على بضعهم وكانت نَعْماؤها بغير كَدَرٍ وميسورُها من غير معسور كانت الدنيا إذاً هي الجنة التي لا يشوب مسرَّتها مكروهٌ ولا فَرَحها ترحٌ والتي ليس فيها نَصَبٌ ولا لُغُوب[3]، فكلُّ جسيمٍ من أمر الدنيا يكون ضرُّه خاصةً فهو نعمة عامة وكل شيء منه يكون نَفْعُهُ خاصاً فهو بلاء عام.

وكان يقال: «السلطان والدين أَخوان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر».

وقرأت في التاج لبعض الملوك: «هموم الناس صِغارٌ وهموم الملوك كِبارٌ وألباب الملوك مشغولةٌ بكل شيء يجِلّ وألبابُ السُّوَق[4] مشغولةٌ بأيسر الشيء، فالجاهل منهم يَعْذِرُ نفسه بدَعَةِ ما هو عليه من الرِّسْلة[5] ولا يعذِر سلطانه مع شدّة ما هو فيه من المُؤْنَة[6]، ومن هناك يعزِّر اللهُ سلطانه ويرشده وينصره.».

سمع زيادٌ رجلاً يسبُّ الزمان فقال: «لو كان يدري ما الزمان لعاقَبْتُهُ،

---

(١) الهوامُّ: ج هامة، وهي الفرس.
(٢) السَّرَق: السَّرِقَة. والسَّلَّة: السَّرِقة الخفيفة.
(٣) النَّصَب واللُّغُوب: التعب والإعياء.
(٤) السُّوَق: ج سُوْقة، وهي الرعيّة من الناس تحت سياسة الولاة.
(٥) الرِّسْلة: التُّؤَدَة والرِّفْق.
(٦) المُؤْنة: الشدّة.

إنما الزمان هو السلطان».

وكانت الحكماء تقول: «عدل السلطان أنفع للرعية من خِصْب الزمان».

وروى الهَيْثَم عن ٱبن عيَّاش عن الشَّعْبي قال: «أقبل معاوية ذات يوم على بني هاشم فقال: يا بني هاشم، ألا تحدّثوني عن ٱدعائكم الخلافةَ دون قريش بم تكون لكم أبالرضا بكم أم بالاجتماع عليكم دون القرابة أم بالقرابة دون الجماعة أم بهما جميعاً؟ فإنْ كان هذا الأمر بالرضا والجماعة دون القرابة فلا أرى القرابة أثبتتْ حقاً ولا أسَّست مُلْكاً، وإن كان بالقرابة دون الجماعة والرضا فما مَنَع العباسُ عمُّ النبي ﷺ ووارثه وساقيَ الحَجيج وضامنَ الأيتام أن يطلبها وقد ضمِن له أبو سفيان بني عبد مناف، وإن كانت الخلافة بالرضا والجماعة والقرابة جميعاً فإن القرابة خَصْلة من خصال الإمامة لا تكون الإمامة بها وحدها وأنتم تدَّعونها بها وحدها، ولكنا نقول: أحقُّ قريشٍ بها مَنْ بَسَطَ الناسُ أيديهم إليه بالبَيْعة عليها ونقلوا أقدامَهم إليه للرغبة وطارت إليه أهواؤُهم للثقة وقاتل عنها بحقها فأدركها من وجهها. إنَّ أمْرَكم لأمرٌ تضيق بها الصدور، إذا سئلتم عمَّن ٱجتُمع عليه من غيركم قلتم حقٌّ. فإن كانوا ٱجتمعوا على حق فقد أخرجكم الحقّ من دعواكم. أنظروا: فإنْ كان القوم أخذوا حقكم فٱطلبوهم، وإن كانوا أخذوا حقَّهم فسلِّموا إليهم فإنه لا ينفعكم أن ترَوْا لأنفسكم ما لا يراه الناس لكم. فقال ٱبن عباس: ندّعي هذا الأمرَ بحقٍّ من لولا حقُّه لم تقعد مقعدَك هذا، ونقول كان تركُ الناس أن يَرضَوْا بنا ويجتمعوا علينا حقّاً ضَيَّعُوه وحظّاً حُرِمُوه، وقد ٱجتمعوا على ذي فضل لم يخطىء الوِرْدَ والصَّدَرَ، ولا ينقُص فضلَ ذي فضلٍ فضلُ غيره عليه. قال الله عز وجل ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[1] فأما الذي منعنَا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله ﷺ فَعَهْدٌ منه إلينا

---

(١) سورة هود ١١، آية ٣. والمعنى: ويؤتي في الآخرة كل ذي فضل في العمل جزاءه. تفسير الجلالين.

قبِلْنا فيه قولَه ودنَّا بتأويله ولو أَمَرَنا أن نأخذه على الوجه الذي نهانا عنه لأخذناه أو أَعْذَرنا فيه، ولا يعابُ أحدٌ على ترك حقه إنما المعيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع وليس كل خطأ ضارّاً، انتهت القضيةُ إلى داود وسليمان فلم يُفَهَّمْها داودُ وفُهِّمها سليمان ولم يضرَّ داودَ. فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهي للمؤمن أنفع؛ قال رسول الله ﷺ: «أنت عمِّي وصِنْوُ أبي ومَنْ أبغضَ العباسَ فقد أبغضني وهجرتك آخر الهجرة كما أن نبوّتي آخر النبوّة». وقال لأبي طالب عند موته: «يا عمُّ، قل لا إله إلا ٱلله أشفعْ لك بها غداً وليس ذاك لأحد من الناس. قال الله تعالى: ﴿وليسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1].

حدّثنا الرياشي عن أحمد بن سلاَّم مولى ذُفَيْف عن مولى يزيد بن حاتم عن شيخ له قال: قال كسرى: «لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسُوْقٌ قائمة، وطبيب عالم، ونهرٌ جارٍ».

وحدّثنا الرياشي قال: حدّثنا مُسْلم بن إبراهيم قال: حدّثنا القاسم بن الفضل قال: حدّثنا ٱبن اخت العجاج عن العجاج قال: «قال لي أبو هريرة: ممن أنت؟ قال: قلت من أهل العراق. قال: يوشك أن يأتيك بُقْعَانُ[2] الشام

---

(١) سورة النساء ٤، آية ١٨. وتفسير الآية: إن التوبة تنفع و العمل يُرْفع، ولكنه طوعاً لا كرهاً حيث يساق المجرم إلى الموت. ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ أي الذين يتوبون يوم القيامة حيث يرون النار.

(٢) حديث أبي هريرة هو: «يُوْشِك أن يعمل عليكم بُقْعان أهل الشام» والمراد خدمهم وعبيدهم ومماليكهم؛ شبّههم لبياضهم وحُمْرتهم أو سوادهم بالشيء الأبقع، ويعني بذلك الروم والسودان. وبقعان: ج أبقع؛ يقال: غراب أبقع: فيه سواد وبياض.

فيأخذوا صدقتك فإذا أَتَوْك فتلقَّهم بها فإذا دخلوها فكن فيْ أقاصيها وخلّ عنهم وعنها، وإياك وأن تسبَّهم فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك وإنْ صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة». وفي رواية أخرى أنه قال: «إذا أتاك المصَدِّق فقل: خذِ الحقَّ ودعِ الباطل، فإنْ أبى فلا تمنعه إذا أقبل ولا تلعنه إذا أدبر فتكون عاصياً خَفَّفَ عن ظالم».

وكان يقال: «طاعة السلطان على أربعة أوجه: على الرغبة، والرهبة، والمحبة، والديانة».

وقرأت في بعض كتب العجم كتاباً لأَرْدَشِيرَ بن بَابَك إلى الرعية، نسخته: «من أردشير المُوْبَذ[1] ذي البهاء ملك الملوك ووارث العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين، والأساورة الذين هم حفظة البَيْضة[2]، والكتَّاب الذين هم زينة المملكة، وذوي الحرث الذين هم عَمَرة البلاد. السلام عليكم، فإنا بحمد الله صالحون وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا إتَاوَتَها الموظَّفة عليها. ونحن مع ذلك كاتبون اليكم بوصية: لا تستشعروا الحقد فَيَدْهَمَكم العدوّ، ولا تحتكروا فيشملَكم القحط، وتزوّجوا في القرابين فإنه أَمَسُّ للرَّحِمِ وأثبتُ للنَّسَب، ولا تعدّو هذه الدنيا شيئاً فإنها لا تبقي على أحد ولا ترفضوها مع ذلك فإن الآخرة لا تنال إلا بها.

---

(١) المَوْبَذ والمُوْبَذان: حاكم المجوس وكاهنهم والفيلسوف والحاذق النحرير، فارسية معرَّبة، والجمع مَوَابذة؛ ومنه قول الحريري من مقامته المراغيّة: «أنسيتم يا جهابذة النقد ومَوابِذة الحَلِّ والعَقْد».

(٢) الأساوِرة والأساوِر: ج إسْوار، وهو قائد الفرس. والبيضة هي الخوذة، وهي من آلات الحرب وتستعمل لوقاية الرأس.

وقرأت كتاباً من أرسطاطاليس[١] إلى الاسكندر وفيه: «املك الرعية بالإحسان إليها تظفرْ بالمحبة منها فإن طلبك ذلك منها بإحسانك هو أدْوَمُ بقاءً منه باعتسافك، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها إلى القلوب بالمعروف، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجْهد ألا تقولَ تسلم من أن تفعل».

وقرأت في كتاب الآيين[٢] أن بعض ملوك العجم قال في خطبة له: «إني إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر».

ونحوه قول العجم: «أَسْوسُ الملوك مَنْ قاد أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها».

وقالوا: «لا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كَرْهاً ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب الرأي والتدبير».

حدَّثنا الرياشي عن أحمد بن سلاّم عن شيخ له قال: «كان أَنُوشَرْوَانُ إذا ولَّى رجلاً أمر الكاتبَ أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقّع فيه بخطه فإذا أُوتي بالعهد وقّع فيه: سُسْ خيارَ الناس بالمحبة وامزجْ للعامة الرغبة بالرهبة وسُسْ سَفَلَةَ الناس بالإخافة».

---

(١) هو ابن نيقوماخس بن ماخازن، كان أبوه متطبباً لأبي الإسكندر. وهو من تلاميذ أفلاطون. وعن رأيه كان الإسكندر يمضي الأمور. توفي في أواخر أيام الإسكندر. كتاب الفهرست للنديم صفحة ٣٠٧ ـ ٣٠٩، تحقيق رضا ـ تجدّد، طهران، ١٩٧١. وسرور النفس، ص ١٦٨. ١٩٢، ٤٠٠ ـ ٤٠١، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

(٢) الآيين: كلمة فارسية عرّبها العرب واستعملوها بمعنى القانون والعادة، ولابن المقفع تأليف بهذا الإسم ذكره صاحب الفهرست.

قال المدائني: «قدم قادم على معاووية بن أبي سفيان فقال لـه معاويـة: هل مِنْ مُغَرِّبة خبر؟ قال: نعم، نَزَلْتُ بماء من مياه الأعراب فبينا أنـا عليه أورد أعرابي إبلَه فلما شربتْ ضَرَبَ على جُنوبها وقال: عليك زياداً. فقلت له: مـا أردتَ بهـذا؟ قال: هي سُـدىً، ما قـام لي بها راعٍ مـذ وليَ زياد. فسـرَّ ذلك معاوية وكتب به إلى زياد».

قال عبد الملك بن مروان: «أنِصفونا يا معشر الرعية، تريدون منا سيـرة أبي بكـر وعمر! ولا تسيـرون فينا ولا في أنفسكم بسيـرة رعية أبي بكـر وعمر! نسأل الله أن يعين كلاًّ على كل».

قـال عمر بن الخـطاب: «إن هـذا الأمـر لا يصلح لـه إلا اللينِّ في غيـر ضعف والقويُّ في غير عنف».

وقـال عمر بن عبـد العزيـز: «إني لأُجْمِعُ أن أُخـرِج للمسلمين أمراً من العدل فأخـاف أن لا تحتمله قلوبهم فأُخـرج معه طمعـاً من طمع الـدنيا، فـإن نَفَرتِ القلوب من هذا سكنت إلى هذا».

قـال معاويـة: «لا أضـعُ سيفي حيث يكفيني سَـوْطي ولا أضـع سـوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شَعْرَةً ما آنقطعتْ، قيل: وكيـف ذاك؟ قال: كنت إذا مَدُّوها خلَّيْتُها وإذا خَلَّوْها مَدَدْتُها».

ونحو هذا قول الشَّعْبي فيه: «كان معاويـة كالجمـل الطَّبِّ[1]، إذا سُكت عنه تقدّم وإذا رُدّ تأخر». وقول عمر فيـه: «احذروا آدم قـريش وابن كريمهـا، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته».

---

(١) الجمل الطَّبُّ: الحاذق بالضِّراب، وقيل: الجمل الذي لا يضع خُفَّه إلاَّ حيث يُبْصِرُ، وخُفُّ الجمل هو بمنزلة الحافر من الحيوان.

وأغْلظ لـه رجلٌ فَحَلُم عنـه فقيل لـه: أَتَحْلُمُ عن هـذا؟ فقـال: «إني لا أَحُول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يَحُولوا بيننا وبين سلطاننا».

كان يقال: «لا سلطان إلا برجال ولا رجـال إلا بمال ولا مـال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة».

قال زياد: «أحسنوا إلى المزارعين فإنكم لا تزالون سِمَانا ما سَمِنوا».

وكتب الوليد إلى الحجاج يأمره أن يكتب إليه بسيـرته فكتب إليـه: «إني أيقظت رأيي وأَنَمْت هواي، فـأدنيْتُ السَّيِّدَ المـطاع في قومـه، ووليت الحربَ الحـازمَ في أمره، وقلَّدْت الخـراجَ الموفِّـر لأمـانتـه، وقسمت لكـل خصم من نفسي قسمـاً يعـطيـه حـظّاً من نـظري ولـطيف عنـايتي، وصـرفْتُ السيفَ إلى النَّـطِف[1] المسيء، والثـوابَ إلى المحسن البـريء فخـاف المُـرِيبُ صـولـةَ العقاب، وتمسَّك المحسنُ بحظه من الثواب».

وكان يقول لأهل الشام: «إنما أنا لكم كـالظَّليم[2] الـرائح عن فـراخه ينفي عنهـا القَذَر[3] ويبـاعد عنهـا الحجر ويَكُنُّهـا[4] من المطر ويحميهـا من الضِّبـاب[5] ويحـرسهـا من الـذئـاب. يـا أهـل الشـام أنتم الجُنَّـة[6] والـرِّداء وأنتم العُـدَّة والحِذَاء».

فَخَرَ سُلَيمٌ مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاويـة: «أسْكتْ، ما أَدْرَكَ صاحبُك شيئاً قطُّ بسيفه إلا وقد أدركْتُ أكثَر منه بلساني».

---

(١) النَّطِفُ: الرجل المريب.
(٢) الظليم: الذكر من النعام، والجمع ظُلْمان.
(٣) القَذَر: الوسخ.
(٤) يَكُنُّها: يسترها ويصونها.
(٥) الضِّباب: ج ضَبّ، وهو دُوَيْبَّة من الحشرات يشبه الوَرَل.
(٦) الجُنَّة: السُّتْرة وكلُّ ما وقى من سلاح.

وقال الوليد لعبد الملك: يا أبتِ، ما السياسة؟ قال: «هَيْبة الخاصّة مع صدق مودّتها وآقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها واحتمال هفوات الصنَّائع».

وفي كتب العجم: «قلوب الرعيّة خزائنُ ملوكها فما أَوْدَعَتْها من شيء فلتعلم أنه فيها».

ووصف بعض الملوك سياسته فقال: «لم أهزلْ في وعد ولا وعيد ولا أمرٍ ولا نهي ولا عاقبْتُ للغضب وآستكفيْتُ على الجزاء وأثبتُّ على العناء لا للهوى، وأودعت القلوبَ هيبة لم يشُبْها مَقْتٌ وودّاً لم تَشْبْهُ جُرأة وعمَّمْتُ بالقوت ومنعت الفضول».

وقرأت في كتاب التاج: «قال أَبْرَوَيزُ[1] لابنه شِيرَوَيْه وهو في حبسه: «لا تُوْسِعَنَّ على جُنْدك فَيَسْتَغْنَوا عنك ولا تضيقنّ عليهم فيضجّوا منك، أعطِهم عطاءً قَصْداً وآمنعهم منعاً جميلاً ووسّعْ عليهم في الرجاء ولا توسّع عليهم في العطاء». ونحوه قولُ المنصرر في مجلسه لقوّاده: صدق الأعرابي حيث يقول: أَجِعْ كلبَك يتْبَعْك. فقام أبو العباس الطُّوسي فقال: يا أمير المؤمنين أخشى أن يلوّح له غَيْرُك برغيف فَيَتْبَعه ويدعك.

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: «أما بعد، فإن للناس نَفْرةً عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك عَمْياءُ[2] مجهولةٌ وضغائن محمولة، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران: أحدهما لله، والآخر للدنيا فآثرْ نصيبَك من الله فإن الدنيا تنفَد والآخرة تبقى، وأخيفوا الفُسَّاق وآجعلوهم يداً يداً ورِجْلاً رجلاً، وعُدْ[3] مرضى المسلمين وآشهد جنائزهم وآنتح ِ لهم

(١) هو أبْرويز بن هُرْمُز بن كِسْرى، أحد ملوك الفرس، وهو من بني ساسان بن بهمن. جمهرة أنساب العرب ص ٥١١.

(٢) العمياء: الغَواية واللجاجة في الباطل أو الضلالة والجهالة.

(٣) عُدِ المرضى: زُرْهُم، من فعل عاد المريض يعوده عَوْداً.

بابك وباشرْ أمورهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حِمْلاً، وقد بلغني أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرّت بوادٍ خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السِّمَن وإنما حَتْفُها في السمن، وآعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيَّته، وأشقى من شقي الناسُ به والسلام».

هشام بن عُرْوة قال: «صلى يوماً عبدُ الله بنُ الزُّبير فوَجَمَ بعد الصلاة ساعة فقال الناس: «لقد حدَّث نفسه. ثم التفت إلينا فقال: لا يَبْعُدَنَّ ابنُ هند! إن كانت فيه لمخارج لانجدها في أحد بعده أبداً، والله إنْ كنا لَنُفَرِّقُه، وما الليثُ الحَرِبُ[1] على براثنه بأجرأ منه فيَتَفارقُ لنا. وإن كنا لَنَخْدعُهُ، وما آبن ليلةٍ من أهل الأرض بأدهى منه فيَتَخادَعُ لنا، والله لوددت أنَّا مُتِّعْنَا به ما دام في هذا حجر (وأشار إلى أبي قبيس) لا يُتَخوَّنُ له عقل ولا تَنْتقِص له قوّة، قلنا: أَوْحَشَ والله الرجلُ. قال: وكان يَصلُ بهذا الحديث: كان والله كما قال العُذْري[2]:

[متقارب]

رَكوبُ المنابر وثّابُها ... مِعَنٌّ بخطبته مِجْهَرُ
تُرِيعُ إليه هوادي الكلام ... إذا خَطِلَ النَّثرُ المِهْمَرُ[3]

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعي قال: حدّثنا جَدُّ سُران وسُرانُ عمّ الأصمعي قال: «كَلَّم الناسُ عبدَ الرحمن بن عوف أن يكلِّم عمر بن الخطاب في أن يَلِينَ لهم فإنه قد أخافهم حتى إنه قد أخاف الأبكار في

---

(١) الحَرِبُ: الشديد الغضب، والجمع حَرْبى.
(٢) هو عُرْوة بن حِزام، من بني عُذْرة، قضى حبّا فمات سنة ٣٠ هـ بسبب عدم زواجه من ابنة عمه عفراء التي زوّجها أهلها أمويّاً من الشام. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٦.
(٣) المهمر: المُكْثِر.

خُـدُوْرهنّ. فقال عمـر: إني لا أجد لهم إلا ذلـك، إنهم لـو يعلمـون مـا لهم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي».

قال: وتقدمت إليه آمرأة فقالت: «يا أبا حَفْص، الله لك، فقال: ما لـكِ أَعْقَرْتِ؟[١] فقالت: صَلِعَتْ فرقتكَ[٢].

قال أَشْجَعُ السُّلَمِيُّ[٣] في إبراهيم بن عثمان: [كامل]

لا يُصلِحُ السلطانَ إلا شِـدَّةٌ تَغْشَى البريءَ بفضل ذَنْبِ المُجْرِمِ
ومِنَ الـوُلاة مُقَـحَّمٌ لا يُـتَّقَـى والسيفُ تقطُر شَفْرتاه من الدم
مَنَعَتْ مهابتُك النفوسَ حديثَها بـالأمـر تُكْـرِهُـهُ وإنْ لم تعلم.

كان يقال: «شَرُّ الأمراء أبعدهم من القرّاء وشرُّ القرّاء أقربهم من الأمراء».
كتب عامل لعمر بن عبد العزيز على حِمْص إلى عمر: «إن مدينة حمص قد تهدّم حِصْنها، فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إصلاحه» فكتب إليه عمر «أمّا بعد، فَحَصِّنْها بالعدل، والسلام».

ذكـر أعرابي أميـراً فقال: «كـان إذا وليَ لم يـطابق بين جفـونـه وأرسـل العيون على عيونـه، فهو غـائب عنهم شاهـد معهم، فالمحسن راجٍ والمسيءُ خائف».

كَان جعفر بن يحيى يقـول: «الخراج عمـود الملك ومـا استغزر بمثـل العدل ولا استُنزِر بمثل الظلم».

---

(١) أعْقَرْتِ: دُهِشْتِ، يقال: عَقِرَ الرجلُ يَعْقَرُ: دُهِش.
(٢) أصل القول: فَرِقَتْ صُلْعَتُك أي فزعت، يقال: فَرِق الرجلُ يَفْرَق فَرَقاً: فزِع.
(٣) هو أشجع بن عمرو السُّلَمي، من بني سليم، شاعر فحل، مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى البرمكي فقرّبه من الرشيد. توفي سنة ١٩٥ هـ. الأعلام ج ١ ص ٣٣١.

وفي كتاب من كتب العجم أنَّ أردشير قال لابنه: «يا بَنِيّ، إن الملك والدين أَخَوان لا غنىً بأحدهما عن الآخر، فالدين أسٌّ والملك حارس، وما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع، يا بني، إجعلْ حديثك مع أهل المراتب وعطيتَك لأهل الجهاد وبِشْرك لأهل الدين وسِرّك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول».

وكان يقال: «مهما كان في المَلْكِ فلا ينبغي أن تكون فيه خصالٌ خمسٌ: لا ينبغي أن يكون كذاباً فإنه إذا كان كذاباً فوعد خيراً لم يُرْجَ أو أوعد بشَرٍّ لم يُخَفْ، ولا ينبغي أن يكون بخيلاً فإنه إذا كان بخيلاً لم يناصحْه أحدٌ ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة ولا ينبغي أن يكون حديداً فإنه إذا كان حديداً مع القدرة هلكت الرعية ولا ينبغي أن يكون حسوداً فإنه إذا كان حسوداً لم يشرِّف أحداً ولا يصلح الناس إلا على أشرافهم، ولا ينبغي أن يكون جباناً فإنه إذا كان جباناً ضاعت ثغوره وآجترأ عليه عدوه».

وقدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة بنت عثمان: واأبتاه، وبكت، فقال معاوية: «يا آبنة أخي إنّ الناس أعطوْنا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرْنا لهم حِلْماً تحته وأظهروا لنا طاعة تحتها حِقْدٌ ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره فإنْ نكَثْنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكوني بنتَ عمّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني آمرأة من عُرْض المسلمين».

كتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي: «إنّ المسلمينَ ولَّوْكَ أمرهم بعد عليٍّ فشمِّر للحرب وجاهدْ عدوّك ودارِ أصحابَك وآشترِ من الظَّنِيْنِ[1]

(١) الظَّنِيْن: المُتَّهم والمُعادي لسوء ظنِّه وسوء الظنِّ به.

دينَه بما لا يَثْلِمُ دِيْنَك وولِّ أهلَ البيوتات والشرف تستصلحْ بهم عشائرهم حتى تكـونَ الجماعـةُ فإن بعض مـا يكره النـاس، ما لم يتعـدَّ الحق وكانت عـواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعز الدين، خيرٌ من كثير مما يحبون إذا كـانت عواقبـه تدعو إلى ظهور الجَوْر ووهَنْ الدين».

حـدّثني محمـد بن عُبيـد عن معـاويـة بن عمـرو عن أبي إسحـاق عن الأعمش عن إبـراهيم قال: «كـان عمر إذا قـدم عليه الـوفد سـألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يَعْرِفُ من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف؟ وهل يعود المريض؟ فإن قالوا نعم، حمد الله تعالى، وإن قالوا لا، كتب إليه: أقبلْ».

اختيار العمال

رُوي أن أبا بكر الصِّـدِّيق رضي الله عنه لـمّـا حضرتـه الوفـاة كتب عهداً فيه: «بسم الله الرحمن الـرحيم، هذا مـا عهِد أبـو بكر خليفـة رسول الله عنـد آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة، في الحال التي يؤمن فيها الكـافر ويتّقِي فيها الفاجر: إني استعملت عمر بن الخطاب فإن بَـرَّ وعدل فـذلك علمي به وإن جار وبدّل فـلا علم لي بالغيب، والخيـرَ أردتُ، ولكل امـرىء ما اكتسب ﴿وسيعلم ٱلذين ظلموا أيَّ مُنقَلَب ينقَلِبون﴾[1]».

وفي التـاج أن أَبْـرَوِيـزَ كتب إلى ٱبنـه شِيـرَوَيْـهِ من الحبس: «ليكن من تختـاره لولايتـك امرأً كـان في ضَعَـة فـرفعْتَـه، أو ذا شـرف وجـدتـه مُهْتَضَمـاً فٱصطنعتَه، ولا تجعله آمرأ أصبتَه بعقوبة فٱتَّضَع عنها ولا آمرأ أطاعـك بعد مـا أذللتَه ولا أحداً ممن يقع في خَلَدك أنَّ إزالة سلطانك أحبّ له من ثبوته، وإياك

(١) سورة الشعراء ٢٦، آية ٢٢٧.

أن تستعمله ضَرَعاً غُمِرًا كثر إعجابه بنفسه وقلَّت تجاربه في غيره، ولا كبيراً مُدْبِراً قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السِّنُّ من جسمه».

وقال لَقِيْط[1] في هذا المعنى: [بسيط]

فقلِّدوا أَمْرَكُمْ لله دَرُّكُمْ رَحْبَ الذراع بأمر الحرب مُضْطَلِعا
لا مُتْرَفاً إنْ رخاءُ العيش ساعَدَهُ ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَشَعا
ما زال يَحْلُب دَرَّ الدهر أشطُرَه يكون متبِعاً يوماً ومتَّبَعا
حتى آستمرَّتْ على شَزْرٍ مَريرتُه مستحكِمَ السِّنِّ لا قحماً ولا ضَرَعا[2]

ويقال في مثل: «رأي الشيخ خير من مَشهَد الغلام» ومن أمثال العرب أيضاً في المجرِّب «العَوانُ لا تُعَلَّمُ الخِمْرَة»[3].

قال بعض الخلفاء: دُلُّوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمّني. قالوا: كيف تريده؟ قال: «إذا كان في القوم وليس أميرَهم كان كأنه أميرهم وإذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم» قالوا: لا نعلمه إلا الربيعَ بن زياد الحارثي. قال صدقتم، هو لها.

وروى الهيثم عن مُجالِد عن الشَّعبي قال: قال الحجّاج: دُلُّوني على

(١) هو لقيط بن زُرارة الدارميّ، رئيس قبيلة تميم وفارسها وشاعرها. قتله شَرَيْح بن الأحوص يوم جَبَلَة سنة ٥٣ ق هـ. جمهرة أنساب العرب ص ٢٣٢، ٢٨٤، ٢٦١، ٤٩١، والأعلام ج ٥ ص ٢٤٤.

(٢) الشَّزْر: الشدّة والصعوبة. والقَحْم: الكبير السنّ جداً. والضَّرَع: الصغير السنّ الضعيف.

(٣) العَوان من النساء: التي كان لها زوج. والخِمْرة: هيئة الإختمار. ومعنى هذا المثل أن المرأة التي تزوّجت مرة بعد أخرى لا تحتاج من يعلّمها كيف تلبس الخِمار؛ لأنها قد عرفت ذلك بالاستعمال، وهو مثل يضرب للمجرِّب العارف.

رجلٍ للشَّرَط[١] فقيل: أيَّ الرجال تريد؟ فقال: «أريده دائم العُبوس طويل الجلوس سمين الأمانة أعجف الخيانة لا يُحْنِق في الحق على جِرَّةٍ[٢] يهون عليه سِبَال الأشراف في الشفاعة» فقيل له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي. فأرسل إليه يستعمله، فقال له: لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالَك، وولدَك وحاشيتَك. قال: يا غلام، نادِ في الناس: من طلب إليه منهم حاجة فقد برئتْ منه الذمّة. قال الشعبي: فوالله ما رأيت صاحب شُرْطة قَطُّ مثلَه، كان لا يحبس إلا في دين، وكان إذا أُتي برجل قد نَقِبَ على قوم وضع مِنْقَبته[٣] في بطنه حتى تخرج من ظهره، وإذا أُتي بنبَّاش حفر له قبراً فدفنه فيه، وإذا أتي برجل قاتل بحديدة أو شَهَرَ سلاحاً قطع يده، وإذا أتي برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، وإذا أتي برجل يشكُّ فيه وقد قيل إنه لص ولم يكن منه شيء ضربه ثلثمائة سوط. قال: فكان ربما أقام أربعين ليلة لا يُؤتَى بأحد فضم إليه الحجاج شرْطة البصرة مع شرطة الكوفة.

وقرأت في كتاب أبرويز إلى آبنه شيرويه: «إنتخب لخراجك أحد ثلاثة: إما رجلاً يُظهر زُهْداً في المال ويدَّعي وَرَعاً في الدين فإنَّ مَنْ كان كذلك عَدَلَ على الضعيف وأنْصَفَ من الشريف ووفَّر الخِراجَ وآجتهدَ في العِمَارة، فإنْ هو لم يَرَعْ ولم يَعِفَّ إبقاءً على دينه ونظراً لأمانته كان حَرِيّاً أن يخونَ قليلاً ويوفِّرَ كثيراً آسْتِسرَاراً بالرياء واكتتاماً بالخيانة، فإنْ ظهرْتَ[٤] على ذلك منه عاقَبْتَهُ

---

(١) الشَّرَط: ج شُرْطي بفتح الراء وسكونها.
(٢) أَحْنَقَ الرجلُ يُحْنِقُ: حَقَدَ حِقْداً لا يَنْحَلُّ. والجرَّة: الرعيّة؛ وفي حديث عمر: «لا يَصْلُح هذا الأمرُ إلاَّ لمن لا يُحْنِقُ على جِرَّته» أي لا يَحْقِدُ على رعيّته. لسان العرب، مادة (حنق).
(٣) نَقِب على القوم يَنْقَبُ: صار نقيباً عليهم. والمِنْقبة: آلة النَّقْب.
(٤) ظهْرتَ على ذلك: اطَّلَعْتَ عليه.

على ما خان ولم تَحمدْه على ما وفّر، وإن هو جَلَّح[١] في الخيانة وبارز بالرياء نكّلْتَ به في العذاب واستنظفْت ماله مع الحبس. أو رجلاً عالماً بالخِراج غنيّاً في المال مأموناً في العقل فيدعوه علمه بالخراج إلى الاقتصاد في الحلْب والعِمارة للأَرَضِين[٢] والرفق بالرعيّة، ويدعوه غناه إلى العفة ويدعوه عقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره. أو رجلاً عالماً بالخراج مأموناً بالأمانة مُقْتِراً من المال فتوسّعُ عليه في الرزق فيغتنمَ لحاجته الرزقَ ويستكثرَ لفاقته اليسيرَ، ويُزْجي[٣] بعلمه الخِراجَ، ويَعِفَّ بأمانته عن الخيانة».

استشار عمر بن عبد العزيز في قوم يستعملهم، فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العُذْر. قال: ومن هم؟ قال: الذين إن عدلوا فهو ما رجوتَ منهم وإن قصَّروا قال الناس: قد اجتهد عمر.

قال عَدِيُّ بن أَرْطاة[٤] لإياس بن معاوية: دُلَّني على قوم من القرّاء أُوَلِّهم. فقال له: القُرّاء ضربان: ضَرْبٌ يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدّنيا، فما ظنُّك بهم إذا أنت ولَّيتهم فمكَّنتهم منها؟ قال: فما أصنع؟ قال: عليك بأهل البيوتات الذين يسْتَحْيون لأحسابهم فولِّهم.

أحضر الرشيد رجلاً ليولِّيَه القضاء فقال له: إني لا أحسن القضاء ولا أنا فقيه. قال الرشيد: فيك ثلاث خلال: لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة. ولك حِلْمٌ يمنعك من العَجَلة، ومن لم يَعْجَل قلّ خَطَؤُه. وأنت رجل

---

(١) جَلَّح في الخيانة: أقدم عليها.
(٢) الأَرَضُوْن: ج أرض.
(٣) يُزْجي الخراجَ: جعله يستقيم.
(٤) هو عَدِيُّ بن أرطاة الفزاري، الذي ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ، واستمّر في ذلك إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلّب عام ١٠٢ هـ. جمهرة أنساب العرب ص ٢١٢، ٢٥٦، والأعلام ج ٤ ص ٢١٩.

تشاوِرُ في أمرك ومن شاور كَثُرَ صوابه، وأما الفقه فسينضم إليك من تَتَفَقَّه بـه. فوَلِي فما وجدوا فيه مطعناً.

حدّثني سهل بن محمد قال: حدّثنا الأصمعي قال: حدّثني صالح بن رُسْتَم أبو عامر الخزّاز قال: قال لي إياس بن معاوية المُزَنيّ: أرسل إليّ عمرُ ابن هُبَيرة فأتيتُه فساكتني فسكتُّ، فلما أطلتُ قال: إيهٍ. قلت: سل عما بدا لك. قال: أتقرأ القرآن؟ قلت نعم. قال: هل تَفْرِضُ الفرائض؟ قلت نعم. قال: فهل تعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت نعم. قال: فهل تعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعلم. قال: إني أريد أن أستعين بك. قلت: إن فيَّ ثلاثاً لا أصلح معهن للعمل. قال: ما هن؟ قلت: أنا دميم كما ترى، وأنا حَدِيد، وأنا عَيٌّ[1]. قال: أما الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك الناس، وأمّا العيُّ فإني أراك تعبِّر عن نفسك، وأمّا سوء الخُلُق فيقوّمك السَّوْط. قم، قد وليتك. قال: فولّاني وأعطاني ألفي درهم فهما أول مال تموّلته.

قرأت في كتاب للهند: «السلطان الحازم ربما أحبَّ الرجلَ فأقصاه وآطّرحه مخافة ضرِّه، فِعْلَ الذي تلسع الحيةُ إصْبعه فيقطعها لئلا ينتشر سمُّها في جسده، وربما أبغض الرجلَ فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغَناء يجده عنده كَتَكارُهِ المرء على الدواء البَشِع لنفعه».

حدّثني المَعَلّى بن أيوب قال سمعت المأمون يقول: «من مدح لنا رجلاً فقد تضمّن عيبه».

---

(١) عَيٌّ: حَصِرٌ، يقال: عَيِيَ في المنطق: حَصِرَ وأتى بكلام لا يُهْتَدَى له.

باب صحبة السلطان وآدابها
وتغير السلطان وتلوّنه

حدّثني محمد بن عُبَيد قال: حدثنا أبو أُسَامة عن مجالد عن الشَّعْبي عن عبد الله بن عباس قال: قال لي أبي: «يا بُنيَّ إني أرى أمير المؤمنين يَسْتَخْلِيك[1] ويستشيرك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني أوصيك بخلال أربع: لا تفشِيَنَّ له سراً، ولا يجرّبنَّ عليك كذباً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا تَطْوِ عنه نصيحة» قال الشَّعبي: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف. قال: إي والله ومن عشرة آلاف.

كان يقال: «إذا جعلك السلطان أخاً فاجعله أباً، وإن زادك فزِدْه».

قال زياد لابنه: «إذا دخلْتَ على أمير المؤمنين فادعُ له ثم اصفح صفحاً جميلاً، ولا يَرَيَنَّ منك تهالكاً عليه ولا انقباضاً عنه».

قال مسلم بن عمرو: «ينبغي لمن خدم السلاطين ألا يغترَّ بهم إذا رَضُوا عنه ولا يتغيرَ لهم إذا سخطوا عليه ولا يستثقلَ ما حمَّلوه ولا يُلْحِفَ في مسألتهم[2]».

وقرأت في كتاب للهند: «صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة

---

(١) يستخليك: يجتمع بك في خلوة.
(٢) يُلحف في مسألتهم: يَضُرُّ بها؛ يقال: ألحف به: أضَرّ به؛ وألحف السائل: ألحَّ في السؤال.

عظيمة الخِطَار، وإنما تُشَبَّه بالجبل الوَعْـر فيه الثمـار الطيبـة والسِّباع العـادية، فالإرتقاء إليه شديدٌ والمُقام فيه أشدُّ، وليس يتكافأ خيرُ السلطان وشره لأنّ خير السلطان لا يعدو مزيد الحال، وشـر السلطان قد يُـزِيْل الحـال ويتلف النفوسَ التي لها طلب المزيـد، ولا خير في الشيء الـذي في سلامتـه مال وجـاه وفي نكبته الجائحة[1] والتلف».

وقرأت فيه: «من لـزم باب السلطان بصبـر جميل وكَـظْم للغيظ وآطِّراحٍ للأنفة، وصل إلى حاجته».

وقرأت فيه: «السلطان لا يتوخَّى بكرامته الأفضل فـالأفضل ولكن الأدنى فالأدنى كالكرْم لا يتعلق بأكرم الشجر ولكن بأدناها منه».

وكانت العرب تقول: «إذا لم تكن من قُرْبان الأمير فكن من بُعْدانه».

وقـرأت في آداب آبن المقفـع: «لا تكـونَنَّ صحبتُـك للسلطان إلا بعـد رياضة منك لنفسك على طـاعتهم في المكروه عنـدك وموافقتهم فيمـا خالفـك وتقدير الأمور على أهوائهم دون هـواك، فإن كنت حـافظاً إذا ولَّـوْك، حَذِراً إذا قرْبوك، أميناً إذا آئتمنوك، تُعلِّمُهم وكأنك تتعلم منهم، وتؤدِّبهم وكأنك تتـأدب بهم، وتشكر لهم ولا تكلِّفهم الشكر، ذليلاً إن صَرَمُوك، راضياً إن أسخطوك، وإلا فالبعد منهم كلَّ البعد والحذر منهم كلَّ الحذر. وإن وجدت عن السلطان وصحبتـه غنىً فآستغن بـه فإنـه من يخدِمُ السلطان بحقّـه يَحُلْ بينـه وبين لـذة الدنيا وعمل الآخرة، ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الـدنيا والـوِزْر في الآخرة».

وقـال: «إذا صحبت السلطان فعليـك بـطول المـلازمـة في غيـر طـول

(١) الجائحة: المصيبة العظيمة التي تجتاح المال وتستأصله كله، أو ما يجتاح الإنسان من الدواهي

المعاتبة، وإذا نَزَلَتْ منه منزلة الثقة فٱعزل عنه كلام المَلَق ولا تكثرنّ له في الدعاء إلا أن تكلمه على رؤوس الناس ولا يكوننّ طلبك ما عنده بالمسألة ولا تستبطئنَّه إن أبطأ. أطلبه بالاستحقاق ولا تخبرنَّه أنَّ لك عليه حقاً وأنك تعتدّ عليه ببَلَاء. وإن استطعت ألا يَنْسى حقَّك وبلاءَك بتجديد النُّصْح والاجتهاد فٱفعل. ولا تعطينَّه المجهود كله في أوّل صحبتك له فلا تجدَ موضعاً للمزيد ولكن دَعْ للمزيد موضعاً. وإذا سأل غيرَك فلا تكن المجيب. وٱعلم أن ٱستلابك للكلام خِفَّةٌ بك وٱستخفافُ منك بالسائل والمسؤول. فما أنت قائل إن قال لك السائل: ما إياك سألت، وقال لك المسؤول: أجب أيها المعجَب بنفسه المستخفُّ بسلطانه؟».

وقال: «مَثَلُ صاحب السلطان مثل راكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه أهيب».

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدِّب ولده بعد أن ٱختصَّه لمجالسته ومحادثته: «كن على ٱلتماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام فإنهم قالوا: إذا أعجبك الكلامُ فاصْمُت وإذا أعجبك الصمت فتكلم. يا عبد الرحمن، لا تساعدني على ما يقبِّحُ ولا تردَّنَّ عليَّ الخطأ في مجلسي ولا تكلّفني جواب التشميت والتهنئة ولا جواب السؤال والتعزية ودَعْ عنك كيف أصبح الأمير وأمسى. وكلّمني بقدر ما ٱستنطَقْتُك وٱجعل بدل التقريظ لي حسن الاستماع مني. وٱعلم أن صواب الاستماع أقل من صواب القول. وإذا سمعتَني أتحدّثُ فأرني فهمَك في طَرْفك وتوقُّفك ولا تجهد نفسك في تَطْرية صوابي ولا تستدع الزيادة من كلامي بما تُظهر من ٱستحسان ما يكون مني، فمن أسوأ حالاً ممن يَستكدُّ الملوك بالباطل فيدلَّ على تهاونه، وما ظنك بالملك وقد أحلك محلَّ المعجَب بما تَسمع منه وقد أحللتَه محل من لا يُسمع

منه؟ وأقل من هذا يُحْبِط إحسانك ويُسقط حقّ حرمةٍ إن كانت لك. إني جعلتك مؤدّباً بعد أن كنت معلّماً وجعلتك جليساً مقرّباً بعد أن كنت مع الصبيان مباعَداً. ومتى لم يعرف نقصان ما خرجْتَ منه لم تعرف رجحان ما دخلت فيه، ومن لم يعرف سوء ما يولى لم يرعف حسن ما يبلى».

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده أبو جعفر فسلّم على أبي العباس فقال له: يا أبا مسلم، وهذا أبو جعفر! فقال: يا أمير المؤمنين، هذا موضع لا يُقضى فيه إلا حقك.

قال الفضل بن الربيع: «مسأله الملوك عن أحوالهم من تحيات النَّوْكَى[1]، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير، فقل: صبَّح الله الأميرَ بالكرامة. وإذا أردت أن تقول: كيف يجد الأمير نفسه، فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة، فإن المسألة توجب الجواب فإن لم يجبك آشتدّ عليك وإن أجابك آشتدّ عليه».

وقرأت في آداب آبن المقفع: «جانِب المسخوطَ عليه والظَّنِينَ عند السلطان ولا يجمعنَّك وإياه مجلسٌ ولا منزل ولا تُظْهِرَنّ له عُذْراً ولا تُثْنِ عليه عند أحد، فإذا رأيته قد بلغ في الانتقام ما ترجو أن يلين بعده فآعمل في رضاه عنك برفق وتلطُّف، ولا تُسارَّ[2] في مجلس السلطان أحداً ولا تومىءْ إليه بجفنك وعينك فإن السِّرَار يخَيِّل إلى كل من رآه من ذي سلطان وغيره أنه المراد به، وإذا كلَّمك فآصغِ إلى كلامه ولا تَشْغل طَرْفَك عنه بنظر ولا قلبك بحديث نفس».

---

(١) النَّوْكى: ج أَنْوك، وهو الأحمق.
(٢) لا تُسارَّ: لا تُناجِ؛ يقال سارَّه في أُذُنه سِراراً: ناجاه.

وقرأت في كتاب للهند أنه أُهدِي لملك الهند ثياب وحَلْي فدعا بٱمرَأَتَيْنِ لـه وخيَّر أحـظاهما عنـده بين اللباس والحِلْيـة، وكان وزيـره حاضـراً، فنظرت المـرأة إليه كـالمستشيرة لـه فغمزهـا باللبـاس تَغْضِيناً بعينـه، ولَحَـظَهُ الملكُ، فٱختارت الحِلْية لئلا يَفْطَن للغمزة، ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه لئـلا تَقِرَّ تلك في نفس الملك وليظنَّ أنها عادة أو خِلْقة وصار اللباس للأخـرى فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده: توصَّ بالوزير خيراً فإنه ٱعتذر من شيء يسيـر أربعين سنة.

قال شَبِيبُ بن شَيْبة: «ينبغي لمن ساير خليفة أن يكون بـالموضـع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتجْ إلى أن يلتفت، ويكونَ من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، وإن سـار بين يديـه أن يحيـد عن سَنَن الريح التي تؤدّي الغبار إلى وجهه.

قـال رجل من النُّسّـاك لآخرَ: «إن ٱبتليت بـأن تدخـل إلى السلطان مـع الناس فأخذوا في الثناء فعليك بالدعاء».

قال ثُمَامة: كان يحيى بن أكثم يمـّاشي المؤمون يـوماً في بستـان موسى والشمس عن يسار يحيى والمأمـون في الظل وقـد وضع يـده على عاتق يحيى وهما يتحادثان حتى بلغ حيث أراد ثم كرّ راجعاً في الطريق التي بدأ فيها فقـال ليحيى: كانت الشمس عليك لأنك كنت عن يساري وقد نالت منك فكن الآن حيث كنتُ وأتحوّل أنا إلى حيث كنتَ. فقـال يحيى: والله يا أميـر المؤمنين لو أمكنني أن أقِيْكَ هَوْل المطلع بنفسي لفعلت. فقال المأمون: لا والله ما بُدٌّ من أن تأخذ الشمس مني مثل ما أخذت منك. فتحوّل يحيى وأخذ من الـظل مثل الذي أخذ منه المأمون.

وقال المأمون: «أوّل العدل أن يَعْدِلَ الرجـلُ على بِطَانتـه ثم على الذين

يَلُونَهم حتى يبلغ العدلُ الطبقة السفلى.

المدائني قال: قال الأحنف: «لا تنقبضوا عن السلطان ولا تَهَالَكوا عليه فإنه مَنْ أشْرَفَ للسلطان أَذْرَاه ومن تضرّع له أحظاه».

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدثني محمد بن عمرو الرومي قال: حدّثنا زُهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن زيد بن يُثَيْع قال: قال حُذَيْفة بن اليمان: «ما مشى قوم قطُّ إلى سلطان الله في الأرض ليُذِلُّوه إلا أذلّهم الله قبل أن يموتوا».

وفي أخبار خالد بن صَفْوان أنه قال: دخلت على هشام بن عبد الملك فآستدْناني حتى كنتُ أقربَ الناس منه فتنفَّس ثم قال: يا خالد، لَرُبَّ خالدٍ قَعَدَ مَقْعدك هذا أشهى إليَّ حديثاً منك فعلمت. أنه يعني خالد بن عبد الله. فقلت: يا أمير المؤمنين، أفلا تعيده؟ فقال: إن خالداً أَدَلَّ فأَمَلَّ وأَوْجف فأَعْجف ولم يدعْ لراجع مرجعاً، على أنه ما سألني حاجة. فقلت: يا أمير المؤمنين، ذاك أحرى، فقال: هيهات [طويل]

إذا آنصرفَتْ نفسي عن الشيء لم تكنْ إليه بوجهٍ آخِرَ الدهر تُقْبِلُ

حدَّثنا الفضل بن محمد بن منصور بمعنى هذا الحديث، وببعضه نَهِيْك: اعتلَّ يحيى بن خالد[1] فبعث إلى منكة[2] الهندي فقال له: ما ترى في

(١) هو يحيى بن خالد بن برمك، الوزير الجواد، سيّد بني برمك ومؤدِّب الرشيد العباسي. مات في السجن في أيام الرشيد. الأعلام ج ٨ ص ١٤٤.

(٢) كان منكة الهندي في جملة إسحاق بن سليمان ابن عباس، الهاشمي العباسي وأحد أمراء الدولة العباسية. عمل منكة مع إسحاق على نقل معارف الهند، ولا سيما الطبّ، من الهندية إلى العربية. أنظر كتاب الفهرست ص ٣٠٥ والأعلام ج ١ ص ٢٩٥.

هذه العلة؟ فقال منكة: داؤك كبير ودواؤه يسير وأيسر منه الشكر، وكان متفنناً، فقال له يحيى: ربما ثقل على السمع خَطْرَةُ الحقّ به، فإذا كان ذلك كانت الهجرة له ألزم من المفاوضة فيه. قال منكة: صدقت، ولكني أرى في الطوالع أثراً والأمدُ فيه قريب وأنت قسيم في المعرفة وقد نُبِّهتْ، وربما كانت صورة الحركة للكوكب عقيمة ليست بذات نتاج ولكنَّ الأخذ بالحزم أوفر حظ الطالبين. قال يحيى: للأمور منصرَفٌ إلى العواقب وما حُتِمَ لا بُدَّ من أن يقع، والمنعة بمُسَالَمة الأيام نهزة فاقصد لما دعوتك له من هذا الأثر الموجود بالمزاج. قال منكة: هي الصفراء مازجَتْها مائيةٌ من البلغم فَحَدَثَ لها بذلك ما يحدث للّهَبِ عند مماسَّته رطوبة المادة من الإشتعال فخذ ماء رُمّانتيْن فَدُقَّهما بإهْليلِجة[1] سوداء تُنهضْك مجلساً أو مجلسين وتسكِّن ذلك التوقُّدَ الذي تَجِدُ[2] إن شاء الله. فلما كان من حديثهم الذي كان، تلّطف منكة حتى دخل على يحيى في الحبس فوجده جالساً على لِبْد[3] ووجد الفضل بين يديه يَمْهُنُ أي يخدم فاستعبر منكة وقال: قد كنت ناديت لو أُعِرْتُ الإجابة. قال له يحيى: أتراكَ عَلِمتَ من ذلك شيئاً جَهْلِتُه؟ كلا ولكنه كان الرجاءُ للسلامة بالبراءة من الذنب أغلبَ من الشَّفَق وكان مزايلةُ القدَر الخطيرِ عِبْئاً قلَّما تنهض به الهمة. وبعدُ فقد كانت نِعَمٌ أرجو أن يكون أوَّلها شكراً وآخرُها أَجْراً. فما تقول في هذا الداء؟ قال له منكة: ما أرى له دواء أنجع من الصبر، ولو كان يُفْدَى بمال أو مفارقة عضو كان ذلك مما يجب لك. قال يحيى: قد شكرتُ لك ما ذكرْتَ فإنْ أمكنك تَعَهُّدنا فافعل. قال منكة: لو أمكنني تخليف الروح عندك ما بَخِلْتُ بذلك، فإنما كانت الأيام تحسن لي بسلامتك. قال الفضل:

---

(١) الإهْلِيْلَجة والإهليج: عِقَّيْرٌ من الأدوية معروف، وهو مُعَرَّب.

(٢) الذي تجد: الذي تكره. يقال: أوجده الله على الأمر: أكرهه عليه.

(٣) اللِبْد: كل شعر أو صوف متلبِّد سمّي به للصوق بعضه ببعض، والجمع ألباد ولُبُود

كان يحيى يقول: دخلنا في الدنيا دخولاً أُخْرِجْنا منها.

وقرأت في كتاب للهند: «إنما مَثَلُ السلطان في قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه عمن فُقد منهم مِثْلُ البَغِيِّ والمُكَتِّب[١]، كلما ذهب واحد جاء آخر».

والعرب تقول: «السلطان ذو عَدَوَانٍ[٢] وذو بَدَوَانٍ وذو تُدْرَإٍ» يريدون أنه سريع الإنصراف كثير البَدَوات هَجُومٌ على الأمور.

قال معاذ بن مسلم: رأيت أبا جعفر وأبا مسلم دخلا الكعبة فنزع أبو جعفر نعله فلما أراد الخروج قال: يا عبد الرحمن، هات نعلي. فجاء بها، فقال: يا معاذُ ضَعْها في رجلي. فألبسته إياها فحقد ذلك أبو مسلم، ووجّه أبو جعفر يَقْطِيْنَ[٣] بن موسى إلى أبي مسلم لإحصاء الأموال فقال أبو مسلم: أَفَعَلَها ابنُ سلامةَ الفاعلةِ؟ لا يكنِّي. فقال يقطين. عجّلتَ أيها الأمير، قال: وكيف؟ قال: أمرني أن أحصي الأموال ثم أسلّمَها إليك لتعمل فيها برأيك. ثم قدم يقطينُ على المنصور فأخبره. فلما قدم أبو مسلم المدائن في اليوم الذي قتل فيه جعل يضرب بالسَّوْط مَعْرَفَةَ بِرْذَوْنَهُ[٤] ويقول بالفارسية كلاماً معناه: ما تُغني المعرفةُ إذا لم يَقْدِرْ على دفع المحتوم. ثم قال: جارَّةٌ ذيلَها، تدعو يا ويلَها، بدجلَة أو حولها، كأنا بعد ساعة، قد صرنا في دجلة.

---

(١) المُكَتِّب: معلم الكتابة. والبَغِيُّ هو الأَمَة أو الحرّة الفاجرة.

(٢) ذو عَدَوَان: سريع الإنصراف والمَلال، يقال: ما عَدَاك أي ما صَرَفك، والرجل العَدَوان: الشديد العَدْو. وذو بَدَوان: كثير البَدَوات لا يزال يبدو له رأي جديد، والبَدَوات ج بَدَأة، وهي ما بدا من الرأي؛ ورجل ذو بَدَوات: ذو آراء مختلفة. وذو تُدْرَإٍ: ذو عزة ومنعة وقوة.

(٣) هو داعية عباسي وعارف بالحروب والوقائع، ولّاه المهدي سنة ١٦٧ هـ بناء الزيادة الكبرى في المسجد الحرام. توفي سنة ١٨٦ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٢٠٧.

(٤) البِرْذَوْن: الفرس غير الأصيل. والمَعْرَفَة: موضع العُرْف من الفرس، والجمع معارف، والعُرْف شعر عُنُق الفرس.

قال المنصور: «ثلاثٌ كنّ في صدري شفى الله منهـا: كتاب أبي مسلم إليَّ وأنا خليفة: عافانا الله وإياك من السوء، ودخولُ رسوله علينا وقولـه: أيُّكُمْ آبن الحارثيّة؟. وضَرْبُ سليمان بن حبيب ظهري بالسياط».

قال المنصور لسَلْم بن قتيبـة: ما تـرى في قتل أبي مسلم؟ فقـال سَلْم: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ فقال حسبك يا أبا أُمَيَّة.

قال أبو دُلَامة[1]: [طويل]

أبـا مُسْلم ما غيَّر الله نعمـةً   على عبـده حتى يُغيِّرَهـا العَبْدُ
أفي دولة المَهديِّ حاولتَ غَدْرة   ألا إنَّ أهل الغَدْر آباؤك الكُرْدُ
أبا مسلم خوَّفْتني القتلَ فآنتحى   عليك بما خَوَّفْتني الأَسَدُ الوَرْدُ[2]

قـال مـرْوان[3] بن محمـد لعبـد الحميـد حين أيقن بـزوال ملكـه: «قـد آحتجتُ إلى أن تصيـر مع عـدوّي وتظهـر الغَـدْرَ بي، فـإنَّ إعجـابهم بـأدبـك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظن بك، فإن آستـطعت أن تنفعني في حياتي وإلا لم تَعْجَزْ عن حفظ حُرمتي بعد وفـاتي» فقال عبـد الحميد: إن الذي أمرْتَني به أنفعُ الأمرين لك وأقبحهما بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتـح الله لك أو أُقْتَلَ معك. وقال: [طويل]

(١) أبو دلامة هو زَنْد بن الجَوْن الأسدي، كان عبداً حبشياً، نبغ في أيام بني العباس، وكان شاعراً مطبوعاً كثير النوادر، مدح المنصور وذكر قتله أبا مسلم من جملة قصيدة ذكر فيها الأبيات الثلاثة الواردة أعلاه. توفي سنة ١٦١ هـ. وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٣٢٠ ـ ٣٢٧) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، والأعلام ج ٣ ض ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) الأسدُ: فاعل آنتحى. والوَرْدُ: الجريء. وهنا يشبه المنصورَ بـالأسد لشجـاعته وبـطشه بالأعداء.

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشام، قتل على يد العباسيين سنة ١٣٢ هـ.

أُسِــرُّ وفـاءً ثم أُظهـرُ غَــدْرَةً   فمن ليْ بِعُذْرٍ يُوسِعُ الناسَ ظاهِرُهْ

المشاورة والرأي

حدّثنا الزِّياديّ قـال: حدّثنـا حماد بن زيـد عن هشام عن الحسن قـال: «كان النبيّ ﷺ يستشير حتى المرأة فتشيرُ عليه بالشيء فيأخذُ به».

وقرأت في التاج أن بعض ملوك العجم آستشار وزراءه، فقال أحـدهم: «لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلا خالياً به، فإنه أَمْوَتُ للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فـإن إفشاءَ السرِّ إلى رجل واحد أوثق من إفشائـه إلى آثنين، وإفشاءه إلى ثـلاث كإفشـائه إلى العامّة لأن الواحد رهن بمـا أُفشي إليه والثـاني يطلِق عنـه ذلك الـرهن والثالث عِلَاوة فيه، وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يُظهره رهبةً منه ورغبة إليـه، وإذا كان عنـد آثنين دخلتْ على الملك الشبهـةُ وآتسعت على الـرجلين المعـاريض، فإنْ عـاقبهما عـاقب آثنين بذنبِ واحـد، وإنِ آتهمهما آتهم بـريئاً بجناية مجرم، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له عن الآخر ولا حجة معه».

وقـرأت في كتـاب للهنـد أن ملكـاً آستشـار وزراء لـه، فقـال أحـدهم: «الملك الحازم يزداد برأي الوزراء الحَزَمَة كما يزداد البحر بموادّه من الأنهـار، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوّة والجنود، وللأسرار منازل: منها ما يدخل الـرهطُ فيه، ومنهـا ما يستعـان فيه بقـوم، ومنها مـا يُسْتغنى فيه بـواحـد. وفي تحصين السر الظَّفَرُ بالحاجة والسلامة من الخلل. والمستشيـر وإن كان أفضـل رأياً من المشير، فإنه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النـار بالسَّلِيط ضـوءاً. وإذا كان

الملك محصِّناً لسره بعيداً من أنْ يُعَرف ما في نفسه متخيِّراً للوزراء مهيباً في أنفس العامة كافياً بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المُريبْ مقدِّراً لما يُفيد وينفق، كان خليقاً لبقاء ملكه. ولا يصلح لسرّنا هذا إلا لسانان وأربع آذان. ثم خلا به».

قال أبو محمد: كتبت إلى بعض السلاطين كتاباً وفي فصل منه: «لم يزل حَزَمَةُ الرجال يستَحْلُون مرارة قول النصحاء ويستَهْدُون العيوب ويستثير صواب الرأي من كُلٍّ حتى الأَمَةِ الوَكْعاء، ومن آحتاج إلى إقامة دليل على ما يدّعيه من مودّته ونقاء طويّته فقد أغناني الله عن ذلك بما أوجبه الاضطرار إذ كنت أرجو بدوام نعمتك وآرتفاع درجتك وآنبساط جاهك ويدك زيادةَ الحال».

وفي فصل آخر: «وقد تحملتُ في هذا الكتاب بعض العتب وخالفت ما أعلم إذ عرضت بالرأي ولم أُستَشَرْ وأحللت نفسي محل الخواصّ ولم أُحَلَّ ونزعتْ بي النفس، حين جاشت وضاقت بما تسمع، عن طريق الصواب لها إلى طريق الصواب لك، وحين رأيت لسان عدوّك منبسطاً بما يدّعيه عليك وسهامه نافذة فيك، ورأيت وليّك معْكوماً عن الاحتجاج إذ لا يجد العذر ورأيت عوامّ الناس يخوضون بضروب الأقاويل في أمرك، ولا شيء أضرّ على السلطان في حال ولا أنفع في حال منهم. وبما يُجريه الله على ألسنتهم تسير الركبان وتبقى الأخبار ويخلد الذكر على الدهر وتشرف الأعقاب، وظاهر الخبر عندهم أعدل من شهادة العدول الثقات».

وفي فصل منه: «وسائسُ الناس ومدبر أمورهم يحتاج إلى سعة الصدر وآستشعار الصبر وآحتمال سوء أدب العامّة وإفهام الجاهل وإرضاء المحكوم عليه والممنوعِ مما يسأل بتعريفه من أين منع، والناس لا يجمعون على الرضا إذا جُمع بهم كل أسباب الرضا فكيف إذا مُنعوا بعضها، ولا يعذِرون بالعذر

الـواضح فكيف بـالعذر الملتبِس، وأخـوك من صـدقـك وآرتمض لك لا من تابعك على هواك ثم غاب عنك بغير ما أحضرك».

قـال زياد لـرجل يشـاوره: «لكل مستشيـر ثقة ولكـل سر مستـودع، وإن النـاس قد أبـدْعَت بهم خصلتان: إضـاعـة السـر، وإخـراج النصيحـة. وليس مـوضع السـر إلا أحد رجلين: رجـل آخرة يـرجو ثـواب الله، أو رجل دنيـا له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه، وقد عجمتهما لك».

وكتب بعض الكتاب: «إعلم أن الناصح لك المشفق عليـك مَنْ طالـع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره، ومثَّل لك الأحوال المخوفـة عليك، وخلَط لك الوعر بالسهل من كلامه ومَشُورته ليكون خوفك كُفْئاً لرجائك وشكـرك إزاء النعمة عليك. وأن الغاشّ لك الحـاطب عليك من مـدّ لك في الاغتـرار ووطّأ لك مِهاد الظلم وجرى معك في عِنانك منقاداً لهواك».

وفي فصـل: «إني وإن كنت ظَنِيناً عنـدك في هـذه الحـال ففي تـدبـرك صفحات هذه المشُورة ما دلك على أن مَخرجَها عن صدق وإخلاص».

إبراهيم بن المنذر قال: استشار زيـاد بن عبيد الله الحـارثي عبيد الله بن عمر في أخيه أبي بكر أن يولِّيـه القضاء، فـأشار عليـه به، فبعث إلى أبي بكـر فآمتنع عليه، فبعث زياد إلى عبيد الله يستعين به على أبي بكـر، فقال أبـو بكر لعبيد الله: أنشدك بـالله أترى لي أن أَلِيَ القضـاء؟ قال: اللهم لا. قـال زياد: سبحان الله! استشرتك فأشـرت عليّ به ثم أسمعـك تنهاه! قـال: أيها الأمـير، استشـرتني فاجتهـدت لك رأيي ونصحتـك، وآستشـارني فـاجتهـدْتُ لـه رأيي ونصحته.

كان نصر بن مالك على شُرَط أبي مسلم، فلما جـاءه إذنُ أبي جعفر في القدوم عليه آستشاره فنهاه عن ذلك وقال: لا آمنه عليك. قال له أبو جعفر لما

صار اليه: إستشارك أبو مسلم في القدوم عليَّ فنهيته؟ قال نعم: قال وكيف ذاك؟ قال: سمعت أخاك إبراهيم الإمام يحدّث عن أبيه محمد بن عليّ قال: «لا يزال الرجل يزاد في رأيه ما نصح لمن آستشاره» وكنت له كذلك وأنا اليوم لك كما كنت له.

قال معاوية: «لقد كنت أَلْقَى الرجل من العرب أعْلَمُ أن في قلبه عليَّ ضَغنا فأستشيره، فيثير إليَّ منه بقدر ما يجده في نفسه فلا يزال يوسعني شتماً وأوسعه حِلْماً حتى يرجع صديقاً أستعين به فيعينني وأستنجده فينجدني».

وقرأت في كتاب إبرَوِيزَ إلى آبنه شيرويه وهو في حبسه: «عليك بالمشاورة فإنك واجد في الرجال من ينضج لك الكَيَّ ويحسِم عنك الداء ويخرج لك المستكِنَّ ولا يدَع لك في عدوّك فرصة إلا آنتهزها ولا لعدوّك فيك فرصة إلا حصَّنها، ولا يمنعك شدّة رأيك في ظنك ولا علوُّ مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك فإنْ أَحْمَدْتَ آجتنيت وإن أذْمَمْتَ نفيت، فإن في ذلك خصالاً: منها أنه إنْ وافق رأيَك آزداد رأيك شدّة عندك، وإنْ خالف رأيك عرضته على نظرك، فإنْ رأيته معتلياً لِما رأيت قبِلت، وإن رأيته متضعاً عنه آستغنيت، ومنها أنه يجدّد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ لك مودّته وإن قصّر».

وفي كتاب للهند: «مَنِ آلتمس من الإخوان الرخصة عند المشُورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة، أخطأ الرأي وآزداد مرضاً وحمَل الوِزْر».

وفي آداب آبن المقفع: «لا يُقْذَفَنَّ في رُوعك[1] أنك إنِ آستشرْتَ

(١) الرّوْع: العقل أو القلب.

الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك، فيقطعك ذاك عن المشاورة، فإنك لا تريد الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به. ولو أنك أردت الذِّكْرَ كان أحسنُ الذكر عند الألبّاء أن يقال: لا ينفرد برأيه دون ذوي الرأي من إخوانه».

قال عمر بن الخطاب: «الرأي الفَرْد كالخيط السَّحِيل، والرأيان كالخيطين المبرمَين، والثلاثة مِرار[1] لا يكاد ينتقض». وقال أشجع[2]: [بسيط]

ما أخّرَ الحَزْمَ رأيٌ قدَّم الحَذَرا ... رأيٌ سرى وعيونُ الناس هاجعةٌ

كتب الحجاج إلى المهلَّب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب إليه المهلب: «إنَّ من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره». وقيل لعبد الله بن وهب الراسِيِّ يوم عقدت له الخوارج: تكلمْ. فقال: ما أنا والرأي الفطير والكلام القضيب. وقال أيضاً: خمير الرأي خير من فطيره، ورُبّ شيء غابُّه خير من طريِّه، وتأخيره خير من تقديمه. وقيل لآخر: تكلمْ. فقال: ما أشتهي الخبز إلا بائتاً.

كان آبن هبيرة يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من صحبةِ مَنْ غايتُه خاصة نفسه والانحطاطُ في هوى مستشيره، وممن لا يلتمس خالص مودّتك إلا بالتأتّي لموافقة شهوتك، ومن يساعدك على سرور ساعتك ولا يفكر في حوادث غدك». وكان يقال: «من أُعطي أربعاً لم يُمنَع أربعاً: من أُعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي المشُورة لم يمنع الصواب، ومن أعطي الاستخارة لم يُمنع الخِيْرة». وكان يقال: لا تَسْتَشِرْ معلّماً ولا راعي الغنم ولا كثير القعود مع النساء. وكان يقال:

(١) المِرار: الحبل الذي أُجِيْد فَتْلُه.
(٢) مرّ التعريف به.

لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعاً ولا حاقن بول وقالوا «لا رأي لحاقن ولا لحازِق»[١] وهو الذي ضغطه الخُفُّ «ولا لحاقب» وهو الذي يجد رِزّاً في بطنه. وقالوا أيضاً: لا تشاور من لا دقيق عنده.

وكان بعض ملوك العجم إذا شاور مَرَازِبَته[٢] فقصّروا في الرأي دعا الموكّلين بأرزاقهم فعاقبهم، فيقولون: تخطىء مَرَازِبَتُك وتعاقبنا! فيقول نعم، إنهم لم يخطئوا إلا لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم وإذا آهتموا أخطأوا. وكان يقال: إنّ النفس إذا أحرزت قوتها ورزقها آطمأنّت.

وقال كعب: لا تستشيروا الحاكة فإن الله سلبهم عقولهم ونزع البركة من كسبهم. قال الشاعر: [طويل]

وأنفعُ مَنْ شاورْتَ مَنْ كان ناصحاً ... شفيقاً فأبصرْ بعدها مَنْ تشاورُ
وليس بشافيك الشفيقُ ورأيُهُ ... عَزِيْبٌ[٣] ولاذوا الرأي والصَّدْرُ واغِرُ

ويقال: علامة الرشد أن تكون النفس مشتاقة. وقال آخر [طويل]

إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فآستعنْ ... برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ
ولاتحسبِ الشُّورى عليك غَضاضةً ... فإنَّ الخَوافي[٤] رافداتُ القَوادم

---

(١) الحاقن: من آمسك بوله حتى ثقل عليه، ومعنى هذا المثل: من آشتدَّ آحتقان بوله يغلبه فلا يكون مُخَيَّراً بين حبسه وإطلاقه، يُضْرَب للمضطرِّ الذي لا يملك أمر نفسه في الصبر. والحازق: من ضاق خُفَّه على رِجْله حتى آنضغطت منه، ومعنى هذا المثل: لا يملك أمر نفسه في سرعة المشي، وهو مثل يضرب في الاضطرار والعَجْز.

(٢) المرازِبة: ج مَرْزَبان، وهو رئيس الفُرْس.

(٣) رأي عَزِيْب: رأي بعيد غير مصيب؛ يقال: عزب عني فلان: غاب وبعد.

(٤) الخوافي: ريشات إذا ضمَّ الطائر جناحيه خفيت، واحدتها خافية؛ وقولهم في المثل: ليس القوادم كالخوافي نظير قولهم: ليس الرأس كالذنب.

وخلِّ الهُوَينا للضعيف ولا تكن ... نَؤوماً فإنَّ الحزم ليس بنائم
وَأَدْنِ من القربى المقرِّبَ نَفْسَهُ ... ولا تُشهِدِ الشُّورى آمرأً غيرَ كاتم
وماخيرُ كفٍّ أمسك الغُلُّ أختهَا ... ومـا خيرُ سيفٍ لم يؤيَّـدْ بقائم
فإنك لن تستـطرد الهمَّ بالمُنى ... ولن تبلغ العليـا بغير المَكـارم

قال أعرابي: ما غُبِنْتُ قطُّ حتى يُغبَن قومي. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا أفعـل شيئاً حتى أشـاورَهم. وقيل لـرجـل من بني عَبْس: مـا أكثـر صـوابَكم! فقـال: نحن ألف رجل وفينـا حازم واحـد ونحن نطيعـه، فكـأنـا ألفُ حـازم. ويقال: «ليس بين الملك وبين أن يملِك رعيته أو تملكه إلا حزم أو توانٍ».

وقال القُطامي[1] في معصية الناصح: [وافر]

ومعصيةُ الشفيق عليك مما ... يـزيدك مَـرّة منه آستمـاعَـا
وخيرُ الأمر ما استقبَلْت منه ... وليس بـأنْ تَتَبَّعـهُ آتبـاعـا
كذاك وما رأيتُ النـاس إلا ... إلى ما جَرَّ غـاويهم سِراعـا
تراهمْ يغمزون منِ آستركُّوا ... ويجتنبون مَنْ صدَقَ المِصاعا

وقال آخر، أنشدنِيْهُ الرّياشي: [طويل]

ومـولىً عصـاني وآستبـد بـرأيـه ... كـما لم يُـطَعْ بـالبَقّتـينِ قَصِـيرُ[2]

---

(١) هو عُمَيْر بن شُيَيْم بن عمرو بن عباد،التغلبي الملقب بالقُطاميّ. شاعر غَزِلٌ فحل، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين. كانت وفاته سنة ١٣٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٨٨ ـ ٨٩.
(٢) البقّتان: مثنى بقّة، وهي موضع بالعراق قريب من الحيرة كان به جَذِيْمة الأبرش؛ قيل: إنه على شاطىء الفرات وقيل: بَقّة آسم حصن. ومنه المثل: خَلَّفْتَ الرأي ببقَّة، وهذا قول قَصير بن سَعْد اللخميّ لجذيمة الأبرش حين أشار عليه أن لا يسير إلى الزَّبّاء، فلما ندم على سيره قال قصير ذلك. والزبّاء لقب هند بنت الربّان الغساني ملكة جزيرة العرب، كان يضرب بها المثل في =

فـلمَّا رأى أنْ غـبَّ أمـريْ وأمـره ... وولّت بـأعجـاز الأمـور صُـدُوْرُ
تمنَّى نئيشـاً[1] أن يكـون أطـاعـني ... وقـد حَـدَثَتْ بعـد الأمور أمـورُ

وقال سبيع لأهل اليمامة «يا بَني حَنِيفة، بُعْداً كما بَعُدت عـاد وثمود[2]، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه كـأني أسمع جَـرْسه وأبصـر غيبه ولكنَّكم أبيتم النصيحـة فآجتنيتم النـدم، وأصبحتم وفي أيديكم من تكـذيبي التصـديقُ ومن تهمتي الندامةُ، وأصبح في يدي من هـلاككم البكاءُ ومن ذلّكم الجـزعُ، وأصبـح ما فـات غيرَ مـردود وما بقي غيـر مـأمـون. وإني لمّـا رأيتكم تتّهمـون النصيح وتسفّهون الحليم آستشعـرت منكم اليأس وخِفْتُ عليكم البـلاء. والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غِـرّة ولقد أمهلكم حتى مـلّ الواعظ وَهْن الموعوظ وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيركم».

وأشار رجل على صديق له برأي، فقال له: «قد قلت مـا يقول النـاصح الشفيق الّذي يخلط حُلو كلامه بمُرّه وحَزْنه[3] بسهله ويحرّك الإشفاقُ منه ما هو

= العز والمنعة؛ لأنها كانت متحصّنة بمدينة عمان. وكان جذيمة قد خطبها لنفسه طمعاً في إضافة ملْكها إلى ملكه، فلما حضر إليها أمرت بِفَصْده حتى نزف دمه ومات. وكان قد رأى عليها شَعْراً كثيراً فقال: إنها لعروسٌ زبّاء فلقِّبت بذلك. وكان معه قصير بن سعد؛ فلما أحسَّ بقتله آبتدر منهزماً، ثم احتال عليها قصير حتى أدخل ابن آخته عَمْراً إلى قصرها ليلاً ومعه رجال في الصناديد فنهضوا عليها وقد تفرّقت جنودها للمنام. وكان عمرو قد آلتقاها بسيفه، وكان في يدها خاتم قد سقي سم ساعة فمصَّتْه وقالت: بيدي لا بيد عمرو وسقطت ميتة، فذهب قولها مثلاً يضرب لمن يقتصّ من من نفسه ولا يُمَكِّن العدوَّ منه. أنظر لسان العرب، مادة (بقق) ومحيط المحيط البستاني، مادة (الزبّاء).

(١) هذه الأبيات لِنَهْشَل بن حَرِّي بن ضَمْرَة الدارميّ كما ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي (ج ١ ص ٧٠٢ طبع أوروبا) وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام، وكان من خير بيوت بني دارم. أسلم ولم يَرَ النبي ﷺ، وصحب علياً عليه السلام في حروبه وكانت وفاته سنة ٤٥ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٤٩.

(٢) عاد وثمود قبيلتان من العرب العاربة. جمهرة أنساب العرب ص ٩ و٤٨٦.

(٣) الحَزْن: خلاف السهل، وهو ما غلظ من الأرض، والجمع حزون.

ساكن من غيره، وقد وعَيتُ النصح فيه وقبلته إذ كان مصدره مِن عند من لا يُشكّ في مودته وصافي غيبه، وما زلتَ بحمد الله إلى كل خير طريقاً مَنْهجاً ومَهْيَعاً[1] واضحاً».

وكتب عثمان إلى عليّ حين أحيط به: «أما بعدُ، فإنه قد جاوز الماءُ الزُّبى وبلغ الحِزامُ الطُّبْيَين[2] وقد تجاوز الأمرُ بي قَدْرَه: [طويل]

فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ خير آكل وإلا فأدْرِكْني ولمَّا أُمَزَّقِ»

وقال أوس[3] بن حَجَر: [طويل]

وقد أُعتِبُ ابنَ العم إن كنتُ ظالماً وأغْفِرُ عنه الجهْلَ إن كان أجهلا
وإن قال لي ماذا ترى؟ يستشيرني يَجِدْني ابنَ عمٍّ مِخْلَطَ الأمرِمِزْيَلا[4]
أُقيْمُ بدار الحَزْم ما دام حَزْمُها وأحْرِي إذا حالت بأنْ أتحوّلا
وأستبدلُ الأمرَ القويَّ بغيره إذا عقد مأفونِ[5] الرجال تحلَّلا

وكان يقال: «أناةٌ في عواقبها دَرَك، خير من معاجلةٍ في عواقبها فَوت».
وأنشدني الرياشي: [بسيط]

(١) المَهْيَع: الطريق الواسع البيِّن، والجمع مهايع.
(٢) الزُّبى: ج زُبْية، وهي الرابية لا يعلوها ماء. والمثل هو: بلغ السيلُ الزُّبَى. والمعنى آشتدَّ الأمر حتى آنتهى إلى غاية بعيدة. والطُّبْيان مثنى طُبْي، وهو حلمات الضَّرْع التي من خُفّ وظلف وحافر وأكثر ما يكون الطُّبْي للسباع، والجمع أطْباء. ومعنى هذا المثل: اشتدَّ الأمر وتفاقم.
(٣) هو أبو شُرَيْح أوس بن حَجَر بن مالك التميمي، شاعر تميم في الجاهلية وزوج أم زهير بن أبي سلمى. في شعره حكمة ورقّة، كان غَزِلاً مغرماً بالنساء وكانت وفاته سنة ٢ ق.هـ. الأعلام ج ٢ ص ٣١.
(٤) المِزْيَلُ: الكَيِّس اللطيف.
(٥) مأفون الرجال: ضعيفو الرأي والعقل.

وعاجِزُ الـرأي مِضْياعٌ لفُـرصتهِ   حتى إذا فات أمرٌ عاتَب القَدَرا[1]

وكان يقال: «رَوِّ بحزم فإذا آستوضحْتَ فآعزم».

الإصابة بالظن والرأي

كان آبن الزبير يقول: «لا عاش بخير من لم يـر برأيـه ما لم يـر بعينه». وسئل بعض الحكماء: ما العقل؟ فقـال: «الإصابـة بالـظن ومعرفـةُ ما لم يكن بمـا كان». وكـان يقال: «كفى مُخبِـراً عما مضى مـا بقي، وكفى عِبـرَاً لأُوْلي الألباب ما جرّبوا». وكان يقال: «كل شيء محتاج إلى العقل، والعقل محتـاج إلى التجارب». ويقال: «من لم ينفعك ظنه لم ينفعـك يقينه». وقـال أوس بن حَجَر: [منسرح]

الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظـ   ـنَّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعَا

وقال آخر: [طويل]

وأبغي صوابَ الظنّ أَعْلَمُ أنـه   إذا طاش ظنُّ المرءِ طاشت مقادِرهْ

وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليـه في عبد الله بن عبـاس: «إنه لَيَنْـظُرُ إلى الغيب من سِتْـر رقيق». ويقـال: «ظنُّ الـرجـل قـطعــةٌ من عقله». ويقال: «الظنونَ مفاتيح اليقين». وقال بعض الكتاب: [وافر]

أصُوْنُك أنْ أظنَّ عليك ظنّاً   لأنَّ الـظنَّ مِفْتـاحُ اليقينِ

---

(١) سيذكر هذا البيت في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

وقال الكميت[١]: [بسيط]

مِثْلُ التدبُّـرِ في الأمر آئتنـافُكَهُ والمرءُ يعجزُ في الإقدام لا الحِيلِ[٢]

وقال آخر: [طويل]

وكنتَ متى تُهْـزَزْ لِخَطْبٍ تُغَشِّهِ ضرائبَ أمضَى من رِقاقِ المَضاربِ[٣]

تَجلَّلْتَــهُ بـالــرأيِ حتى أرَيْتَـهُ به مِلْءَ عينَيْـهِ مكَانَ العـواقبِ

وقال آخر يصف عاقلاً: [طويل]

بصيـرٌ بأعقـابِ الأمور كـأنمـا يَرى بصوابِ الرأيِ ما هو واقعُ

وقال آخر في مثله: [طويل]

عليمٌ بـأعقـابِ آلأمـورِ بـرأيـهِ كأنّ لـه في اليوم عَيْناً على الغد

وقال آخر يصف عاقلاً: [طويل]

بصيـرٌ بأعقـابِ الأمور كـأنّمـا يخـاطبُه من كـل أمرٍ عـواقبُـهْ

وقال جَثَّامة بن قيس[٤] يهجو قوماً: [بسيط]

أنتمْ أناسٌ عِظامٌ لا قلوبَ لكمْ لا تعلمون أجَاءَ الرُّشْدُ أم غابا؟

---

(١) هو الكُمَيْت بن زيد بن خنيس الأسدي، شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة. كان متعصباً للمضرية على القحطانية؛ وأشهر شعره «الهاشميات» وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين. توفي سنة ١٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٣٣.

(٢) معنى هذا البيت: قد يتساوى أتتنافك الأمر وتدبُّرك له، ولكنه إذا عجزْتَ في الإقدام على عدوّك فإنك، في معظم الأحيان، تنجح إذا استعملْت الحيلة والمكايدة.

(٣) الضرائب: ج ضريب، وهو الرأس، والمقصود هنا العقل. والمضارب ج مَضْرِب، وهو حدّ السيف. ومعنى البيت: إذا دهمتك عواقب الدهر وَحَدثانه، فإنك تتخلص منها بعقل مدبّر أكثر مضاءً من حدّ السيوف.

(٤) جثامة بن قيس بن عبد الله بن الشَّدَّاخ بن كِنانه أخو الشاعر الفارس بَلْعاء بن قيس. جمهرة أنساب العرب ص ١٨١.

وتبصرون رؤوس الأمر مقبلةً ... ولا تَـرَوْنَ وقـد ولَّيْنَ أذْنـابـا
وقلَّما يفجأُ المكروهُ صاحبَه ... إذا رأى لـوجوه الشر أسبابا

وقال آخر: [طويل]

فلا يَحْذَرُوْن الشرَّحتى يُصِيْبَهُمْ ... ولا يعرفون الأمرَ إلا تَدَبُّـراَ[١]

ويقال: «ظن العاقل كَهانة». وفي كتاب للهند: «الناس حازمان وعاجز، فأحد الحازمين الذي إذا نَزَلَ به البَلاءُ لم يبطَر وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه، وأحزم منه العارفُ بالأمر إذا أقبل فيدفعه قبل وقوعه، والعاجز في تردّد وتثنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتمر رُشْداً ولا يطيع مُرْشداً».

وقال الشاعر: [طويل]

وإني لأَرْجـو الله حتى كـأنَّني ... أرى بجميل الظن ما الله صانعُ

وقال آخر: [وافر]

وغِـرَّةُ مـرَّةٍ مِنْ فِعْـلِ غِـرٍّ[٢] ... وغِـرَّةُ مـرّتين فِعـالُ مُـوْقِ
فـلا تفـرحْ بـأمـرٍ قـد تـدنَّى ... ولا تـأْيسْ من ٱلأمـر ٱلسَّحِيْقِ
فـإن القربَ يَبْعُـدُ بعـد قُـرْبٍ ... ويـدنو البعـدُ بالقَـدَر المَسُوق
ومن لم يتق ٱلضَّحْضَاحَ[٣] زلَّتْ ... بـه قـدمـاه في البحـر العميق

---

(١) هذا البيت لجرير، ولقد ورد في لسان العرب، مادة (دبر) هكذا:
ولا تَتَّقـون الشَّـر حتى يُصِيْبُكُـمْ ... ولا تـعـرفـون الأمـرَ إلَّا تَـدَبُّـرا
يقال: عرف الأمر تدبُراً: أي بآخَرَةٍ.

(٢) الغِرَّة: الغفلة والجمع غِرَرُ. والغِرُّ: الشاب الذي لا تجربة له والشابّة كذلك؛ يقال: شاب غِرّ وشابة غِرَّة، والجمع أغرار.

(٣) الضَّحْضاح: الماء اليسير أو إلى الكعبين أو الكثير بلغة هذيل.

وما آكتسبَ المحامدَ طالِبُوْها ... بمثل البِشْر وآلوجه آلطَّليق

وقال مروان بن الحكم لحُبَيْش بن دَلَجة: أظنك أحمق. قال: «أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه». ونقش رجل على خاتمه: «الخاتم خير من الظن». ومثله: «طِينةٌ خير من ظنَّة».

اتباع الهوى

كان يقال: الهوى شريك العَمَى. وقال عامِر بن الظَّرِب: الرأي نائمٌ والهوى يقْظانُ، ولذلك يغلبُ الرأيَ الهوى. وقال آبن عباس: «الهوى إله معبود» وقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[1]. وقال هشام بن عبد الملك، ولم يقل غَيْرَهُ: [طويل]

إذا أنت لم تَعْصَ الهوى قادك الهوى ... إلى بعضِ ما فيه عليك مقال

وقال بُزُرْجِمَهْر[2]: «إذا آشتبه عليك أمران فلم تدرِ في أيهما الصواب، فآنظرْ أقربهما إلى هواك فآجتنبه».

كان عمرو بن العاص صاحَبَ عُمارة بن الوَليد إلى بلاد الحبشة ومع عمرو آمرأته فوقعت في نفس عُمارة فدفع عمراً في البحر فتعلق بالسفينة وخرج، فلما ورد بلاد الحَبَشة سعى عمرو بعمارة إلى النَّجاشِيّ وأخبره أنه يُخالِف إلى بعض نسائه فدعا النَّجاشِي بالسواحر فنفخن في إحْلِيله فهام مع الوحش، وقال عمرو في ذلك: [طويل]

تعلَّمْ عُمَاراً أنَّ مِنْ شرِّ شيْمةٍ ... لمثلك أن يُدعَى آبنُ عمٍّ له آبنما

---

(١) سورة الجاثية ٤٥، آية ٢٣. والمعنى: من اتخذ دينه دنياه، وتدرفه عقله وهداه. التفسير المبين.

(٢) بُزُرْ جِمَهْر وبذر جمهر عالم حكيم. الفهرست ص ١٣ و٣٦٤.

وإنْ كنتَ ذابُرْدَيْنْ أحوَى مُرَجَّلاً فلست براءٍ لابن عمك مَحْرَما
إذا المرءُ لم يترك طعاماً يحبُّه ولم يَعْصِ قلباً غاوياً حيث يَمَّما
قضى وطَراً[1] منه يسيراً وأصبحت إذا ذُكِرَتْ أمثالُهُ تَمْلأُ ٱلفما

وقال حاتم طَيٍّ[2] في مثله: [طويل]

وإنك إنْ أعطيت بَطْنَكَ سُؤلَهُ وفَرْجَك نالاَ مُنتَهى الذمِّ أجمعا

وقال آخر: [طويل]

جارَ ٱلجُنَيْدُ عليَّ مُحتكِماً جُهْلاً ولستُ بموضعِ الظُّلْمِ[3]
أكَلَ الهوى حُجَجي وربّ هوىً مما سيأكلُ حُجَّةَ الخَصْمِ

وقال أعرابي: «الهوى هَوانٌ[4]، ولكن غُلِط بٱسمه».

وقال الزبير بن عبد المطَّلِب[5]: [وافر]

وأجتنِبُ المقاذِعَ حيث كانتْ وأتْرُكُ ما هَوِيتُ لما خَشِيْتُ

وقال البُرَيق[6] الهذلي: [وافر]

أبِنْ لِيْ ما ترى والمرءُ تأبَى عزيْمَتُه ويغلِبه هواهُ
فيَعْمَى ما يُرَى فيه عليه ويحسَب ما يراه لا يراهُ

---

(١) الوَطَرُ: الحاجة.
(٢) حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني فارس شاعر جواد، يضرب المثل بجوده. له شعر كثير ضاع معظمه. توفي سنة ٤٦ ق هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٥١.
(٣) الجُنَيْدُ: تصغير جُنْد، والجُهُلَ: ج جاهل.
(٤) الهَوَان: الذُّلُّ.
(٥) الزبير بن عبد المُطَّلِب بن هاشم أكبرُ أعمام النبي ﷺ، أدركه النبي في طفولته، وكان الزبير يعدُّ من شعراء قريش إلاّ أنَّ شعره قليل. الأعلام ج ٣ ص ٤٢.
(٦) هو عياض بن خويلد الهذلي، ويلقب بالبريق، حجازي مخضرم، وله مع عمر بن الخطاب حديث. معجم الشعراء للمرزباني دار الكتب العملية، بيروت ١٩٨٢، صفحة ٢٦٨.

وكـان يقـال: «أخـوك مَنْ صَـدَقـك وأتـاك من جهـة عقلك لا من جهـة هواك».

السِرّ وكِتْمانه وإعلانه

حدّثنى أحمد بن الخليل قال: حدّثنا محمد بن الحُصَيب قال: حـدّثني أوس بن عبد الله بن بُرَيدة عن أخيه سهل عن بُرَيدة قال: قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على الحوائج بالكتمان فإنّ كلَّ ذي نِعمة مَحْسُود». وكانت الحكماء تقول: «سِرُّك من دمك». والعرب تقول: «من آرتادَ لسره موضِعاً فقد أذاعه».

حـدّثني عبد الـرحمن بن عبد الله بن قُـرَيب عن عمِّـه الأَصمَعي قـال: أخبـرني بعض أصحابنـا قال: دخـل آبن أَبي مِحْجَن[1] الثقفي على معـاويـة، فقال له معاوية: أبوك الذي يقول: [طويل]

إذا مُتُّ فآدفُنِّي إلى أصلِ كَرْمةٍ ... تُرَوِّي عِظامي بعدَ موتي عُروقُها
ولا تَـدْفُنَنِّي في الفَـلاة فـإنّني ... أخاف وراءَ الموت أن لا أذوقُها

فقال آبن أبي مِحجَن: لو شِئْتَ ذكرْتُ أحسن من هذا من شعـره. فقال معاوية: وما ذاك؟ قال قوله: [بسيط]

لا تسألي آلقومَ ماليْ وما حسَبي ... وسائلي آلقومَ ما حَزْمي وما خُلُقِي
القــومُ أَعلمُ أني مِـنْ سَـرَاتِهِمُ ... إذا تَطِيْشُ يدُ الرِّعْدِيْدةِ الفَرِق[2]
أُعطِي السِّنانَ غَداةَ الرَّوعِ حِصَّتَهُ ... وعامِلَ الرُّمحِ أُرْوِيْه من العَلَق[3]
قد أركَبُ الهَوْلَ مسدولاً عَساكِرُه ... وأَكْتُمُ الســرَّ فيه ضَـرْبَـةَ العُنُق

---

(١) هو عمرو بن حبيب بن عوف، أحد الأبـطال الشعراء الكـرماء. أسلم سنـة ٩ هـ. ولكنه كـان منهمكاً في شرب النبيـذ فحدَّه عمـر مراراً فتـرك النبيذ. تـوفي سنة ٣٠ هـ. الأعـلام ج ٥ ص ٧٦.

(٢) ج سَرِيّ، وهو السيد الشريف السَّخِيُّ. والرِّعْدِيْدَة: الجبان. والفَرِقُ: الشديد الفزع.

(٣) العَلَقُ: الدم.

وأنشدني للصَّلَتان العَبْدِي[١]: [متقارب]

وسِرُّكَ ما كان عند آمرىءٍ وسرُّ الثلاثة غيرُ الخَفِي

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتمثّل بهذين البيتين:

[متقارب]

ولا تُفْشِ سِرَّك إلّا إليكَ فإنَّ لكلّ نصيحٍ نصيْحَا
فإني رأيتُ غُواةَ الرجا لِ لا يتركون أديما صحيحا

وقال الشاعر: [كامل]

ومُراقَبَيْن تكاتَما بهواهما جعلا القلوبَ لما تُجِنُّ قُبورَا
يتلاحظان تلاحُظاً فكأنما يتناسَخانِ من الجفون سُطورَا[٢]

وقال مِسْكِين الدَّارِمِي[٣]: [طويل]

أُواخي رِجالا لست أُطلِعُ بعضَهُمْ على سرِّ بعضٍ غيرَ أني جِماعُها
يظَلّون شتَّى في البلاد وسرُّهُمْ إلى صَخرةٍ أعيا الرِّجالَ آنصِداعُها

وقال آخر: [بسيط]

ولو قَدرْتُ على نِسيانِ ما آشتملتْ مني الضُّلوعُ من الأسرار والخبرِ

---

(١) الصَّلتان العبدي هو قُثَم بن خَبيَّة، من بني محارب بن عمرو، شاعر حكيم. توفي نحو ٨٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٩٠.

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيرَ كَرُّ الغداة وَمرُّ العَشِيِّ

(٢) سيذكر هذان البيتان في الجزء الرابع.

(٣) هو ربيعة بن عامر بن أُنَيْف بن شريح الدارمي التميمي، شاعر عراقي شجاع. لقب مسكيناً لأبيات قال فيها (رمل).

أنا مسكين لمن أنكرني

توفي سنة ٨٩ هـ. الأعلام ج ٣ ص ١٦.

لكنْتُ أوّلَ مَنْ يَنسَى سرائَره   إذ كنتُ مِنْ نشرها يوماً على خَطَر

أسرَّ رجلٌ إلى صديق له حديثاً فلما آستقصاه قال له: أَفهِمت؟ قال: لا، بل نسيتُ.

قيل لأعرابي: كيف كِتمانك للسر؟ قال: «ما قلبي له إلا قبر». وقيل لِمُزيد: أيّ شيء تحت حضنك؟ فقال: يا أحمق، لِمَ خبَّأتُه. وقال الشاعر:

[وافر]

إذا ما ضاق صَدْرُكَ عن حديثٍ   فأفْشَتْه الرجالُ فمَنْ تلومُ؟

إذا عاتبت مَنْ أَفشَى حديثي   وسرِّي عنده فأنا الظَّلوم

وإني حين أَسْأَمُ حملَ سرّي   وقد ضَمَّنْتُهُ صدري، سَؤوم

قيل لرجل: كيف كتمانك للسر؟ قال: «أَجْحَدُ المُخبِرَ وأحلِفُ للمستخبر». وكان يقال: «مِن وَهْي الأمر إعلانُه قبل إحكامه». وقال الشاعر:

[طويل]

إذا أنت حمَّلْتَ الخؤونَ أمانة   فإنك قد أسْنَدْتَها شرَّ مُسنَدِ

وقال عمرو بن العاص: «ما آستودعْتُ رجُلاً سرّاً فأفشاه فَلِمْتُهُ، لأني كنت أضيق صدراً حين آستودعته». وقال:

[طويل]

إذا أنت لم تحفَظ لنفسك سِرَّها   فسرُّك عند الناس أفشَى وأَضْيَعُ

وكان يقال: «من ضاق قلبه آتسع لسانه».

وقال الوليد بن عُتبة لأبيه: إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدّثك به؟ قال: لا يا بُنَيّ «إنه مَنْ كَتَمَ سرَّه كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فلا تكونَنَّ مملوكاً بعد أن كنت مالكاً» قال: قبلت: وإنَّ هذا لَيَجْري بين الرجل وأبيه؟ قال: لا، ولكني

أكره أن تُذَلِّلَ لسانَكَ بأحاديث السر. فحدَّثْت به معاوية فقال: يا وليد، أَعْتَقَك أخي من رِقّ الخطأ.

وفي كتب العجم أن بعض ملوك فارس قال: «صونوا أسراركم فإنه لا سرَّ لكم إلا في ثلاثة مواضع: مَكِيْدةٌ تُحاوَلُ أو منزِلةٌ تُزاوَلُ أو سريرةٌ مَدخُولة تُكْتَم، ولا حاجة بأحد منكم في ظهور شيء منها عنه». وكان يقال: «ما كنتَ كاتمَهُ مِنْ عدّوك فلا تُظْهِرْ عليه صديقك».

وقال جَمِيل بن مَعْمَر: [طويل]

أموتُ وألقى اللهَ يا بَثْنُ[1] لم أُبُحْ بسِـرِك والمستخبِرون كثيـرُ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي: [طويل]

ولما تلاقَينا عَرَفْتُ الذي بها كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ
فقالت وأرْخَتْ جانبَ السِّتر إنما معي فتكلم غيرَ ذي رِقْبة أهلي[2]
فقلتُ لها ما بي لهمْ مِنْ ترقُّبٍ ولكنَّ سرّي ليس يحمله مِثلي

يريد أنه ليس يحمله أحد مثلي في صِيانته وسَتره، أي فلا أُبذيه لأحد.

وقال زهير[3]: [كامل]

السِّترُ دونَ الفاحشاتِ ولا يلقاكَ دون الخير من سِتْرِ

وقال آخر: [طويل]

فسِرّي كإعلاني وتلك خَلِيقتي وظُلْمَةُ ليلي مثلُ ضوء نهارِيَا

وقال آخرُ لأخٍ له وحَدَّثه بحديث: إجْعل هذا في وعاء غير سَرِب.

---

(١) بَثْنُ: منادى مرخم، وأصل الكلام: يا بَثْنَةُ.
(٢) أي تكلَّمْ بحرية؛ فإنك غير مراقب من قبل أهلي. والرِّقْبة هي الحراسة والتحفظ والفزع.
(٣) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الشهير، وسيرد بيته المذكور في هذا الجزء من هذا االكتاب

والسَّرِب السائل. وكان يقال: «للقائل على السامع جَمْعُ البال والكتمان وبَسْطُ العذر». وكان يقال: « الرعاية خير من الاسترعاء».

أتى رجلٌ عُبَيد الله بن زِياد فأخبره أن عبد الله بن هَمَّام السَّلُولي[١] سبَّه، فأرسل اليه فأتاه فقال: يا آبن هَمّام، إن هذا يزعم أنك قلت: كذا وكذا. فقال آبن هَمَّام: [طويل]

فأنت آمرؤ إمّا آئتَمَنْتُكَ خالياً ... فخُنتَ، وإمّا قلْتَ قولاً بلا عِلْمِ

وإنك في الأمر الذي قد أتيْتَهُ ... لَفي منزلٍ بين الخِيانة والإثم

وقال آخر: [خفيف]

إخفِضِ الصَّوتَ إنْ نطقْتَ بليلٍ ... وآلتَفِتْ بالنهار قبل الكَلامِ

وقال بعض الأعراب: [طويل]

ولا أكتُم الأسرارَ لكنْ أنُمُّها ... ولا أدَع الأسرارَ تَغلي على قلبِي

وإنَّ قليل العقلِ مَنْ باتَ ليلَه ... تُقلِّبُهُ الأسرارُ جنْباً إلى جنب

وقال أبو الشِّيْص[٢]: [بسيط]

ولا تأمَنَنَّ على سِرّي وسِرِّكُمُ ... غيريْ وغيرَكِ أوْطَيِّ القَراطيسِ

أو طائرٍ[٣] سَأُحلِّيه وأَنْعَتُهُ ... ما زال صاحبَ تَنْقيرٍ وتأسيس

---

(١) عبد الله بن همام السلولي شاعر إسلامي، يقال: هو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لأبنه معاوية. وكان يقال له «العطار» لحسن شعره. توفي نحو ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٤٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة.

(٢) قال في سرور النفس: «أبو الشِّيْص في الهُدْهُد» وأبو الشيص هو محمد بن علي بن رزين الخزاعي، من أهل الكوفة، شاعر مطبوع، سريع البديهة وبارع في وصف الشراب. وأبو الشّيص لقب، وكنيته أبو جعفر. وهو ابن عم دِعْبل الخزاعي. توفي سنة ١٩٦ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٢٧١ ومعجم الحماسة ص ١١٤، الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الرياض، دار المريخ، ١٤٠٢ هـ.

(٣) هذا الطائر هو هُدْهُد النبي سليمان بن داود عليهما السلام، ويروى أنه كان تعلم منطق الطير، ولا سيما الهُدْهُدَ، وفهم أصواته.

سُــوْدٍ بَــراثِـنُــه مِيْــلٍ ذَوائِـبُــه ... صُفْـرٍ حَمـالِقُـه في الحسن مغمـوسِ
قــد كـان هَمَّ سليمــانٌ ليـذبحــه ... لــولا سعَـايتُــه يــومـاً ببِلْقيسِ[١]

وقال أيضاً: [كامل]

أفْضَى أليـكَ بسـرِّه قَلَمٌ ... لوْ كان يعرفُهُ بكى قلمُهْ

وقال مُسْلم بن الوليد[٢] في الكتاب يأتيك فيه السر: [بسيط]

الحزمُ تَخرِيْقُه إنْ كنتَ ذا حْذَرٍ ... وإنما الحزمُ سوءُ الظنّ بالناسِ
إذا أتــاك وقــد أدّى أمَــانتَــه ... فاْجعلْ صِيانَتَهُ في بطن أرْماس[٣]

وقال آخر: [طويل]

سَـأكْتُمُـه سـرِّي وأحفَظُ سـرَّه ... ولا غــرَّني أني عليــه كَـرِيمُ
حَليمٌ فيَنسى أو جَهُــولٌ يُشيعـه ... ومــا النـاسُ إلا جـاهـل وحليم

الكُتَّاب والكِتَابة

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه عن وَهْب بن جرير عن أبيه عن يونس بن عبيد

---

(١) قال ابن حزم في الجمهرة ص٤٣٧ و٤٣٩ مـا معنـاه: بِلْقِيْس هي بنت إيلي أشرح بن ذي جَـدَد ابن إيلي أشرح بن قيس بن صَيْفي. ابن منظور في اللسان، مادة (هدد) أنها بَلْقَة أو بلقيس بنت بَلْبَشْرَح، وأن سليمان بن داود زوَّجها هُدَد بن هَمّال أحد ملوك حمير. وقد وردت هـذه الأبيات الأربعة في سرور النفس ص ١٠٤ باختلاف يسير عما هنا.

(٢) هو المعروف بصريع الغواني، شاعر غزلٌ، وهو أول من أكثر من البديع وتبعه الشعراء فيه. لقَّبه الرشيد العباسي بصريع الغواني؛ لأنه أنشده هذا البيت (طويل).

مـا العيش إلاّ أن تـروح مـع الـصِّبـا ... وتغـدو صرِيـع الكـأس والأعين النُّجْلِ

توفي سنة ٢٠٨ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٢٣.

(٣) الأرماس: ج رَمْس، وهو القبر. والمعنى: إحفظ السرَّ حتى الممات.

عن الحسن عن عمرو بن تَغلَب عن النبيّ ﷺ قال: «من أشراط الساعة أن يَفِيضَ المالُ ويظهر القلم وتفشو التجار» قال عمرو: إنْ كنا لنلتمس في الحِوَاء[1] العظيم الكَاتبَ، ويبيع الرجلُ البيع فيقول: حتى أستأمِنَ تاجِرَ بني فلان.

حدّثنا أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أَبَان عن عَنْبَسة بن عبد الرحمن القُرَشيّ عن محمد بن زَاذان عن أُمّ سعد عن زيد بن ثابت قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يُملِي في بعض حوائجه فقال: «ضع القلَم على أذنك فإنه أذكر للمُمْلي به».

وحدّثني عبد الرحمن بن عبد المُنعِم عن أبيه عن وَهْب قال: «كان إدرِيس النبيّ عليه السلام أوّلَ من خطَّ بالقلم وأوّلَ من خاط الثياب ولبِسها، وكانوا من قبلَه يلبَسون الجلودَ».

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال: أخبرنا جرير عن يَزِيد بن أبي زياد عن عَياض بن أبي موسى أنَّ عمر بن الخَطّاب قال لأبي موسى: ادعُ لي كاتبَك ليقرأ لنا صُحُفاً جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجِد: قال عمر: أبِهِ جَنابةٌ؟ قال: لا، ولكنّه نصْراني. قال: فرفَع يده، فضرب فَخْذَهُ حتى كاد يكسرها ثم قال: ما لكَ! قاتلك الله! أمَا سمِعت قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾[2]! ألا آتخذتَ رجُلاً حنيفياً؟ فقال أبو موسى: له دِينُه ولي كتابته. فقال عمر: «لا أُكرِمهم إذ أهانَهُمُ الله ولا أعزّهم إذْ أذلّهم ولا أُدنِيهم إذ أقصاهم الله».

---

(١) الحِواء: جماعة البيوت المتدانية وهي من الوَبَر، والجمع أحوية.

(٢) سورة المائدة ٧٥ آية ٥١. والمعنى: لا تتخذوهم أصدقاء إذا نصبوا لكم العداء وكانوا حرباً عليكم.

حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه قال: أخبرنا عيس بن يونس قال: حدّثنا أبو حَيّان التَّيْمي عن أبي زِنْباع عن أبي الدِّهْقانة قال: ذُكِر لعمر بن الخطّاب غلامٌ كاتبٌ حافظٌ من أهل الحِيرة وكان نصرانياً، فقيل له: لوِ آتخذْتَه كاتباً. فقال: «لقد آتخذتُ إذاً بِطانةً من دون المؤمنين».

حدّثني أبو حاتم قال: مُرَامِر بن مَرْوة[1] من أهل الأنبار وهو الذي وضع كتابة العَربية، ومن الأنبار انتشرت في الناس.

حدّثني أبو سهل عن الطَّنَافِسي عن المُنْكَدِر بن محمد عن أبيه محمد ابن المُنْكَدِر قال: جاء الزُّبَير بن العوَّام إلى النبي ﷺ فقال: كيف أصبحت؟ جعلني الله فِداك! قال: «ما تركتَ أَعْرابيَّتك بعد».

قال عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز حين وجَّهه إلى مصر: «تفقَّدْ كاتبك وحاجبَك وجليسك، فإنَّ الغائب يخبِّره عنك كاتبُك، والمتوسِّمَ يعرِّفك بحاجبك، والداخلُ عليك يعرفك بجليسك».

ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال: كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحَمِيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب في المظَالم فيراجِعُه، فكتب إليه: «إنه لَيُخَيَّل إليَّ أني لو كتبتُ إليك أن تُعطي رجلاً شاةً لكتبتَ إلي: أضَأْنٌ أم ماعِز؟ ولو كتبْتُ إليك بأحدهما لكتبتَ: أَذَكَرٌ أم أنثى؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ: أصغير أم كبير؟ فإذا أتاك كتابي هذا فلا تُراجِعْني في مَظْلِمة».

وكتب أبو جعفر إلى سَلْم بن قُتَيبة يأمره بهدْم دُوْرِ مَنْ خرج مع إبراهيم

(١) ترجم له الزركلي في الأعلام (ج ٧ ص ٢٠٠) وذكر آسمه مُرامِر بن مُرَّة الطائي وقال: أحد من يقال إنهم وضعواالخط العربي أو نقلوه من طريقة إلى أخرى، في الجاهلية.

وعَقْر نخلهم. فكتب إليه: بأي ذلك نبدأ أبالنخل أم بالدُّور؟ فكتب إليه أبو جعفر: «أما بعد، فإني لو أمرْتُك بإفساد ثَمرهم لكتبتَ إليَّ تستأذنُ في أيِّه تبدأ أبالبرنيِّ أم بالشِّهْرِيْز[1]؟» وعزله، وولّى محمد بن سليمان. وكان يقول: «للكاتب على الملك ثلاثة، رَفْعُ الحِجَاب عنه، واتِّهام الوشاة عليه، وإفشاء السرّ إليه».

كانت العَجَم تقول: «من لم يكن عالماً بإجراء المِياه وبحفْر فُرَض الماء والمسارب ورَدْم المَهاوي ومَجاري الأيام في الزيادة والنقصان وآستهلال القمر وأفعاله ووزن الموازين وذَرْع المُثلَّث والمُربَّع والمُختلِف الزَّوايا ونَصْب القناطر والجُسور والدوالي والنواعير على المياه وحال أدوات الصُّنَّاع ودقائق الحساب كان ناقِصاً في حال كتابته».

قال مَيْمون بن ميمون: «إذا كانت لك إلى كاتب حاجةٌ فليكن رسولُك إليه الطمَع». وقال: «إذا آخيْتَ الوزير فلا تَخْشَ الأمير».

وفي كتاب للهند: «إذا كان الوزير يُساوي المَلِكَ في المال والهَيبة والطاعة من الناس فَلْيَصْرَعْه الملكُ، وإن لم يفعل فليعلمْ أنه هو المصروع».

المدائني قال: خلا زِياد يوماً في أمر ينظر فيه وعنده كاتب له يكتب وآبنه عُبيد الله، فنعس زياد فقال لعبيد الله: تعهَّدْ هذا لا يكتبْ شيئاً. ونام، فوجد عبيد الله مَسّاً[2] من البول فكَره أن يُوقظ أباه وكره أن يُخلِّي الكاتب فشدَّ إبهامَيْه بخيط وختَمَه وقام لحاجته.

---

(١) البَرْني أي التمر البَرْني، وهو من أجود التمور، معرَّب بَرينْك بالفارسية، ومعناه الحمل الجيّد. والتمر الشِّهْرِيْز كتمر سِهْرِيز بالسين المهملة، وهو نوع من التمر مشهود؛ يقال: تمر شهريز وسهريز على النعت.

(٢) المَسُّ من البول: أول ما ناله منه.

وقال أبو عبَّاد الكاتب: ما جلس أحد قطُّ بين يديَّ إلا تخيَّل إليَّ أني جالس بين يديه.

وقرأت في التاج أن أبْرَوِيز قال لكاتبه: «أكْتُمِ السرَّ وٱصدق الحديث وٱجتهد في النصيحة وٱحترس بالحذر، فإنَّ لك عليَّ أن لا أعجَل بك حتى أستَأنِي لك ولا أقبَل عليك قولاً حتى أستيْقن ولا أُطمع فيك أحداً فيغتالَك. وٱعلم أنك بمنجاة رفعة فلا تحطَّنَّها وفي ظل مملكة فلا تستزيلنَّه، وقارب الناسَ مجاملةً عن نفسك وباعِدِ الناسَ مُشايحَةً[1] من عدوّك وٱقصِدّ إلى الجميل ٱدِّرَاعاً لغدك وتحصَّنْ بالعفاف صوناً لمروءتك وتحسَّن عندي بما قدرت عليه من حسن ولا تُشْرِعَنَّ الألسنةَ فيك ولا تقبِّحَنَّ الأحدوثَة عنك وصُنْ نفسك صَوْن الدُّرّة الصافية وأخلِصْها إخلاص الفِضّة البيضاء وعاتِبْها معاتبة الحَذِرِ المُشفق وحصِّنْها تحصين المدينة المَنيعة. لا تدعَنَّ أن ترفع إليَّ الصغير، فإنه يدل على الكبير ولا تَكْتُمَنَّ الكبيرَ فإنه ليس شاغلي عن الصغير. هذِّب أمورك ثم ٱلقَني بها وٱحكم لسانك ثم راجعني به ولا تجترئنَّ عليَّ فأمتعِضَ ولا تنقبضْ مني فأتّهِمَ ولا تُمَرِّضَنَّ ما تلقاني به ولا تُخْدِجَنَّه. وإذا فكَّرْتَ فلا تعجَل وإذا كتبت فلا تُعْذِر، ولا تستعينَنَّ بالفضول فإنها علاوة على الكفاية ولا تُقَصرنَّ عن التحقيق فإنها هُجْنة بالمقالة ولا تَلْبِسنَّ كلاماً بكلام ولا تباعدَنَّ معنىً عن معنى. أكرِمْ كتابَك عن ثلاث: خضوعٍ يستخفّه، وٱنتشارٍ يُثَبِّجُه، ومعانٍ تقعد به، وٱجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول، وليكن بَسْطَةُ كتابك على السُّوْقة كبسطة ملك الملوك على الملوك، ولا يكن ما تملك عظيماً وما تقول صغيراً فإنما كلام الكاتب على مقدار الملك فٱجعله عالياً كعلوّه وفائقاً كفَوْقه. وٱعلم أن جُمَّاع الكلام كله خصال أربع: سؤالك

---

(١) مشايحة: محاذرة.

الشيء، وسؤالـك عن الشيء، وأمْرك بـالشيء، وخبرك عن الشيء فهـذه الخلال دعائم المقالات إنِ ٱلتُمس لها خـامس لم يُوْجَـدْ وإن نُقِص منها رابـع لم تتمَّ، فـإذا أمـرت فـٱحكم وإذا سـألْتَ فـٱوضـح وإذا طلبت فـٱسْجِـحْ وإذا أخبـرت فحقّق فإنـك إذا فعلْتَ ذلك أخـذْتَ بحَزَامِيـرِ[1] القول كله فلم يشتبـه عليك وارِدُه ولم يُعْجزك منـه صادرُه. أثبت في دواوينـك مـا أدخلت وٱحْص فيهـا ما أخـرجْتَ وتيقَّظْ لما تأخذ وتجرَّدْ لمـا تعطي ولا يغلبَنَّـكَ النِّسْيـان عن الإحصاء ولا الأناة عن التقدّم ولا تُخرجَنَّ وزن قِيْراط في غير حقّ ولا تعـظّمَنَّ إخراج الكثير في الحق، وليكن ذلك كله عن مؤامرتي».

قـال رجل لبنيـه: «يا بَنِيّ، تَـزَيَّوْا بـزي الكتـاب فـإن فيهم أدب الملوك وتواضع السُّوقة».

قـال الكسائي: «لقيت أعـرابياً فجعلت أسـأله عن الحـرف بعد الحـرف وعن الشيء بعد الشيء أقْرِنُـه بغيره فقـال: يا لله! مـا رأيت رجلاً أقـدر، على كلمة إلى جنب كلمة أشبه شيء بها وأبعد شيء منها، منك!».

وقـال ابن الأعرابي: «رآني أعـرابي وأنا أكتب الكلمـة بعـد الكلمـة من ألفـاظه فقال: إنك لَحَتْفُ الكلمة الشرود».

وقال رجل من أهل المدينة: «جلسْتُ إلى قوم ببغـداد فما رأيت أوزن من أحلامهم ولا أطْيَش من أقلامهم».

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له: «وصل إليَّ كتابك فمـا رأيْتُ كتابـاً أسهل فنوناً ولا أمْلَس مُتوناً ولا أكثر عيوناً ولا أحْسَن مقـاطعَ ومـطالع ولا أشـدَّ

---

(١) الحـزامير: ج حُـزْمُوْر، وهـو كالحُـذْفُوْر زِنـةً ومعنى. والحذفـور هو الجـانب وعبارة: أخَـذْتَـهُ بحزاميره أو بحذافيره تعني: أخذته بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه.

على كل مفصل حزّاً منه. أنجزْتَ فيه عِدَة الرأي وبشرى الفِراسة وعاد الظنُّ بك يقيناً والأمل فيك مبلوغاً».

ويقال: «عقول الرجال في أطراف أقلامها».

ويقال: «القلم أحد اللسانين وخفة العيال أحد اليسارين وتعجيل اليأس أحد الظَّفَرَيْن وإملاك العجين أحد الرَّيْعَيْن وحسن التقدير أحد الكاسبيْن واللّبَن أحد اللَّحْمَيْن». وقد يقال: المرق أحد اللحمين.

قيل لبعضهم: إن فلاناً لا يكتب، فقال: تلك الزَّمانة[١] الخفيّة. وقرأت في بعض كتب العجم أن مُوْبَذان مُوبَذ وصف الكُتّاب فقال: «كُتّاب الملوك عَيْبُتهم المصُونة عندهم وآذانهم الواعية وألسنتهم الشاهدة، لأنه ليس أحد أعظمَ سعادةً من وزراء الملوك إذا سَعِدَت الملوك، ولا أقرب هَلَكة من وزراء الملوك إذا هَلِكَتِ الملوك، فتُرفَع التهمةُ عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم، وتعظم الثقة بهم حين صار آجتهادهم للملوك آجتهادَهم لأنفسهم فلا يُتَّهَم روح على جسده ولا يتهم جسد على روحه لأن زوال أُلْفتهما زوال نعمتهما، وأنَّ آلتئام أُلفتهما صلاح خاصّتهما».

وقال: [بسيط]

لَئِنْ ذهبْتُ إلى الحَجّاج يَقْتُلُني ... إني لأحمقُ مَنْ تَخْدِي به العِيْرُ[٢]

مُسْتَحْقِباً[٣] صُحُفاً تُدمي طوابعُها ... وفي الصحائف حيّاتٌ مَناكيرُ

---

(١) الزَّمانة: العاهة.

(٢) أحْمقه: وجده أحمق. والعِيْرُ: الإبل أو كل ما آمتير عليه إبلاً كانت أو حميراً أو بغالاً، والجمع عِيَرات. وتخدي: تسرع؛ يقال: خدى الفرسُ والبعير يَخْدي خَدْياً: أسرع وزجّ بقوائمه. والمعنى: إن من تخدي به العيْرُ فهو بنظري أحمق.

(٣) مُسْتَحْقِباً: مُدَّخِراً.

وقال بعض الشعراء في القلم: [طويل]

عَجِبْتُ لذِي سِنَّيْن في الماءَ نَبْتُه ... لـه أثرٌ في كـل مِصْرٍ ومَعْمَـرِ

وقال بعض المحدثين في القلم: [متقارب]

ضئيـلُ الـرُّواء كبيـرُ الغَنـاءِ ... من البحر في المَنْصِبِ الأخضرِ [١]

كمثل أخي العُشْق في شخصهِ ... وفي لـونـه من بني الأصفـر [٢]

يَـمُـرُّ كهيئـة مَـرّ الشُّجـا ... ع في دِعْصٍ مَحْنِيَـةٍ أعفرِ [٣]

إذا رأسُـه صحّ لم ينبعـثْ ... وجـاز السبيـلَ ولم يَـبْصُـرِ

وإنْ مُـدْيَـةٌ صـدَعَت رأسَـهُ ... جرى جَرْيَ لا هـائبٍ مُقصِر [٤]

يُـقَـضّـي مـآربَـه مُـقْبـلاً ... ويَحْسِمُهـا هـيئـةَ المُـدْبِـرِ

تـجـود بـكـفّ فـتـىً كـفُّـه ... تسـوق الثَّـراءَ إلى المعْسِـر

وقال حبيب [٥] الطائي يصف القلم: [طويل]

لـك القلمُ الأعلى الذي بشَبَـاتِـه ... يُصابُ من الأمر الكُلَى المفاصلُ [٦]

---

(١) ضئيل الرُّوَاء: صغير الشكل، والرُّوَاء: حُسْن المنظر. وكبير الغَناء: كبير الفائـدة، والغُناء هـو ما يُغْتنى به.

(٢) بنو الأصفر هم ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن يعصو بن إسحاق، وقيل: سُمُّوا بذلك لأن جيشاً من الحبش غلب عليهم فوطىء نساءهم فَوُلِدَ لهم أولاد صفر.

(٣) الـدِّعْص: قطعـه من الرمـل مستديـرة أو الكثيب منه المجتمـع أو الصغير. والـدِّعْص الأعفر: الدعص الأبيض الذي لم يُوْطَأ.

(٤) المُدْية: الشفرة، والمقصود شفرة القوس. ومعنى البيت: إنه يجري مجـرى الشجاع الـذي لا يهاب الموت.

(٥) هو أبو تمام الشاعر المشهور.

(٦) شَبَاة القلم: حَدُّ طرفه، و الجمع شَبا وشَبَـوَات. والكُلَى: ج كُلْية. و المفـاصل: ج مَفْصِـل. ومعنى البيت: إن للقلم حدّاً يفعل فعل شباة السيف في إصابة كلى ومفاصل الأعداء.

لُعـابُ الأفاعي القـاتـلاتِ لُعـابُـه وأرْيُ الجَنى آشتارَتْه أيدٍ عواسـلُ (١)
لـه رِيْقـةٌ طَـلٌّ ولكـنَّ وَقْعـهـا بـآثاره في الشـرق والغرب وابـلُ
فصيحٌ إذا استنطَقْتَـهُ وهـو راكبٌ وأعجمُ إنْ خـاطبْتَـه وهـو راجلُ
إذا ما آمتطى الخَمْس اللِّطاف وأُفْرِغَتْ عليه شِعابُ الفِكْر وهي حوافلُ (٢)
تـراه جليـلاً شـأنـه وهـو مُـرْهَفٌ ضَنىً وسميْناً خَطْبُـه وهو نـاحـلُ

وقال محمد (٣) بن عبد الملك بن صالح الهاشمي يصف القلم:

[طويل]

وأسمرَ طاويَ الكَشْحِ أخرس نـاطقٍ لـه ذَمَـلانٌ في بـطون المَـهَـارِقِ (٤)
إذا آستَعْجَلَتْـهُ الكَفُّ أمـطر خـالُـه بـلا صـوتِ إرعـادٍ ولا ضـوءِ بـارق (٥)
كـأنّ الـلآلي والـزَبَـرْجَـد نَـطْـفُـه ونَـوْرُ الخُزامي في بـطون الحدائق (٦)

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً: [كامل]

وإذا تألَّق في النَّديِّ كلامُهُ آلـ ـمنظومُ خِلْتُ لسانَهُ من عَضْبِهِ (٧)
وإذا دَجَتْ أقـلامـه ثم آنْتَجَتْ بَرِقَتْ مصابيحُ الدُّجى في كُتْبه

---

(١) الأَرْي: العسـل. وأيْدٍ عـواسل: أيـدٍ تهتزُّ ليناً، ومفردهـا عاسـل وعاسلة. وآستشـار العسلَ: شاره، أي جناه واستخرجه من الوَقْبَة. والوقبة نقرة في الصخرة.

(٢) الخمسُ اللِّطاف: الأنامل الخمس.

(٣) هو شاعر مشهور، كان ينزل قنسرين من أرض الشام، وله مع المـأمون خبـر، و بقي إلى أيام المتـوكل وَجـرت بينه وبين أبي تمـام والبحتري مخـاطبات. معجم الشعـراء للمـرزبـاني ص ٤١٩، ٤٢٤. وقد وردت أبياتـه الثلاثـة في نفس المصدر ص ٤٢٤ وفي العقـد الفريـد (ج ٤ ص ١٩١).

(٤) الذَّمَلان: السَّيْر اللَّيِّن، يقال: ذَمَل البعير يَذْمُل: سـار سيراً ليناً. والمهارق: ج مُهْـرَق، وهو الصحيفة، فارسي مُعَرَّب.

(٥) الخال: سَحابٌ لا يخلف مطره، والمقصود هنا المَداد.

(٦) الخُزَامى: نبت زهره أطيب الأزهار نفحةً يُتَمَثَّل به في الطِّيْب.

(٧) العضب: السيف القاطع، والنديّ: النادي للمجلس المذكور.

باللفظ يقرُب فَهْمُهُ في بُعده منا ويبعدُ نيله في قربه
حَكمَ فَسَائِحُها خِلال بَنانه متدفِّقٌ وقَلِيْبُها في قلبه[١]
كالروض مُؤتلِفٌ بحمرة نَوْره وبياض زَهرته وخضرة عُشبه

وقال سعيد[٢] بن حميد يصف العود: [بسيط]

وناطقٍ بلسانٍ لا ضميرَ له كأنه فَخِذٌ نِيْطَتْ إلى قَدَمِ
يُبدي ضميرَ سِواهُ في الكلام كما يُبدي ضميرَ سواه مَنْطِقُ القلم

بعث الطائي إلى الحسن بن وهْب بدواةِ أَبنُوسْ[٣] وكتب إليه [خفيف]

قد بعثنا إليكَ أُمَّ المنايا والعطايا زِنَجْيَّةَ الأحسابِ
في حَشاها من غير حَرْب حِرابٌ هي أمضى مِنْ مُرْهَفات الحِراب

وقال آبن أبي كريمة[٤] يصف الدواة والقلم: [طويل]

ومُسْوَدَّةِ الأرجاء قد خُضْتُ ماءها ورَوَّيْتُ من قَعْرٍ لها غيرَ مُنبَطَ[٥]
خميصَ[٦] الحشا يُرْوَى على كل مَشْربٍ أميناً على سِرّ الأمير المُسَلَّطِ

وقال بعض أهل الأدب: إنما قيل: ديوان لموضع الكَتَبَةَ والحُسّاب لأنه

---

(١) هاء الضمير في «فسائحها» تعود على الأقلام. والقليب: البئر، والمقصود قعر الدواة.
(٢) هو شاعر رقيق نحى في شعره منحى آبن أبي ربيعة. قلّده المستعين العباسي ديوان رسائله. توفي سنة ٢٥٠ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٩٣ ـ ٩٤.
(٣) الأَبْنُوْس، بفتح الهمزة وضمّها، شجر يعظم كالجوز، له تمرٌ كالعنب. وخشبه شديد الصلابة أسود.
(٤) هو مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء، البصري، فقيه من علماء الإباضّية، توفي سنة ١٤٥ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٥) غيرُ منْبَط: أي قلم خالٍ من الحبر؛ يقال: نَبَط فلانٌ البئرَ يَنْبُطُها: إستخرج ماءها.
(٦) خميص الحشا: ضامر البطن، وهنا يصف القلم، وقد جاءت كلمة «خميص» مفعولاً به لفعل «رَوَّيْتُ».

يقال: للكتاب بالفارسية«ديوان»أي شياطين، لِحِذْقهم بالأمور ولطفهم فسمِّي موضعهم بأسمهم.

وقال آخر: إنما قيل لمدير الأمور عن الملك «وزير» من الوِزْر وهو الحمل يراد أنه يحمل عنه من الأمور مثل الأوزار وهي الأحمال، قال الله عز وجل: ﴿وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ﴾[1] أي أحمالاً من حليهم، ولهذا قيل للإثم: وِزْرٌ، شُبِّه بالحمل على الظهر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[2].

وكان الناس يستحسنون لأبي نواس قوله: [طويل]

يا كاتباً، كَتَبَ الغداة يَسُبُّني ... مَنْ ذا يُطِيْقُ براعة الكتَّاب؟

لم تَرْضَ بالإعجام حين سَبَبْتَني ... حتى شكَلْتَ عليه بالإعراب

وأردْتَ إفهامي فقد أفْهَمْتَني ... وصَدَقْتَ فيما قُلْتَ غيرَ مُحابِي[3]

وقال آخر: [سريع]

يا كاتباً تنثُرُ أقلامُهُ ... مِنْ كفِّه دُرّاً على الأسطرِ

وقال عَدِيّ[4] بن الرِّقاع: [كامل]

صلى الإله على آمرىءٍ ودَّعْتُهُ ... وأتمَّ نِعْمَتَهُ عليه وزادها

---

(١) سورة طه ٢٠، آية ٨٧. والمراد بالأوزار: الأثقال، وزينة القوم: حلي النساء الفرعونيات التي آستعاروها للعرس أو للعيد، وحملوها معهم.

(٢) سورة الإنشراح ٩٤، الآيتان ٢ و٣. الحمل الثقيل. وأنقض: أثقل. والمراد بالحمل هنا هم النبي وغمّه مما كان عليه قومه، فأزاح سبحانه هذا الغم والهم عن نبيّه بالقرآن. المصدر السابق.

(٣) المُحابِي: من حاباه؛ يقال: حاباه محاباة: نصره ومال إليه. وأصل الكلام: غير مُحابٍ؛ لأنها آسم منقوص منوَّن في حالة الجر. والمنقوص المنون إذا لم يعرَّف بآل التعريف حذفت ياؤه في الجر والرفع وبقيت في حالة النصب.

(٤) عدِيُّ بن الرِّقاع شاعر كبير، من أهل دمشق عاصر جرير وهاجاه. مدح بني أمية ولا سيما=

ومنه أخذ الكتّاب: وأتمَّ نعمته عليك وزاد فيها عندك.

وقال حاتم طيء في معنى قولهم: مُتُّ قبلك: [طويل]

إذا ما أتى يومٌ يفرِّق بيننا يموتٍ فكنْ أنت الذي تتأخَّرُ

وقال جرير في معناه: [بسيط]

رُدّي فؤادي وكوني لي بمنزلتي يا قبلَ نفسِكِ لاقى نفسيَ التلَفُ

كتب بعض الملوك إلى بعض الكُتّاب كتاباً دعا له فيه «بأَمْتَعَ اللهُ بك»، فكتب إليه ذلك الكاتب[1]: [منسرح]

أَحُلْتَ عما عَهِدتُ من أدبِكْ أم نِلْتَ مُلْكاً فَتِهْتَ في كُتُبِكْ؟

أم هل ترى أنَّ في التواضع لـ ـلإخوانِ نَقْصاً عليك في حَسَبِكْ؟

أم كان ما كان منكَ عن غضبٍ فأيُّ شيءٍ أدْناك من غضبك؟

إنَّ جَفاءَ كتابِ ذي مِقَةٍ[2] يُكْتَبُ في صدره: وأَمْتَعَ بِكْ

= الوليد بن عبد الملك. مات بدمشق نحو ٩٠ هـ. وبيته المذكور من قصيدة قالها أمام عبد الملك وبحضور جرير. المؤتلف والمختلف ص ١١٦ ومعجم الشعراء ص ٢٥٣ والأعلام ج ٤ ص ٢٢١. وورد منها ثلاثة أبيات في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٥٠٤) نذكر منها هذا البيت:

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينها حتى أُقوِّمَ ميلها وسنادها

(١) هو عبد الله بن ظاهر بن زريق الخزاعي، أمير خُراسان في عهد المأمون العباسي، وظهرت كفاءته فكانت له طبر ستان وكرمان والري والسواد وخراسان واستمّر إلى أن توفي بنيسابور سنة ٢٣٠ هـ. وللشعراء فيه مراثٍ كثيرة. الأعلام ج ٤ ص ٩٢ - ٩٤. ولقد كتب عبد الله هذه الأبيات إلى محمد بن عبد الملك الزيات، وزير المعتصم وابنه الواثق وأحد بلغاء الكتاب والشعراء. الأعلام ج ٦ ص ٢٤٨. وفي العقد (ج ٤ ص ١٨٢) شرح أحمد الزين وأحمد أمين وإبراهيم الأبياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ذكر ابن عبد ربه هذه الأبيات مع اختلاف يسير في بعض الكلمات عمّا هنا، حاذفاً البيت الثالث ومضيفاً بيتاً بعد الرابع. كما ذكر في نفس المصدر والصفحة أربعة أبيات كتبها الزيات ردّاً على شعر ابن طاهر على نفس الوزن والقافية.

(٢) المِقَةُ: المحبة؛ يقال: وَمَقهُ يَمِقُهُ وَمْقاً ومِقَةً: أَحبَّه.

وقال الأصمعي[١] في البرامكة: [متقارب]

إذا ذُكِر الشِّرْكُ في مجلِس أنـارتْ وجـوه بني بَـرْمَـكِ
وإن تُـلِيَتْ عـنــدهُمْ آيــةٌ أتَـوْابالأحـاديث عن مَزْدَكِ[٢]

وقال آخر: [مجتث مجزوء]

إن الفَــراغ دعــاني إلى آبتناء المساجدْ[٣]
وإنَّ رأيِــيَ فـيــهــا كرأْيِ يحيى بن خالدْ

مرّ عبد الله بن المقفَّع ببيت النار، فقال: [كامل]

---

(١) هو عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع الباهلي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. والأصمعي نسبة إلى جده أصمع. وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر. قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي. توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٦٢.

(٢) ظهر مَزْدك بعد ماني بنحو ثلاثة قرون، وذلك في زمن الملك الساساني (ملك إيران) قباذ بن فيروز بن يَزْدَجَرْد (٤٨٨ - ٥٣١ م) وقد استطاع مزدك أن يحدث ثورة إجتماعية تسعى إلى إقرار السلام في الدنيا. اعتنق قباذ هذه المبادىء وأيَّدها؛ قيل إنه أراد بأعتناقها التخلص من سلطة النبلاء ورجال الدين. ولكنه هذه الحركة التي أعتنقها غوغاء الناس وعامّتهم أدَّت إلى أنتشار الفوضى في البلاد، وآنتهت الإضطراباتْ بخلع الملك المذكور. ولكنه هذا الملك استطاع استعادة ملكه، وحين عاد إلى عرش إيران، أصبح له موقف من المزدكية غير موقفه السابق، بحيث دعا مزدك وأتباعه إلى الإجتماع بالقصر فذبح مزدكَ وأتباعه وذلك في عام ٥٢٨ م. وعلى الرغم من ذلك عادت المزدكية حركة سرية وعادت إلى الحياة في صور مختلفة خلال العصر العباسي. ولقد انتهت ثورة مزدك بانتظار الزردشتية وعودة إيران إلى دينها القديم في ظل ملك قوي عادل هو كسرى أنو شروان. أنظر في ذلك «في أدب الفرس وحضارتهم ص ٢٢٧ - ٢٢٩»، تأليف الدكتور محمد عبد السلام كفافي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠.

يـا بيتَ عاتكـةَ الـذي أتعـزَّلُ حذَرَ العِدا وبـه الفؤادُ مَوكَّـلُ [1]

وقال دِعْبِل [2] في أبي عبَّاد: [كامل]

أَوْلَى الأمورِ بضَيعةٍ وفسـادِ أمْـرٌ يُـدَبِّـره أبو عـبّـادِ
حَنِقٌ على جلسـائه بـدواته فمُـرَمَّلٌ ومُضَمَّـخٌ بمِـدْادِ [3]
وكأنه من دَيرِ هِرْقِـلَ مُفْلِتٌ حَـرِدٌ يَجُرُّ سـلاسلَ الأقيـادِ

خيانات العمال

حدَّثنا إسحاق بن راهَوَيه قال: ذُكِر لنا أن امرأة من قريش كان بينها وبين رجل خصومة فأراد أن يخاصمها إلى عمر فأهدت المرأة إلى عمر فخذ جَـزور ثم خاصمته إليه فوجّه القضاء عليهـا، فقال: يـا أمير المؤمنين، إفصِـل القضاء بيننا كما يُفْصل فخذ الجزور [4]. فقضى عليها عمر وقال: إيـاكم والهدايـا. وذكر القصة.

قـال إسحاق: كـان الحجاج آستعمـل المغيـرة بن عبـد الله الثقفي على الكوفة فكان يقضي بين الناس، فأهدى إليه رجلٌ سِراجاً من شَبَـهٍ [5] وبلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغلة. فلما آجتمعا عند المغيرة جعـل يحمل على صـاحب

(١) أتعزَّلُ: أتنحَّى، والإسم العزلة. والبيت لعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عـاصم الأنصاري، الشاعر الهجّاء الملقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه. توفي بدمشق سنة ١٠٥ هـ.

(٢) هـو دِعْبل بن علي بن رزين الخُـزاعي، الشاعـر الهجّاء. هجـا الرشيـد والمـأمـون والمعتصم والواثق. توفي سنة ٢٤٦ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٣٣٩.

(٣) مُرَمَّلٌ ومُضَمَّخ: مُلَوَّث ومُلَطَّخ. والمِداد: الحبر.

(٤) الجَزُور: ما يُذْبح من الشّاء، واحدتها جَزْرَة.

(٥) الشبهُ: النحاس الأصفر.

السراج وجعل صاحب السراج يقول: إنَّ أمري أضوأ من السراج. فلما أكثر عليه قال: ويحك إن البغلة رَمَحَتْ[1] السراج فكسرته.

حدّثنا إسحاق قال: حدّثنا رَوْح بن عُبادة قال: حدّثنا حمّاد بن سَلَمة عن الجُرَيْري عن أبي بَصْرة عن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر فأعجبته هيئته ونحوه، فشكا عمر طعاماً غليظاً يأكله. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بمطْعم طيّب ومَلبَس ليّن ومركَب وَطيء لأنت. فضرب رأسه بجريدة وقال: والله ما أردتَ بهذا إلا مقاربتي، وإن كنتُ لأحسب أن فيك خيراً. ألا أخبرك بمثَلي ومثَل هؤلاء؟ إنما مَثَلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم وقالوا أنفقها علينا. فهل له أن يستأثر عليهم بشيء؟ قال الربيع: لا.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن آبن أبي نَجِيْح قال: لما أُتي عمر بتاج كسرى وسِوَارْيه جعل يقلّبه بعود في يده ويقول: والله إن الذي أدَّى إلينا هذا لأمين، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله يؤدّون إليك ما أدّيت إلى الله فإذا رتَعْتَ رتَعوا. قال: صدقت.

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعي قال: لما أُتي علي عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزّان والنقّاد فكوَّم كُوْمةً من ذهب وكومة من فضة وقال:

يا حمراء ويا بيضاء إحمرّيْ وآبيضّي وغُرِّي غيري. وأنشد: [سريع]

هذا جَنَايَ وخَيارُه فيْهْ ... إذ كلَّ جانٍ يَدُهُ إلى فِيْهْ

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن

(١) رَمَحتِ السراجَ: رَفَسَتْه.

إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً يشترط عليه أربعاً: ألّا يركب البراذين[١]، ولا يلبس الرقيق، ولا يأكل[٢] النَّقِيء، ولا يتخذ بوّاباً. ومر ببناء يبني بحجارة وجَصٍّ فقال: لمن هذا؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال: «أبَتِ الدراهُم إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها» وشاطره ماله. وكان يقول: «لي على كل خائن أمينان: الماء والطين».

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدّثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال: جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه: أن دَعْ لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفَضْل.

حدّثنا محمد بن عبيد عن هَوْذة عن عوف عن آبن سيرين وإسحاق عن النضر بن شُميل عن آبن عون عن آبن سيرين بمعناه قال: لما قدم أبو هُرَيْرَة[٣] من البحرين قال له عمر: يا عدوّ الله وعدوّ كِتابِهِ، أَسَرَقْتَ مال الله؟ قال أبو هريرة: لست بعدوّ الله ولا عدوّ كِتابِهِ ولكني عدوُّ مَنْ عاداهما ولم أسرق مال الله. قال: فمن أين آجتمعتْ لك عشرة آلاف درهم؟ قال: خيلي تناسلتْ وعطائي تَلاحَقَ وسهامي تتابَعَتْ فقبضتها منه. قال أبو هريرة: فلما صَلَّيْتُ الصبحَ آستغفرْتُ لأمير المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك: ألا تعمل؟ فقلت: لا. قال: قد عمل من هو خير منك، يوسفُ. فقلت: يوسف نبيٌّ آبنِ نبيٍّ وأنا

---

(١) البراذين: بِرْذَوْن بكسر الباء وضمها، وهي الدابة أو الفرس غير الأصيل، وقيل التركي من الخيل، وخلافها العِراب، والأنثى بِرْذَوْنة.

(٢) النَّقِيُّ: مُخّ العظم، والجمع أنقاء.

(٣) هو عبد الرحمن بن صَخْر الدوسي، وأبو هريرة لقب له. هو أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً في الجاهلية. قدم المدينة فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي ﷺ، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً. توفي بالمدينة سنة ٥٩ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٣٠٨.

آبن أُمَيْمـة(١) أخشى ثلاثـاً وآثنتين. قال: فهـلا قلْتَ خمسـاً؟ قلت: أخشى أن أقـول بغير علم، وأحكم بغيـر حلم، وأخشى أن يُضـرب ظهـري، ويشتم عرضي، وينزع مالي.

حـدّثنا محمـد بن داود عن نصر بن قُـديد عن إبـراهيم بن المبـارك عن مالك بن دينـار أنه دخـل على بلال بن أبي بُـرْدة وهو أميـر البصرة فقـال: أيها الأمير، إني قرأت في بعض الكتب: «مَنْ أحمقُ من السلطان ومَنْ أجهل ممن عصـاني ومن أعزّ ممن أعـزّني. أيا راعي السـوء، دفعتُ إليـك غنمـاً سِمـانـاً سِحاحاً(٢) فأكلتَ اللحم وشربت اللبن وآئتـدمت(٣) بالسَّمْن ولبسْتَ الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع(٤)».

حـدّثني محمد بن شَبَـابة عن القـاسم بن الحكم العُرَني القـاضيّ قال: حدّثني اسماعيل بن عيّاش عن أبي محمد القرشي عن رَجَاء بن حَيْوة عن آبن مَخْرمة قال: إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية حين قـام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، اقْرئوا القرآن تُعْرَفـوا به وآعملوا به تكونوا من أهله. إنه لن يبلغ ذو حق في حقـه أن يُطاعَ في معصيـة الله. ألا إنه لن يبعِّد من رزق الله ولن يقرِّب من أجلٍ أن يقول المرء حقـاً وأن يذكّر بعظيم. ألا وإني ما وجدْتُ صلاح ما ولّاني الله إلا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوة، والحكم بما أنـزل الله. ألا وإني ما وجـدت صلاح هـذا المال

---

(١) أغلب الظن أنها أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، من قريش، شاعرة جاهلية آشتهرت في أيام «حرب الفجار» بين قريش وقيس عيـلان. ولأميمة شعـر في بعض وقائعهـا. الأعلام ج ٢ ص ١٤.

(٢) عنمٌ سِحاحٌ: في غاية السِّمْن. ومفردها ساحٌ وساحَة.

(٣) ائتدم بالسَّمْن: أكل الخبز بالسَّمْن.

(٤) تتقعقع: تضطرب وتتحرك.

إلا بثلاث: أن يؤخذ من حق، ويُعْطى في حق، ويُمْنَعَ من باطل. ألا وإنما أنا في مـالكم هـذا كـوالي اليتيم إن آستغنيْتُ آسْتَعْفَفْت وإنِ آفتقـرْتُ أكلْت بالمعروف، تقرُّمَ البَهْمةِ»[1].

بلغني عن محمد بن صالح عن بكر بن خُنَيس عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: «كان زياد إذا ولَّى رجلاً قال له: خذ عهدَك وسِرْ إلى عملك وآعلم أنك مصروفُ رأسَ سنتك وأنك تصير إلى أربع خلال فآختر لنفسك: إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً آستبدلنا بك لضعفك وسلَّمْتُك من معرّتنا[2] أمانتك، وإن وجدْناك خائناً قوياً آستهنّا بقوّتك وأَحْسَنَّا على خيانتك أدبك فأوجعْنا ظهرك وأثقلْنا غرمك، وإن جمعْتَ علينا الجُرْمَيْن جمعنا عليك المضرَّتَيْن[3]، وإن وجدناك أميناً قوياً زدْناك في عملك ورفعنا لك ذكرك وكثّرنا مالك وأوطأنا عقبك».

قال العتبي: بُعث إلى عمر بِحُلَلٍ فقسَّمها فأصاب كلَّ رجل ثوب فصعد المنبَر وعليه حُلَّة، والحلة ثوبان، فقال: أيها الناس ألا تسمعون؟ فقال سليمان: لا نسمع. قال: ولم يا أبا عبد الله؟ قال: لأنك قسَّمْت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة. قال: لا تعجل يا أبا عبد الله. ثم نادى: يا عبد الله، فلم يجبْهُ أحد، فقال: يا عبد الله بن عمر. قال: لَبَّيْك يا أمير المؤمنين. قال: نشدتك بالله. الثوب الذي آتزرْتُ به هو ثوبك؟ قال: اللهم نعم. فقال سليمان رضي الله عنه: أمّا الآن فقل نسمعْ.

---

(١) تَقَرُّمَ البهمة: أي كما تتناول البهمةُ الحشيشَ في أول أكله، والبهمة أولاد والمَعَز والبقر، والجمع بَهْمٌ وبِهام، وجمع الجمع بهامات.

(٢) المَعَرَّة: الخيانة والأذى.

(٣) المَضَرَّة: خلاف النعمة. والجُرْمُ: الذنب. والمعنى: إنْ عاملتنا بالسُّوْء عاملناك بالأسوأ.

بلغني عن حفص بن عِمران الرازي عن الحسن بن عُمارة عن المِنْهال ابن عمرو قال: قال معاوية لشداد بن عمرو بن أوس: قُمْ فآذكر عليّاً فتنقَّصْهُ فقام شدّاد فقال: «الحمد لله الذي آفترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضا غيره. على ذلك مضى أوّلهم وعليه يمضي آخرهم. أيها الناس، إن الآخرة وَعْدٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، وإن الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر، وإن السامع المطيع لا حِجَّة عليه وإن السامع العاصي لا حجة له. وإن الله، جل وعزَّ، إذا أراد بالناس صلاحاً عمَّل عليهم صُلَحاءهم[1] وقضّى بينهم فقهاءهم وجعل المال في سُمحائهم، وإذا أراد بالعباد شراً عمّل عليهم سفهاءهم وقضّى بينهم جهلاءهم وجعل المال عند بخلائهم. وإن من صلاح الولاة أنْ يَصْلُحَ قُرَناؤها[2]. نَصَحَكَ، يا معاوية، مَنْ أسْخطك بالحق وغَشَّك مَنْ أرضاك بالباطل» فقال له معاوية: إجلس. وأمرَ له بمال، وقال: ألستُ من السُّمَحاء؟ فقال: إن كان مالك دون مال المسلمين تعمَّدْتَ جمعه مخافة تبعته فأصبْته حلالاً وأنْفَقْتَه إفضالاً، فنعم. وإن كان مما شاركك فيه المسلمون فآحتجنْتَه[3] دونهم، أصبْتَه آقترافاً وأنْفقته إسرافاً، فإن الله، عز وجل، يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[4].

مرَّ عمرو بن عُبيد بجماعة عُكُوْفٍ[5]، فقال: ما هذا؟ قالوا: سارق

(١) الصُّلَحاءُ: جمع صليح، وهو الصالح.
(٢) القُرَناءُ: جمع قرين، وهو المصاحب.
(٣) احتجن المالَ: ضمَّه إلى نفسه وآحتواه.
(٤) سورة الإسرء ١٧، آية ٢٧. والمعنى: إن المبذرين كانوا وما زالوا إخوان كل من تجاوز الحد المشروع والمعقول في النفقة أو في غيرها، وبمعنى آخر، هم من حزب الشيطان.
(٥) عُكُوْف: ج عاكف؛ يقال: عَكَف القومُ حوله: استداروا، وعكفوا في المسجد: اعتكفوا.

يقطع. فقال: لا إله إلا الله، سارق السر يقطعه سارق العلانية!.

ومر طارقٌ صاحب شُرْطة خالد القسري بآبن شُبْرُمَة، وطارق في موكبه فقال ابنُ شُبْرُمَة[١]:

[طويل]

أراها وإن كانت تُحَبُّ كأنّها سحابةُ صَيْفٍ عن قريب تَقَشَّعُ[٢]

اللَّهم[٣]، لي ديني ولهم دنياهم. فآستُعمل آبن شبرمة بعد ذلك على القضاء، فقال له آبنه: أتذكر يومَ مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت؟ فقال: يا بُنيّ، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلَهم أبوك. إنَّ أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم.

وليَ عبدُ الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة سنتين فأحسن السيرة وعفّ عن أموال الناس ثم عُزِل فآجتمعوا إليه فأنشد لدَرَّاج الضِّبَابي[٤]:

[طويل]

فلا السجن أبكاني ولا القيد شفّني ولا أنني من خِشْية الموت أجْزَعُ

---

(١) هو عبد الله بن شُبْرُمَة، قاضي البصرة، وكان طارق بن أبي زياد آنذاك صاحب شرطة الكوفة من قبل خالد بن عبد الله القسري. يذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ١ ص ٨١ وج ٢ ص ٣٦٥) أن ابن شبرمة ولي قضاء البصرة وهو كاره وعزل عن القضاء وهو كاره. كذلك ورد هذا الخبر مع بيت ابن شبرمة في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٤٥٩).

(٢) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ١ ص ٨١ وج ٣ ص ١٧٦).

(٣) يقتضي السياق أن نضع عبارة: «ثم قال» قيل: «اللهمَّ لي...» أنظر العقد الفريد (ج ١ ص ٨١ وج ٣ ص ١٧٦).

(٤) هو درّاج بن زرعة بن قطن الضبابي، شاعر من فرسان العصر الإسلامي الأول. سجن في الشام ثم أمر عبد الملك بن مروان بقتله فمات سنة ٧٥ هـ. له شعر في السجن وقبله. الأعلام ج ٢ ص ٣٣٧.

ولكنَّ أقـواماً أخـافُ عليهُمُ إذا مُتُّ أن يُعْطوا آلذي كنْتُ أمنع[١]

ثم قـال: والله ما أسفت على هـذه الـولايـة ولكني أخشى أن يليَ هـذه الوجوه من لا يرعى لها حقها.

ووجـدْتُ في كتاب لعلي بن أبي طـالب كـرَّم الله وجهـه إلى آبن عبـاس حين أخذ من مال البصرة ما أخذ: «إني أشركْتُكَ في أمانتي ولم يكن رجلٌ من أهلي أوثقَ منك في نفسي، فلما رأيْتَ الـزمـانَ على آبن عمـك قـد كلب، والعـدوُّ قـد حَرِب[٢] قلبْتَ لابن عمـك ظهـرَ المِجَنِّ[٣] بفـراقـه مـع المفـارقين وخـذْلانه مـع الخاذلين واختـطفت ما قَـدَرْتَ عليه من أمـوال الأمّة اختـطاف الـذئب الأَزَلِّ[٤] داميةَ المِعْـزى» وفي الكتاب: «ضَـحِّ[٥] رويداً فكـأنْ قد بلغْتَ المدى وعُرِضَتْ عليك أعمالك بالمحل الذي به ينادِي المغترّ بالحسرة ويتمنَّى المضيعُ التوبةَ والظالمُ الرجعةَ».

وفي كتـاب لعمر بن عبـد العزيـز إلى عَدِيٍّ[٦] بن أَرْطـاة: «غـرّني منـك

---

(١) أورد آبن عبد ربه هذين البيتين في كتابـه العقد الفـريد (ج ٢ ص ٣٦٥) وقـال: لما عُـزل ابن شبرمة عن قضاء البصرة تمثل بهذين البيتين. ويكون ابن عبد ربه قد خـالف بذلـك ما جـاء به ابن قتيبة.

(٢) كَلِب الزمان والدهرُ على الناس: ألحَّ عليهم وآشتدَّ. وحَرِبَ العـدوُّ: كَلِبَ واشتدَّ غضبـه ودعا بالويل والحَرَب فقال: واحَرَباه! وهي كلمة يُنْدب بها الميت.

(٣) قلب له ظهرَ المِجَنِّ: تغيَّر عليه وساء رأيه فيه. وهو مثـل يضرب لمن كـان لصاحبـه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد.

(٤) الأَزَلُّ: الأرسح، وهو من صفات الذئب الحفيف؛ وقيل: هو من قـولهم: زَلَّ زليلاً إذا عـدا، وخصَّ الدامية، وهي التي يسيل دمها؛ لأن من طبـع الذئب محبـة الدم حتى أنـه إذا رأى ذئباً دامياً وثب عليه ليأكله.

(٥) ضَحِّ: من ضَحَّ الغنم يضحِّيها إذا رعاها في الضحى. والمعنى: إرْعَ نفسك على مهـل فإنمـا أنت على شرف الموت.

(٦) تقدمت ترجمتـه.

مجالستُك القرّاءَ وعمامتُك السوداء فلما بلَوْناك وجدناك على خلاف ما أمّلناك، قاتلكم الله! أما تمشون بين القبور؟».

قال ابن أحمر[١] يذكر عمّال الصَّدَقة: [بسيط]

إنّ العِيابَ التي يُخْفُونْ مُشْرَجَةٌ ... فيها البيان ويُلوَى عندك الخبرُ
فابعثْ إليهمْ فحاسِبْهُم محاسبةً ... لا تَخْفَ عينٌ على عينٍ ولا أثرُ
هل في الثماني من السبعين مَظْلمةٌ ... وربُّها بكتاب الله مُصْطَبِرُ

وقال عبد الله بن همّام السَّلُولي[٢]: [طويل]

أقلّي عليَّ اللومَ يا أم مالكٍ ... وذُمّي زماناً سادَ فيه الفَلاَقِسُ[٣]
وساعٍ مع السلطان ليس بناصح ... ومُحْتَرِسٍ من مِثْله وهو حارس[٤]

قدم بعض عمال السلطان من عملٍ فدعا قوماً فأطعمهم وجعل يحدّثهم بالكذب، فقال بعضهم: نحن كما قال الله عز وجل: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[٥]. قال بعض الشعراء: [بسيط]

ما ظنُّكم بأناسٍ خيرُ كَسْبهُم ... مُصَرَّحُ السُّحْتِ سَمَّوْه الإصاباتِ

وقال أبو نواس في إسماعيل[٦] بن صَبيْح: [طويل]

---

(١) أغلب الظن أنه هنيء بن أحمر، من بني الحارث، من كِنانة، شاعر جاهلي. الأعلام ج ٨ ص ١٠٠.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الفلاقِسُ: ج فَلْقَس، وهو البخيل اللئيم.

(٤) عجز هذا البيت مثل يضرب للرجل الذي يُؤْتمن على حفظ شيء لا يؤمن أن يخون فيه. لسان العرب، مادة (حرس).

(٥) سورة المائدة ٥، آية ٤٢. والسُّحْت: المال الحرام بشتى أنواعه، أو ما خبث وقبح من المكاسب؛ وقيل: مبالغة في صفة الحرام فيقال: هو حرام سُحْت.

(٦) هو كاتب مشهور، وقد ورد ذكره في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ و٤٤٩) إسماعيل بن صُبَيْح بضم الصاد وفتح الباء.

بَنَيْتَ بما خُنْتَ الإمامَ سِقَايةً فلا شربوا إلّا أَمَرَّ من الصَّبْرِ[١]
فما كنتَ إلّا مثلَ بائعةِ آستِها تعودُ على المَرْضَى به طَلَبَ الأجْرِ[٢]

يريد معنى الحديث أن آمرأة كانت في بني إسرائيل تزني بحب الرمّان وتتصدّق به على المرضى.

وقال فيه[٣] أيضاً لمحمد الأمين: [طويل]

ألَسْتَ أمينَ الله سَيْفُكَ نَقْمَةٌ إذا ماق يوماً في خلافك مائقُ[٤]؟
فكيف بإسماعيل يُسْلِمُ مِثْلُه عليكَ ولم يُسْلِم عليكَ مُنافقُ؟
أُعِيْذُكَ بالرحمن من شرِّ كاتبٍ لـه قلمٌ زانٍ وآخَرُ سارقُ

وقال فيه أيضاً: [طويل]

ألا قلْ لإسماعيل إنّك شاربٌ بكأس بني ما هانَ ضَرْبَةَ لازمِ[٥]
أتُسْمِنُ أولادَ الطَّرِيْدِ[٦] ورَهطَه بإهزال آل الله من نسل هاشِمِ؟
وتُخْبِرُ مَنْ لاقَيْتَ أنّك صائمٌ وتغدو بفرْجٍ مُفْطِرٍ غير صائمِ؟
فإن يَسْرِ إسماعيلُ في فَجَراته فليس أميرُ المؤمنين بنائمِ

(١) السِّقاية: ما يُبْنى للماء وموضع السَّقْي. والصَّبْر: أصل القول: الصَّبِر بكسر الباء، وقد سكِّنت الباء للضرورة الشعرية. والصَّبِرُ نبات من فصيلة الزنبقيّات تستخرج منه عُصارة مرّة تستعمل في الطب للإسهال.
(٢) الإسْت: دُبُر المرأة.
(٣) فيه: أي في إسماعيل بن صبيح.
(٤) ماق الرجل يَمُوْق: حَمُقَ، والمائق: الأحمق.
(٥) ضربة لازمٍ: ضربة لازب.
(٦) الطريد: المطرود والهارب.

وَلِيَ حارثةُ[١] بن بدر «سُرَّقَ» فكتب إليه أَنَس الدُّؤلي[٢]: [طويل]

أحارِ[٣] بنَ بدْرٍ قد وَلِيْتَ ولايةً ... فكُنْ جُرَذاً فيها تَخُوْنُ وتَسْرِقُ
وبارِ تميماً إنّ للغنى ... لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ[٤]
فإنَّ جميع الناس إمّا مُكَذِّبٌ ... يقول بما يَهْوَى وإمّا مُصَدِّق
يقولون أقوالاً ولا يَعْلَمُوْنها ... وإنْ قيل: هاتوا حقِّقوا، لم يحقّقوا
ولا تَحْقِرَنْ، يا حارِ، شيئاً أصبْتَهُ ... فحظُّك من مُلْك العِراقَيْن سُرَّقُ

فلما بَلَغَتْ حارثةَ قال: لا يَعْمَى عليك الرشد.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن جُوَيرية بن أسماء قال: قال فلان: «إن الرجل ليكون أميناً فإذا رأى الضِّياع خان».

قرأت في كتاب أبرويز إلى آبنه شيرويه: «اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها، فإذا لم يُطْمَعْ منك في الصغير لم يُجترأْ عليك في الكبير. وأَبْرِد البريد في الدرهم ينقُص من الخراج، ولا تُعاقِبَنَّ على شيءٍ كعقوبتك على كسرة ولا ترزقَنَّ على شيء كرزقك على إزجائه[٥]، وآجعلْ أعظم رزقك فيه وأحسن ثوابك عليه حَقْنَ دمِ المزجِي

(١) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغُداني من أهل البصرة، له أخبار في الفتوح. أُمِّر على قتال الخوارج في العراق فهزموه. الأعلام ج ص ١٥٨. وقال ابن منظور في لسان العرب، مادة (سرق) أن عبد الله بن زياد ولّى حارثة سُرَّق، وأضاف قائلاً: سُرَّقُ: إحدى كُوَر الأهواز وهنّ سبعٌ. وقال ابن برّي: سُرَّق اسم موضع في العراق.

(٢) هو أنس بن أبي أُناس بن زُنَيْم، شاعر ابن شاعر. ولقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ١٨٤ ـ ١٨٥ الشطر الأول من البيت المذكور وقال: «إمارة» بدل «ولاية». كذلك وردت هذه الأبيات في لسان العرب مادة (سرق).

(٣) أحارِ: منادى مرخّم، والأصل: «أحارِثَةُ».

(٤) الهيوبة: الرجل الذي يخاف الناس.

(٥) إزجاؤه: من أَزْجَى، يقال: أَزْجاه إزْجاءً: زجاه وآستحثّه ودفعه برفق.

وتـوفيرَ مـالـه من غيـر أن يَعْلَمَ أنـك أحْمَـدْتَ أمـره حين عفّ وٱعتصم من أن يهلك».

وقرأت في التاج أن أبـروَيز قـال لصاحب بيت المـال: «إني لا أحتملك على خيـانة درهم ولا أحْمَـدُك على حفظ ألف ألف درهم، لأنـك إنمـا تحقِنُ بذلك دمك وتعمُر بـه أمانتـك فإنـك إن خُنْتَ قليلاً خنْت كثيـراً. وٱحترسْ من خصلتين: النقصـان فيما تـأخذ، والـزيادة فيمـا تعـطي. وٱعلم أني لم أجعـل أحـداً على ذخـائـر المُلك وعِمـارة المملكـة والعُـدّة إلا وأنت آمنُ عنـدي من موضعه الذي هو فيه وخواتيمـه التي هي عليها، فحقِّقْ ظني في ٱختيـاري إياك أحْققْ ظنَّك في رجائك لي، ولا تتعوّض بخيرٍ شراً ولا برفعة ضَعَة ولا بسلامـة نـدامة ولا بـأمانـة خيانـة». وكان يقـال: «كفى بالمـرء خيـانـة أن يكـون أميناً للخونة».

قدم معاذ من يمن بعد وفاة رسـول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله عنـه فقال له: إرفع حسابك. فقال: أحِسـابان، حسـاب من الله وحساب منكم؟ لا والله لا ألِي لكم عملاً أبداً.

ذكر أعرابي رجلاً خائناً فقال: إن الناس يأكلون أماناتهم لُقَمـاً وإن فلانـاً يَحْسُوها حَسْواً.

قال بعض السلاطين لعامل له: «كُلْ قليـلاً تعملْ طـويلاً وٱلـزمِ العفافَ يلزمْكَ ٱلعمل، وأياك والرُّشى[1] يشتد ظهرك عند الخصام».

---

(١) الرُّشَى: ج رَشْوة بفتح الراء وضمّها وكسرها، وهي الوصلة لى الحاجة بالمصـانعة؛ وقيـل: ما يعطيه الرجل للحاكم أو غيره ليحكم له أو يحمله به على ما يريد.

القضاء

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا بِشْـر بن المفضَّل بن لاحق قـال: حدّثنا المغيـرة بن محمد عن عمـر بن عبد العـزيز قـال: «لا ينبغي للرجل أن يكون قاضياً حتى تكون فيه خمس خِصال: يكـون عالمـاً قبل أن يستعمـلَ[1]، مستشيراً لأهل العلم، ملقياً للرثَّعَ[2]، منصفاً للخصم، محتملاً للأئمة».

حدّثني علي بن محمد قال: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق الأنصـاري عن عبد الله بن لَهِيعة عن عبد الله بن هُبَيرة عن علي عليه السلام أنـه قال: «ذِمّتي رهينةٌ وأنا بـه زعيم لمن صرحت لـه العِبَر ألاّ يهلك على التقـوى زرعُ قوم ولا يَظْمأُ على التقـوى سِنْخ[3]! أصـل ألاَ وإن أبغض خلق الله إلى الله رجل قَمَش[4] جهلاً غارّاً بأَغْباش[5] الفتنة عمياً بمـا في عقد الهـدنة سمـاه أشباهـه من الناس عالماً ولم يُغْنِ في العلم يوماً سالماً. بَكَّر فآستكثر، ما قلّ منه فهو خير مما كثر حتى إذا مـا آرتوى من آجن[6]. وآكتنـز من غير طـائـل قعـد بين النـاس قـاضيـاً لتخليص ما آلتبس على غيره، إنْ نزلتْ به إحـدى المبهمات هيّـا حشوا[7] رثّـاً من رأيه، فهو من قَطْع الشبهات في مثـل غَزْل العنكبـوت. لا يعلم إذا أخطأ، لأنه لا يعلم أأخطأ أم أصاب، خبّاط عَشَوات رَكّابُ جَهالات[8]، لا يعتذر ممـا

---

(١) يستعملُ: يصبح عاملاً من قبل الخليفة أو الأمير.

(٢) الرَّثَعُ: الطمع.

(٣) السِّنْخ: الأصل، والجمع أسناخ وسنوخ. والسِّنْخ والأصل واحد فلمـا آختلف اللفظان أضـاف الكاتب أحدهما إلى الآخر.

(٤) قَمَشَ: جَمَعَ.

(٥) أغباش الفتنة: ظلمتها، ومفردها غَبَش.

(٦) الآجن: الماء الذي تغيَّر طعمه ولونه وقيل رائحته.

(٧) الرَّثُّ: الخَلَق البالي.

(٨) خبّاط عَشَوات: مثل يضرب لمن يتصرف في الأمور على غيـر بصيرة. والخَبّـاط: الذي يَخْبِطُ بشدة. والعَشَوات: ج عَشْواء، وهي الناقة التي لا تبصر فهي تخبط بيديها كل شيء إذا مشت =

لا يعلم فيسلم ولا يَعَضّ في العلم بضرس قاطع، يَذْرو الرواية ذَرْو الريحِ الهشِيمَ، تبكي منه الدماء وتصرُخ منه المواريث ويستحلّ بقضائه الفَرْج الحرام. لا مليء والله بإصدار ما ورد عليه ولا أهلٌ لما قُرِّظ به».

قال آبن شُبْرُمَة[1]: [كامل]

ما في القضاء شَفاعةٌ لمخاصِمٍ ... عند اللبيب ولا الفقيهِ الحاكمِ

أَهْوِنْ عليَّ إذا قضيْتُ بِسُنَّةٍ ... أو بالكتاب برغم أنْفِ الراغم

وقضيْتُ فيما لم أجدْ أثراً به ... بنظائرٍ معروفةٍ ومعالم

الهَيْثم عن آبن عيّاش عن الشَّعْبي قال: كان أوّل قاضٍ قضى لعمر بن الخطاب بالعراق سلمانُ بن ربيعة الباهلي، ثم شهد القادسية وكان قاضياً بها، ثم قضى بالمدائن، ثم عزله عمر وآستقضى شُرَحْبِيْلَ على المدائن، ثم عزله وآستقضى أبا قُرَّة الكِنْدي فآختطَّ الناسُ الكوفةَ وقاضيهم أبو قُرَّة. ثم آستقضى شُرَيْحَ بن الحارث الكندي[2] فقضى خمساً وسبعين سنة إلا أن زياداً أخرجه مرة إلى البصرة وآستقضى مكانه مسروقَ بن الأجدع سنة حتى قدم شريح فأعاده ولم يزل قاضياً حتى أدرك الفتنة في زمن آبن الزبير فقعد ولم يَقْضِ في الفتنة. فآستقضى عبد الله بن الزبير رجلاً مكانه ثلاث سنين فلما قتل آبن الزبير أعيد شريحُ على القضاء فلقي رجلٌ شريحاً في الطريق فقال: يا أبا أمية، قضيت والله بِجَوْر، قال: وكيف ذاك؟ ويحك! قال: كَبِرَتْ سنُّك واختلط عقلك وآرتشى آبنك، فقال شريح: لا جَرَمَ، لا يقولها أحد بعدك.

= لا تتوقّى شيئاً، والرَّكّاب: الكثير الركوب. والجَهَالات: ج جَهَالة، وهي أن تفعل فعلاً بغير العلم.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) شُرَيْح من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. وولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية. مات بالكوفة سنة ٧٨ هـ. الأعلام ج ٣ ص ١٦١.

فأتى الحجاج فقال: والله لا أقضي بين آثنين. قال: والله لا أعفيك أو تبغيني رجلاً. فقال شريح: عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى. فآستقضاه الحجاج وألزمه سعيدَ بن جُبَيْر كاتباً ووزيراً.

وروى الثوري عن علقمة بن مَرْثَد أنه لقي محاربَ بن دِثَار[1] وكان على القضاء فقال له: يا محارب، إلى كم تردّد الخصوم؟ فقال له: إني والخصوم كما قال الأعشى: [طويل]

أَرِقْتُ وما هذا السهادالمؤرِّقُ وما بيَ من سُقْمٍ وما بيَ مَعْشَقُ
ولكنْ أُراني لا أزالُ بحادثٍ أُغادَى بما لم يُمْسِ عندي وأُطرَقُ

حدّثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قريش بن أنس عن حبيب بن الشهيد قال: كنت جالساً عند إياس بن معاوية فأتاه رجل فسأله عن مسألة فطوّل فيها، فقال إياس: إن كنت تريد الفُتْيا فعليك بالحسن معلمي ومعلم أبي، وإن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يَعْلَى - وكان على قضاء البصرة يومئذ - وإن كنت تريد الصلح فعليك بحُمَيد[2] الطويل، وتدري ما يقول لك؟ يقول لك: حُطَّ شيئاً، ويقول لصاحبك: زِدْهُ شيئاً حتى نصلح بينكما، وإن كنت تريد الشغب فعليك بصالح السَّدُوسي، وتدري ما يقول لك؟ يقول لك: إجْحَدْ ما عليك. ويقول لصاحبك: إدَّعِ ما ليس لك وآدَّعِ بيِّنةً غُيَّباً.

قرأت في الآيين: «ينبغي للحاكم أن يعرف القضاء الحقَّ العدلَ

(١) مُحارب بن دِثار الدوسي الشيباني الكوفي فقيه فاضل زاهد شجاع كان قاضياً على الكوفة. توفي وهو قاضٍ وذلك سنة ١١٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص٢٨١.

(٢) حُمَيْد بن أبي حميد الطويل تابعيٌّ من أهل الحديث. مات وهو قائم يصلي وذلك سنة ١٤٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣.

والقضاءَ العدلَ غيرَ الحق والقضاءَ الحقَ غيرَ العدل ويقايس بتثبُّت ورويّة ويتحفَّظ من الشبهة». والقضاء الحق العدل عندهم قتل النفس بالنفس، والقضاء العدل غير الحق قتل الحر بالعبد، والقضاء الحق غير العدل الدية على العاقلة.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي قال: حدثني عمي الأصمعي قال: قال أعرابي لقوم يتنازعون: هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق؟ فقيل: وما يكون خيراً من الحق؟ قال: التحاطُّ[1] والهَضْم، فإنَّ أخْذَ الحق كله مرٌّ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في شيء فحكّما رجلاً له في المخطىء هوى، فقال للمخطىء: من يقول بقولك أكثر.

الهيثم بن عدي قال: تقدَّمَتْ كُلْثُم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وأخوها الوليد إلى عبد الملك بن عُمَير وهو قاضي الكوفة، وكان آبنه عمرو بن عبد الملك يُرمى بها فقضى لها، فقال هُذَيل الأشجعي[2]: [طويل]

أتاه رفيقٌ بالشهود يَسُوْقُهُمْ ... على ما آدّعتْ مِنْ صامتِ المال والخَوَلْ[3]

فأدلى وليدٌ عند ذاك بحقّهِ ... وكان وليدٌ ذا مَراءٍ وذا جَدَلْ

ففتَّنَتِ القُبْطيَّ حتى قضى لها ... بغير قضاء الله في السُّوَر الطُّوَلْ

فلو كان مَنْ في القصر يعلم عِلْمَهُ ... لما آستُعمِل القبطيُّ فينا على عملْ

(١) التحاطُّ والهَضْم: أي أن يتنازل المرء عن حقوقه للغير.

(٢) هو شاعر ماجن هجّاء، من أهل الكوفة. توفي نحو ١٢٠ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٨٠.

(٣) صامت المال والخَوَل: أي ليس عنده شيء من مال الدنيا ولا مما يعطيه الله تعالى من النِّعَم.

لــه حين يقضي للنساء تَخَــاوُصٌ[١] وكـان ومـا منـه التخـاوصُ والحَـوَلْ

إذا ذاتُ دَلٍّ كــلَّمَـتْـهُ لـحــاجــةٍ فهمَّ بــأنْ يقضيْ تَنَحْنَـحَ أو سَعَــلْ

وبــرَّقَ[٢] عـينـيْـه ولاكَ[٣] لـســانَــه يرى كل شيء ما خلا شخصَها جَلَلْ

فكان عبد الملك بن عمير يقول: والله لربما جاءتني السعلة أو التنحنح وأنا في المتوضَّأ فأكفّ عن ذلك.

وقال ابن مُناذر[٤] في خالد بن طَلِيق وكان قد ولي قضاء البصرة:

[سريع]

قــلْ لأميــر المؤمنين الــذي من هاشمٍ في سرِّهـا واللُّبابْ

إن كنْتَ للسَّخْــطة عــاقِبْتَنَــا بخـالـدٍ فهـو أشدُّ العِقــابْ

كان قضاةُ النـاس فيما مضى من رحمـة الله وهـذا عَــذابْ

يـا عجبـاً من خــالـدٍ كيف لا يُخْـطِئُ فُتْيـا مَـرَّةً بـالصـوابْ

وقال فيه: [مجزوء الرمل]

جُعُــلُ[٥] الحـاكمِ يــا لَلنْـ ـنَـاس مِــنْ آلِ طــلِيْــقِ

ضُحكــة يحكم في النــا س برأي الـجَاثَـليــق[٦]

---

(١) التخاوص: الغَضُّ من البصر شيئاً؛ يقال: فلان يُخاوِصُ إذا غضَّ من بصره شيئاً وهو في ذلك يحدِّق النظر كأنه يُقَوِّم سَهْماً.

(٢) بَرَّق عينيه: وسَّعهما و أحدَّ النظر.

(٣) لاكَ لسانه يَلُوْكُهُ: عضَّه.

(٤) هو محمد بن منـادر اليربـوعي بالـولاء، شاعـر كثير الأخبـار والنوادر، كـان من العلماء بـاللغة والأدب. مات سنة ١٩٨ هـ. الأعلام ج ٧ ص ١١١.

(٥) الجُعُل: ج جَعَالة، وهي الرَّشْوَة.

(٦) الجاثليْقُ: رئيس الأساقفة يكون تحت يـد البطريق، معـرَّب كاثـوليكوس بـاليونـانية، والجمـع جثالقة.

أيُّ قـاضٍ أنت في الـنَّقْـ ـصِ وتعـطيـل الحقـوقِ
يـا أبـا الـهـيـثم مـا أنـ ـت لـهـذا بـخـليـقِ
لا ولا أنـت لِمَـا حُـمْـ ـمِـلْتَ منـه بُـمـطِيْـقِ

أراد عَدِيُّ بن أرْطاة بكرَ بن عبد الله المزني على القضاء فقال له بكر: والله ما أحسن القضاء، فإن كنتُ كاذباً أو صادقاً فما يحِلُّ لك أنْ توليني.

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: لما عُزل آبن شُبـرُمة عن القضـاء قال له والي اليمن: اخترْ لنا رجلاً نوليه القضاء. فقال لـه آبن شبرمـة: ما أعـرفه. فذُكر له رجل من أهـل صنعاء فـأرسل إليـه فجاء، فقـال له آبن شبـرمة: هـل تدري لم دُعيْتَ؟ قال: لا. قال: إنك قد دعيت لأمر عـظيم، للقضاء. قـال: ما أيسر القضاء! فقال له آبن شبرمة: نسألك عن شيء يسير منـه؟ قال: سَـلْ. قال له آبن شُبْرُمَة: ما تقول في رجـل ضرب بـطنَ شاة حـامل[1] فـألقت ما في بطنها؟ فسكت الرجل، فقال له آبن شُبْرُمَة: إنا بلوناك فما وجدنا عندك شيئاً. فقيل له: ما القضاء فيها؟ قال آبن شُبْرُمَة: تُقوَّم حاملاً وتُقوَّم حائلاً ويغـرم قدْرَ ما بينهما.

حدّثني عبد الله بن محمد الخَلَنجي قال: كـان يحيى[2] بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء، فقال لـرجل: مـا تقول في رجلين زوّج كـل واحد منهمـا الآخر أمَّه فَوَلَدَ لكـل واحد من آمـرأته ولـد، ما قـرابةُ مـا بين الوالـدين؟ فلم يعرفها، فقال له يحيى: كل واحد من الولدين عمُّ الآخر لأمه.

(١) شاةٌ حامل: أي في بطنها ولد.
(٢) هو قاضٍ رفيع القدر ومن نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم بن صَيْفي حكيم العرب. توفي سنة ٢٤٢ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٣٨.

ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك بن مروان فقال: إني تزوجت آمرأة وزوجْتُ آبني أمَّها ولا غنى بنا عن رِفدك. فقال له عبد الملك: إنْ أخبرْتني ما قرابةُ ما بين أولادكما إذا أُولدتُما، فعلتُ. قال: يا أمير المؤمنين، هذا حميد بن بحدل قد قلدتَه سيفك ووليته ما وراء بابك فسله عنها، فإن أصاب لزمني الحِرمان، وإن أخطأ آتسع لي العذر. فدعا بالبحدلي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك ما قدمتني على العلم بالأنساب ولكن على الطعن بالرِّماح، أحدهما عمُّ الآخر والآخر خاله.

قال آبن سيرين: كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة في قُبّة له وبين يديه كانُون له فيه نار فجاءه رجل فجلس معه على فِراشه فسارّه بشيء لا ندري ما هو، فقال له أبو عبيدة: ضَع لي إصبعك في هذه النار. فقال له الرجل: سبحان الله! تأمرني أن أضع لك أصبعي في هذه النار! فقال له أبو عبيدة: أتبخل عليّ بأصبع من أصابعك في نار الدنيا وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم؟ قال: فظننا أنه دعاه إلى القضاء.

كان يقال: «ثلاث إذا كنّ في القاضي فليس بكامل: إذا كره اللوائم، وأحبَّ المحامد، وكره العَزْلَ. وثلاث إذا لم تكن فيه فليس بكامل: يشاورُ وإن كان عالماً، ولا يسمع شكيّة من أحد حتى يكون معه خصمه، ويقضي إذا علم».

قالوا: «ويحتاج القاضي إلى العدل في لحظه ولفظه وقعود الخصوم بين يديه وألا يقضي وهو غضبان ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفعه على الآخر».

قال الشعبي: حضرت شُرَيحاً ذات يوم وجاءته آمرأة تخاصم زوجها

فأرسلت عينيها[1] فبكتْ فقلت: يا أبا أمية، ما أظنها إلا مظلومة. فقال: يا شعبي، إنَّ إخوة يوسف جاءوا أباهم عِشاء يبكون[2].

بلغني عن كَثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فآفهمْ إذا أُدلي إليك فإنه لا ينفع تكلُّم بحق لا نفاذَ له. آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمَع شريفٌ في حَيْفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البيّنة على من آدّعى واليمينُ على من أنكر، والصلح جائز بين الناس إلا صلحاً أحل حراماً أو حرّم حلالاً، ولا يَمْنَعَنَّكَ قضاءٌ قضيْتَهُ بالأمس فراجعْتَ فيه نفسك وهُدْيَت لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق لا يبطله شيء. وآعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج في صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سُنَّة، وآعرف الأشباه والأمثال ثم قِسِ الأمورَ عند ذلك ثم آعمَدْ لِأحبِّها إلى الله وأشبهها بالحق فيما ترى. إجعلْ لمنِ آدّعى حقاً غائباً أمداً ينتهي إليه فإنْ أحضر بيّنة أخذ بحقه وإلا آستحلْلتَ عليه القضاء. والمسلمون عدول في الشهادة إلا مُجَلْودَاً[3] في حدّ أو مجرَّباً عليه شهادة زوْر أو ظنّيناً في ولاء أو قرابة. إن الله تولَّى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبيّنات. وإياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجْر ويحسن الذخر، فإنه مَنْ صَلُحَتْ سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن

(١) أرسلت عينيها: أطلقت لهما العِنان.

(٢) هنا إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام حين احتال إخوته في هلاكه حسداً فوضعوه في بئر وعادوا إلى أبيهم يبكون. وقد وردت هذه القصة مفصلة في القرآن الكريم، سورة يوسف.

(٣) مُجَلْوداً: من جَلَدَ: أي مضروب بالسَّوْط.

تزيَّنَ للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه اللهُ، والسلام»

وقال سَلَمة[١] بن الخَرْشَب لسُبَيع التغلَبي في شأن الرُّهُن التي وضعت على يديه في قتلى عَبْس وذُبْيان: [منسرح]

أبلغْ سُبَيْعاً وأنت سيدنا ... قِدْماً وأوفى رجالنا ذَمَما
أنَّ بَغِيضاً[٢] وأنَّ إخوتها ... ذُبْيانَ قد ضرَّموا الذي آضطَرَما
نُبِّئتُ أنْ حكَّموك بينهُمُ ... فلا تقولنَّ بِئْسَ ما حكما
إن كنتَ ذا عِرْفةٍ بشأنهُمُ ... تعرفُ ذا حقِّهِمْ ومَنْ ظَلَما
وتُنزِلُ الأمرَ في منازِلِهِ ... حُكْماً وعلْماً وتحضِرُ الفَهَما
فآحكُم فأنت الحكيمُ بينهُم ... لن يَعْدَموا الحقَّ بارداً صَتَمَا[٣]
وآصدعْ أديمَ السواء بينهُمُ ... على رضا مَنْ رَضِي ومَنْ رَغِما
إن كان مالاً فمثل عِدّتِهِ ... مالٌ بمالٍ وإنْ دَماً فدَمَا
هذا وإنْ لم تُطِقْ حكومَتَهُمْ ... فآنبذْ إليهمْ أمورَهُمْ سَلَمَا[٤]

وأُنْشِدَ عمرُ بن الخطاب شعرَ زهير بن أبي سلمى، فلما بلغ قوله:

[وافر]

فإن الحقَّ مقطعُهُ ثلاثٌ ... يمينٌ أو نَفارٌ أو جَلاءُ

جعل عمر يتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ويقول: لا يخرج الحق من إحدى ثلاث إما يمين أو محاكمةٌ أو حِجّةٌ.

---

(١) هو شاعر جاهلي مُقِلٌّ، كان معاصراً لعروة بن الورد. الأعلام ج ٣ ص ١١٣.

(٢) المقصود قبيلة بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. ووالد بغيض هو ذبيان. جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٥.

(٣) الصَّتَمُ: الغليظ الشديد.

(٤) هو سَلَمَة بن الخُرْشُب.

وقال آبن أبي ليلى[1] الفقيه في عبد الله بن شُبْرُمَة[2]: [متقارب]

وكيف تُـرَجَّى لفصلِ القضـاء ... ولم تُصِبِ الحُكْمَ في نَفْسِكَـا

وتـزعَمُ أنـك لابن الجُـلاَح[3] ... وهيهـات دعواك من أصلكـا

عبد الله بن صالح العِجْلي قال: خرج شَرِيْك[4] وهو على القضـاء يتلقى الخَيْزُران[5] وقد أقبلت تريد الحج، فأتى، شاهي[6] فأقام بها ثلاثاً ولم تُـوَافِ فخفَّ زادُهُ ومـا كان معـه من الخبز فجعـل يبلُّه بالمـاء ويـأكله بـالملح، فقـال العَلاَء بنُ المِنْهال[7] الغَنَوي: [الوافر]

فـإنْ كـان الـذي قـد قلْتَ حقّـاً ... بـأنْ قـد أكـرهـوك على القضـاءِ

فمـا لـك مُـوْضِعـاً في كـل يـوم ... تَـلقَّى مَـنْ يحـجُّ مـن الـنسـاء

مقيْمـاً في قـرى شَـاهِي ثـلاثـاً ... بـلا زاد سـوى كِـسَـرٍ ومـاء

يـزيـدُ النـاسُ خيـراً كـلَّ يـوم ... فتـرجـع يـا شَـرِيْـكُ إلى وراء

وقال فيه أيضاً: [وافر]

فلَيْتَ أبـا شَـرِيْـكٍ كـان حيّـاً ... فيُقْصِـرَ حين يُبْصِـرُهُ شَـرِيْـكُ

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال الأنصاري الكوفي، قاض فقيه. توفي بالكوفة سنة ١٤٨ هـ. الأعلام ج ٦ ص١٨٩.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ابن الجُلاح: ابن السيل الجُراف، أي القوي الشديد في حكمه. وقد يكون جُلاح اسم أبي أُحَيْحَة بن الجُلاح الخزرجي كما ورد في اللسان، مادة (جلح).

(٤) هو شريك بن عبد الله النخعيّ، نسبة إلى النَّخع، وهي قبيلة كبيرة من مَذْحِج. كان عالماً ذكياً، تولى القضاء بالكوفة ثم بالأهواز. توفي سنة ١٧٧ هـ. وقيل ١٧٨ هـ. وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٨.

(٥) اسم آمرأة أقبلت تريد الحجّ.

(٦) شاهي موضع قرب القادسية، معجم البلدان.

(٧) لم أقف له على ترجمته.

ويتــركَ مِنْ تَــدَرِّيْــهِ عــلَيْنــا إذا قُــلْنــا لــه: هــذا أبــوكَ[1]

وأنشد لبعض الشعراء في بعض الحكام: [كامل]

أبكي وأنــدب بهجــة الإســلامِ إذ صرْتَ تقعدُ مقعدَ الحكّـامِ

إن الحــوادث مـا علمْتُ كثيــرة وأراك بــعض حــوادث الأيــامِ

حـدّثني يزيـد بن عمرو قـال: حدّثني القاسم بن الفضل قـال: حدّثني رجل من بني جريـر أن رجلاً منهم خـاصَمَ رجلاً إلى سَـوَّار بن عبد الله فقضى على الجريري، فمر سَوَّار ببني جرير فقام إليه الجريري فصرعه وخنقه وجعل يقول: [سريع]

رأيتُ أحــلامـاً فعبَّــرْتُهــا وكنتُ لــلأحــلام عبَّــاراً

رأيتُنـيأخْنُـقُضَبّــاً[2] عـلى جُحْرٍ وكان الضَّبُّ سَـوَّاراً

في الشهادات

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعي قال لي أيوب: إن من أصحـابي من أرجو دَعْوته ولا أُجيز شهادته. قال: وقال سَـوَّار: ما أعلم أحـداً أفضل من عَطَاء السُّلَمي، ولو شهد عندي على فِلْسَين لم أجـز شهادتـه. يذهب إلى أنـه ضعيف الـرأي ليس بالحـازم إلّا أنه لا يـطعن عليه في دينـه وأمانتـه. قـال: وشهد أبو عمرو بن العلاء عنـد سَوَّار على نسب فقـال سوّار: ومـا يدريـك أنه ابنه؟ قال: كما أعلم أنك سَـوّار بن عبد الله بن عَنْـزة بن نَقْب. قال: وشهـد

(١) ورد هـذان البيتـان في البيـان والتبيين (ج ٣ ص ٤٩٧) وجـاء فيـه: «عن مقـالتـه» بـدل «حين يبصره». وأراد القول «من تَدَرُّئِهِ» من تطاوله وتكبُّره، فأبدل الهمزة ياء. وهو لـو قال: «تـدَرُّئه» لكان صحيحاً وحافظ على الوزن. وفي القافية عيب الإقواء بحيث راوح الشاعر بين الضم في قافية البيت الأول والفتح في قافية البيت الثاني.

(٢) الضَّبُّ: دُوَيْبَّة من الحشرات تشبه الوَرَل، والجمع ضِباب.

رجل عند سوّار في دار قد آدّعاها رجل قال: أشهد أنها له من الماء إلى السماء. وشهد آخر فقال للكاتب: أُكْتب شهادتهما. فقال: أيَّ شيءٍ أكتب؟ فقال: كلَّ شيء يُخْرج الدارَ من يد هذا ويجعلها في ملك هذا فآكتُبْه. قال أبو حاتم: بلغني أنه إنما قيل شهادة عربية وما أشبهه. قال: وشهد رجل عند سوّار، فقال له: ما صناعتك؟ قال: أنا مؤدّب. قال: فإنّا لا نجيز شهادتك. قال ولم؟ قال؟ لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجْراً. قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً. قال: إني أُكْرِهْتُ على القضاء. قال: يا هذا، القضاءُ أُكْرِهْتَ عليه فهل أُكْرِهْتَ على أخذ الرزق؟ قال: هلمّ شهادتَك. فأجازها. قال: وشهد الفرزدق عند بعض القضاة فقال: قد أجزْنا شهادة أبي فراس، وزيدونا. فقيل له حين آنصرف: إنه، والله، ما أجاز شهادتك. قال: وما يمنعه من ذلك وقد قَذَفْت ألف محْصِنة. وجاء أبو دلامة[1] ليشهد عنْد آبن أبي ليلى فقال في مجلسه ذلك: [طويل]

إنِ القَوْمُ غطُّوْنِي تغطَّيْتُ دونهُمْ وإنْ يحثوا عني ففيهُمْ مَبَاحثُ
وإنْ حفروا بئري حفرْتُ بِئارَهُمْ لِيُعْلَمَ ما تخفيْهِ تلك النَّبائِثُ[2]

فأجاز شهادته وحبس المشهود عليه عنده وأعطاه قيمة الشيء.

أتى رجل آبن شبرمة بقوم يشهدون له على قَرَاح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولاً فسألهم: كم في القراح من نخلة؟ قالوا: لا نعلم. فردّ شهادتهم. فقال له رجل منهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذُ ثلاثين سنة، فأعلِمْنا: كم فيه من أُسطُوانة؟ فأجازهم.

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) النبائث: ج نبيثة، وهي تراب البئر.

وقال بعض الشعراء: [منسرح]

والخصمُ لا يـرْتجى النجـاةَ لـه ... يـومـاً إذا كـان خصمُـه القـاضي

قدّم رجل خصماً له إلى زياد في حق له عليه، فقال: إن هـذا الرجـل يُـدِلُّ بخاصَّـةٍ ذَكَرَ أنهـا له منـك. قال: نعم. وسـأخبرك بمـا ينفعه عنـدي من خاصَّته: إنْ يكن الحقُّ له عليك آخذْك أخذاً عنيفاً، وأن يكن الحق لك عليه أقْضِ عليه ثم أقضِ عنه.

وقال أبو اليقـظان: كان عبيـد الله بن أبي بَكْرَة[١] قـاضياً وكـان يميل في الحكم إلى إخوانه. فقيل له في ذلك. فقال: وما خير رجلٍ لا يقطع من دينـه لإخوانه؟.

قـال المدائني: كـان بين طلحة بن عبيـد الله والـزبيـر مـدارأة[٢] في واد بالمدينة. قال: فقالا: نجعل بيننا عمرو بن العاص، فأتيـاه فقال لهمـا: أنتما في فضلكمـا وقديم سـوابقكما ونعمـة الله عليكما تختلفـان! وقد سمعتمـا من رسـول الله ﷺ مثل مـا سمعْتُ وحضرْتُمـا من قولـه مثلَ الـذي حضـرْتُ فيمن اقتـطع شِبْراً من أرض أخيـه بغير حق أنـه يُطَوَّقُـه[٣] من سبع أَرَضِيْن! والحَكَم أحـوج إلى العدل من المحكـوم عليـه وذلـك لأن الحَكَم إذا جـار رُزِىء دينَـه والمحكوم عليه إذا جِيرَ عليه رُزِىء عَـرَض الدنيـا، إنْ شئتما فـأدْليا بحجتكمـا وإنْ شئتما فأصلحا ذات بينكما. فاصطلحـا وأعطى كـل واحد منهمـا صاحبـه الرضا.

---

(١) هو تابعي ثقة من أهل البصرة، ولي قضاء البصرة، وكان أسـود اللون. وكانت لـه ثروة واسعـة فاشتهر بأخبار من الجود تشبه الخيال. توفي سنة ٧٩ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) مدارأة: مخالفة.

(٣) أي يجعل كالطوق في عنقه.

وكان السِّنْديّ بن شَاهَك لا يستحلف المكاري ولا الحائك ولا الملاّح ويجعل القول قول المدّعي مع يمينه، ويقول: اللهمَّ، إني أستخيرك في الجمّال ومعلّم الصبيان.

وقال أبو البيداء: سمعْتُ شيخاً من الأعراب يقول: نحن بالبادية لا نقبل شهادة العبد ولا شهادة العِذْيَوْط[١] ولا المغذَّى ببوله. قال أبو البيداء: فضحكت والله حتى كدْتُ أبول في ثوبي.

وقيل لعبيد الله بن الحسن العنبري: أتجيز شهادة رجل عفيف تقيٍّ أحمق؟ قال: لا، وسأريكم. أدْعوا لي أبا مودود حاجبي، فلما جاء قال له: أخرجْ حتى تنظر ما الريح؟ فخرج ثم رجع فقال: شَمالٌ يشوْبُها شيءٌ من الجَنُوب. فقال: أتَرَوْني كنتُ مجيزاً شهادة مثل هذا؟.

قال الأعمش: قال لي مُحارب بن دِثَار[٢]: وُلِيْتُ القضاءَ فبكى أهلي وعُزِلْتُ عنه فبكَوْا، فما أدري مم ذاك؟ فقلتُ له: وليتَ القضاء فكرهْتَه وجزعْتَ منه فبكى أهلك، وعُزلْتَ عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك. فقال: إنه لكَما قلتَ.

قَدِمَ إياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدّم خصماً له إلى قاضٍ لعبد الملك بن مروان وكان خصمه شيخاً كبيراً. فقال له القاضي: أتقدّم شيخاً كبيراً؟ فقا له إياس: الحق أكبر منه. قال: اسكت. قال: فمن ينطق بحجتي؟ قال: ما أظنك تقول حقاً حتى تقوم. قال: أشهد أن لا إلـه إلا الله. فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال: اقْضِ حاجتَه وأخرجه من الشام لا يفسدْ عليّ الناس.

---

(١) العِذْيَوْط: هو الذي إذا أتى أهله أبدى، أي أنجى فظهرنجوه من دُبُره.

(٢) تقدمت ترجمته.

قال أعرابي لخصم له: «والله لئن هَمْلَجْتَ[1] إلى الباطل إنك عن الحق لقَطُوف».

باب الأحكام

حدّثني عَبْدة بن عبد الله قال: حدّثنا وَهْب بن جرير قال: حدّثنا أبي قال: سمعت الزبير بن الحارث يحدِّث عن عكرمة عن أبي هريرة قال: «قضى رسول ﷺ إذا آختلف الناس في الطرق أنها سبعُ أذْرُع».

حدّثني يزيد بن عمرو عن محمد بن موسى عن إبراهيم بن حنتم عن غزال بن مالك الغِفَارِي عن أبيه عن جَدّه قال: «كفل النبي عليه السلام رجلاً في تهمة».

قال وحدّثني أيضاً عن إبراهيم بن حَنْتم عن غزال بن مالك عن أبيه عن جدّه قال: قال أبو هريرة: «حبس النبي ﷺ في التهمة حبساً يسيراً حتى استبرأ».

حدّثني يزيد قال: حدّثني الوليد عن جرير بن حازم عن الحسن: «أنّ رسول الله ﷺ صلب رجلاً على جبل يقال له: رباب» وقال لي رجل بالمدينة: هو ذو رباب.

حدّثني أحمد بن الخليل عن سليمان بن حَرْب عن جرير عن يَعْلى بن حَكيم عن أبيه عن آبن عباس قال: «أتى ماعزُ بن مالك النبيَّ ﷺ فقال: إني زنيت يا رسول اﷺ. فقال: لعلك مَسَسْتَ أو لمست أو غمزت. فقال: لا، بل زنيت. فأعادها عليه ثلاثاً، فلما كان في الرابعة رجمه».

---

(١) هَمْلَجَ: مشى مشية سهلة في سرعة، والهملجة تكون للحيوانات.

حدّثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن الثوري عن علي بن الأقمر عن يزيد بن أبي كبشة أن أبا الدرداء أُتي بآمرأة سرقت، فقال: أسَرَقْتِ؟ قولي: لا.

حدّثني سهل بن محمد قال: حدّثني الأصمعي قال: جاءوا زياداً بلصٍّ وعنده جماعة فيهم الأحنف، فآنتهروه وقالوا: اصدق الأمير. فقال الأحنف: إن الصدق أحياناً معجزة. فأعجب ذلك زياداً وقال: جزاك الله خيراً.

حدّثني شبابة عن القاسم بن الحكم عن إسماعيل بن عيّاش عمن حدّثه عن آبن عباس قال: «جَزُّ الرأس واللِّحية لا يصلح في العقوبة لأن الله، عزَّ وجل، جعل حلق الرأس نُسُكاً لمرضاته».

حدّثني شبابة عن القاسم عن الأوزاعي أن عمر بن عبد العزيز قال: «إياكم والمُثْلة[1] في العقوبة جَزَّ الرأس واللحية».

حدّثني محمد بن خالد بن خِداش قال: حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال: حدّثنا يونس عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: كان مروان بن الحكم أمير المدينة فقضى في رجل فزَّع رجلاً فضرِط بأربعين درهماً.

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن جُوَيبر عن الضحاك عن آبن مسعود قال: «لا يحلّ في هذه الأمة غَلٌّ ولا صَفْدٌ ولا تجريدٌ ولا مدٌّ».

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال: كان عامر بن الظَّرِب العَدْواني حَكَم العرب، فنزل به قوم يَسْتَفْتُونه في خُنْثى[2] له جارية يقال لها خُصَيْلَة.

---

(١) المُثْلَة: التنكيل.
(٢) الخُنْثى: من له عضو الرجال والنساء جميعاً، والجمع خَناثى وخِناث.

وربما لامها في الإبطاء في الرعي وفي الشيء يجده عليها. فقال: يا خصيلة، لقد حبسْتُ هؤلاء القوم وريَّثْتُهم حتى أسرعْتِ في غنمي. قالت وما يكن عليك من ذلك؟ أتبعْه مبالَه. فقال لها: «مُسيٍّ خُصَيْل بعدها أو رَوِّحي».

قال: وأُتِي آبنُ زياد بإنسانٍ له قُبُلٌ وذَكَرٌ ولا يُدْرَى كيف يُوَرَّثُ[١] فقال: من لهذا؟ فقالوا: أرسلْ إلى جابر بن زيد. فأرسل إليه، فجاء يَرْسُف في قيوده فقال: ما تقول في هذا؟ فقال: أَلْزِقه بالجدار فإنْ بال عليه فهو ذكر، وإن بال في رجليه فهو أنثى.

حدْثني محمد بن خالد بن خِدَاش قال: حدّثنا سَلْم بن قتيبة قال: حدّثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين أنَّ رجلاً كسر طُنْبوراً لرجل فخاصمه إلى شُرَيْح[٢]، فقال شريح: لا أقضي في الطنبور بشيء.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه قال: قال لي أبو العجاج: يا آبنَ أصمَع، والله لئن أقررْتَ لأُلْزِمَنَّك. أي لا تقرَّ.

حدْثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبيه عن مَعْمر قال: ردَّ رجلٌ على رجل جاريةً آشتراها منه، فخاصمه إلى إياس[٣] بن معاوية، فقال له: بم تردُّها؟ قال له: بالحمق. فقال لها إياس: أيُّ رِجْليْكِ أطول؟ فقالت: هذه. فقال: أتذكريْنَ ليلة وُلِدْتِ؟ قالت: نعم. فقال إياس: رُدَّ ردَّ.

حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا أبو داود عن قيس عن أبي حُصَين قال:

---

(١) القُبُل: فَرْج المرأة. والذَّكَرُ: العضو الذي تبول منه الذكور، والجمع ذكور ومذاكير على غير القياس. وعبارة «لا يُدْرى كيف يُوَرَّث» أي لمعرفة ما يرثه من والديه.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو قاضي البصرة، يضرب المثل بذكائه. قال الجاحظ: إياس بن معاوية من مفاخر مصر ومن مقدمي القضاة. توفي سنة ١٢٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٣٣.

رأيت الشَّعبيّ يقضي على جلد أسد.

الظلم

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب قال: حدّثني الأصمعيّ قال: أخبرنا بعض أشياخ البصرة أن رجلاً وآمرأته آختصما إلى أمير من أمراء العراق وكانت المرأة حسنة المُتنقَّب قبيحة المَسْفر[١]، وكان لها لسان فكأن العاملَ مال معها فقال: يعمَد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثم يسيء إليها! فأهوى زوْجُها إلى النِّقاب فألقاه عن وجهها فقال العامل: عليكِ اللعنة! كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالمٍ[٢].

وأنشد الرياشيّ[٣] في نحو هذا: [طويل]

رأيتُ أبا الحَجْناء في الناس جائراً ... ولونُ أبي الحَجْناء لونُ البهائمِ
تراه على ما لاحَهُ من سوادِهِ ... وإنْ كان مظلوماً له وَجْهُ ظالمِ

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان رجل من العرب في الجاهلية إذا رأى رجلاً يظلِم ويعتدِي يقول: فلان لا يموت[٤] سَوِيّاً. فيَرَوْنَ ذلك حتى مات رجل ممن قال ذلك فيه فقيل له: مات فلان سوياً. فلم يقبل حتى تتابعت الأخبار. فقال: إن كنتم صادقين: فإن لكم داراً سوى هذه تُجازَوْنَ فيها.

---

(١) قبيحة المَسْفَر: قبيحة الوجه، والجمع مَسافِر.
(٢) أي وإن كانت مُحِقَّة فيما تعرض فإنها، لبشاعة وجهها، تظلم زوجها وتنغِّصُ عليه العيش.
(٣) هو العباس بن الفَرَج الرياشي، نسبة إلى رياش وهو آسمُ لجد رجل من جُذام كان والد المنسوب إليه عبداً له.فنسب إليه وبقي عليه. والرياشي من البصرة، لغوي نحوي راوية. توفي سنة ٢٥٧ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٦٤ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٤) مات سَوِيّاً: مات ميتة طبيعية.

كتب رجل من الكُتَّاب إلى سلطان: «أعيذك بالله من أن تكون لاهِياً عن الشكر محجوباً بالنعم صارفاً فضلَ ما أوتيْتَ من السلطان إلى ما تقلّ عائدته وتعظم تبعتُه من الظلم والعدوان، وأنْ يستزلّك الشيطان بخَدْعه وغروره وتسويله فيُزيلَ عاجل الغِبْطة ويُنْسيَك مذموم العاقبة، فإن الحازم من يذكر في يومه المخوفَ من عواقب غده ولم يغرّه طولُ الأمل وتراخي الغاية ولم يضرب في غَمْرة من الباطل ولا يدري ما تتجلّى به مغبّتُها. هذا إلى ما يتبع الظالم من سوء المنقلَب وقبيح الذكر الذي لا يفنيه كرّ الجديدين[1] وآختلاف العصرين».

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا معاوية بن عمرو قال: حدّثنا أبو إبراهيم السقّاء عن ليث عن مجاهد قال: «يؤتَى بمعلم الصبيان يوم القيامة فإن كان عَدَلَ بين الغلمان وإلا أقيم مع الظلمة». وكان معاوية يقول: إني لأستحيي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصراً إلا الله. وقال بلال: «إني لأستحيي أن أَظْلِم وأَحْرَجُ أنْ أُظْلَمَ». وكان يقال: إذا أراد الله أن يُتحف عبداً قيّض له من يظلمه.

كتب رجل إلى سلطان: «أحقُّ الناس بالإحسان مَنْ أحسن الله إليه وأَوْلاهم بالإنصاف من بُسِطَتْ بالقدرة يداه».

ذُكر الظلم في مجلس آبن عباس فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزَّل أنَّ الظلم يُخْرِب الديار. فقال آبن عباس: أنا أُوجِدُكَهُ في القرآن، قال الله، عزَّ وجل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِماَ ظَلَمُوا﴾[2].

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: كان فُرْعَان وهو من بني

---

(١) أي كَرُّ الليل والنهار، يقال: كَرَّ الليل والنهار أي عادا مرة بعد أخرى.

(٢) سورة النمل ٢٧، آية ٥٢. وخاويةً: خاليةً. وجاءت منصوبة على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بما ظلموا) بظلمهم أي كفرهم. تفسير الجلالين.

تميم لا يزالُ يُغير على إبل الناس فيأخذ منها ثم يقاتلهم عليها إلى أن أغار على رجل فأصاب له جملاً، فجاء الرجل فأخذ بشَعْره فجذبه فبرك، فقال الناس: كبِرْتَ والله يا فُرْعان. فقال: لا والله ولكن جذبني جذبة مُحِقٍّ. وكان سُدَيف بن ميمون مولى اللِّهْبيين يقول: اللهمَّ قد صار فيئُنا دُولَةً[1] بعد القسمة وإمارتُنا غلبة بعد المشورة وعهدُنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة. واشتُرِيَت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة وحُكّم في أبشار المسلمين أهل الذمة وتولى القيامَ بأمورهم فاسقُ كلّ مَحلّة. اللهمَّ وقد آستحصد زرعُ الباطل وبلغ نهايته وآجتمع طريدُه. اللهمَّ فأتِحْ له يداً من الحق حاصدةً تبدد شمله وتفرّق أمره ليظهر الحقُّ في أحسن صُوَره وأتم نوره..

ولي أعرابي بعض النواحي فجمع اليهود في عمله وسألهم عن المسيح فقالوا: قتلناه وصلبناه. فقال: فهل أديتم ديته؟ قالوا: لا. قال: فوالله لا تخرجون أو تؤدُّوْها. فلم يبرحوا حتى أدَّوْها.

كان أبو العَاجِ على جَوَالي البصرة فأُتي برجل من النصارى: فقال ما آسمك؟ فقال: بنداذ شهر بنداذ. فقال: اسم ثلاثةٍ وجزيةُ واحدٍ! لا والله العظيم. قال: فأخذ منه ثلاث جِزىً.

ولي أعرابي تَبَالَةَ[2] فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه حتى قال: إن الأمير، أعزنا الله وإياه، ولاّني بلادكم هذه، وإني والله ما أعرف من الحق

---

(١) صار الفيء دُوْلة: صارت الغنيمة دُوْلة بينهم يتداولونها فتكون مرة لهذا ومرة لهذا.

(٢) تَبالَة، بفتح التاء وفي آخرها هاء، بُلَيْدة على طريق اليمن للخارج من مكة، كثيرة الخصب، وهي أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفي، ولكنه آحتقرها وتركها لمّا رآها خلف الأكَمَة، فضربت العرب بها المثل وقالت للشيء الحقير: أهون من تباله على الحجاج. وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٤٣.

موضع سَوْطي، ولن أوتَى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً، فكانوا يتعاملون بالحق بينهم ولا يرتفعون إليه. قال بعض الشعراء[١]: [طويل]

بَني عمِّنا، لا تذكروا الشِّعْرَ بعد ما ... دَفَنْتُمْ بصحراء الغُمَير[٢] القوافيا

فلسنا كمن كنْتُم تصيبون سَلَّة ... فنقبلَ ضَيْماً أو نحكِّم قاضيا[٣]

ولكنَّ حُكْمَ السيفِ فيكُمْ مسلَّطٌ ... فنرضى إذا ما أصبح السيفُ راضياً

فإن قُلْتُمُ وإنّا ظَلمْنا فلم نكنْ ... ظَلَمْنا ولكنّا أسأنا التقاضيا

وقال آخر: [سريع]

تفرحُ أن تغلبني ظالماً ... والغالبُ المظلومُ لو تَعلم

وكانوا يَتَوَقَّوْنَ ظلمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأنْ يقولوا: «بسم الله ﴿إني أعوذ بالرحمن منكَ إنْ كنْتَ تقيا﴾[٤] ﴿آخْسئوا فيها ولا تكلِّمون﴾[٥] أخذْتُ سمعك وبصرك بسمع الله وبصره. أخذت قوّتك بقوّة الله. بيني وبينك سِتْر النبوّة الذي كانت الأنبياء تستتر به من سَطَوات الفراعنة. جبريلُ عن يمينه وميكائيل عن يسارك ومحمد أمامك والله مطلع عليك ويَحْجِزُك عني ويَمْنَعُني منك».

وقال بعض الشعراء: [وافر]

ونستعدي الأميرَ إذا ظُلِمْنا ... فَمَنْ يُعدي إذا ظَلم الأميرُ؟

(١) هو السَّمَيْدر الحارثي، شاعر فارس. أنظر المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٤٠.
(٢) الغُمَيْر: موضع بين ذات عِرْق والبستان، وقيل: موضع في ديار بني كلاب. معجم البلدان. ولقد ورد في المؤتلف والمختلف للآمدي: «بصحراء الغميم» ثم عاد الآمدي بعد أن أورد البيت الشعري فقال: «والغمير أيضاً».
(٣) السَّلَّة: السرقة الخفيفة. ونقبل ضَيْماً: نأخذ دون حقّنا.
(٤) سورة مريم ١٩، آية ١٨. والمعنى: بتعوذي تنتهي عني.
(٥) سورة المؤمنون ٢٣، آية ١٠٨. وتفسير الآية: سألوه سبحانه الخروج من النار والرجعة إلى الدار، فقال: أمْكثوا فيها صاغرين ولا تطمعوا في مدبر.

وقال آخر: [وافر]

إذا كـان الأميرُ عليـك خَصْماً فـلا تُكثِـرْ فقـد غلَب الأميـرُ

وكتب رجل إلى صديق له: قد كنت أستعديْك ظالِماً على غيرك فتحكُم لي وقد آستعديتُك عليك مظلوماً فضاق عني عدلك، وذكّرني قول القائل:

[خفيف]

كـنتُ مـنْ كُـربتـي أفـرُّ إليـهـمْ فَـهُمْ وكُـرْبتـي فـأيـن الفِـرارُ؟

ونحوه: [منسرح]

والخصم لا يُـرتَجى النجاحُ لـه يـوماً إذا كـان خصمه القـاضي[1]

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال: كـان يقال: مـا أُعطِي أحـدٌ قطُّ النَّصَف[2] فأباه إلا أخذ شراً منه. قال: وقـال الأحنف: ما عُـرِضَتِ النَّصفَةُ قطُّ على أحد فقِبلها إلا دخلَتني له هيبَةٌ ولا ردّها إلا آختبأتُها في عقله.

وقال البَعيث[3]: [طويل]

وإني لأُعْـطي النَّصْفَ مَنْ لو ظَلَمْتُهُ أَقَـرَّ وطـابتْ نَفْسُـه ليَ بـالـظُّلْمِ

وقال الطائي[4]: [طويل]

يـرى العلقَمَ المـأدوم بـالعزِّ أَرْيـةً[5] يَمـانية والأَرْيَ بـالضيم عَـلْقمـاً

إذا فـرشُـوه النَّصْفَ نـامتْ شَـذَاتُـه وإنْ رَتَعُـوا في ظلمـه كـان أظلمـاً

---

(١) تقدم ذكر هذا البيت .

(٢) النصف: الإنصاف.

(٣) هو خِداش بن بشر بن مجاشع التميمي المعروف بالبعيث. شاعـر وخطيب من أهـل البصرة. كانت بينه وبين جـرير مهـاجاة دامت نحـو أربعين سنة. تـوفي بالبصـرة سنة ١٣٤ هـ.مؤتلف والمختلف ص ٥٦، والأعلام ج ٢ ص ٣٠٢.

(٤) هو أبـو تمام حبيب الطائي.

(٥) الأَرْيَةُ والأري: العسل.

وقال العباس بن عبد المطلب[1]: [طويل]

أبى قومنا أن يُنصفونا فأنصفَتْ قواطعُ في أيْماننا تَقْطُرُ الدَّما
تركناهُمُ ولا يَسْتَخِلُّونْ بعدها لذي رَحِمٍ يوماً من الدهر محَرْمَا

بلغنا عن ضَمْرة عن ثور بن يزيد قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عُمّاله: أمّا بعد، فإذا دعَتْك قدرتُك على الناس إلى ظلمهم فآذكر قدرة الله عليك وفناءَ ما تُؤتِي إليهم وبقاءَ ما يؤتون إليك، والسلام.

وسمع آبن سيرين رجلاً يدعو على مَنْ ظلَمه، فقال: أقصِرْ يا هذا، لا يَرْبَح عليك ظالمك.

قولهم في الحبس

في الحديث المرفوع: «شكا يوسف عليه السلام إلى الله، عزّ وجلَّ طولَ الحبس فأوحى الله إليه: مَن حَبسك يا يوسف، أنت حبست نفسك حيث قلت: ﴿رَبِّ السِّجن أَحَبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ﴾[2] ولو قلتَ: العافيةُ أحبُّ إليَّ لعوْفِيْت».

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهْب قال: «إن يوسف عليه السلام دعا لأهل السجن دعوةً لم تزل تُعرف لهم إلى اليوم، قال: اللهمَّ، أعطف عليهم قلوبَ الأخيار ولا تُعْمِ عليهم الأخبار». فيقال: إنهم أعلم الناس بكل خبر في كل بلد.

---

(١) هو من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدّ الخلفاء العباسيين. كان مولعاً بإعتاق العبيد. توفي سنة ٣٢هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٦٢.

(٢) سورة يوسف ١٢، آية ٣٣. والمعنى: إنني آثر السجن لأنه ـ رغم مرارته ـ أحلى عاقبة من لذة الحرام.

وكُتب على باب السجن: «هذه منازل البلوى وقبورُ الأحياء وتجربة الصديق وشماتة الأعداء».

أنشدني الرياشيّ[١]: [بسيط]

ما يدخُل السِّجْنَ إنسانٌ فتسألُه ... ما بالُ سِجْنك إلا قال مظلومُ

وقال أعرابي: [طويل]

ولَمّا دخلتُ السجن كبَّر أهلُه ... وقالوا: أبو ليلى الغداةَ حزينُ

وفي الباب مكتوبٌ على صفحاتِه ... بأنّك تَنْزُو[٢] ثُمَّ سوف تلين

ويقال: إنّ قولهم «تنزو وتلين» رُؤي مكتوباً على باب حَبْسٍ فضربه الناس مثلاً.

وقال بعض المسجونين: [متقارب]

وبِتُّ بِأَحْصَنِها مَنْزلاً ... ثقيلاً على عُنُقِ السالِكِ[٣]

وليسَ بضيفٍ ولا في كِرَا[٤] ... ولا مُسْتَعِيْرٍ ولا مالِكِ

ولستُ بغصْبٍ ولا كالرُّهون[٥] ... ولا يشبه الوقْفَ عن هالك

وليْ مُسْمِعانِ فأدناهما ... يُغَنّي ويُسْمِعُ في الحالك

وأقصاهُما ناظرٌ في السما ... عَمْداً وأوسخُ من عارِكِ[٦]

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) تنزو: تَثِبُ؛ يقال: نزا ينزو نَزْواً: وَثَبَ.
(٣) بأحصنها منزلاً: في سجن مُحَصَّن لا يدخله نور ولا شمس. والسالك الذي يضع السلك (الثقيل) في عنقه، والسلك هو القلادة.
(٤) الكِرَا: أصلها الكِراء، وهي أجرة المُسْتَأْجِر، وهو مصدر «كارَيْتُهُ».
(٥) الرُّهُوْن: ج رَهْن، وهو ما وُضِع عندك لينوب مناب ما أُخِذ منك. وقيل: هو ما وضع وثيقة للدَّيْن.
(٦) العارِك: البعير الذي حُزَّ جنبه بمرفقه حتى خلص إلى اللحم.

المُسمعِ الأوّل قَيْدُهُ والثاني صاحب الحرس، ونحوه قول الآخر:

[متقارب]

ولـيْ مُسِـمعـانِ وزَمّـارةٌ وظِـلٌّ مـديـدٌ وحِصْن أمَقٌّ[١]

الزمّارة الغُلُّ، وأصل الزمّارة السَّاجُور.

قال أبو عبيدة: اختصم خالد بن صفوان[٢] مع رجل إلى بِلال بن أبي بُرْدَة[٣]، فقضى للرجل على خالد، فقام خالد وهو يقول: [طويل]

سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تَقشَّعُ[٤]

فقال بلال: أمَا إنها لا تَقَشَّعُ حتى يصيبك منها شُؤبُوبُ بَرَد. وأمرَ به إلى الحبس، فقال خالد: علام تحبسني؟ فوالله ما جنيْتُ جنـاية ولا خُنْتُ خيـانة. فقال بلال: يخبرك عن ذلك بابٌ مُصمَتٌ وأقيادٌ ثِقالٌ وقَيِّمٌ يقال له حَفْص.

قال الحجاج للغضبان بن القَبَعْثَري ورآه سميناً: ما أَسْمَنَكَ؟ قال: القيدُ والرَّتْعَةُ[٥]، ومن كان في ضيافة الأمير سَمُنَ.

---

(١) الحِصْن الأمَقُّ: الضَّيِّقُ.

(٢) هو شاعر مغمور اشتهرت له قصيدة باسم «العروس»: الأعلام ج ٢ ص ٢٩٦.

(٣) هو أمير البصرة وقاضيها. ولّاه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ على البصرة ثم عزله عنها يوسف ابن عمر الثقفي سنة ١٢٥ ه. وحبسه فمات سجيناً سنة ١٢٦ هـ. وهو ممدوح ذي الرُّمَّة الشاعر. الأعلام ج ٢ ص ٧٢.

(٤) قال في العقد الفريد (ج ٤ ص ٣٦): قال الأصمعي: لما ولي بلال بن أبي بُرْدة الأشعري البصرةَ بلغ ذلك خالد بن صفوان، فقال خالد نصف البيت المذكور، فبلغ ذلك بلالاً فدعا به وضربه مئة سَوْط.

(٥) الرَّتْعة: الإتّساع في الخصي، وهي كناية عن الراحة والسكون.

كان خالد[1] بن عبد الله حبس الكميت[2] الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يُعْرَفْ فقال: [طويل]

ولما أحلُّوني بصلعاءَ صَيْلَمٍ ... بإحدى زُبَى ذي اللِّبْدَتَيْن أبي الشِّبْلِ[3]

خرجْتُ خروجَ القِدْحِ[4] قِدْحِ ابن مُقْبِلٍ[5] ... على رغم آنافِ النوابح والمُشْلي[6]

عليَّ ثيابُ الغانياتِ وتحتها ... عزيمةُ مَرْءٍ أشْبَهَتْ سَلَّةَ[7] النَّصْلِ

وكان خالد بن عبد الله حبس الفرزدقَ فقال: [طويل]

وإني لأرْجو خالداً أنْ يَفُكَّني ... ويطلقَ عني مُقْفَلاتِ الحدائدِ

فإن يَكُ قَيْدي ردَّ همِّي فربما ... تناوَلْتُ أطراف الهموم الأباعدِ

وما من بلاء غيرَ كلِّ عشيةٍ ... وكلِّ صباحٍ زائرٍ غيرِ عائدِ

يقول ليَ الحدادُ هل أنتَ قائم؟ ... وما أنا إلاَّ مِثْلُ آخرَ قاعدِ

وقال بعض الشعراء في خالد بن عبد الله القسريّ[8] حين حُبس:

---

(١) خالد بن عبد الله أمير العراقين وأحد خطباء العرب وأجوادهم، يماني الأصل ومن أهل دمشق. ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك ثم ولاّه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة ١٠٥ هـ. ثم عزله هشام سنة ١٢٠ هـ وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي فسجنه هذا الأخير ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ. وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١٩ - ٢٢٠، والأعلام ج ٢ ص ٢٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٥. وقد ورد بيتان من أبياته الثلاثة في وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٢٠.

(٣) الصَّلْعاء: الأرض أو الرملة لا نبات فيهما. والصَّيْلَم: الشديد، أي الأرض الصلبة. والزُّبى: ج زُبْية، وهي الرابية لا يعلوها ماء، أو حفرة في موضع عالٍ يُهاد بها الذئب أو الأسد. وذو اللِّبْدتين: الأسد، واللبدة: شعر زُبْرة الأسد (الزُّبْرة: الشعر المجتمع بين كتفَيْ الأسد).

(٤) القِدْح: السهم.

(٥) هو تميم بن أُبَيّ بن مقبل، شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم. توفي سنة ٣٧ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٨٧.

(٦) المُشْلي: من أشْلى الكلبَ على الصيد: أغراه.

(٧) سلَّة النَّصْل: دفعته، كسلّ السيف من الغِمْد.

(٨) سبقت ترجمته في الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة.

[طويل]

لَعَمْري لقد أعمرْتُمُ السجنَ خالداً وأوطأتموه وَطْأة المتثاقلِ
فإن تحبسوا القَسْريَّ لا تحبسوا آسمه ولا تسجُنوا معروفَه في القبائل

وقال بعض المسجونين: [طويل]

أَسْجنٌ وقَيْدٌ وآغترابٌ وعُسْرةٌ وفَقْدُ حبيبٍ! إنَّ ذا لَعَظِيْمُ
وإنَّ امرأً تبقى مواثيقُ عهدِهِ على كل هذا، إنه لَكَرِيْمُ

وقال آخرُ مثله: [طويل]

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفي يده كشفُ المصيبة والبلوى
خرجْنا من الدنيا ونحن مِنَ آهلها فلسْنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السَّجَّانُ يوماً لحاجةٍ عجبْنا وقُلْنا: جاء هذا من الدنيا
وتُعجِبُنا آلرُّؤْيا فجُلُّ حديْثِنا إذا نحن أصبحْنا، آلحديثُ عن الرؤيا
فإنْ حَسُنَتْ لم تاتِ عَجْلَى وأبطأتْ وإنْ قَبُحَتْ لم تحتبِسْ وأتتْ عَجْلى

وقال يزيد[1] بن المُهَلَّب وهو في الحبس: يا لَهْفِي على طَلِبَة[2] بمائة ألف وفَرَجٍ في جبهة أسد. ودخل الفرزدق على المهلَّب وهو محبوس فقال:

---

(١) يزيد بن المهلب من القادة الشجعان الأجواد. ولي خراسان ثم عزله عبد الملك بن مروان. وكان الحجاج يخشى بأسه فأقدم على حبسه. قتل سنة ١٠٢ هـ على يد مسلمة بن عبد الملك. وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٨ ـ ٣٠٩، والأعلام ج ٨ ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٢) الطَّلِبَةُ: ما طَلَبْتَهُ من شيء. والمقصود مئة ألف درهم كي يشتري بها عذابه في يومه كما ورد في وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٧٩.

[منسرح]

أَصْبَحَ في قيدِكَ ٱلسماحةُ والـ ـجُودُ وحَمْلُ الدِّيَاتِ والحَسَبُ[1]

فقال له: أتمدحني على هذه الحال؟ فقال: أصبْتُك رخيصاً فٱشتريْتك[2].

وحبس الرشيد أبا العتاهية فكتب إليه من الحبس بأبيات منها:

[منسرح]

تَفْدِيك نفسي من كل ما كرِهَتْ نفسُك إن كنتُ مذنباً فٱغفرْ
يا ليت قلبي مصوّرٌ لك ما فيه لِتَسْتَيْقِنَ ٱلذي أُضمرْ

فوقَّع الرشيد في رقعته: لا بأس عليك. فأعاد عليه رقعة أخرى فيها:

[وافر]

كأنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ له جَسَدٌ وأنت عليه رأسُ
أمينَ الله، إن الحبسَ بأسٌ وقد وقَّعْتَ «ليس عليك بأسُ»

فأمر بإطلاقه.

الحجاب

أبو حاتم عن العتبي عن أبيه أن عبد[3] العزيز بن زُرارة الكلابي وقف

---

(١) أورد ابن خلكان (نفس المصدر السابق ص ٣٠٠) بيتاً آخر يلي هذا البيت وهو:
لا بَطِرٌ إنْ ترادفتْ نِعَمٌ وصابرٌ في البَلاء مُحْتَسِبُ

(٢) أي رأيتك رخيصاً، كونك في السجن، فأحببت أن أسلف فيك بضاعتي. ذكر ابن خلكان (نفس المصدر والصفحة) أن يزيداً، عندما سمع شعر الفرزدق، رمى إليه بخاتمه وقال: شراؤه ألف دينار، وهو رُبْحك إلى أن يأتيك رأس المال.

(٣) عبد العزيز بن زُرارة الكلابي قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية. كان في من غزا القسطنطينية وأبلى في قتال الروم. قتل في إحدى الوقائع سنة ٥٠ هـ، ولما نعي لمعاوية قال: هلك، والله، فتى العرب! الأعلام ج ٤ ص ١٧.

على باب معاوية فقال: من يستأذن لي اليوم فأدخله غداً؟ وهو في شَمْلتين، فلما دخل على معاوية قال: هززتُ ذوائب الرحال إليك إذ لم أجد معوّلاً إلا عليك. أمتطي الليل بعد النهار وأَسِمُ المَجاهل بالآثار. يقودني نحوَك رجاء وتسوْقني إليكَ بلْوى، والنفسُ مستبطئة والاجتهادُ عاذر. فأكرَمه وقرّبه. فقال في ذلك:

[وافر]

دخلتُ على معاويةَ بنِ حَرْبٍ ... وذلك إذ يئسْتُ من الدخولِ
وما نلتُ الدخولَ عليه حتّى ... حَلَلْتُ محلَّة الرَّجُلِ الذليل
وأغْضَيْتُ الجفونَ على قَذاها ... ولم أسمعْ إلى قالٍ وقيْل
فأدركْتُ الذي أمَّلْتُ فيه ... بِمَكْثٍ والخُطَا زادُ العَجُول

وقال غير العتبي: لما دخل عبد العزيز بن زُرَارة على معاوية قال له: «إني رحلْتُ إليك بالأمل وآحتملْتُ جَفْوتك بالصبر، ورأيت ببابك أقواماً قدّمهم الحظُّ، وآخرين باعدهم الحِرمانُ. وليس ينبغي للمتقدم أن يأمن ولا للمتأخر أن ييأس. وأول المعرفة الاختبار فآبْلُ وآختبر» وفي حُجّاب معاوية إياه يقول شاعر مُضَر[1]:

[سريع]

مَنْ يأذنِ اليومَ لعبدِ العزيزْ ... يأذنْ له عبدُ عزيزٍ غَداً

قال أبو اليقظان: كان عبد العزيز بن زُرارة فتى العرب.

استأذن أبو سفيان على عثمان فحجبه. فقيل له: حجبك أمير المؤمنين؟ فقال لا عدمْتُ من قومي من إذا شاء حجبني. وحجب معاوية أبا الدرداء فقال

---

(١) هو الفرزدق الشاعر المشهور، وهو همّام بن غالب التميمي، من أهل البصرة، توفي في بادية البصرة سنة ١١٠ هـ مقارباً المئة. الأعلام ج ٨ ص ٩٣. وذكر في العقد الفريد (ج ٥ ص ٣٢٥) أن جريراً يوم دخل على هشام بن عبد الملك طالباً منه أن يطلق سراح الفرزدق قال له: «يا أمير المؤمنين، إنْ كنت تريد أن تبسط يدك على بادي مُضر وحاضرها فأطلِقْ لها شاعرها وسيدها الفرزدق» فأمر بإطلاقه.

أبـو الدرداء: من يَغْشَ سُـدَدَ السلطان يقمْ ويقعدْ ومن صـادف بابـاً عنه مُغْلَقـاً وجد إلى جانبه باباً فُتُحاً، إن دعا أُجيب وإذا سأل أُعطي.

قال رجل لحاجبه: إنك عينُ أنظرُ بها وجُنَّةٌ[1] أستنيم إليهـا، وقد ولّيتـك بابي، فما تـراك صانعاً برعيتي؟ قـال: أنظرُ إليهم بعينـك وأحملهم على قدْر منـازلهم عندك وأضعُهم في إبـطائهم عن زيارتـك ولزومهم خـدمتك مـواضـعَ آستحقـاقهم وأُرتِّبُهم حيث وضَعهم ترتيبُـك وأُحْسِنُ إبـلاغـك عنهم وإبـلاغَهم عنك. قال: قد وفّيْتَ ما لك وما عليك إنْ صدّقته بفعل. وكان يقال: حـاجبُ الرجل حارس عِرْضه.

وقرأت في التاج أن أبرويز قال لحاجبـه: «لا تقدِّمَنَّ مستغيثـاً ولا تضعنَّ ذا شرف بصعوبة حجاب ولا ترفعنَّ ذا ضعة بسهولته. وضَـعِ الرجـالَ مواضِـعَ أخطارهم، فمن كان مقدَّماً له الشرفُ ممن آزدرَعه[2] ولم يهدمـه من بعد بنـائه فقدِّمْهُ على شرفه الأوّل وحسن رأيه الآخر، ومن كان له شـرفُ مقدَّم فلم يَصُنْ ذلك إبلاغاً به ولم يزدرعْه تثميراً له فـألحق بآبـائه مهلة سبقهم في خـواصهم، وألحق بـه في خاصتـه ما ألحق بنفسـه. لا تـأذن لـه إلا دُبُـراً ولا تـأذن لـه إلا سِرَاراً[3]. وإذا ورد عليك كتابُ عامل من عُمّالي فلا تحبسْه عني طرفةَ عينٍ إلا أن أكـون على حال لا تستـطيع الـوصول إليَّ فيهـا، وإن أتاك مُـدَّعٍ لنصيحـة فـآستكتبْها سـرّاً ثم أدخِلْه بعـد أن تستـأذن لـه. حتى إذا كـان مني بحيث أراه فآدفعْ إليَّ كتابه، فإنْ أحمدْتُ قبلت وإن كرهت رفضْتُ، ولا ترفعنَّ إليَّ طِلْبـة

---

(١) الجُنَّة: السُّتْرة وكل ما وقى من سلاح.
(٢) ازْدَرَعَ الرجلُ: زرع وآحترث.
(٣) السِّرارُ والدُّبُـرُ من كل شيء: عَقِبُـهُ ومُؤَخَّرُه؛ يقـال: جئتك دُبُـر الشهر أي آخـره. والسِّرار من الشهر: آخر ليلة منه. والمعنى: لا تأذن له بالدخول عليك إلّا آخِرَ مَنْ حضر.

طالب إنْ منعْتُهُ بخَّلني وإن أعطيْته آزدراني، إلا بمؤامرةٍ مني من غير أن تُعْلمه أنك قد أعلمتني وإن أتاك عالم يستأذن عليّ لعلم يزعم أنه عنده فاسأله: ما علمه ذلك؟ ثم آستأذِنْ له فإن العلم كآسمِهِ، ولا تحجبنَّ سَخْطةً ولا تأذننَّ رِضاً، أخْصصْ بذلكَ المَلك ولا تخصَّ به نفسَك».

الهيثم قال: قال خالد بن عبد الله لحاجبه: «لا تَحْجِبَنَّ عنّي أحداً إذا أخذْتُ مجلسي، فإن الوالي لا يحجب إلا عن ثلاث: عيٍّ يكرُه أن يُطَّلَعَ عليه منه، أو رَيْبة، أو بخل فيكره أن يدخُل عليه مَنْ يسأله». ومنه أخذ ذلك محمود الورّاق[1] فقال: [طويل]

إذا آعتصمَ الوالي بإغلاق بابه ... وردَّ ذَوي الحاجات دونَ حجابِهِ
ظننْتُ به إحدى ثلاثٍ وربّما ... نزعْتُ بظنٍّ واقعٍ بصوابه
فقلْتُ به مَسٌّ من العيِّ[2] ظاهرٌ ... ففي إذْنه للناس إظهارُ ما به
فإنْ لم يكن عِيُّ اللسان فغالبٌ ... من البخل يَحْمي ما لَهُ عن طِلَابه[2]
فإن لم يكن هذا ولا ذا فَرَيْبَةٌ ... يُصِرُّ عليها عند إغلاق بابه

وقال بعض الشعراء: [مجزوء المديد]

إعلَمَنْ إنْ كنْتَ تَعْلَمُهُ ... أنَّ عِرْضَ المَلْكِ حاجِبُهْ
فبه تبدو محاسنُهُ ... وبه تبدو مَعايِبُهُ

وقال آخر: [سريع]

كم من فتىً تُحمدُ أخلاقه ... وتسكُنُ الأحرارُ في ذمّتهْ
قد كثَّر الحاجبُ أعداءَهُ ... وسلَّط الذَّمَّ على نِعمتهْ

---

(١) محمود الورّاق شاعر مشهور، أكثر شعره في المواعظ والحكم. توفي نحو ٢٢٥ هـ. الأعلام ج ٧ ص ١٦٧.

(٢) العِيُّ: الجهل. وعِيُّ اللسان أي مَنْ حَصِرَ في حديثه.

حضر بابَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جماعةٌ منهم سهيل بن عمرو وعُيينة بن حصْن والأقرع بن حابس فخرج الآذنُ فقال: أين صُهَيب؟ أين عمّار؟ أين سلمان؟ فتمعَّرَتْ(١) وجوهُ القوم. فقال واحد منهم: لِمَ تتمعَّرُ وجوهكم؟ دُعوا ودُعِينا فأسرعوا وأبطأْنا، ولئنْ حسدتموهم على باب عمر لَمَا أعدّ الله لهم في الجنة أكثرُ.

وقال بعض الشعراء: [طويل]

سأترك هذا الباب ما دام إذْنُه ... على ما أرى حتى يخفَّ قليلاً
إذا لم نجدْ للإذنْ عندك موضعاً ... وَجَدْنا إلى تَرْك المجيء سبيلاً

وقال آخر لحاجب: [طويل]

سأترك باباً أنت تَمْلُكُ إذْنَهُ ... وإن كنْتُ أعمى عن جميع المسالكِ
فلو كنْتَ بوّابَ الجِنانِ تركْتُها ... وحوَّلْتُ رَحْلي مُسرعاً نحوَ مالك

وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف: [طويل]

لئنْ عُدْتُ بعد اليوم إني لَظَالِمٌ ... سأصرف وجهي حيث تُبغَى المكارمُ
متى يَنْجَحُ الغادي إليك بحاجة ... ونِصْفُك محجوبٌ ونصفك نائم؟

وقال آخر: [متقارب]

ولستُ بمُتَّخذٍ صاحِبَا ... يُقِيْمُ على بابه حاجِبَا
إذا جئتُ قال له: حاجةٌ ... وإن عدْتُ ألفيته غائبا
ويُلزم إخوانَه حقَّه ... وليس يَرى حقَّهُمْ واجِبا
فلستُ بلاقِيْه حتى المماتِ ... إذا أنا لم ألقَهُ راكبا

---

(١) تمعَّرتْ وجوههم: تغيَّرت غَيْظاً.

وقال عبد الله[1] بن سعيد في حاجب الحجّاج[2] وكان يحجُبه دائماً:

[طويل]

ألا رُبَّ نُصْح يُغلق البابُ دونَه وغِشٍّ إلى جنْب السرير يُقرَّب

وقال آخر: [سريع]

ما ضاقتِ الأرضُ على راغبٍ يَطَّلِبُ الرزقَ ولا هاربِ
بل ضاقتِ الأرضُ على طالبٍ أصبح يشكو جَفْوة الحاجبِ

وحُجب رجل عن باب سلطان فكتب إليه: «نحن نعوذ بالله من المطامع الدنيّة والهمم القصيرة وآبتذال الحُرّية، فإن نفسي، والحمد لله، أبيَّةٌ ما سقطت وراء همّة ولا خذلها صبرٌ عند نازلة ولا آسترقَّها طمعٌ ولا طُبِعتْ على طَبَع وقد رأيتك ولَّيْتَ عِرْضَك مَنْ لا يصونه ووصلْت ببابك مَنْ يَشينه وجعلْتَ ترجمان عقلك من يُكثِرُ من أعدائك وينقص من أوليائك ويسيء العبارة عنك ويوجه وفد الذم إليك ويُضْغِن قلوب إخوانك عليك إذ كان لا يعرف لشريف قدراً ولا لصديق منزلة، ويزيل المراتب عن جهل بها وبدرجاتها فيحطّ العليَّ إلى مرتبة الوضيع ويرفع الدنيَّ إلى مرتبة الرفيع ويحتقر الضعيف لضعفه وتنبو عينه عن ذي البَذاذة[3] ويميل إلى ذي اللباس والزينة ويقدّم على الهوى ويقبل الرُّشا».

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، القائد الداهية السفّاك الخطيب. قلّده عبد الملك أمر عسكره، وقاتل عبدَ الله بن الزبير وقمع الثورة ببغداد وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) وهو أول من ضرب درهماً عليه «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» مات بواسط سنة ٩٥ هـ. الأعلام ج ٢٠ ص ١٦٨.

(٣) البَذَاذة: من بَذَّ يَبَذُّ بَذاذة: ساءت حاله ورثَّت هيئته.

وقال بشار، وقيل هو لغيره: [كامل]

تأبى خلائقُ خالدٍ[1] وفعالُه … إلّا تجنُّبَ كلّ أمْرٍ عائبِ

فإذا أتيْتَ آلبابَ وقْتَ غدائه … أذِنَ الغداءُ برغم أنفِ الحاجبِ

وهذا ضدّ قول الآخر: [سريع]

إذا تغدَّى فَرَّ بوّابُهُ … وآرتدَّ من غير يَدٍ بابُهُ

ومات من شِهوةٍ ما يحْتَسي … عيالُه طرّاً وأصحابُه

وقال آخر: [خفيف]

يا أميراً على جَرِيْبٍ[2] من الأر … ض له تِسْعَةٌ من الحُجّابِ

قاعداً في الخَرابِ يُحجَبُ عنه … ما سمعنا بحاجبٍ في خراب!

وقال آخر[3]: [طويل]

على أي بابٍ أطلب الإذْنَ بعدما … حُجبْتُ عن الباب الذي أنا حاجِبُهْ[4]

وقال الطائي: [بسيط]

يا أيها الملك النائي برؤيتِهِ … وُجوْدُه لِمُراعي جُوْدِهِ كَثَبُ

ليس الحِجاب بمُقْصٍ عنك لي أملاً … إنَّ السماءَ تُرَجَّى حين تحتجبُ

---

(١) هو خالد بن عبد الله أمير العراقين، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٨١ من هذا الجزء فأنظره.

(٢) الجريب: المزرعة، وعند الفقهاء: مقدارٌ معلوم من الأرض، وهو ما يحصل من ضرب ستين في نفسها أي في ستين أيضاً. قال قدامة في كتاب الخراج: الأَسَل إذا ضرب في مثله فهو الجريب، والأسل طول ستين ذراعاً.

(٣) ذكر في العقد الفريد (ج ١ ص ٧٣) أن رجلاً من خاصة محمد بن منصور وقف ببابه فَحُجِب عنه فكتب إليه البيت المذكور.

(٤) نسب الجاحظ في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٥٠٩ ـ ٥١٠) هذا البيت لتويب اليماني، المعروف بتويب، مكبَّره هنا.

وقال أيضاً: [كامل]

ومُحَجَّبٍ حـاولْتُـهُ فـوجـدْتُـهُ نَجْماً عن الرَّكْبِ العُفَاة شَسُوعَا

أعـدْمتُه لمّـا عَـدِمْتُ نَـوالَـه شكـريْ فَـرُحْنا مُعْـدَمِيْنَ جميعا

وقال آخر: [خفيف]

قـد أطلْنا بـالبـاب أمْسِ القعـودا وجُـفِيْـنـا بـه جـفـاءً شـديـدَا

وذَمَـمْنـا الـعـبيـدَ حتى إذا نحـ ـن بَلْونـا المـولى عَـذَرْنـا آلعبيـدا

وحُجِبَ رجلٌ فكتب: [طويل]

أبـا جعفـرٍ، إن الـولايـة إن تكنْ مُـنَبِّلَةً قـومـاً فـأنت لهـا نُبْـلُ

فـلا تـرتفـعْ عنّـا لـشيء وَلِـيْتَـهُ كمـا لم يُصَغِّرْ عنـدنا شـأنَك آلعَـزْلُ

وكتب رجـل من الكتّـاب في هـذا المعنى إلى صـديق لـه: «إن كـان ذهولك[١] عنا لِدُنْيا أَخْضَلَتْ[٢] عليك سماؤها وأَرْتَبَتْ بـك[٣] دِيمَهُا فـإن أكثر مـا يجري في الظن بك بل في اليقين منك أنك أملَكُ ما تكون لِعنَانك أن يَجْمَـحَ بك ولنفسك، أن تستعليَ عليك إذا لانتْ لك أكنافُها وآنقاد في كفّك زمـامُها؛ لأنك لم تنلْ ما نلتَ خَلْساً ولا خَـطْفاً، ولا عن مقـدار جَرَفَ إليـك غيرَ حقـك وأمـال نحوك سـوى نصيبك. فـإنْ ذهبْتَ إلى أنَّ حقك قـد يحتمـل في قـوّتـه وسعتـه أنْ تضمّ إليه الجَفْـوة والنَّبْوة فيتضـاءل في جنبه ويصغـر عن كبيره فغير مدفوع عن ذلك. وآيم[٤] الله لولا ما بُلِيَتْ به النفسُ من الظَّنِّ بك وأن مكانك منها لا

(١) ذهولك عنّا: تركك لنا وإبعادك عنّا.
(٢) أخضلت السماء عليك: بَلَّتْك، أي أغدقت عليك النِّعَم.
(٣) أَرْتَبَتْ بك دِيَمُها: جعلت عيشك دائماً ثابتاً. والدِّيَم: ج دِيْمة، وهي مطرٌ يدوم في سكـون بلا رعد ولا برق.
(٤) أيْمُ الله: قسمٌ، ويقال أيضاً: أَيْمُنُ الله وإيْمِ اللّهِ.

يسدّه غيرُك لسخَتّ عنك وذهلَتْ عن إقبالك وإدبارك ولكان في جفائك ما يردّ من غِرّتها ويبرِّد من غُلتها، ولكنه لما تكاملت النعمة لك تكاملت الرغبة فيك».

أبو حاتم عن العتبيّ قال: قال معاوية لحُصين بن المنذر وكان يدخل عليه في أخريات الناس: يا أبا ساسان، كأنه لا يُحْسَن إذنُك. فأنشأ[1] يقول:

[طويل]

كلُّ خفيفِ الشأنِ يَسْعَى مُشَمِّرا ... إذا فتح البوّابُ بابَك إصْبَعَا

ونحن الجلوس الماكثون رَزانةً ... وحِلْماً إلى أن يفتح البابُ أجمعا

وقال بعض الشعراء في بِشْر بن مروان: [طويل]

بعيدُ مَرَدِّ العين ما ردَّ طَرْفَه ... حِذَارَ الغواشي[2] بابُ دارٍ ولا سِتْرُ

ولو شاء بِشْرٌ كان من دون بابه ... طَمَاطمُ[3] سودٌ أو صقالبةٌ حُمْرُ

ولكنَّ بِشْراً يَسَّرَ البابَ للتي ... يكون له في غِبِّها الحمدُ والأجْرُ

وقال بشر: [طويل]

فلا تبخلا بُخْلَ ابنِ قَرْعَةَ إنه ... مخافةَ أنْ يُرْجَى نَداه حزينُ

إذا جِئْتَه في العُرْفِ أغْلَقَ بابَهُ ... فلم تَلْقَهُ إلا وأنت كمينُ

فقل لأبي يحيى متى تدرك العُلا ... وفي كل معروفٍ عليك يمينُ؟

---

(١) القول لِحُصَيْن بن المنذر الذهلي الشيباني الرقاشي، من سادات ربيعه وشجعانهم. كان صاحب راية علي بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، يوم صفين. كانت وفاته سنة ٩٧ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) هو أميرٌ ولي إمرة العراقين (البصرة والكوفة) لأخيه عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي سنة ٧٤ هـ. كان سمْحاً جواداً. توفي سنة ٧٥ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٥٥.

(٣) الغواشي: ج غاشية، وهم السُّؤَّال يأتونك.

وقال آبن هَرْمة[1] يمدح: [كامل]

هشٌّ إذا نَزَلَ الوفودُ ببابهِ ... سهلُ الحِجابِ مؤدَّبُ الخُدَّامِ

وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه ... لم تَدْرِ أيُّهما أخو الأرحام

وكتب رجل إلى بعض الملوك: [وافر]

إذا كان الجواد له حجابٌ ... فما فضل الجوادِ على البخيلِ

فكتب إليه الآخر: [وافر]

إذا كان الجواد قليلَ مالٍ ... ولم يُعْذرْ تعلَّلَ بالحجابِ

وقال عبيد الله[2] بن عِكْراش: [طويل]

وإني لأَرْثي للكريم إذا غَدَا ... على طمعٍ عند اللئيم يطالِبُهْ

وأرثي له من مجلسٍ عند بابه ... كَمَرْثِيَتي للطِّرْف[3] والعِلْجُ راكبُهْ

وكتب عبد الله بن أبي عُيَيْنَة[4] إلى صديق له: [وافر]

أتيتك زائراً لقضاء حقٍ ... فحالَ السِّتْرُ دونك والحجابُ

ولست بساقطٍ في قِدْر قوم ... وإن كرهوا كما يقع الذُّباب

---

(١) هو إبراهيم بن علي بن هرمة القرشي، شاعر غَزِلٌ من سكان المدينة. إنقطع إلى الطلبيين وله شعرٌ فيهم. قال الأصمعي: خُتم الشعرُ بابن هرمة رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد الأموي. كانت وفاته سنة ١٧٦ هـ. الأعلام ج ١ ص ٥٠.

(٢) لم أحْظَ بترجمة له، ولكنه ابن منظور ذكر في مادة (عكرش) والد عبيد فقال: عِكْراش رجل كان من أرمى أهل زمانه. وقال الأزهري: عكراش بن ذؤيب كان قدم على النبي ﷺ.

(٣) الطِّرْف: الكريم من الخيل، والجمع طُرُوْف.

(٤) عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَة يكنى أبا جعفر وهو ابن محمد بن أبي عيينة المهلَّب بن أبي صفْرة ومن أطبع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً. أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٥٠ ـ ٧٥٥ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٢٦٧.

أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: كنا بباب الفضل[1] بن الربيع وهم يأذنون لذوي الهيئات والشارات وأعرابي يدنو فكلما دنا طُرِحَ.

فقام ناحيةً وأنشأ يقول: [بسيط]

رأيت آذِنَنا يَعْتَامُ[2] بِزَّتَنا ... وليس للحَسَبِ الزاكي بُمعْتام
ولو دُعِيْنا على الأحساب قدَّمني ... مَجْدُ تليْدُ وجَدٌّ[3] راجحٌ نامي
متى رأيتَ الصقورَ الجُدَل يَقْدُمُها ... خِلْطانِ من رَخَمٍ قُرْعٍ ومن هَامِ؟

دخل شَرِيْك الحارثي على معاوية فقال له معاوية: من أنت؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، ما رأيت لك هفوة قبل هذه، مِثْلك ينْكر مثلي من رعيته! فقال له معاوية: إن معرفتك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضرْتَ في الوجوه، وأعرف آسمك في الأسماء إذا ذُكرت، ولا أعلم أن ذلك الاسم هوْ هذا الوجه، فآذكرْ لي آسمك تجتمعْ معرفتك.

إستأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما وكان أشرف منزلة من الآخر، ثم أذن للآخر فدخل عليه فجلس فوق صاحبه. فقال معاوية: إن الله قد ألزمنا تأديبكم كما ألزمنا رعايتكم، وأنَّا لم نأذنْ له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك. فَقُمْ لا أقام الله لك وزْناً.

دخل أبو مِجْلَز[4] على عمر بن عبد العزيز حين أقدمه من خراسان، فلم

---

(١) هو وزير أديب حازم، إستحجبه المنصور لما ولّى أباه الوزارة. ثم ولي وزارة إلى أن مات الرشيد. توفي سنة ٢٠٨ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٤٨.
(٢) يَعْتام بِزَّتنا: يختار.
(٣) الجَدُّ: الحظ.
(٤) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ١ ص ٢٠) أن عمر بن عبد العزيز كان سأل أبا مِجْلَز في أختيار رجل يوليه خراسان.

يُقْبِل عليه. فلما خرج قال له بعض من حضر المجلس. هذا أبـو مجلز. فردّه وآعتذر إليه وقال: إني لم أعرفك. قال: يا أمير المؤمنين، فهلا أنكرتني؟.

قال أشجع[1] السلمي يذكر باب محمد بن منصور بن زياد[2]:

[مجزوء الهَزَج]

علـى بـاب آبـن مـنـصـورٍ عـلامـاتٌ مـن الـبَـذْلِ
جـمـاعـاتٌ وحَـسْـبُ البـا ب فـضـلاً كـثـرةُ الأهـل

وكانت العرب تتعوّذ بالله من قَـرْع الفِناء ومن قـرع المُرَاح. وقـال بعض الشعراء:

[كامل]

مـالي أرى أبـوابهُـمْ مهـجـورةً وكـأنَّ بـابـكَ مجْمعُ الأسـواقِ
أرَجَوْك أم خافوك أم شَامُوا الحَيَا[3] بِحَـرَاكَ[4] فـآنتجعـوا من الآفـاق

وقال آخر:

[سريع]

يـزدحم النـاسُ على بـابـه والمَشْرَب العذْبُ كثير الزحـامْ

وقال آخر:

[رجز]

إن النَّدَى حيث ترى الضِّغَاطا

يعني الزحام.

وقال بشار:

[خفيف]

ليس يُعْـطيـكَ للرجـاء ولا الخـوْ فِ ولـكـنْ يَـلـذُّ طعْـمَ الـعـطاءِ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية. ولقد ذكر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٩٢) مرثية دالية لأشجع قالها في محمد بن منصور.

(٢) وردت ترجمته في العقد الفريد في صفحات متفرقة منه. أنظره في ج ١ ص ٧٣، ٢٨٢ وج ٢ ص ٢٧٤ وج ٣ ص ٢٩٢ وج ٥ ص ٣٢٧.

(٣) الحَيَا: المطر.

(٤) الحَرَا: الناحية والساحة.

يَسْقُطُ الطيرُ حيث ينتثِرُ الحَـ ـبُّ وتُغْشى منازلُ الكرماءِ

دقّ رجلٌ على عمر بن عبد العزيز الباب فقال عمر: من هذا؟ قال: أنا. قال عمر: ما نعرف أحداً من إخواننا يسمَّى أنا.

خرج شَبِيْب بن شَيبة من دار الخلافة يوماً فقال له قائل: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الداخل راجياً ورأيت الخارج راضياً.

قال أبو العتاهية: [متقارب]

إذا آشتدّ دوني حجابُ آمرِىءٍ كفَيْتُ المؤونةَ حُجّابَهُ

حُجب أعرابي على باب السلطان فقال: [طويل]

أُهْيْنُ لهمْ نفسيْ لأُكْرِمَها بهمْ ولا يُكرِم النفسَ الذي لا يُهِيْنُها[1]

وقال جرير: [كامل]

قومٌ إذا حضرَ الملوكَ وُفُوْدُهُمْ نُتِفَتْ شواربُهُمْ على الأبوابِ[2]

وقال آخر: [طويل]

لما وردْتُ البابَ أيقنتُ أننا على الله والسلطانُ غيرُ كرام[3]

وقال أبو القمقام[4] الأسدي:

---

(١) ذكر في العقد (ج ١ ص ٧٠) أن رجلاً «نظر إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان فقال له: أمثلك يرضى بهذا؟ فقال». ثم ذكر البيت الشعري. كذلك ورد هذا الخبر مع بيت الأعرابي في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٢) ورد هذا البيت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٩).

(٣) ورد هذا البيت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٩).

(٤) أورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٦٨ - ٦٩) هذا الشعر ولكنه باختلاف في بعض الكلمات ونسبها لهشام الرَّقاشي، كما نسبه الجاحظ في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٧٠) لهمّام الرقاشي. ثم عاد الجاحظ وذكره مرة أخرى في الجزء الثالث ص ٥٩٩ من المصدر المذكور منسوباً لهاشم الرقاشي.

[بسيط]

أبلغْ أبا مالكٍ عني مُغَلْغَلَةً وفي العتاب حياةٌ بين أقوامِ
أدْخلتَ قبليَ قوماً لم يكن لهُمُ من قبلُ أن يَلِجُوا الأبوابَ قُدّامي
لو عُدَّ بيتٌ وبيتٌ كنتُ أكْرَمَهُمْ بيتاً وأبعدَهُمْ من منزل الذّامِ
فقد جَعْلتُ إذا ما حاجتي نَزَلَتْ ببابِ دارك أدْلُوها بأقوام

التلطُّفُ في مخاطبة السلطان

وإلقاءِ النصيحة إليه

العتبي قال: قال عمرو بن عُتْبة للوليد حين تنكّر له الناس: يا أمير المؤمنين، إنك تُنطقني بالأنس بك وأنا أكفتُ ذلك بالهيبة لك. وأراك تأمن أشياءَ أخافها عليك، أفَأَسْكُتُ مطيعاً أم اقول مشفِقاً؟ فقال: كلٌّ مقبول منك، ولله فينا علمُ غيْبٍ نحن صائرون إليه. ونعود فنقول؛ فقتِل بعد أيام.

وفي إلقاء النصيحة إليه: قرأت في كتاب للهند أن رجلاً دخل على بعض ملوكهم فقال له: أيها الملك، نصيحتك واجبةٌ في الحقير الصغير بَلْه[1] الجليلَ الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك وآحتمالك ما يسوء موقعُه من الأسماع والقلوب في جَنب صلاح العاقبة وتلافي الحادث قبل تفاقُمه لكان خرقاً مني أن أقول، وإن كنا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا موصول ببقائك وأنفسنا معلقة بنفسك لم أجد بُدّاً من أداء الحق إليك وإن أنت لم تسألني أو خفتُ ألّا تقبل مني، فإنه يقال: من كتمَ السلطان نصحه والأطباء مرضه والإخوان بثّه فقد خان نفسَه.

---

(١) بَلْهَ: إسم فعل أمر بمعنى دَعْ أي: أتْرُكْ. ويقع الإسم بعده منصوباً على المفعولية.

الخفوت في طاعته

قال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد: إني قد أعددتك لأمر. قال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعدّ لك منّي قلباً معقوداً بنصيحتك ويداً مبسوطة بطاعتك وسيفاً مَشْحُوذاً على عدّوك فإذا شِئْتَ فقل.

وفي مثله: قال إسحاق بن إبراهيم قال لي جعفر بن يحيى آغدُ عليّ لِكَذا. فقلت: أنا والصبح كفرَسَي رِهان. وفي مثله: أمر بعضُ الأمراء رجلاً بأمر فقال له: أنا أطْوَعُ لك من اليد وأذلُّ لك من النّعل. وقال آخر: أن أطوع لك من الرِّداء وأذلّ لك من الحذاء.

التلطُّف في مدحه

قال خالد بن عبد الله القَسْري[1] لعمر بن عبد العزيز: من كانت الخلافة زانَتْهُ، فإنك قد زِنْتها، ومن كانت شرفَتْهُ فإنك قد شَرَّفْتَها، فأنت كما قال القائل: [خفيف]

وإذا الدُّرّ زانَ حُسْنَ وجوهٍ ... كان للدّر حُسْنُ وَجْهِك زَيْنا

فقال عمر: أُعطي صاحبُكم مَقُولاً ولم يُعْطَ معقُولاً.

وكتب بعض الأدباء إلى بعض الوزراء: «إن أمير المؤمنين منذ آستخلصك لنفسه فنظر بعينك وسمع بأذنك ونطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن رأيك، وكان تفويضه إليك بعد آمتحانك وتسليطُه الرأي على الهوى فيك بعد أن ميَّل بينك وبين الذين سَمَوْا لرتبتك وجَرَوا إلى غايتك فأسقطهم مضمارُك وخَفّوا في ميزانك ولم يزدك رفعةً إلا آزددْتَ لله تواضعا، ولا بسطاً وإيناساً إلا آزددت له هيبة وإجلالاً، ولا تسليطاً وتمكيناً إلا آزددْتَ

(١) تقدمت ترجمته.

عن الدنيا عُزوفاً، ولا تقريباً إلا آزددت من العامة قرباً. ولا يخرجك فرط النصح للسلطان عن النظر لرعيته، ولا إيثار حقّه عن الأخذ لها بحقّها عنده، ولا القيام بما هو له عن تضمّن ما عليه، ولا تشغلك جلائل الأمور عن التفقّد لصغارها، ولا الجَذَل بصلاحها وآستقامتها عن آستشعار الحذر وإمعان النظر في عواقبها».

وفي مدحه: دخل العُمَاني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قَلنسُوة طويلة وخُفٌّ[1] ساذَج، فقال له الرشيد: يا عماني، إياك أن تنشدني إلا وعليك عِمامةٌ عظيمة الكَوْر[2] وخُفّان دُمالقان[3] فبكّر إليه من الغد وقد تَزيّا بزِيّ الأعراب ثم أنشده وقبّل يده وقال: يا أمير المؤمنين، قد، والله، أنشدْتُ مروان ورأيت وجهه وقبّلْتُ يده وأخذت جائزته ثم يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ثم السفّاح ثم المنصور ثم المهدي. كلّ هؤلاء رأيت وجوههم وقبّلْتُ أيديهم وأخذْت جوائزهم، إلى كثير من أشباه الخلفاء وكِبار الأمراء والسادة والرؤساء، والله ما رأيت فيهم أبهى مَنْظَراً ولا أحسن وجهاً ولا أنعم كفّاً ولا أندَى راحةً منك يا أمير المؤمنين. فأعظَم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنّى جميع من حضر أنه قام ذلك المقام.

وفي المديح: كتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن بن سهل فقال: «إن الله قد جعل جَدّك عالياً وجعلك في كل خير مُقدماً وإلى غاية كل فضل سابقاً وصيّرك، وإن نَأَتْ بك الدار، من أمير المؤمنين وكرامته قريباً، وقد جدّد

---

(١) خُفٌّ ساذَجٌ: حذاء عتيق، والخُفُّ: واحد الخِفاف التي تلبس في الرِّجْل، سمّي به لخفته، وهو شرعاً ما يستر الكعب وأمكن به السَّفَر أو المشي فرسخاً فما فوق.

(٢) الكَوْرُ: الدَّوْر من العِمامة؛ يقال: كارَ العمامةَ على رأسه يَكُوْرُها كَوْراً: أدارها عليه.

(٣) مثنى دُمالِق، وهو الأملس.

لك من البِرّ كيْت وكيت. وكذا يجوز الله لك من الدين والدنيا والعز والشرف أكثره وأشرفه إن شاء الله».

وفي مدحه: قال الرشيد يوماً لبعض الشعراء: هل أحدثْتَ فينا شيئاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، المديح فيك دون قَدْرك والشعرُ فيك فوق قدري، ولكنّي أستحسن قول العَتّابيّ[1]: [بسيط]

ماذا يَرى قائلٌ يُثْني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
فُتَّ المدائحَ إلا أنَّ ألسُنَنا ... مُستَنطَقاتٌ لما تُخْفي الضمائر
في عترة لم تقمْ إلا بطاعتهمْ ... من الكتّاب ولم تُقْضَ المَشاعير
هذي يمينك في قُرْباك صائلةٌ ... وصارمٌ من سيوف الهند مأثور

وفي مدحه: كتب بعض الكتّاب إلى بعض الأمراء: «إن من النعمة على المُثني عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير ولا يحذر أن تلحَقه نقيصة الكذب ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها. ومن سعادة جَدّك أن الداعي لك لا يعدَم كثرةَ المشايعين ومساعدةَ النيّة على ظاهر القول».

وفي مثله كتب بعض الأدباء إلى الوزير: «مما يُعين على شكرك كثرةُ المنصتين له، ومما يبسط لسان مادحك أمنُه من تحمّل الإثم فيه وتكذيبِ السامعين له».

وفي مثل ذلك: لمّا عقَد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون فقال لعمرو بن سعيد: قم يا أبا أمية. فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما

(١) العتابي هو كلثوم بن عمرو التغلبي، كاتب وشاعر مجيد، من أهل الشام. سكن بغداد فمدح هارون الرشيد وآخرين. توفي سنة ٢٢٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٣١.

بعد فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأمُلونه وأجلٌ تأمَنونه، إن آستضفتَم إلى حِلمه وَسِعِكم، وإن آحتجتم إلى رأيه أرشدكم، وإنِ آفتقرتم إلى ذات يده أغناكم، جَذَعٌ قارحٌ سُوبق فسبق ومُوجِد فمجَد وقُورِع فخرج فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خلف منه» فقال معاوية: أوسعت يا أبا أمية فآجلس.

وفي مثل ذلك: قال رجل للحسن بن سهل: «أيها الأمير، أسكَتني عن وصفك تَساوِي أفعالك في السؤدد وحيَّرني فيها كثرة عددها فليس إلى ذكر جميعها سبيل، وإن أردتُ ذكر واحدة آعترضتْ أختُها إذ لم تكن الأولى أحق بالذكر منها، فلست أصفها إلا بإظهار العجز عن صفتها».

وفي مثل ذلك: كتب آخر إلى محمد بن عبد الملك «إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عليك، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك أنك أخذتها بحقها وآستوجبتها بما فيك من أسبابها، ومن شأن الأجناس أن تتواصل وشأن الأشكال أن تتقاوم، والشيء يتغلغل في معدِنه ويحِنّ إلى عنصره، فإذا صادف مَنبِته ولُزَّ في مغرسه ضرب بِعرقه وسَمَق بفرغه وتمكّن الإقامة وثبت ثبات الطبيعة».

وفي مثل ذلك: كتب آخر إلى بعض الوزراء: «رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالمُخبر عن ضوء النهار الباهِر والقمر الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أني حيث آنتهى بيَ القول منسوبٌ إلى العجز مقصرٌ عن الغاية فآنصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووَكَلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك».

وفي مثله كتب العتّابي إلى خالد بن يزيد: «أنت، أيها الأمير، وارث سلَفك وبقيةُ أعلام أهل بيتك، المسدودُ بك ثَلْمُهم والمُجدَّد بك قديمُ شرفهم

والمنبّه بك أيامُ صيْتهم والمنبِسط بك آمالُنا والصائر بك أَكَالُنا[1] والمأخوذ بك حظوظنا، فإنه لم يحمُل من كنت وارثه، ولا دَرَسَتْ آثارُ من كنت سالِكَ سبيله ولا آمَّحتْ معاهد مَنْ خلَفْتَه في مرتبته».

وفي شكره: قرأت في التاج قال بعض الكتاب للملك: «الحمد لله الذي أعلقني سبباً من أسباب المَلِك ورفع خسيستي بمخاطبته وعزّز ركني من الذِّلة به وأظهر بَسْطتي في العامّة وزيَّن مقاومتي في المشاهدة وفقَأ عني عيونَ الحَسَدة وذلَّل لي رقاب الجبابرة وأعظم لي رغبات الرعيّة وجعل لي به عِقباً يُوطأ وخطراً يُعظَّم ومزية تحسُن، والذي حقّق فيّ رجاء من كان يأملني وظاهر به قوة مَنْ كان ينصرني وبسط به رغبة من كان يسترفدني، والذي أدخلني من ظِلال الملكِ في جَناحٍ سترني، وجعلني من أكنافه في كَنَفٍ آتسع عليّ».

وفي شكره وتعداد نِعَمه: قرأت في سير العجم أن أرْدشير لما آستوثَق له أمرُه جمع الناس وخطبهم خطبة بليغة حضّهم فيها على الألفة والطاعة وحذّرهم المعصية وصنّف الناس أربعة أصناف، فخّر القوم سُجَّداً وتكلّم متكلِّمهم مجيباً فقال: «لا زلت أيها الملك محُبوا من الله بعزّة النصر ودَرَك الأمل ودوام العافية وحسن المزيد، ولا زلت تَتابَع لديك النِّعَمُ وتُسبَغ عندك الكرامات والفضل حتى تبلغ الغاية التي يُؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتُها في دار القرار التي أعدّها الله لنظرائك من أهل الزُّلْفى عنده والحُظْوة لديه، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاءَ الشمس والقمر زائدين زيادةَ البحور والأنهار حتى تستوي أقطار الأرض كلّها في عُلوّك عليها ونفاذ أمرك فيها، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عَمّنا عمومَ ضياء الشمس ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما

(١) الأَكل: الطعام.

آتصل بأنفسنا آتصال النسم، فجمعتَ الأيدي بعد آفتراقها والكلمة بعد آختلافها وألّفتَ بين القلوب بعد تباغضها وأذْهَبْتَ الإحَنَ والحَسائِكَ بعد آستِعار نيرانها، وأصبح فضلك لا يُدْرَك بوصف ولا يحدّ بتَعداد، ثم لم ترضَ بما عَمَّمْتَنا به من هذه النِّعم وظاهرت من هذه الأيادي حتى أحببتَ توطيدها والإستيثاقَ منها وعمِلت لنا في دوامها كعمَلك في إقامتها وكَفَلت من ذلك ما نرجو نفعه في الخُلوف والأعقاب، وبلغت همّتك لنا فيه حيث لا تبلُغ هِمَم الآباء للأولاد، فجزاك الله الذي رِضاهُ تحرَّيْتَ وفي موافقته سعيْتَ أفضلَ ما آلتمسْتَ ونويْتَ».

وفي مثله: قال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه: «قدْمتَ فأعطيت كلاًّ بقسطه من نظرك ومجلسك وصِلاتك وعدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد».

وفي شكره: كتب بعض الكتّاب إلى الوزير يشكر له: «من شكر لك عن درجة رفعْتَه إليها أو ثروة أفدْته إياها فإن شكري إياك على مهجة أحيْيتَها وحُشَاشةٍ تبقَّيْتها ورمَقٍ أمْسَكْتَ به وقمْتَ بين التلف وبينه».

وفي شكره: قرأت في كتاب: «ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ تنتهي إليه ومدىً توقف عنده وغاية في الشكر يسمو إليها الطَّرْف خلا هذه النعمةَ التي فاتت الوصف وطالت الشكر وتجاوزَتْ كل قدْر وأتتْ من وراء كل غاية وجمعت من أمير المؤمنين مِنناً جمّة أبقتْ للماضين مِنّا وللباقين فخرَ الأبد وردّتْ عنا كيْد العدوّ وأرغمت عنا أنفْ الحسود وبسطت لنا عزاً نتداوله ثم نخلفه للأعقاب فنحن نلجأ من أمير المؤمنين إلى ظلّ ظليل وكَنَف كريم وقلب عطوف ونظر رؤوف، فكيف يشكر الشاكر منا وأين يبلغ آجتهاد مجتهدنا ومتى نؤدّي ما يلزمنا ونقضي المفترَض علينا؟ وهذا كتاب أمير المؤمنين الذي لو لم

تكن له ولآبائه الراشدين عند من مضى لنا ومن غيرنا إلا ما ورد من صنوف كرامته وأياديه ولطيف ألفاظه ومخاطبته، لكان في ذلك ما يحسّن الشكر ويستفرغ المجهود».

التلطف في مسألة العفو

قال كسر ليوشتَ[1] المغنيّ وقد قتل فهلوذَ[2] حين فاقه وكان تلميذَه: «كنتُ أستريح منه إليك ومنك إليه فأذهب شَطْرَ تمتّعي حسدُك ونَغَلُ صدرِك» ثم أمر أنْ يُلْقَى تحت أرجل الفِيَلة فقال: أيها الملك، إذا قتلْتُ أنا شَطْرَ طربك وأبطلْتُه وقتلْتَ أنت شطره الآخر وأبطلْتَه، أليس تكون جنايَتُك على طربك كجنايتي عليه؟ قال كسرى: دَعُوه، ما دلّه على هذا الكلام إلا ما جُعل له من طول المدّة.

وفي العفو أيضاً: قال رجل للمنصور: «الانتقام عدل والتجاوز فضل ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله من أن يَرْضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين».

وفي العفو: جلس الحجاج يقتل أصحاب عبد الرحمن، فقام إليه رجل منهم فقال: أيها الأمير، إنَّ لي عليك حقاً. قال: وما حقك عليّ؟ قال: سَبَّكَ عبدُ الرحمن يوماً فرددْتُ عنك. قال: ومن يعلم ذاك؟ فقال الرجل: أنشُد الله رجلاً سمع ذاك إلا شهد به. فقام رجل من الأسرى فقال: قد كان ذاك أيها الأمير. فقال: خلّوا عنه. ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكر؟ قال: لَقديم بغضي إياك. قال: ويُخلّى هذا لصدقه.

---

(١) ورد في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٧ ص ١١٣): «زيوشت».

(٢) ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٢): «الفهليذ» وقد ذكرت القصة باختلاف يسير عما هنا. =

وفي العفو: أسر معاوية يوم صفِّين رجلاً من أصحاب عليّ صلوات الله عليه، فلما أقيم بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكن منك. قال: لا تقل ذاك فإنها مصيبة. قال: وأيّةُ نعمة أعظمُ من أن يكون الله أظفرني برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي. إضْرِبا عنقه. فقال: اللهم أشهدْ أن معاوية لم يقتلني فيك ولا لأنك ترضى قتلي، ولكن قتلني في الغلبة على حُطَام هذه الدنيا، فإن فعل فآفعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فآفعلْ به ما أنت أهله. فقال: قاتلك الله! لقد سببْتَ فأوجعت في السب ودعوْتَ فأبلغتَ في الدعاء. خَلِّيا سبيله.

وفي مثله. أخذ عبد الملك بن مروان سارقاً فأمر بقطع يده فقال:

[طويل]

يَدِيْ، يا أمير المؤمنين، أُعِيذُها بعفوك أن تَلْقى نَكالاً يَشِيْنُها
فلا خيرَ في الدنيا وكانت حبيبةً إذا ما شِمَالي فارقَتْها يمينُها

فأبى إلاَّ قطعها، فدخلت عليه أمّه فقال: يا أمير المؤمنين، واحدِي وكاسِبي. فقال: بئس الكاسب! هذا حَدٌّ من حدود الله. فقال: اجْعَلْه من الذنوب التي تستغفر الله منها. فعفا عنه.

وفي مثله: أخذ عبد الله بن علي أسيراً من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه فلما رُفع السيف ليُضرب به ضرط الشامي فوقع العمود بين يدي الغلام ونَفَرت دابة عبد الله فضحك وقال: إذهب فأنت عتيق آستِكَ. فآلتفت إليه وقال: أصلح الله الأمير! رأيتَ ضرطة قطُّ أَنْجَتْ من الموت غير هذه؟ قال:

= وهذه القصة تقترب من قصة إسحاق الموصلي مع تلميذة زرياب الذي فرّ إلى الأندلس خوفاً من غيْظ أستاذه.

لا، قال هذا والله الإدبار. قال: وكيف ذاك؟ قال: ما ظنك بنا وكنا ندفع الموت بأسنّتنا فصِرْنا ندفعه اليوم بأستاهنا

وفي مثله: خرج النعمان[1] بن المنذر في غِبِّ سماء فمرّ برجل من بني يَشْكُر جالساً على غدير ماء، فقال له: أتعرف النعمان؟ قال اليشكري: أليس آبن سَلْمى؟ قال: نعم. قال: والله لربما أمررْتُ يدي على فرجها. قال له: ويحك، النعمان بن المنذر! قال: قد خبرتُك. فلما آنقضى كلامه حتى لحقته الخيل وحيَّوْه بتحية الملك. فقال له: كيف قلت؟ قال: أبيْتَ اللعن، إنك، والله، ما رأيتَ شيخاً أكذب ولا ألأم ولا أوضع ولا أعضَّ ببَظْر أمه من شيخ بين يديك. فقال النعمان: دَعُوه، فأنشأ يقول: [مجزوء كامل]

تعفو الملوكُ عن العظيـ ـم من الذنوب لفضلها
ولقد تُعاقِب في اليسيـ ـر وليس ذاك لجهلها
إلا لِيُعْرَفَ فضلُها ويُخافَ شدّةُ نَكْلِها

وفي مثله: لمّا أخذ المأمون إبراهيم بن المهدي آستشار أبا إسحاق والعباس في قتله فأشارا به، فقال له المأمون: قد أشارا بقتلك. فقال إبراهيم: أما أن يكونا قد نصحا لك في عظَم الخلافة وما جرت به عادة السياسة فقد فعلا، ولكنك تأبى أن تستجلب النصر إلا من حيث عوّدك الله. وكان في آعتذاره إليه أن قال: إنه وإن بلغ جُرمي آستحلالَ دمي فحلُم أمير المؤمنين وفضله يُبلغاني عفوَه ولي بعدهما شُفعة الإقرار بالذنب وحقُّ الأبوة

(١) هو النعمان الثاني بن الأَسْوَد بن المنذر الأول ابن امرىء القيس بن عمرو اللخمي، ملك العراق في الجاهلية. إستنصر به قباذُ الأول ملكُ الفرس على فتح مدينة الرها، فانصرف إليها بجيش من العرب فمات على أبوابها محاصراً لها وذلك في سنة ١٢٣ق هـ. الأعلام ج ٨ ص ٣٥.

بعد الأب. فقال المأمون: لو لم يكن في حق سببك حقُّ الصفح عن جُرمك لبلَّغك ما أمَّلتَ حسنُ تنصُّلك ولطف توصُّلك. وكان إبراهيم يقول بعد ذلك: والله ما عفا عني المأمون صلةً لرِحمي ولا محبة لاستحيائي ولا قضاءً لحق عمومتي، ولكن قامت له سُوقٌ في العفو فكره أن يُفسدها بي. ومن أحسن ما قيل في مثله قول العَتَّابي[1]: [كامل]

رحَل الرجاءُ إليك مُغترِباً حُشِدَتْ عليه نوائبُ الدهرِ
رَدَّتْ إليك ندامتي أمَلي وثنى إليكَ عِنانَهُ شُكْري
وجعلتُ عَتْبكَ عَتْبَ موعظةٍ ورجاءَ عفوك مُنتهى عذري

وقول علي[2] بن الجَهْم للمتوكل: [متقارب]

عفا الله عنك ألا حُرْمَةٌ تَعُوذُ بعفوكِ أن أُبْعِدَا
لئن جَلَّ ذَنْبٌ ولم أعتمِدْهُ لأنْتَ أَجَلُّ وأعلى يدا
ألم تَرَ عبْداً عَدَا طَوْرَهُ ومولىً عفا ورشيداً هدى
ومُفْسِدَ أمرٍ تلافيْتَهُ فعاد فأصلح ما أفسدا؟
أقِلْني أقالك مَنْ لم يَزَلْ يَقِيْكَ ويصرفَ عنك الردى

وفي مثله. وَجِدَ بعضُ الأمراء على رجل فجفاه واطَّرحه حيناً ثم دعا به ليسأله عن شيء فرآه ناحلاً شاحباً. فقال له: متى اعتللْتَ؟ فقال: [سريع]

ما مَسَّنِي سُقَمٌ ولكنني جَفَوْتُ نفسِيْ إذ جفاني الأمير

فعاد له.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) علي بن الجَهْم شاعر رقيق الشعر، من أهل بغداد، خُصَّ بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه هذا الأخير فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة ثم انتقل إلى حلب. توفي سنة ٢٤٩ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

وقال آخر: [طويل]

أَلَا إنَّ خيرَ العفوِ عفوٌ معجَّلٌ وشرُّ العقابِ ما يُجازُ به القدرُ

وكان يقال: بحَسْب العقوبة أن تكون على مقدار الذنب.

وفي العفو: قال بعضهم: إن عاقبْتَ جازيْتَ وإن عَفَوْتَ أحسنْتَ والعفو أقرب للتقوى.

ونحوه: قال رجل لبعض الأمراء: أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ مني بين يديك، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي إلّا نظرْتَ في أمري نَظَرَ مَنْ بُرْئي أحبُّ إليه من سُقْمي وبراءتي أحبُّ إليه من جُرْمي.

ونحوه قول آخر: قديم الحرمة وحديث التوبة يمحقان ما بينهما من الإساءة.

وفي مثله: أتى الأحنفُ بنُ قيس[١] مُصْعَبَ بن[٢] الزُّبَيْر فكلّمه في قوم حبسهم، فقال، أصلح الله الأمير: إن كانوا حُبسوا في باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حُبسوا في حق فالعفو يسعهم، فخلّاهم.

وفي مثله: أمر معاوية بعقوبة رَوْح[٣] بن زِنْباع فقال له رَوْحُ: أُنْشِدُكَ اللهَ، يا أمير المؤمنين، أن تضع مني خسيسة أنت رفعْتَها أو تنقض مني مِرَّة[٤]،

(١) الأحنف بن قيس سيد تميم وأحد العظماء الشجعان، يضرب به المثل في الحِلْم. ولي خراسان وكان صديقاً لمصعب بن الزبير أمير العراق. توفي بالكوفة سنة ٧٢ هـ. الأعلام ج ١ ص ٢٧٦.

(٢) مصعب بن الزبير الأسدي القرشي أحدُ الولاة الأبطال في صدر الإسلام، كان عَضُد أخيه عبد الله بن الزبير في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق. توفي سنة ٧١ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٤٧،

(٣) رَوْح بن زنباع بن سلامة الجذامي سيِّدُ اليمانية في الشام وأمير فلسطين توفي سنة ٨٤ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٣٤.

(٤) المِرَّة: الإحكام.

أنت أبرمْتَها أو تُشْمِتَ بي عدواً أنت وَقَمْتَه[1] وإلاّ أتى حلمُك وعفوك على جهلي وإساءتي. فقال معاوية: خلّياً عنه. ثم أنشد: [طويل]

إذا ٱلله سَنَّى عقدَ أمرٍ تيسَّراً

وفي مثله. أمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل قد كان نَذر إنْ أمكنه الله منه ليفعلنَّ به وليفعلن. فقال له رَجَاء[2] بن حَيْوة: قد فعل الله ما تحب من الظفر فٱفعل ما يحب الله من العفو.

وفي مثله: قال ٱبن القِرِّيَّةِ[3] للحجاج في كلام له: أَقِلْني عثرتي وأَسِغْني ريْقي فإنه لا بد للجواد من كبوة ولا بد للسيف من نبوة ولا بد للحليم من هفوة. فقال الحجاج: كلاّ، والله حتى أوْرِدَك جهنَّم. ألست القائل برُسْتَقُبَاذ[4]: تَغَدَّوا الجدْي قبل أن يتعشّاكم.

وفي مثله: أمر عبد الملك بن مروان بقتل رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أعزَّ ما تكون أحوجُ ما تكون إلى الله، فاعْفُ له فإنك به تُعانُ وإليه تعود. فخلّى سبيله.

وفي مثله. قال خالد بن عبد الله لسليمان بعد أن عذبه بما عذّبه به: إن القدرة تُذْهِب الحَفِيظة وقد جلّ قدُرك عن العتاب ونحن مُقِرُّون بالذنب، فإن

(١) وَقَمْتَهُ: قَهَرْتَهُ وأذْلَلْتَهُ.

(٢) رجاء بن حَيْوَة الكندي شيخُ أهل الشام في عصره، لزم عمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك، وهو الذي أشار على سليمان بٱستخلاف عمر. الأعلام ج ٣ ص ١٧.

(٣) هو أيوب بن زيد بن زرارة الهلالي، والقِرِّيَّة أمه. خطيب يضرب به المثل فيقال: «أبلغ من ٱبن القِرِّيَّة» إتصل بالحجّاج ثم قتله بأن ضرب عنقه في سنة ٨٤ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٣٧.

(٤) رُسْتَقُباذ: من أرض دَسْتَوا (بلدة بفارس) معجم البلدان.

تَعْفُ فأهل العفو وإن تعاقب فبما كان منا. فقال: أمَّا حتّى تأتيَ الشام راجلاً فلا عفو.

وفي مثله: ضرب الحجاج أعناق أَسارى أُتي بهم، فقال رجل منهم: والله لئن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنْتَ في المكافأة. فقال الحجاج: أُفٍّ لهذه الجِيَف! أما كان فيهم أحد يحسن مثل هذا! وكفَّ عن القتل.

وفي مثله: أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه. فقال: أيها الأمير، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلَّقَ بأطرافك وأقول: أي ربِّ سلْ مصعباً فيم قتلني. قال: أطلقوه. قال: إجعل ما وهبتَ لي من حياتي في خَفْض. قال: أعطوه مائة ألف. قال: بأبي أنت وأمي، أُشهد الله أنَّ لابن قيس[1] الرُّقَيَّات منها خمسين ألفاً. قال: ولم؟ قال: لقوله فيك: [خفيف]

إنما مصعبٌ شهاب من اللـ ـه تجلَّت عن وجهه الظَّلْماءُ

مُلْكه مُلْكُ رحمةٍ ليس فيه جَبَروتٌ يُخشى ولا كِبْرِياء

تتَّقي اللهَ في الأمور وقد أفلـ ـلح مَنْ كان همَّهُ الإتقاءُ

فضحك مصعب، وقال: أرى فيك موضعاً للصنيعة، وأمره بلزومه وأحسن إليه فلم يزل معه حتى قتل.

وفي مثله: قال عبد الله[2] بن الحجاج الثعلبي لعبد الملك بن مروان:

---

(١) هو عبيد الله بن قيس بن شُرَيْح، شاعر قريش في العصر الأموي، وأكثر شعره في الغزل. لقب بابن قيس الرُّقَيّات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة؛ إسم كل واحدة منهنّ رُقَيَّة. توفي سنة ٨٥ هـ. الأعلام (ج ٤ ص ١٩٦) وذكر المبرّد في كتابه الكامل في اللغة والأدب (ج ١ ص ٣٩٩) أن ابن قيس كان منقطعاً إلى مُصْعب بن الزبير، كثير المدح له، وكان يقاتل معه، وفيه قال أبياته المذكورة، وجاء في البيت الثاني: «مُلْكُ قوّةٍ» بدل «مُلْك رحمةٍ» «ومنه» بدل «يُخْشى».

(٢) عبد الله بن الحجاج الثعلبي شاعر فاتك شجاع، خرج على عبد الملك بن مروان فصحب =

هربْتُ إليك من العراق. قال: كذبْتَ، ليس إلينا هربْتَ، ولكنك هربْتَ من دم الحسين وخِفْتَ على دمك فلجأت إلينا. ثم جاء يوماً آخر فقال: [كامل]

أدنوا لترحمني وتَرْتُقَ[1] خَلَّتي وأراك تدفعني فأين المَدْفَعُ؟

ونحوه قول الآخر: [خفيف]

كنتُ مِنْ كُرْبتي أفرُّ إليهمْ فَهُمو كُرْبَتي فأين الفِرارُ[2]؟

وفي مثله: قَنَّع الحجاجُ رجلاً في مجلسه ثلاثين سَوْطاً وهو في ذلك يقول: [طويل]

وليس بتعزير الأمير خَزَايةٌ عليَّ إذا ما كنْتُ غيرَ مُرَيَّبِ[3]

ونحوه: [طويل]

وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر، لا عارٌ بما فعل الدهرُ

وفي مثله: مر الحسن البصري برجل يُقاد منه. فقال للوَلِيّ: يا عبد الله، إنك لا تدري لعل هذا قتل وليّك وهو لا يريد قتله، وأنت تقتله متعمداً، فأنظر لنفسك. قال: قد تركته لله.

وفي مثله: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: رُمي الحجاج فقال: أنظروا من هذا؟ فأومأ رجل بيده ليرمي. فأُخِذ فأُدخل عليه وقد ذهبتْ روحُه. قال عيسى بصوت ضعيف يَحكي الحجاجَ: أنت الرَّامِيْنا منذ الليلة؟ قال: نعم أيها الأمير. قال، ما حملك على ذلك؟ قال:

= نجدة بن عامر الحنفي ثم صحب عبد الله الزبير. توفي نحو ٩٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٧٧ - ٧٨. كذلك ورد الحديث عنه في العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٦ و ج ٦ ص ١٠٧).

(١) رَتَقَ الشيءَ يَرْتُقُه: سدَّه، ضد فتقه. والخَلَّة: الخَصْلَة. والمراد: أدنو لتصلحي أمري.

(٢) تقدم هذا البيت في ص ٧٨ من هذا الجزء فأنظره.

(٣) الخَزَايَةُ: الخِزْيُ أي الهَوان والذلّ. غير مُرَيَّب: غير خائف.

الغيُّ، واللهِ، واللؤم. قال: خلُّوا عنه. وكان إذا صُدِق آنكسر.

وفي مثله: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عثمان الشحّام قال: أُتي الحجاج بالشَّعبي فقال له: أَخَرَجْتَ علينا يا شعبي؟ قال: أجدبَ بنا الجنابُ وأحزن بنا المنزلُ وآستحلَسْنا الخوفَ وآكتحلْنا السهرَ وأصابتْنا خَزْية لم نكن فيها بَرَرةً أتقياء ولا فَجَرة أقوياء. فقال الحجاج: لله أبوكَ. ثم أرسله.

وفي مثله: أُتي موسى بن المهدي برجل كان قد حبسه فجعل يُقَرِّعه بذنوبه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إعتذاري مما تقرِّعني به ردٌّ عليك وإقراري بما تَعْتَدُّه عليّ يُلزمني ذنباً لم أجْنِهِ، ولكني أقول: [طويل]

فإن كنْتَ ترجو بالعقوبة راحةً فلا تَزْهَدَنْ عند المعافاة في الأجرِ

وفي مثله: قال الحسن بن سهل لنُعَيم بن حازم وقد آعتذر إليه من ذنب عظّمه: على رِسْلك أيها الرجل، تقدّمَتْ لك طاعةٌ وتأخَّرَتْ لك توبةٌ، وليس لذنبٍ بينهما مكان، وما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو.

وفي الدعاء له: قال رجل لبعض الأمراء: «إني لو كنت أعرف كلاماً يجوز ألقَى به الأمير غير ما جرى على ألسن الناس، لأحببت أن أبلغ ذلك فيما أدعو به له وأعظِّم من أمره، غير أن أسأل الله الذي لا يخفى عليه ما تحتجب به الغيوب من نيات القلوب أن يجعل ما يطّلع عليه مما تبلغه نيتي في إرادته للأمير أدنى ما يؤتيه إياه من عطاياه ومواهبه».

وفي الدعاء له: قرأت في كتاب رجل من الكتاب «لا زالت أيامك ممدودة بين أمل لك تبلُغه وأملٍ فيك تُحقّقه حتى تتملّى من الأعمار أطْولها وترقَى من الدرجات أفضلَها».

وفي الدعاء: دخل محمد بن عبد الملك[١] بن صالح على المأمون حين قُبِضَتْ ضِياعُه فقال: السلام عليك أميرَ المؤمنين. محمد بن عبد الملك سَليلُ نعْمتك وآبنُ دولتك وغصْنٌ من أغصان دَوحتك، أتأذن له في الكلام؟ قال: نعم. فتكلّم بعد حمد الله والثناء عليه. فقال: «نستمتع الله لِحيَاطة ديننا ودنيانا ورعايةِ أدنانا وأقصانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويَقِيْكَ الأذى بأسماعنا وأبصارنا. هذا مقام العائذ بِظلّك الهارب إلى كَنَفك وفضلك الفقير إلى رحمتك وعدلك» ثم تكلّم في حاجته.

وفي شكر السلطان وفي حمده: قِدَم رجلٌ على سليمان بن عبد الملك في خلافته فقال له: ما أقْدمك عليّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أقدمني عليك رغبة ولا رهبة. قال: وكيف ذاك؟ قال: أما الرغبة فقد وصلت إلينا وفاضت في رِحالنا وتناولَها الأقصى والأدنى منّا، وأما الرَّهبة فقد أَمِنّا بعدلك، يا أمير المؤمنين، علينا وحُسْنِ سِيرتك فينا من الظلم، فنحن وفد الشكر.

وفي حمده: كتب بعض الكتّاب إلى وزير: «كلُّ مَدىً يبلغه القائلُ بفضلك والواصفُ لأيامك والشاكرُ للنعمة الشاملة بك قصدٌ أَمَمٌ[٢] عند الفضائل الموفورة لك والمواهب المقسومة للرعية بك، فواجبٌ على من عرف قدر النعمة بك أن يشكرها وعلى من أظله عزّ أيامك أن يستديمه وعلى من حاطته دولتك أن يدعو الله ببقائها ونمائها، فقد جمع الله بك الشَّتات وأصلح بها الفساد وقبض الأيدي الجائرة وعطف القلوب النافرة، فأمَّنْتَ سَرْب البريء وخفضْتَ جأشه وأخَفْتَ سُبُلَ الجاني وأخذْتَ عليه مذاهبه ومطالعه ووقفت

---

(١) وردت ترجمته آنفاً.
(٢) قَصْدٌ أَمَمٌ: واضح بَيِّنٌ.

بالخاصّة والعامة على قصد من السيرة أمنوا بها من العِثَار والكبوة».

وفي حضِّه على شكر الله، عز وجل، قال شبيب بن شَيْبَة[1] للمهدي: إن الله، عزَّ وجل، لم يَرْضَ أن يجعلك دون أحد من خلقه، فلا تَرْضَ بأن يكون أحد أشكر له منك والسلام.

* * *

تم كتاب السلطان، ويتلوه كتاب الحرب

(١) شبيب بن شَيْبَة التميمي من أهل البصرة وأديب الملوك وجليس الفقراء. كان ينادم خلفاء بني أمية. الأعلام ج ٣ ص ١٥٦.



كتاب الحرب

آداب الحرب ومكايدها

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: حدّثني محمد بن عُبيد قال: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام والأوزاعيّ عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَمَنَّوْا لقاء العدوّ فعسى أن تُبتلَوْا بهم ولكن قولوا: اللهمَّ آكفِنا وكُفَّ عنّا بأسهم، وإذا جاءوكم يَعْزِفون ويزحَفون ويصيحون فعليكم الأرضَ جلوساً، ثم قولوا: اللهمَّ أنت ربُّنا وربُّهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، فإذا غَشُوكم فثوروا في وجوههم».

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن عبد العزيز عمن حدّثه أنَّ أبا الدَّرْداءِ قال: أيها الناس: عَملٌ صالح قبلَ الغزو فإنما تقاتِلون بأعمالكم.

حدَّثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن آبن المبارك عن حَيْوة بن شُرَيح قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية: بسم الله وعلى عون الله وآمضُوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله مَنْ كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. لا تجبُنوا عند اللقاء ولا تمثِّلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هَرِماً ولا آمرأة ولا وليداً.

وتوقَّوْا قتلهم إذا ٱلتقى الزَّحْفان وعند حُمَّة النَّهَضـات[١] وفي شنّ الغارات. ولا تَغُلّوا عند الغنائم ونزّهوا الجهـاد عن عرَض الـدنيا وأبشـروا بالـرَّبَاح في البيـع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم.

استشار قوم أكثم[٢] بن صَيْفِيّ في حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال: أقِلّوا الخلاف على أمرائكم، وٱعلموا أن كثرة الصِّياح من الفشل والمرء يعجَـز لا محالة. تثبّـتوا فـإن أحزم الفـريقين الـرَّكِين[٣]، ورُبَّتَ عَجَلةٍ تُعقب رَيْثـاً[٤]، وٱتّزروا للحـرب وادَّرعوا الليـل فإنـه أخفى للويـل، ولا جمـاعـة لمن ٱختلف عليه.

وقال بعض الحكماء: قد جمع الله لنا أدب الحرب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا وَٱذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ وَأَطِيعُوا

---

(١) حُمَّة النَّهَضَات: شدتها ومعظمها. والنهضات ج نَهْضَة، وهي الحركة في المعترك؛ يقال: كان منه نهضة أي حركة، وهو كثير النهضات: كثير الحركة.

(٢) أكثم بن صيفيّ التميمي حاكمُ العرب في الجاهلية. عمّر كثيراً وأدرك الإسـلام. قصد المـدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق سنة ٩ هـ ولم يَرَ النبي ﷺ وأسلم من بلغ المـدينة من أصحـابه. وهـو المعني بالآيـة الكريمـة: ﴿ومن يخرجْ من بيتـه مُهـاجـراً إلى الله ورسوله ثم يُدْرِكْهُ الموتُ فقد وقـع أجره على الله﴾ سـورة النساء ٤، آيـة ١٠٠. الأعلام ج ٢ ص ٦. والحقيقـة هي غير مـا ذهب إليه الـزِّرِكْلي في أن هذه الآيـة الكريمـة معنية بـأكثم بن صيفي، فسبب نزولها هو أن جندب بن ضمره كان قد أسلم في مكة، وعجـز عن الهجرة إلى المدينة لمرض شديد، ولما سمع بآية الهجرة قـال لأولاده: إحملوني إلى رسول الله، فحملوه حتى بلغ مكاناً في الـطريق يقال لـه التنعيم، أشرف على المـوت، فصفق بيمينه على شمـالـه وقال: اللهم هذه لك، وهذه لرسولـك أبايعـك على ما بـايعك عليـه رسول الله، ولفظ النفس الأخير. أنظر التفسير المبين، وتفسير الجلالين.

(٣) الرَّكِيْنُ: الرزين.

(٤) الرَّيْثُ: الإبطاء.

اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١].

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعيّ قال: قال عُتْبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه: ألا تَرَوْنَهُم - يعني أصحاب النبي ﷺ - جُثِيّاً على الرُّكَب كأنهم خُرْس يتلمَّظون تلمُّظ الحيّات. قال: وَسمِعَتْهُمْ عائشة يُكبِّرون يوم الجَمل فقالت: لا تكثروا الصياح فإن كثرة التكبير عند اللقاء من الفشَل.

وذكر أبو حاتم عن العُتْبيّ عن أبي إبراهيم قال: أوصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجَّهه إلى الشام فقال: يا يزيدُ، سِرْ على بركة الله. فإذا دخلتَ بلاد العدوّ فكن بعيداً من الحَمْلة فإني لا آمن عليك الجَوْلة، وآستظهِرْ بالزاد وسِرْ بالأدلّاء ولا تقاتِل بمجروح فإنَّ بعضه ليس منه، وآحترِسْ من البَيَات[٢] فإنّ في العرب غِرّة، وأقللْ من الكلام فإنما لك ما وُعي عنك. وإذا أتاك كتابي فأنفذْه فإنما أعمل على حسب إنفاذه. وإذا قدِمَتْ عليك وفودُ العجم فأنزلْهم معظم عسكرك وأسبغ عليهم النفقة وآمنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين. ولا تُلِحَّنّ في عقوبة فإن أدناها وجع ولا تسرعَنَّ إليها وأنت تكتفي بغيرها. وآقبلْ من الناس علانيتهم وكِلْهم إلى الله في سرائرهم. ولا تَجَسَّسْ عسكرَك فتفضحَه ولا تهمِلْهُ فتفسدَه. وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

---

(١) سورة الأنفال ٨، الآيتان ٤٥ و٤٦. والمعنى: إذا لقيتم فئة باغية تسعى في الأرض فساداً فاثبتوا في جهادهم وقتالهم، ويجب أن يكون هذا الجهاد خالصاً لوجه الله لا للغنيمة؛ لأن النصر لا يتحقق إلاّ مع شرف الغاية ونزاهة القصد. ولا تنازعوا فتذهب قوتكم وهيبتكم. التفسير المبين.

(٢) البَيَات: الإسم من بَيَّت العدوَّ، أي أوقع به ليلاً.

قال أبو بكر لعكرمة حين وجهه إلى عُمَان: يا عكرمة، سِر على بركة الله ولا تَنـزل على مستأمن ولا تؤمّنَنَّ على حق مسلم وأَهْـدِرِ الكُفْـرَ بعضـه ببعض وقدّم النُّذُرَ[1] بين يديك. ومهما قلْتَ إني فاعل فٱفعله ولا تجعل قولك لَغْواً في عقوبة ولا عفو. ولا تَرْجُ إذا أُمِّنت ولا تخافنَّ إذا خُوّفْتَ ولكنِ ٱنـظر متى تقول ومـا تقول. ولا تَعِـدَنَّ معصية بـأكثر من عقـوبتنا فـإن فعلْتَ أثِمْتَ وإن تـركت كذبت. ولا تؤمِّنَنَّ شريفاً دون أن يُكفَل بأهله ولا تُكفلنّ ضعيفاً أكثر من نفسه. وٱتق الله فإذا لقيْتَ فٱصبر.

وأوصى عبد الملك بن صالح أميرَ سَرِيَّة إلى بلاد الروم فقال: أنت تاجر الله لعبـاده فكن كالمُضـارب الكيِّس[2] الذي إن وجـد ربحاً تَجَـر، وإلا احتفظ برأس المال. ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامـة. وكن مِن ٱحتيالـك على عدوّك أشدّ حذراً من ٱحتيال عدوّك عليك.

وحـدّثني محمد بن عبيـد عن ٱبن عيينة قـال: أخبـرني رجـل من أهـل المدينة أنّ رسول الله ﷺ قال لزيد بن حارثة أو لعمرو بن العاص: «إذا بعثتك في سرِيَّة فلا تَتنَقَّهُمْ وٱقتطعْهم فإن الله ينصر القوم بأضعفهم».

حدّثني محمد بن عبيـد عن ٱبن عيينة عن عمـرو بن دينار عن عبيـد بن عُمَيـر قال: غـزا نبيٌّ من الأنبياء أو غيـر نبي فقال: «لا يَغْـزُوَنَّ معي رجلٌ بَنَى بناء لم يكمله، ولا رجل تـزوّج ٱمرأة لم يَبْنِ بهـا، ولا رجل زرع زرْعـاً ثم لم يحصُده».

وذكر ٱبن عباس علياً فقال: ما رأيت رئيساً يـوزَن به، لـرَأيتُه يـوم صِفّين

---

(١) النُّذُرُ: إسم من أنذره بالأمر: حَذَّره من عواقبه قبل حلوله.
(٢) الكَيِّسُ: الظريف البيِّن الكِياسة، والكياسة هي تمكين النفوس من ٱستنباط ما هو أنفع.

وكأنّ عَيْنَيْهِ سِراجاً سَلِيْط وهو يحمِّس أصحابه إلى أن آنتهى إليّ وأنا في كَثْفٍ[١] فقال: معشرَ المسلمين، إستشعِروا الخشية وعَنُّوا[٢] الأصوات وتَجَلْبَبوا السكينة وأكملوا اللُّؤمَ وأخفّوا الخُوَذ[٣] وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل السَّلَّة وآلحظوا الشَّزْر وآطعنوا[٤] النَّبْر ونافِحُوا بالظُّبا وصِلُوا السيوفَ بالخُطَا والرماح بالنَّبْل وآمشُوا إلى الموت مشياً سجحاً. وعليكم بهذا السواد الأعظم والرِّوَاق المطنَّب فآضربوا ثَبَجَه[٥] فإن الشيطان راكد في كِسْره نافج حُضْنَيْه مفترش ذراعيه قد قدَّم للوَثْبة يداً وأخَّر للنُّكوص رِجْلاً.

ولما ولّى يزيد بن معاوية سلْمَ بن زياد خراسان قال له: إن أباك كفى أخاه عظيماً، وقد استكفيْتُك صغيراً فلا تتَّكِلنَّ على عذر مني فقد آتكلْتُ على كفاية منك. وإياك منّي قبل أن أقول إياي منك، فإنّ الظن إذا أَخْلف فيك أَخْلف منك. وأنت في أدنى حظك فآطلب أقصاه، وقد أتعبك أبوك فلا تريحنَّ نفسك، وكن لنفسك تكن لك، وآذكر في يومك أحاديث غدك ترشُدْ إن شاء الله.

قال الأصمعي قالت أم جبغويه ملك طخارستان لنصر بن سيّار الليثي: ينبغي للأمير أن تكون له ستة أشياء: وزيرٌ يثق به ويُفْشي إليه سرّه، وحصن يلجأ إليه إذا فزع فينجيه - يعني فرساً - وسيف إذا نازل به الأقران لم يَخَفْ خَوْنه، وذخيرة خفيفة المحمَل إذا نابته نائبة أخذها، وآمرأة إذا دخل عليها

(١) الكَثْف: الحشد والجماعة.
(٢) عَنُّوا الأصواتَ: من التعنية أي الحبس والأسر أي احبسوا أصواتكم ولا ترفعوها.
(٣) الخُوَذُ: ج خُوْذَة، وهي المِغْفر، فارسي معرَّب. وأخِفُّوا الخُوَذَ: إجعلوها خفيفة حتى لا تثقلكم في الحرب.
(٤) وآطعنوا النَّبْرَ: أي آطعنوا بسرعة؛ يقال: طَعْنٌ نَبْرٌ: مُخْتَلِسٌ كأنه يَنْبِرُ الرمحَ إي يرفعه بسرعة.
(٥) الثَّبَجُ: معظم الشيء.

أذهبت همَّه، وطبّاخ إذا لم يَشْتَهِ ٱلطعامَ صنع له ما يشتهيه.

وبلغني عن عبّاد بن كثير عن عُقَيل بن خالد عن الزُّهْري عن عبيد الله ابن‌عبد الله عن ٱبن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف وما غُلِب قومٌ قطُّ يبلغون ٱثني عشر ألفاً إذا ٱجتمعت كلمتهم». وقال رجل يوم حنين: لن نُغلب اليوم عن قلّة. وكانوا ٱثني عشر ألفاً فهزُم المسلمون يومئذ وأنزل الله عزَّ وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[1] الآية.

وقالوا كان يقال: ثلاث مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البَغْي، قال الله تعالى؛ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفسِكُمْ﴾[2] والمَكْر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[3] والنَّكْثُ، قال عزَّ وجل: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[4].

وقرأت في كتاب للهند: لا ظَفَر مع بَغْي، ولا صحّة مع نَهَم، ولا ثناء مع كِبْر، ولا صداقة مع خَبّ[5]، ولا شرف مع سوء أدب، ولا برَّ مع شُحٍّ، ولا ٱجتناب مُحرَّم مع حرص، ولا محبة مع زهو، ولا ولاية حُكم مع عدم فِقه،

---

(١) سورة التوبة ٩، آية ٢٥. ولقد نزلت هذه الآية لتبيِّن للمسلمين عاقبة الغرور بالعدّة والعدد، حيث كان عدوهم في وقعة حُنَيْن (وادٍ بين مكة والطائف) اثني عشر ألفاً، ورغم ذلك هزموا. التفسير المبين.

(٢) سورة يونس ١٠، آية ٢٣. والمعنى: من سلَّ سيف البغي قتل به. نفس المصدر السابق.

(٣) سورة فاطر ٣٥، آية ٤٣. والمعنى: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، والحقيقة لا تموت، لذا نصر سبحانه عبده محمداً وأظهر دينه على الشرك كله. المصدر السابق. والمكر هنا هو الماكر، ويحيق: يحيط. تفسير الجلالين.

(٤) سورة الفتح ٤٨، آية ١٠، ومعنى الآية: من نقض البيعة يرجع وبالُ نقضه على نفسه. تفسير الجلالين.

(٥) الخبُّ: الخاع.

ولا عذر مع إصرار، ولا سلامة مع ريبة، ولا راحة قلب مع حسد، ولا سُؤدَد مع آنتقام، ولا رياسة مع غَرارة وعُجْب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات مُلك مع تهاون وجهالة وُزراء.

خرجت خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمّه ذلك فقيل له: ما يهُمّك منهم؟ وجّهْ إليهم وَكيع بن أبي سُود فإنه يَكْفِيْكهُم. فقال: لا، إنّ وكيعاً رجل به كِبْر يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلّتْ مبالاته بعدوّه فلم يحترس منه فيجد عدوّه منه غِرّة.

وقرأت في بعض كتب العجم أنَّ ملكاً من ملوكهم سئل: أيّ مكايد الحرب أحزم؟ فقال: إذْكاء العيون وآستطلاع الأخبار وإفشاء الغَلَبة وإظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يُستنصح ولا آستنصاح لمن يُستغشُّ ولا تحويل شيء عن شيء إلا بسدّ ناحية من المراتب وحسن مجاملة الظنون وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره. وسئل عن وثائق الحزم في القتال فقال: مخاتلة العدوّ عن الرِّيف وإعداد العيون على الرَّصَد وإعطاء المبلِّغين على الصدق ومعاقبة المتوصِّلين بالكذب وألاَّ تُحرِجَ هارباً إلى قتال ولا تُضيِّقَ أماناً على مستأمِن ولا تَشِبَّ عن أصحابك للبُغْية ولا تَشْدَهنَّك الغنيمة عن المحاذرة.

وقرأت في كتاب للهند: الحازم يحذر عدوَّه على كل حال. يحذر المواثبة إن قَرُب، والغارة إن بَعُد، والكمينَ إنِ آنكشف، والاستطراد إن ولَّى، والمَكْرَ إن رآه وحيداً. ويكره القتال ما وجد بُدّاً لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال.

وقرأت في الآيين: قد جرت السنة في المحاربة أن يوضع مَنْ كان من الجند أَعْسَرَ في المَيْسرة ليكون لقاؤه يَسْراً ورَمْيه شَزْراً وأن يكون اللقاءُ من

الفرسان قُدُماً وترك ذلك على حال مُمَايلة أو مُجانَبة وأن يرتاد للقلب مكاناً مُشْرِفاً ويلتمس وضعه فيه فإن أصحاب الميمنة والميسرة لا يقهرون ولا يُغْلَبُونْ وإن زالتا بعض الزوال ما ثبت الماذيان[1] فإن زالت الماذيان لم ينتفع بثبات الميمنة والميسرة. وإذا عَيَّ الجُنْد فليناوِشْ أهل الميمنة والماذيان فأما الميسرة فلا يَشُذَّنَّ منهم أحد إلاَّ أن يبادر إليهم من العدوّ من يخاف بائقته فيردّون عاديتهم مع أنّ أصحاب الميمنة والماذيان لا يقدرون على لقاء من يناوشهم والرجوع إلى أصحابهم عاطفين، وأصحاب الميسرة لا يقدرون على مناوشة إلاّ مائلين ويعجزهم الرجوع عاطفين. ولا يألُوَنَّ صاحبُ الجيش على حال من الحال أن يستدبر جندُه عينَ الشمس والريح، ولا يحاربَنَّ جنداً إلا على أشدّ الضرورة وعلى حال لا يوجد معها من المحاربة بدٌّ، فإذا كان كذلك فليَجْهَد صاحب الجيش أن يدافع بالحرب إلى آخر النهار. وينبغي على كل حال أنْ يخلِّي بين المنهزمين وبين الذهاب ولا يُحْبَسوا. وإن كان الجند قد نزلوا على ماء وأراد العدوّ أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يُحال بينهم وبينه لئلا يُخْرجوا إلى الجدّ في محاربتهم. وإن كان العدوّ قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت طلب ذلك عند ريّ العدوّ من الماء وسقيهم دوابَّهم منه وعند حاجة الجند إليه، فإنّ أَسْلَسَ ما يكون الإنسان عن الشيء عند آستغنائه عنه وأشدَّ ما يكون طلباً للشيء عند حاجته إليه. ولْتَسِرِ الطلائعُ في قرار من الأرض ويقفوا على التِّلاع ولا يجوزوا أرضاً لم يستقصوا خبرها. وليكمن الكمين في الخَمَر[2] والأماكن الخفية. وليطرح الحَسَكَ في المواضع

---

(١) الماذيان: الفرس الأنثى، والكلمة فارسية؛ ويقال أيضاً: ماذيانه، وتثنّى ماذيان على ماذيانَيْن، ومذيانة على ماذيانتين. وكان من عادة الفُرْس أن يضعوا في قلب الجيش المحارب راكب فرس أنثى.

(٢) الخَمَرُ: ما واراك من شجر وغيره.

التي يتخوّف فيها البيات. وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإنّ في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه. وإذا كان أكثرُ من في الجند من المقاتِلَةِ مجرَّبين ذوي حُنْكة وبأس فبِدَارُ العدوّ الجندَ إلى الوقعة خير للجند. وإذا كان أكثرهم أغماراً ولم يكن من القتال بدّ فبِدَار الجند إلى مقاتلة العدوّ أفضل للجند. وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدوّاً إلا أن تكون عدّتُهم أربعة أضعاف عدّة العدوّ أو ثلاثة أضعافهم، فإن غزاهم عدوّهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدّة العدوّ مثل نصف عدّتهم. وإن توسَّطَ العدوُّ بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم، وينبغي أن يُنتخب للكمين من الجند أهلُ جرأة وشجاعة وتيقّظ وصَرَامة وليس بهم أنين ولا سُعال ولا عُطاس ويُختار لهم من الدواب ما لا يَصْهل ولا ينْهِتُ[1]، ويُختار لكمونهم مواضع لا تُغشى ولا تُؤتى، قريبة من الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم، وأن يكون إقدامهم بعد الرويّة والتشاور والثقة بإصابة الفرصة، ولا يخيفوا سباعاً ولا طيراً ولا وحشاً. وأن يكون إيقاعهم كضَريم الحريق، وليجتنبوا الغنائم ولينهضوا من المَكْمن متفرقين إذا ترك العدوّ الحراسة وإقامة الرَّمَايا، وإذا أونس من طلائعهم توانٍ وتفريطٌ وإذا أَمْرجُوا دوابَّهم في الرعي، وأشدَّ ما يكون البرد في الشتاء وأشدَّ ما يكون الحر في الصيف. وأن يَرْفَضُّوا ويفترقوا إذا ثاروا من مكمنهم بعد أن يستخير بعضهم بعضاً وأن يسرعوا الإيقاع بعدوّهم ويتركوا التلبّث والتلفّت. وينبغي للمبيِّتين أن يفترصوا البَيَات إذا هبَّت ريح أو أُونِسَ من نهر قريب منهم خريرٌ فإنه أجدر ألا يُسمَعَ لهم حسّ. وأن يُتوخّى بالوَقْعة نصفُ الليل أو أشدُّ ما يكون إظلاماً. وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدوّ وبقيتهم حوله، ويبدأ بالوَقْعة من يصير منهم في الوسط ليُسمع بالضجّة والضوضاء من

---

(١) نَهِتَ الحمارُ والأسدُ نَهِيتاً: زَأَرَ وزَحَرَ؛ أي كان به زحير.

ذلك الموضع لا من حوله، وأن يُشرَّد قبل الوقعة الأفْره فالأفره من دوابّهم ويقطّع أرْسَانُها وتُهمز بالرماح في أعجازها حتى تتحيّر وتَعِيرَ ويُسمع لها ضوضاء، وأن يهتِف هاتف ويقول: يا معشر أهل العسكر، النجاء النجاء فقد قُتل قائدكم فلان وقتل خلق وهرب خلق. ويقول قائل: أيها الرجل، استحْيِني لله. ويقول آخر: العفو العفو. وآخر: أوّه أوّه، ونحو هذا من الكلام. وليُعلم أنه إنما يُحتاج في البَيَات[1] إلى تحيير العدوّ وإخافته وليجتنبوا التقاطَ الأمتعة وآستياقَ الدوابّ وأخْذَ الغنائم. قال: وينبغي في محاصرة الحصون أن يُستمال مَنْ يُقدَر على آستمالته من أهل الحصن والمدينة ليُظفر منهم بخَصْلتين: إحداهما آستنباط أسرارهم، والأخرى إخافتُهم وإفزاعهم بهم، وأن يُدسَّ منهم من يصغّر شأنهم ويؤْيسهم من المَدَد ويخبرهم أنَّ سرَّهم منتشرٌ في مكيدتهم، وأن يُفاض حول الحصن ويشار إليه بالأيدي كأن فيه مواضع حصينة وأُخَر ذليلة ومواضع يُنصب المَجَانيق[2] عليها ومواضع تُهيّأ العَرَّادات[3] لها ومواضع تُنقب نقباً ومواضع توضع السَّلالم عليها ومواضع يُتسوّر منها ومواضع يُضرم النار فيها ليملأهم ذلك رعباً، ويكتب على نُشَّابة[4]: إياكم أهلَ الحصن والاغترار وإغفال الحراسة، عليكم بحفظ الأبواب فإن الزمان خبيث وأهلُهُ أهلُ غدرٌ فقد خُدع أكثرُ أهل الحصن وآستُميلوا، ويُرمى بتلك النّشابة في الحصن ثم يُدَسُّ لمخاطبتهم المِنْطيق[5] المُصيب الدَّهيّ الموارِب المخاتِل غير المِهْذار ولا المغفَّل. وتؤخّر الحرب ما أمكن ذلك فإن في المحاربة جرأة منهم على من

---

(١) البَيَات: إسم من بَيَّت العدوَّ أي أوقع به ليلاً.

(٢) المجانيق: آلات تُرْمى بها الحجارة، مفردها مَنْجَنِيقْ.

(٣) العرّادات: ج عَرّادة، وهي آلة حرب أصغر من المنجنيق ترمى بالحجارة المَرْمَى البعيدَ.

(٤) النُّشّابة: واحدة النُّشّاب، وهي السِّهام.

(٥) المِنْطِيْقُ: المرأة المتأزِّرة بحشيّة تعظِّمُ بها عجيزتها.

حاربهم ودليلاً على الحيلة والمكيدة، فإن كان لا بد من المحاربة فليحارِبوا بأخفّ العُدَّة وأيسر الآلة. وينبغي أن يغلب العدوّ على الأرض ذات الخَمَر[١] والشجر والأنهار للمعسكر ومصافّ الجنود ويُخلّى بين العدوّ وبين بساط الأرض ودَكادكها[٢].

وفي بعض كتب العجم أن بعض الحكماء سئل عن أشدّ الأمور تدريباً للجنود وشَحْذاً لها، فقال: إستعادة القتال وكثرة الظَّفَر، وأن تكون لها موادُّ من ورائها وغنيمةٌ فيما أمامها؛ ثم الإكرام للجيش بعد الظَّفر والإبلاغ بالمجتهدين بعد المُنَاصبة، والتشريفُ للشجاع على رؤوس الناس.

قال المدائني: قال نصر بن سيَّار: كان عظماء الترك يقولون: القائد العظيم ينبغي أن تكون فيه خِصالٌ من أخلاق الحيوان: شجاعة الدِّيْك، وتحنُّنُ الدجاجة، وقلب الأسد، وحَمْلة الخنزير، وروغان الثعلب، وخَتْل الذئب. وكان يقال في صفة الرجل الجامع: له وَثْبة الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب وجَمْع الذَّرّة، وبُكُور الغراب.

وكان يقال: أصلح الرجال للحرب المجرّب الشجاع الناصح.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي الأصمّ قال: قيل لعمرو بن معاوية العُقَيلي وكان صاحب صَوَائف: بم ضبطت الصوائف؟ أي الثغور قال: بسَمَانة الظهر وكثرة الكعك والقديد[٣]. وفي كتاب الآيين: لِيَكُنْ أوّلُ ما تحمله معك خبزاً ثم خبزاً. وإياك والمَفَارش والثياب. أبو اليَقْظان قال: قال شبيب الخارجي: الليل يكفيك الجبانَ ونصفَ الشجاع. وكان إذا أمسى قال

---

(١) الخَمَرُ: ما واراك من شجر وغيره.
(٢) الدَّكادك: ج دَكْدَك ودِكْدِك، وهي أرض فيها غلظ.
(٣) القديد: اللحم المُشَرَّر المُقَدَّد أو ما قُطِع منه طولاً.

لأصحابه: أتاكم المَدَد، يعني الليل. وقيل لبعض الملوك: بَيِّتْ عدوَّك. قال: أكره أن أجعل غَلَبتي سرقة.

المدائني قال: لما آشتغل عبد الملك بمحاربة مُصْعب بن الزبير آجتمع وجوه الروم إلى ملكهم فقالوا: قد أَمْكَنَتْك الفرصةُ من العرب بتشاغل بعضهم ببعض، فالرأي أن تغزوهم في بلادهم. فنهاهم عن ذلك وخطّأ رأيهم، ودعا بكلبين فأرَّش[1] بينهما فآقتتلا قتالاً شديداً، ثم دعا بثعلب فخلّاه بينهما، فلما رأى الكلبانِ الثعلبَ تركا ما كانا فيه وأقبلا على الثعلب حتى قتلاه، فقال لهم ملك الروم: هذا مثلنا ومثلهم. فعرفوا صدقه وحسن رأيه ورجعوا عن رأيهم.

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال: لا يكن العدوّ الذي قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظَّنِيْن الذي يستتر لك بمخاتلته، فإنه ربما تخوّف الرجلُ السُّمَّ الذي هو أقتل الأشياء وقتله الماءُ الذي يحيي الأشياء، وربما تخوّف أن يقتله الملوك التي تملكه ثم قتلته العبيد التي يملكها. فلا تكن للعدوّ الذي تُناصِبُ بأحذرَ منك للطعام الذي تأكل. وأنا لكل أمرٍ أخذْتُ منه نَذِيْرَكَ وإنْ عَظُم آمَنْ منّي من كل أمر عرّيته من نذيرك وإن صغُر. وآعلم أن مدينتك حِرْز من عدوّك، ولا مدينةَ تَحرّز فيها من طعامك وشرابك ولباسك وطيبك، وليست من هذه الأربع واحدة إلا وقد تُقتل بها الملوك..

وذكر عبد الملك بن صالح الهاشمي أن خالد بن بَرْمك، حين فصل مع قَحْطَبَةَ من خراسان، بَيْنا هو على سطح بيت في قرية قد نَزَلاها وهم يتغدَّوْن نظر إلى الصحراء فرأى أَقَاطيع ظِباء قد أقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر، فقال لقحطبة: أيها الأمير نادِ في الناس: يا خيل الله آركبي،

(١) أرَّشَ: أرَّث، أي أفسد.

فإن العدوّ قد نَهَد إليك وحَثَّ، وغاية أصحابك أن يُسْرِجوا ويُلْجِموا قبل أن يَرَوْا سُرْعان الخيل، فقام قحطبة مذعوراً فلم يَرَ شيئاً يروعه ولم يعاين غباراً، فقال لخالد: ما هذا الرأي؟ فقال خالد: أيها الأمير، لا تتشاغل بي ونادِ في الناس. أما ترى أقاطيع الوحش قد أقبلت وفارقت مواضعَها حتى خالطت الناس؟ إن وراءها لجَمْعاً كثيفاً. قال: فوالله ما أسرجوا ولا ألجموا حتى رَأَوْا ساطع الغبار فسلِموا، ولولا ذلك لكان الجيش قد آصطُلم.

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: آمرك بالتقدّم والأمر ممكن، وبالإعداد لغدٍ من قبل دخولك في غد كما تُعِدّ السلاحَ لمن تخاف أن يقاتلك وعسى ألا يقاتلك، وكما تأخذ عَتَاد البناء من قبل أن تصيبه السماءُ وأنت تدري لعلها لا تصيبه، بل كما تعدّ الطعام لعَدَد الأيام وأنت لا تدري لعلك لا تأكله. وكان يقال: كل شيء طلبته في وقته فقد مضى وقته.

وقرأت في كتاب سِيَرِ العجم أن فَيْرُوز بن يَزْدَجَرد بن بَهْرام لمّا مَلَكَ سار بجنوده نحو خراسان ليغزو اخشنوار ملك الهَيَاطِلة ببَلْخ، فلما آنتهى إلى بلاده آشتدّ رُعب اخشنوار منه وحذرُه له، فناظر أصحابه ووزراءه في أمره، فقال له رجل منهم: أعطني موثِقاً وعهداً تطمئن إليه نفسي أن تكفيني أهلي وولدي وتُحسن إليهم وتَخْلُفني فيهم، ثم آقْطَعْ يديَّ ورجليَّ وأَلْقِني على طريق فيروز حتى يمرَّ بي هو وأصحابه فأكفيكَ مؤونتهم وشوكتهم وأورّطهم مورَّطاً تكون فيه هلكتهم. فقال له اخشنوار: وما الذي تنتفع به من سلامتنا وصلاح حالنا إذا أنت قد هلكت ولم تَشْرَكنا في ذلك؟ قال: إني قد بلَغتُ ما كنت أحِبُّ أن أبلغه من الدنيا وأنا موقِنٌ بأن الموت لا بدَّ منه وإنْ تأخرَّ أياماً قلائل، فأحب أن أختم عمري بأفضل ما تُختَم به الأعمار من النصيحة لإخواني والنكاية في عدوّي فيشرُف بذلك عقبي وأصيب سعادة وحظوة فيما

أمامي، ففعل به ذلك وأمر به فأُلقي حيث وصف له. فلما مرّ به فيروز سأله عن أمره فأخبره أن اخشنوار فعل ذلك به وأنه آحتال حتى حُمل إلى ذلك الموضع ليدلّه على عورته وغِرّته وقال: إني أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذي تريدون سلوكه وأخفى، فلا يشعر اخشنوار حتى تهجُموا عليه فينتقم الله لي منه بكم، وليس في هذا الطريق من المكروه إلا تَفْوِيزُ يومين ثم تُفضون إلى كل ما تحبون. فقبل فيروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك، فخالفهم وسلك الطريق حتى آنتهى بهم إلى موضع من المفازة لا صَدَر عنه ثم بيَّن لهم أمره فتفرقوا في المفازة يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فقَتل العطشُ أكثرهم ولم يخلُص مع فيروز منهم إلا عدّة يسيرة فإنهم آنطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم وهم مستعِدّون لهم فواقعهم على تلك الحالة وعلى ما بهم من الضرّ والجهد فآستمكنوا منهم وأعظموا النكاية فيهم، ثم رغب فيروز إلى اخشنوار وسأله أن يمنّ عليه وعلى من بقي من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله وميثاقه ألا يغزوه أبداً فيما يستقبل من عمره وعلى أنه يحُدّ فيما بينه وبين مملكته حدّاً لا تجاوزه جنوده، فرضي اخشنوار بذلك وخلّى سبيله وآنصرف إلى مملكته، فمكث فيروز بُرْهة من دهره كئيباً ثم حمله الأَنَفُ على أن يعود لغزوه ودعا أصحابه إلى ذلك فردّوه عنه وقالوا: إنك قد عاهدته ونحن نتخوّف عليك عاقبة البغي والغدر مع ما في ذلك من العار وسوء المقالة. فقال لهم: إني إنما شرَطتُ له ألّا أَجُوز الحجر الذي جعلته بيني وبينه فأنا آمر بالحجر ليحمل على عَجَلة أمامنا. فقالوا له: أيها الملك، إنّ العهود والمواثيق التي يتعاطاها الناس بينهم لا تُحمل على ما يُسِرّ المعطِي لها ولكن على ما يُعلِن المعطى، وإنك إنما جعلت له عهدَ الله وميثاقه على الأمر الذي عرَفه لا على أمرٍ لم يخطر بباله. فأبى

فيروز ومضى في غَزَاته حتى آنتهى إلى الهياطلة وتصافَّ الفريقانِ للقتال فأرسل اخشنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صفيّهم ليكلمه، فخرج إليه فقال له اخشنوار قد ظننت أنه لم يدْعُك إلى غزونا إلّا الأنفُ مما أصابك. ولعمري لئن كنّا آحتلْنا لك بما رأيتَ، لقد كنت آلتَمَسْتَ منّا أعظم منه، وما آبتدأناك ببغي ولا ظلم ولا أردنْا إلا دفعك عن أنفسنا وعن حريمنا، ولقد كنت جديراً أن تكون، من سوء مكافأتنا بمنّنا عليك وعلى من معك من نقض العهد والميثاق الذي وكّدْتَ على نفسك، أعظَم أَنَفاً وأشدّ آمتعاضاً مما نالك منّا، فإنّا أطلقناكم وأنتم أسرى وَمَنَنَّا عليكم وأنتم مُشرِفون على الهلَكه وحقَنّا دماءكم وبنا قدرة على سَفْكها، وإنّا لم نجبْرك على ما شرطْتَ لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريدَ لنا عليه ففكِّرْ في ذلك وميِّل بين هذين الأمرين فآنظر أيُّهما أشدُّ عاراً وأقبح سماعاً، إن طلب رجل أمْراً فلم يُتَحْ له وسلك سبيلاً فلم يظفر فيها ببُغْيته وآستمكَنَ منه عدوُّه على حال جَهْد وضَيْعة منه وممن معه، فَمُنَّ عليهم وأطْلِقْهُم على شرط شرَطوه وأمر آصطلحوا عليه فآضطرّ لمكروه القضاء وآستحيا من النَّكْث والغَدْر أن يقال امرؤ نَكَثَ آلعهدَ وخَتَر[1] الميثاق. مع أني قد ظننت أنه يزيدك نجاحاً ما تثق به من كثرة جنودك وما ترى من حسن عُدَّتهم وطاعتهم لك، وما أجدني أشكّ أنهم أو أكثَرهم كارهون لما كان من شُخُوصك بهم عارفون بأنك قد حملتَهم على غير الحق ودعوتَهم إلى ما يُسخط الله، فهم في حربنا غير مستبصرين ونيّاتُهم في مناصحتك اليوم مدخولة، فآنظر ما قَدْرُ غَنَاءِ مَنْ يقاتِلُ على مثل هذه الحال، وما عسى أن تبلغ نكايتُه في عدوّه إذا كان عارفاً بأنه.إنْ ظفر فمع عارٍ وإن قُتل

(١) خَتَرَ الميثاقَ: نكثه؛ يقال: ختر فلاناً: غدره وخدعه فهو خاتر وختّار.

فإلى النار، فأنا أذكّرك اللهَ الذي جعلته على نفسك كفيلاً ونعمتي عليك وعلى من معك بعد يأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات، وأدعوك إلى ما فيه حظُّك ورشْدُك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك الذين مَضوْا على ذلك في كل ما أحبوه أو كرهوه، فأَحْمدوا عواقبَه وحسُن عليهم أثرُه، ومع ذلك إنك لست على ثقة من الظَّفَر بنا والبلوغ لنَهْمتك فينا وإنما تلتمسُ منا أمراً نلتمس منك مثله وتناوِيءُ عدوّاً لعله يُمنَح النصر عليك فقد بالغتُ في الاحتجاج عليك وتقدّمتُ في الإعذار إليك ونحن نستظهر بالله الذي آعتززْنا به ووثِقْنا بما جعلتَه لنا من عهده إذا آستظهرتَ بكثرة جنودك وآزدَهَتْك عدّة أصحابك، فذونك هذه النصيحة فوالله. ما كان أحد من نُصَحائك ببالغ لك أكثر منها ولا زائد لك عليها، ولا يَحْرِمَنَّك منفعتَها مَخرجُها مني فإنّه لا يُزْرِي بالمنافع عند ذوي الرأي أن كانت من قِبل الأعداء كما لا يُحبّب المضارّ إليهم أن تكون على أيدي الأولياء. وآعلم أنه ليس يدعوني إلى ما تسمع من مقالتي ضعفٌ أحِسّه من نفسي ولا قِلةٌ من جنودي، ولكني أحببتُ أن أزداد حجّة وآستظهاراً، وأزداد به من الله للنصر والمعونة آستيجاباً ولا أؤثر على العافية والسلامة شيئاً ما وجدْتُ إليهما سبيلاً، فأبى فيروز إلا تعلّقاً بحجّته في الحجر الذي جعله حدّاً بينه وبينه وقال: لسْتُ ممن يردَعُهُ عن الأمر يهمُّ به وعيدٌ ولا يقتاده التهدّد والترهيب، ولو كنت أرى ما أطلبك غدراً مني ما كان أحد أنظرَ ولا أشدَّ آتقاءً منيّ على نفسي فلا يغرَّنَّكَ منّا الحالُ التي صادَفْتَنا عليها في المرّة الأولى من القلّة والجَهْد والضعف. قال اخشنوار: لا يغرَّنّك ما تخدَع به نفسَك من حملك الحجر أمامك، فإنّ الناس لو كانوا يُعطون العهود على ما تَصِفُ من إسرار أمرٍ وإعلان آخر، إذاً ما كان ينبغي لأحد أن يغترَّ بأمانٍ ولا يثق بعهدٍ، وإذاً لما قبل الناس شيئاً مما يعطونه من ذلك، ولكنّه وُضع على العلانية وعلى نية من تُعقَد العهودُ والشروط له. فآنصرفا يومهما ذلك فقال فيروز لأصحابه:

لقد كان اخشنوار حَسَنَ المحاورة. وما رأيتُ للفَرَس الذي كان تحته نظيراً في الدواب فإنه لم يُزِلْ قوائمَه ولم يرفعْ حوافَره عن موضعها ولا صَهَلَ ولا أحدث شيئاً يقطع به المحاورة في طول ما تواقَفْنا. وقال اخشنوار لأصحابه: لقد واقفْتُ فيروز كما علمتم وعليه السلاح كلّه فلم يحرّك رأسَه ولم ينزعْ رجله من ركابه ولا حَنَا ظهرَه ولا آلتفَتَ يميناً ولا شِمالاً، ولقد تورَّكْتُ أنا مراراً وتمطيْتُ على فرسي وتلفَّتُ إلى مَن خلفي ومددْتُ بصري أمامي وهو منتصبٌ ساكن على حاله، ولولا محاورته إياي لظَنَنْتُ أنه لا يبصرني. وإنما أرادا بما وصفا من ذلك أن يَنتشر هذان الحديثان في أهل عسكرَيْهما فيُشغَلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكراه. فلما كان في اليوم الثاني أخرج اخشنوار الصحيفة التي كتبها لهم فيروز، فرفعها على رُمْحٍ لينظر إليها أهلُ عسكر فيروز فيعرفون غدره وبَغيه ويخرجون من متابعته، فآنتقض عسكر فيروز وآختلفوا وما لبثوا إلا يسيراً حتى آنهزموا وقتل منهم خلقٌ كثير وهلك فيروز، فقال اخشنوار: لقد صدق الذي قال: لا رادَّ لما قُدِّر، ولا أشدّ إحالةً لمنافع الرأي من آلهوى واللَّجاج، ولا أضيع من نصيحة يُمنَحُها مَنْ لا يوطِّن نَفْسَهُ على قبولها والصبر على مكروهها، ولا أسرعَ عقوبةً ولا أسوأ عاقبةً من البغي والغدر، ولا أجلبَ لعظيم العار والفُضُوح من إفراط الفخر والأنفة.

وقال أبو اليقظان: لما خرج شَبِيب[1] بن يزيد بن نُعَيم الخارجي بالموصل بعث إليه الحجّاج قائداً فقتله ثم قائداً فقتله كذلك حتى أتى على

(١) شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني الخارجي أحدُ كبار الثائرين على بني أمية. كان داهية ضَماحا إلى السيادة. خرج في الموصل على الحجاج الثقفي. توفي سنة ٧٧ هـ. أنظره بالتفصيل في الكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٩١ ـ ٤٣٥) كذلك وردت ترجمته في الأعلام (ج ٣ ص ١٥٦ ـ ١٥٧).

خمسة قوّاد قتلهم وهزم جيوشهم وكان أحد القوّاد موسى بن طلحة بن عبيد الله، ثم خرج شبيب من الموصل يريد الكوفةَ وخرج الحجّاجُ من البصرة يريد الكوفة فطمع شبيب أن يلقى الحجاجَ قبلَ أن يصل إلى الكوفة فأقْحم الحجاجُ خيلَه فدخل الكوفة قبله، ومرّ شبيب بعتاب بن وَرْقاء فقتله ومرّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهرب منه، وقَدِمَ شبيبٌ الكوفة وآلى ألاّ يَبْرح عنها أو يَلْقى الحجاجَ فَيَقْتُلَهُ أو يُقتل دونه؛ فخرج الحجاج إليه في خيله، فلما قُرب منه عَمد إلى سلاحه فألبسه أبا الوَرْد مولاه وحمله على الدّابة التي كان عليها، فلما تواقفا قال شبيب: أروني الحجاج، فأومأ له إلى أبي الورد فحمل عليه فقتله، ثم خرج من الكوفة يريد الأهواز فغرق في دُجَيل وهو يقول: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

الأوقات التي تُخْتار للسفر والحرب

حدّثني محمد بن عُبيد قال: حدّثنا يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهريّ قال: كان أحبّ الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يعقدَ فيه رايتَه يوم الخميس، وكان أحبّ الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يسافر فيه يوم الخميس.

وقالت العجم: أَخِّرِ الحربَ ما آستطعْتَ فإن لم تجد بُدّاً فاْجعل ذلك آخر النهار.

وحدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن آبن عَوْن عن محمد بن سيرين أنّ النعمان بن مُقَرِّن قال لأصحابه: إني لقيت مع

(١) سورة الأنعام ٦، آية ٩٦. والمعنى: إن المذكور هو تقدير العزيز في ملكه العليم بخلقه. تفسير الجلالين.

رسول الله ﷺ فكان من أحبِّ ما يَلْقَى فيه إذا لم يُلْقَ في أوّل النهار إذا زالت الشمسُ وحلّت الصلاة وهبّت الرياح ودعا المسلمون. ويروي قومٌ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامةَ[1] والابتداء بعمل في مِحَاق القمر وفي حلوله في برج العَقْرب. وقال بعضهم: كنت مع عمر بن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب، فنظرت فإذا القمر بالدَّبَران[2] فقلت: أنظر إلى القمر ما أحْسنَ آستواءه! فرفع رأسه ثم نظر فرأى منزلته فضحك، وقال إنما أردتُ أن ننظر إلى منزلته، وإنّا لا نقيم لشمس ولا لقمر ولكنا نسير بالله الواحد القهّار. وكان يقال: يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غَرْسٍ وبناء، ويوم الإثنين يوم سفر وآبتغاء رزق، ويوم الثلاثاء يوم حربٍ ودمٍ، ويوم الأرْبِعاء يوم الأخذ والإعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحوائج، ويوم الجمعة يوم خِطَب ونِكاح.

الدُّعاء عند اللقاء

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا معاوية بن أبي إسحاق عن أبي رَجاء قال: كان النبيُّ ﷺ يقول إذا آشتدّتْ حَلْقة البلاء وكانت الضَّيْقَة: «تضيَّقي تفرجي» ثم يرفع يديه فيقول: «بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم اللهمَّ إياك نعبد وإياك نستعين آللهم كفَّ عنا بأس الذين كفروا إنك أشدُّ بأساً وأشدّ تنكيلاً» فما يخفض يديه المباركتين حتى يُنزل الله النصر.

وحدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن موسى بن عقبة

---

(١) الحِجامة: حرفة الحجّام، وهي المداواة والمعالجة بالمِحْجَم، والمحجم آلة يجمع فيها دم الحجامة عند المص.

(٢) الدَّبَران: منزل للقمر وهو مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور.

عن سالم أبي النضر مولى عمرو بن عبيد الله وكان كاتباً له، قال: كتب عبد الله بن أبي أوْفى حين خرج إلى الحَرُورِيّة[1] أنّ النبي ﷺ في بعض أيامه التي لقيَ فيها العدوَّ آنتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال: «لا تتمنَّوْا لقاءَ العدوّ وآسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فآثبتوا وآصبروا وآعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف» ثم قال: «اللهمَّ مُنَزِّل الكتاب ومُجريَ السحاب وهازم الأحزاب آهزمهم وآنصرنا عليهم» وقال أبو النصر: وبلغنا أنه دعا في مثل ذلك فقال: «اللهمَّ أنت ربُّنا وربّهم وهم عبيدك ونحن عبيدك ونواصينا ونواصيهم بيدك فآهزمهم وآنصرنا عليهم».

حدّثني محمد بن عبيد قال: لما صافَّ قتيبةُ بن مسلم التُّركَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع ما يصنع؟ قالوا: هو في أقصى الميمنة جانح على سِيَة[2] قوسه يُنَضْنِض[3] بإصبعه نحو السماء. فقال قتيبةُ: تلك الإصبع الفاردة أحبّ إليَّ من مائة ألف سيف شَهِير وسنان طَرِير. فلما فتح الله عليهم قال لمحمد: ما كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق.

الصبرُ وحضُّ الناس يوم اللّقاء عليه

حدّثني سهلُ بن محمد قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: كان عاصم بن الحدثان رجلاً من العرب عالماً قديماً وكان رأسَ الخوارج بالبصرة وربما جاءه

(١) الحروريّة: قسم من الخوارج، وأول آجتماع لهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً، عليه السلام، كان بَحُرُوْراء، وحروراء موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية.

(٢) سِيَةُ القوس: ما آنعطف من طَرَفَيْها.

(٣) يُنَضْنِضُ: يشير.

الرسولُ منهم من الجزيرة يسأله عن بعض الأمر يختصمون فيه فمرّ به الفرزدق فقال لابنه: أَنْشِدْ أبا فراس، فَأَنْشَدَهُ: [كامل]

وهموا إذا كسروا الجفونَ أكارمٌ ... صُبُـرٌ وحيـن تُـحَـلَّلُ الأزرارُ
يَغْشَـوْن حَوْمـانِ المنون وإنهـا ... في الله عنـد نفـوسهِمْ لَصِغـارُ
يَمْشُوْن في الخَطِّي[1] لا يثنيهُمُ ... والقـومُ إذ ركبوا الـرماحَ تِجَـار

فقال له الفرزدق: ويحك! أَكْتُمْ هذا لا يسمعه النسّاجون فيخرجوا علينا بحفـوفهم[2]. فقـال عـاصم: يـا فـرزدق، هـذا شـاعـر المؤمنين وأنت شـاعـر الكافرين.

حدّثنا سهل قال: حدّثنا الأصمعي قال: قال سَلِيط بن سعد: قال بِسطام ابن قيس لقومه: تَرِدون على قومٍ آثارُهم آثارُ نساء وأصواتهم أصوات صِرْدان[3] ولكنهم صبُرٌ على الشرّ. يعني بني يَـرْبوع. وفي هؤلاء يقـول معاويـة: لَوَ أنّ النجـوم تنـاثـرت لسقط قمـرهـا في حجـور بني يـربـوع. قـال الأصمعيّ قلت لسليط: أكان عُتَيبة بن الحارث ضخماً؟ قال: لا، ولا من قومٍ ضِخَام. يعني بني يربوع.

وقال عمر بن الخطاب لبني عَبْس: كم كنتم يوم الهَبَاءة[4]؟ فقال: كنا مائةً

---

(١) الحفوف: ج حَفّ، وهو المِنْسَجُ.
(٢) الخَطِّيُّ: الرمح نسبة إلى الخطّ، وهو مرفأ للسفن بالبحرين أو نسبة لموضع باليمامه وهو خط هَجَر تباع به الرماح أو تحمل إليه من الهند فتقوَّم به.
(٣) الصِّـرْدان: ج صُرَد، وهـو طائـر أبقع أبيض البـطن أخضر الـظهر ضخم الـرأس والمنقار، لـه مخلبٌ يصطاد العصافير وصغار الطير.
(٤) يوم الهباءة يوم من أيام العرب كان النصر فيه لعبس على ذبيان، وكانوا قد اجتمعوا فالتقـوا في يوم قائظ إلى جنب جَفْر البَهَاءة (مستنقع في بلاد غطفان)أنظر ذلك بالتفصيل في العقد الفريـد (ج ٥ ص ١٥٦ ـ ١٥٨) ومعجم البلدان.

كـالذهب، لم نكثُـرْ فنتواكـلَ ولم نِقلَّ فنـذِلَّ. قـال: فكيف كنتم تقهـرون من ناوأكم ولستم بأكثـر منهم عدداً ولا مـالاً؟ قال: كنـا نصبر بعـد اللقاء هُنَيهـة. قال: فلذلك إذاً. قيل لعنترة العبسيّ: كم كنتم يوم الفَرُوق؟[1] قـال: كنا مـائة لم نكثرْ فنفشَلَ ولم نقِلَّ فنذِلَّ. وكان يقال: النصـر مع الصبـر. ومن أحسن ما قيل في الصبر، قول نَهْشَل[2] بن حَرِّي بن ضَمْرة: [طويل]

ويـومٌ كـأنَّ المُصْـطَلِينَ بِحَـرِّهِ ... وإنْ لم تكن نارٌ قيامٌ على الجمـرِ
صَبَـرْنـا لـه حتى يَبُـوخَ وإنمـا ... تُفـرَّجُ أيـامُ الكـريهـةِ بـالصبـرِ

ومثله قول الآخر: [طويل]

بكى صاحبي لمّا رأى المـوتَ فوقنـا ... مُـطِلًّا كإطـلال السَّحـاب إذا آكفَهَـرْ
فقلْتُ لـه لا تَبْـكِ عينُـك إنمـا ... يكـون غـداً حُسْنُ الثنـاء لمن صَبَـرْ
فمـا أخَّـرَ الإحجـامُ يـومـاً مُعَجَّـلاً ... ولا عجَّـلَ الإقـدامُ مـا أخَّـرَ آلقَـدَرْ
فآسَى على حـالٍ يَقـلُّ بهـا الأسى ... وقـاتَلَ حتى آسْتَبْهَمَ الـوِرْدُ والصَّـدَرْ
وكَـرَّ حِفَـاظـاً خِشْيَـةَ العـارِ بعـدمـا ... رأى الموتَ معروضاً على منهج المَكَرْ

وقـال أبو بكـر الصدّيق رضي الله عنـه لخـالـد بن الـوليـد حين وجهـه: احْرِصْ على الموت تُوْهَبْ لك الحياة. وتقول العرب: الشجاع مُوَقًّى. وقالت الْخَنساء: [متقارب]

نُهِيْنُ النفـوسَ وهَـوْنُ النفـو ... س يـومَ الكـريهـة أوقَى لهـا

(١) الفَرُوْق: عقبة دون هَجَـر إلى نجد، بين هَجَـر ومهب الشمال. معجم البلدان. ويـوم الفَرُوْق من أيـام العرب، تحـدث عنه ابن عبـد ربه بـالتفصيل. آنـظر العقد الفـريد (ج ٥ ص ١٥٨ - ١٥٩).

(٢) تقدمت ترجمته.

وقال يزيد[١] بن المهلّب: [طويل]

تـأخّرتُ أَسْتبقي الحيـاةَ فلم أجدْ ... لنفسي حيــاةً مثـلَ أنْ أتقــدَّمَـا

وقال قَطرِيّ[٢] بن الفُجَاءة: [وافر]

وقَـوْلي كلّما جَشَــأتْ وجـاشتْ ... من الأبــطال ويحكِ لا تُــراعِي

فـإنّكِ لــو سـألْتِ حيــاةَ يـومٍ ... سوى الأَجَل الذي لكِ لم تُطاعي[٣]

وقـال معـاويـة بن أبي سفيـان: شجّعني على عليّ بن أبي طـالب قـولُ عمرو[٤] بن الإطْنابة: [وافر]

أَبـتْ لـي عِـفَّتــي وأبى[٥] بَــلائــي ... وأَخْـذي الحمدَ بـالثمن الـرَّبِيــحِ

وإقــدامـي على الـمكـروه نـفْسـي ... وضــرْبي هـامــةَ البَـطَل المُشِيـح

وقَــوْلي، كُلّمــا جَشَــأتْ، لنفسـي ... مكــانَـكِ تُحمــدي أو تَسْتَـرِيْحـي

لأدفــع عــن مــآثـرَ صــالـحــاتٍ ... وأحمِي بعــدُ عن عِـرْضٍ صحيـح

(١) كذلك تقدمت ترجمته.

(٢) قَطرِيُّ بن الفُجاءة هـو جعونـة بن مازن التميمي، من أهـل قطر قـرب البحرين. كـان خطيباً فارساً شاعراً. وكانت كنيته في الحرب أبا نعامة (ونعامة فَـرَسُه) وفي السلم أبـا محمد. شعـره في الحماسة كثير. توفي سنة ٧٨ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٣) هذان البيتان من مشهور شعر ابن الفجاءة الحماسي، وهما مطلع قصيدة فريدة في الحماسـة. ولقد وردت شطر البيت الأول في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) على النحو التالي:

وقَـوْلـي، كـلمـا جَـشَـأتْ، لـنـفـسـي

كما ورد هذا الشطر في الأعلام (ج ٥ ص ٢٠١) على النحو التالي:

أقـول لـهـا وقـد طـارت شـعـاعـاً

(٤) عمـرو بن الإطنابـة الخزرجي شـاعرٌ جـاهلي، إشتهـر بنسبتـه إلى أمـة «الإطنـابـة» لأن والده هو عامر بن زيد. وفي اللّسان، مادة (طنب) قال ابن منظور: الإطنابة والدة عمـرو أمرأة من بني كنانة بن القيس بن جَسْر بن قُضاعة. وقال الزركلي في الأعلام (ج ٥ ص ٨٠): كـان عمرو على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس.

(٥) ورد في الأعلام (ج ٥ ص ٨٠): «وأبى إبائي».

أبتْ لي أن أقضِّي في فعالي وأن أغْضِي على أمر قبيح

وقال رَبيعة[١] بن مَقْرُوْم: [كامل]

ودعَوْا نَزَالِ فكنْتُ أوّلَ نازلٍ وعَلَامَ أرْكَبُهُ إذا لم أنزلِ؟

وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يُذَمِّر[٢] الناس ويقول: يا أهل الإسلام، إنّ الصبر عزٌّ وإنّ الفشلَ عجز وإنَّ النصر مع الصبر. وقال بعض أبطال العرب: [رجز]

إنّ الشِّواء والنَّشِيل[٣] والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ

للضاربين الخيلَ والخيل قُطُفْ

وقال أعرابي: الله يُخْلف ما أتلف الناسُ، والدهرُ يتلف ما جمعوا، وكم من مِيْتَة عِلّتُها طلب الحياة، وحياة سببها التعرّضُ للموت. ومثله قول أبي بكر الصديق لخالد: إحرصْ على الموت تُوهَبْ لك الحياة.

قدِمت مُنْهزمةُ الرومِ على هِرَقْل وهو بأَنْطاكِيَة، فدعا رجالاً من عظمائهم فقال: ويحكم! أخبروني ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى. يعني العرب. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كلّ موطن. قال: ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلّما لقيتموهم؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم: أنا أخبرك، أيها الملك، من أين تؤْتَوْن. قال: أخبرْني.

---

(١) ربيعة بن مَقْرُوم بن قيس الضبي من مخضرمي الجاهلية والإسلام ومن شعراء الحماسة. وفد على كسرى في الجاهلية وشهد بعض الفتوح في الإسلام وحضر وقعة القادسية. توفي بعد ١٦ هـ. الأعلام ج ٣ ص ١٧.

(٢) يُذَمِّر الناسَ: يشجِّعهم ويحضُّهم على القتال.

(٣) النشيل: ما طبخ من اللحم بغير تابل.

قال: إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر. قال: ويلكم فما بالكم كما تَصِفون وهم كما تزعمون؟ قال الشيخ: ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا؟ قال له: من أين هو؟ قال: لأنّ القوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ويُوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وَيَنْهَوْن عن المُنْكر ولا يظلمون أحداً ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنّا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ونأمر بما يُسخط الله وننهَى عما يرضي الله ونفسد في الأرض. قال: صدقتَني، والله لأخرجَنَّ من هذه القرية فما لي في صحبتكم خير وأنتم هكذا. قالوا: نُشهدك الله، أيها الملك. تَدَعُ سُورِيَة وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء ولم يُؤتَ عليهم؟.

ذكر الحرب

قالت العرب: الحرب غَشُوم، لأنها تنال غير الجاني. وقال الكُمَيْت[1]: [بسيط]

النـاسُ في الحـرب شتّى وهي مُقْبِلَةٌ ... ويَسْتَـوُوْنَ إذا مـا أدْبَـرَ القُبُـلُ
كـلٌّ بـأمْسِيِّهـا طَـبٌّ مـولِّـيـةً ... والعـالمـون بـذي غُـدْوِيِّهـا قُلُل

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن مَعْد يكرب[2]: أخبرني عن الحرب. قال: مُرّة المَذَاق إذا قَلَصَتْ عن ساق، مَن صبَر فيها عُرف ومن

(١) سبقت ترجمته.
(٢) عمرو بن مَعْدِ يكرب بن ربيعة الزبيدي فارسُ اليمن وصاحب الغارات المشهورة. توفي سنة ٢١ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٨٦.

ضعف عنها تَلِف. وهي كما قال الشاعر: [كامل]

الحربُ أوّلُ ما تكون فتيَّةً تسعى بزينتها لكلّ جَهُولِ[1]

حتى إذا آستَعَرَتْ وشبَّ ضِرَامُها عادت عجوزاً غير ذات خليل

شَمْطاءُ جَزّتْ رأسَها وتنكَّرتْ مكروهةً للَّثْم والتقبيل

كان يزيد بن عمر بن هُبَيرة يحب أن يضع[2] مِنْ نصر بن سَيَّار[3] فكان لا يمُدّه بالرجال ولا يرفع ما يَرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال: [وافر]

أرى خلَلَ الرماد وَميضَ جَمْرٍ ويوْشك أن يكون له ضِرامُ

فإنّ النارَ بالعُودَيْن تُذْكى وإنّ الحربَ أوّلُها الكلام

فإنْ لم يُطْفِها عُقَلاءُ قومٍ يكون وَقُودَها جُثَثٌ وهَامُ

فقلْتُ من التعجبِ ليت شعري أأيْقاظٌ أُمَيّةُ[4] أمْ نِيام

ونحو قوله: «الحرب أوّلها الكلام» قول حُذَيفة: إنّ الفتنة تُلْقَحُ بالنجوى وتُنْتَج بالشكوى.

العتبيّ عن أبيه قال: قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن: يا بُنيّ لا تَدْعُوَنَّ أحداً إلى البِراز، ولا يدعوَنَّك أحدٌ إليه إلا أجبْتَهُ فإنه بَغْي.

---

(١) الجَهُوْلُ: الغِرُّ.

(٢) أن يضع: أن يحطّ من قَدْره.

(٣) نصر بن سيّار بن ربيعة الكناني أميرٌ من الدهاة الشجعان. توفي سنة ١٣١ هـ. الأعلام ج ٨. ص ٢٣.

(٤) أي بنو أمية ورجالها.

في العدّة والسلاح

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خُصَيْفة عن السائب بن يزيد ـ فيما حفظت إن شاء الله ـ أنّ النبيّ ﷺ كان عليه دِرْعان يومَ أُحُد. قيل لعبّاد بن الحُصَين وكان أشدّ رجال أهل البصرة: في أيّ عدّة تحبّ أن تلقى عدوك؟ قال: في أجل مُستأخِر.

حدّثني زياد بن يحيى قال: حدّثنا بِشر بن المفضَّل قال: حدّثنا داود بن أبي هند عن عِكْرِمة قال: لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجَنُوب للشَّمَال: انْطلقي بنا نُمِدَّ رسول الله ﷺ فقالت الشمال: إنّ الحرّة لا تسري بالليل، فكانت الريح التي أُرسلت عليهم الصَّبا.

حدّثني سهل بن محمد قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: حدّثنا آبن أبي الزِّنَاد قال: ضرب الزبيرُ بن العوّام يومَ الخندق عثمانَ بن عبد الله بن المغيرة فقطَّه إلى القَرَبوس[1] فقالوا: ما أجودَ سيفك! فغضب، يريد أنّ العمل ليده لا لسيفه.

وقال الوليد بن عبيد البحتريّ يصف سيفاً: [كامل]

ماضٍ وإنْ لم تُمْضِهِ يدُ فارسٍ بَطَلٍ ومصقولٌ وإنْ لم يُصْقَلِ
متوقِّدٌ يَفْري بأوّل ضَرْبةٍ ما أدْرَكَتْ وَلَو آنّها في يَذْبُلِ[2]

---

(١) القَرَبُوس: حِنْو السَّرْج، وهما قَرَبُوسان، والجمع قرابيس.

(٢) يَذْبُل: جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها. معجم البلدان. وقد ذكره امرؤ القيس بقوله (طويل):

فيا لكَ مِنْ ليلٍ كأنَّ نجومَهُ بكل مُغار الفَتْل شُدَّت بِيَذْبُلِ

أي كأن نجوم هذا الليل قد رُبطت بهذا الجبل بكل حبل محكم الفتل فلا تقدر أن تغيب، فكنى بذلك عن طول الليل.

وقال آخر: [طويل]

وما السيف إلا بَزٌّ[1] غادٍ لزينةٍ إذا لم يكن أمضى من السيف حامِلُهْ

رُئي الجرّاحُ بن عبد الله في بعض الحروب وقد ظاهر بين درعين، فقيل له في ذلك. فقال: إني لست أقي بَدَني وإنما أقي صبري. وآشترى يزيدُ بن حاتم أدرُعاً وقال: إني لم أشترِ أدراعاً إنما آشتريت أعماراً.

وقال حبيب بن المهلَّب: ما رأيت رجلاً في الحرب مُستلْئِماً إلا كان عندي رجلين، ولا رأيت حاسرين إلا كانا عندي واحداً. فسمع هذا الحديث بعض أهل المعرفة فقال: صدق، إنّ للسلاح فضيلة. أمَا تراهم ينادون عند الصَّريخ: السلاحَ السلاحَ ولا ينادون: الرجالَ الرجالَ؟ قال المهلب لبنيه: يا بَنِيَّ، لا يقعدَنَّ أحدٌ منكم في السوق، فإن كنتم لا بدَّ فاعلين فإلى زَرّاد أو سَرّاج أو وَرّاق. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن معد يكرب: أخبْرني عن السلاح. قال: سَلْ عمّا شئْتَ منه. قال: الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك. قال النَّبْل؟ قال: منايا تخطىء وتصيب. قال: التُّرس؟ قال: ذاك المِجنّ وعليه تدور الدّوائر. قال: الدِّرع؟ قال: مُثْقِلة للراجل مُتْعِبة للفارس، وإنّها لحصن حصين. قال: السيف؟ قال: ثَمَّ، قارَعْتك أمُّك عن الثُّكْل. قال عمر: بل أمُّك. قال: الحُمَّى أضْرعَتْني لك[2].

وقال الطائيّ[3] يصف الرِّماح: [بسيط]

مُثَقَّفاتٌ سَلَبْنَ الرومَ زُرْقَتَها العُرْب سُمْرَتَها والعاشقَ القَضَفا[4]

---

(١) البَزّ: ضرب من الثياب.

(٢) هو مثل، والمثل الحقيقي هو: «الحُمَّى أضْرَعَتْني للنوم» يُضْرب في الذلّ عند الحاجة. وأضرعتني لكَ: أذَلَّتني.

(٣) هو أبو تمام حبيب الطائي الشاعر المشهور.

(٤) القضف: النحافة.

وقال دِعْبل[١] يصف الرُّمح : [سريع]

وأسمرٍ في رأسِهِ أزرقٌ ... مثلُ لسان الحيّة الصادِي[٢]

وقال الشاعر: [بسيط]

تلمَّظَ السَّيفُ من شوقٍ إلى أُنُسٍ ... فالموتُ يَلْحَظ والأقدارُ تنتظِرُ

أظَلَّهُ منك حَتْفٌ قد تجلَّله ... حتى يؤامرَ فيه رأيَك القَدَرُ

أمضى من السيف إلا عند قدرتِهِ ... وليس للسيف عفوٌ حين يَقْتدِرُ

وقال آخر: [طويل]

متى تَلْقَني يَعْدُو ببَزِّي[٣] مُقَلِّصٌ ... كُميْتٌ بِهَيْمٌ أو أغرُّ مُحَجَّلُ

تُلاقِ آمرأً إنْ تلقَهُ فبسيفِهِ ... تُعلِّمُكَ الأيامُ ما كنْتَ تجهلُ

وقال عليّ رضي الله عنه: بقية السيف أبقى عدداً وأكثرُ ولَداً. وفي الحديث «بقِيّة السيف مباركة» يعني أنّ من نجا من ضربة السيف ينمو عدده ويكثر ولده. وقال المهلّب: ليس شيء أنمى من سيف. ويقال: لا مجد أسرع من مجد سيف.

وكانت دِرْعُ عليّ رضي الله عنه صدراً لا ظهر لها فقيل لها في ذلك فقال: إذا آستمكن عدوّي من ظهري فلا يُبْقِ. وقال أبو الشِّيص[٤]:

---

(١) هو دِعْبل الخزاعي، وقد تقدمت ترجمته.

(٢) الصادي: العطشان.

(٣) البَزُّ والبِزَّة: السلاح ويدخل فيه الدرع والمِغْفَر والسيف. والمُقَلِّصُ: فرس مشرف مُشَمِّرٌ طويل القوائم.

(٤) تقدمت ترجمته.

[خفيف]

خَتَلَتْهُ ٱلْمَنُونُ[١] بعد ٱختيالٍ بين صَفَّيْنِ من قَناً ونِصَالِ
في رداءٍ من الصفيح صِقيلٍ وقميصٍ من الحديد مُذَالِ[٢]

بلغ أبا الأغرّ أنّ أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شرٌّ فبعث آبنه الأغرّ وقال: يا بُنيَّ، كن يداً لأصحابك على من قاتلهم، وإيّاك والسيف فإنه ظلّ الموت، وآتق الرمحَ فإنه رِشاء[٣] المنيّة، ولا تقرُبِ السِّهامَ فإنها رُسُلٌ لا تُؤامِر مُرسِلَها. قال: فبماذا أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر: [طويل]

جَلامِيدُ يَمْلأْنَ الأكُفَّ كأنّها رؤوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ في المواسِمِ

وقال الخُرَيمي[٤] في بغداد أيام الفتنة: [منسرح]

يا بؤس بغدادَ دارَ مملكةٍ دارَتْ على أهلها دوائرُها
أمْهَلَها الله ثُمَّ عاقبها لمَّا أحاطت بها كبائرُها[٥]
رقَّ بها الدِّينُ وٱستُخِفَّ بذي الـ ـفضل وعزَّ الرجالَ فاجِرُها

(١) خَتَلَتْه المنونُ: خدعته، والمنون: المنيّة.
(٢) القميص المُذال: الدرع الطويلة الذيل.
(٣) الرِّشَاءُ: الحبل، والجمع أَرْشِيَةٌ.
(٤) في الأصل: الخزيمي (بالزاي) وهو تصحيف، والخريمي هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي، سمي بذلك لأنه كان مولى ابن خُرَيْم، الذي يقال لأبيه خُرَيْم الناعم. وهو خُراسانيُّ الأصل، إتصل محمد بن منصور بن زياد، كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جياد. وهو شاعر مطبوع توفي سنة ٢١٢ هـ. وقصيدته الرائية هذه قالها في وصف الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون، وتقع في ١٣٥ بيتاً أوردها الطبري في تاريخه. وقد وردت هذه الأبيات التسعة في كتاب الشعر والشعراء ص ٧٣٣ ـ ٧٣٤ وجاء فيه: «وذاك يَهْدِمُها» بدل «وذا يُهَدِّمُها» و «شُذّانُها» (بالنون) بدل «شذّابها» (بالباء) و«قَساوِرُها» بدل «تُساوِرُها». راجع ذلك كله في الشعر والشعراء ص ٧٣١ ـ ٧٣٥، والأعلام (ج ١ ص ٢٩٤).
(٥) الكبائر: ج كبيرة، وهي الإثم الكبير.

وصــار ربُّ الجيــرانِ فــاسِقُـهُمْ وآبتَّـز أمْنَ الـدروبِ شــاطِـرُهــا
يُـحْـرِقُ هــذا وذا يـهــدِّمُــهـا ويشتـفِي بــالـنِّهــاب داعِــرُهــا
والكَرْخُ [1] أسـواقُـهـا معـطَّلةٌ يَـسْتَـنُّ شُـذَّابُـهـا وعـائِـرُهـا
أَخْرَجَتِ آلحربُ من أساقطهمْ آسـادَ غِيْـلٍ غُلْبـاً تُسـاوِرُهـا
من البَـوَارِي [2] تِـراسُهـا ومن الـ ـخُـوص إذا آستَلأَمَتْ مغافِـرهـا
لا الـرزقَ تبغِي ولا العـطاءَ ولا يحشُـرهـا بـالعَنـاءِ حـاشـرُهـا

ونحوه قول عليّ [3] بن أمية: [متقارب]

دَهَتْنـا أمـورٌ تُشِيْبُ الـوليـدَ [4] ويَخـذُل فيهـا الصـدّيقَ الصـدّيقُ
فَـنـاءٌ مُـبِـيـدٌ وذُعْـرٌ عـتِـيـدٌ وجـوْعٌ شـديـدٌ وخـوفٌ وضِيْقُ
وداعِي الصباحِ بطول الصياح الـ ـسـلاحُ آلسـلاحُ فـما نستفيقُ
فـبـالله نـبـلُغ مـا نـرتـجـي وبـالله نـدفـع مـا لا نُـطـيْـقُ

جنى قومٌ من أهل اليمامة جناية فأرسل إليه السلطان جُنْداً من بُخـاريّة [5] زيـاد، فقال رجـل من أهل البـادية يُـذمِّر قـومـه: يـا معشـر العـرب، ويـا بني آلمُحْصَنـات، قاتلوا عن أحسـابكمَ ونسائكم، والله لئن ظهـر هؤلاء عليكم لا يَدَعُوْن بها لبِنةً حمـراء ولا نخلة خضراء إلا وَضَعهـوها بـالأرض وَلأعْتراكُمْ من نُشّابٍ معهم في جِعَاب كأنها أُيورُ الفِيَلة ينزعـون في قِسِيٍّ كأنهـا العَتَلُ [6] فتَئِطُّ

---

(١) الكـرخ: محله أو سوق ببغـداد تقع بين الصـراة ونهر عيس. معجم البلدان، ولسـان العرب، مادة (كرخ).

(٢) البواري: ج باريّ بتشديد الياء، وهو الحصير المنسوج.

(٣) لم أحظ بترجمته له.

(٤) الوليد: المولود، والجمع وِلْدَة ووِلْدان.

(٥) بخارية زياد: سكة بالبصرة أسكنها عبيد الله بن زياد أهلَ بُخـارى الذين نقلهم من بُخـارى إلى البصرة وبنى لهم هذه السكة فعرفت بهم ولم تعرف به. معجم البلدان.

(٦) العَتَلُ: الحديدة الشبيهة برأس الفاس أو القوس الفارسية، وهنا يشبه القِسِيَّ (ج قوس) بالعتل.

إحداهُنَّ أطِيطَ الزُّرْنُوق[1] يَمْغَط أحدهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبِطَيْه ثم يرسل نُشّابة كأنها رِشاء[2] منقطع فما بين أحدكم وبين أن تَنْفَضِخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة، فخلع قلوبَ القوم فطاروا رعباً.

آداب الفروسية

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال: كتب عمر رضي الله عنه: ائتزروا وآرتَدُوا وآنتعلوا وألقوا الخِفَاف وآرْمُوا الأغراض وألقوا الرُّكُبَ وآنْزُوا نَزواً على الخيل وعليكم بالمعدِّيَّة، أو قال العربية. ودَعوا التنعم وزِيَّ العجم ولا تَلْبَسُوا الحرير فإن رسول الله ﷺ نهى عنه إلا هكذا، ورفع إصبعيْه. وقال أيضاً: لن تخُورَ قوى ما كان صاحبها ينزع وينزو. يعني ينزع في القوس وينزو على الخيل من غير آستعانةٍ بالرُّكُب. وقال العمري: كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنَه اليمنى وبيده اليسرى أذنَ فرسه اليسرى ثم يجمع جَرَامِيزَه[3] ويَثِبُ فكأنما خُلق على ظهر فرسه.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صِفِّين: عَضُّوا على النَّواجذ[4] من الأضراس فإنه أنْبَى للسيوف عن الهام. وأقاموا رجلاً بين العُقَابين فقال له أبوه: طِدْ رِجْلك وأَصِرَّ إصْرار الفرس وآذكر أحاديث غدٍ وإياك وذكر الله في هذا الموضع فإنه من الفشل. وقال غيره: طِدْ رجليك إذا آعْتَصيْت بالسيف والعصا وأنت مخيَّر في رفعه ساعةَ المسالمة والموادعة.

---

(١) أَطَّتْ أطيط الزُّرْنُوق: صوّتت كصوت النهر وهو يجري والزرنوق نهر صغير.

(٢) رِشاء منقطع: حبل منقطع.

(٣) الجرامِيْز: أعضاء الجسد؛ يقال: أخذه بجراميزه: أي أجمع.

(٤) عضَّ على نواجذه: بلغ أشدَّه، والنواجذ أقصى الأضراس ومفردها ناجذ.

وقرأت في الآيين أن من إجادة الرمي بالنُّشّاب في حال التعلّم إمساكَ المتعلم القوسَ بيده اليسرى بقوّة عَضُده الأيسر والنُّشّابة بيده اليمنى وقوّةِ عضده الأيمن وكفُّه إلى صدره وإلقاؤه ببصره إلى مَعْلَم الرمي وإجادته نَصْبَ القوس بعد أن يطأطىء من سِيَتِها[١] بعض الطَّأْطأة وضبطُه إيّاها بثلاث أصابع وإحناؤه السبَّابة على الوتر، وإمساكه بثلاثة وعشرين كأنها ثلاثة وستون وضمه الثلاثة ضماً وتحويله ذَقْنَه إلى منكِبه الأيسر وإشرافه رأسَه وإرخاؤه عنقه وميلُه مع القوس وإقامتُه ظهرَه وإدارتُه عَضُدَه وَمَغْطُهُ القوسَ مترافعاً ونزعُه الوترَ إلى أذنه ورفعُه بياضَ عينيه من غير تصريف لأسنانه وتحويلٍ لعينه وآرتعاشٍ من جسده وآستبانتُه موضع زِجَجَةِ[٢] النّشاب.

وقرأت في الآيين: من إجادة الضرب بالصَّولجان أن يضْربَ الكُرةَ قُدُماً ضرب خُلْسةٍ يُدير فيه يده إلى أذنه ويُميل صَوْلجانه إلى أسفلَ من صدره ويكون ضربه متشازِراً مترفِّقاً مترسِّلاً ولا يُغفل الضرب ويرسل السِّنان خاصة وهو الحامية لمجاز الكُرة إلى غاية الغرض ثم الجرّ للكرة من موقعها، والتوخّي للضرب لها تحت مِحْزَم الدابة ومن قِبَل لَبّتها[٣] في رفق، وشدّةُ المزاولة والمُجاحَشة على تلك الحال والتركُ للاستعانة في ضرب الكرة بسَوْط والتأثير في الأرض بصولجان والكسرِ له جهلاً بآستعماله أو عقرِ قوائم الدابة، والاحتراسُ من إيذاء مَنْ جرى معه في ميدانه، وحسنُ الكف للدّابة في شدّة جريه، والتوقّي من الصَّرْعة والصَّدْمة على تلك الحال، والمجانبةُ للغضب والسَّبّ، والاحتمالُ والمُلاهاة، والتحفُّظ من إلقاء كُرة على ظهر بيت وإن كان

(١) سِيَّة القوس: ما آنعطف من طرفيها.
(٢) زِجَجَةُ النُّشّاب: نصولها، والواحد زُجّ.. والنشاب: السهام والواحدة نُشّابة.
(٣) اللَّبَّة: المِنْحر.

ستُّ كُرِيْنَ[١] بدرهم، وتـركُ طرد النَّـظَّارةِ والجُلوسِ على حيطان الميـدان فإنَّ عـرْضَ الميدان إنمـا جعل ستين ذراعـاً لئـلا يُحـالَ ولا يُضَارَّ من جلس على حائطه.

وقال أبو مسلم صـاحب الدَّعـوة لرجـاله: أَشعِـروا قلوبَكم الجرأةَ عليهم فإنها سبب الظَّفَر، وآذكروا الضغائن فإنها تبعث على الإقدام، وآلزموا الطاعـة فإنها حصن المُحارِب.

المسير في الغزو والسفر

حدّثنا شَبَابة عن القاسم بن الحَكَم عن إسماعيـل بن عيَّاش عن مَعْـدان ابن حُدَير الحَضْرمي عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَـلُ الذين يَغْـزُوْن من أمتي ويـأخـذون الجُعْـل[٢] يَتقـوَّوْن بـه على عدوهم كمثل أمّ موسى تُرضع ولدَها وتأخـذ أجرهـا». حدّثني محمـد بن عُبيد عن آبن عُيينـة عن عبد الـرحمن بن حَرْملة عن سعيـد بن المسَيِّب قال: لمـا نَزَلَ النبيُّ، ﷺ، المُعرَّسَ أمر منادياً فنادى: لا تَطْرُقوا النساء. فتعجَّل رجـلان فكلاهما وجد مع آمرأته رجـلاً. وكانت العـرب تقول: السَّفَـرُ ميزان القـوم[٣]. وتأمر بالمُحِلَّات وهي الدلو والفأس والسُّفْرة والقِـدْر والقَدَّاحـة، وإنما قيـل لها مُحِلَّات لأن المسافر بها يحلّ حيث شاء ولا يبالي ألاّ يكون بقربه أحد.

حدّثني عبد الـرحمن بن الحسين عن عبد المنعم عن أبيـه عن وهب بنْ منبّه قال: قال لقمان لابنه: «يا بُنيَّ، إذا سافرت فلا تنَمْ على دابتّك فـإنَّ كثرة

(١) كُرِيْن: ج كُرَة، وهي ما أدرت من شيء وكل جسم مستدير كالطابة.
(٢) الجُعْلُ: ج جَعالة، وهي الرَّشْوَة.
(٣) السفر ميزان القوم: أي أن السفر يُسْفِرُ عن أخلاق المسافرين.

النوم سريعٌ في دَبرِها، فإذا نزلتَ أرضاً مُكْلِئة فأعْطها حظّها من الكلأ وآبدأ بِعَلَفها وسقْيها قبل نفسك وإذا بعدت عليك المنازل فعليك بالدَّلَج[1] فإن الأرض تُطوَى بالليل. وإذا أردت النزول فلا تنزل على قارعة الطريق فإنها مأوى الحيّات والسباع ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تُربة وأكثرها كلأ فآنزِلْها، وإذا نزلت فَصَلِّ ركعتين قبل أن تجلس وقل: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ﴾[2]. وإذا أردت قضاء حاجة فأبْعِدِ المذهبَ في الأرض وعليك بالسُّتْرة. وإذا آرتحلْتَ من منزل فَصَلِّ ركعتين ووَدِّع الأرض التي آرتحلْتَ عنها وسلِّم عليها وعلى أهلها فإنَّ لكل بقعة من الأرض أهلاً من الملائكة. وإذا مررت ببقعة من الأرض أو وادٍ أو جبل فأكثرْ من ذكر الله فإن الجبال والبقاع ينادي بعضها بعضاً: هل مرّ بكنّ اليوم ذاكر لله؟ وإنِ آستطعْتَ ألا تَطعَم طعاماً حتى تتصدّق منه فآفعلْ. وعليك بذكر الله، جلّ وعزّ، ما دمتَ راكباً وبالتّسبيح ما دمْتَ صائماً وبالدعاء ما دمت خالياً. وإيّاك والسّيرَ في أوّل الليل وعليك بالتّعريس والدُّلْجة من نصف الليل إلى آخره. وإياك ورفعَ الصوت في سيرك إلا بذكر الله، وسافر بسيفك وقَوسك وجميع سلاحك وخُفّك وعمامتك وإبْرَتك وخُيوطك وتزوَّدْ معك الأدْوية تنتفع بها وتنفع مَن صحبَكَ من المرضى والزَّمْنى[3]. وكن لأصحابك موافقاً في كل شيء يُقرّبُك إلى الله ويباعدك من معصيته. وأكثر التبسُّمَ في وجوههم وكنْ كريماً على زَادِك بينهم وإذا دعوك فأجبْهم، وإذا آستعانوك فأعِنْهم وإذا آستشهدوك على الحق فآشهَدْ لهم وآجهَدْ رأيك. وإذا رأيتهم يمشْونْ فامش معهم أو يعملون فآعمل

(١) الدَّلَجُ: السير من أول الليل.

(٢) سورة المؤمنون ٢٣، آية ٢٩. (مُنْزَلًا) مصدر واسم مكان و(مباركاً) ذلك الإنزال أو المكان. وأنت خير ما ذكر. تفسير الجلالين.

(٣) الزَّمْنى: ج زَمِين، وهو ذو الزَّمانة، أي العاهة.

معهم. وإن تصدّقوا أو أعطوا فأعْطِ. وآسمع لمن هو أكبر منك. وإن تحيَّرْتُمْ في طريق فآنزلوا، وإنْ شككتْم في القصد فتثبّتوا وتآمروا، وإن رأيتمْ خيالاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم فإن الشخص الواحد في الفلاة هو الذي حيّركم واحذروا الشخصين أيضاً إلاّ أن تروا ما لا أرى فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وإن العاقل إذا أبصر شيئاً بعينيه عرف الحق بقلبه.

علَّم أعرابي بَنِيْه إتيانَ الغائط في السفر فقال لهم: اتَّبعوا الخَلاَء وجانِبُوا الكَلاَءوآعْلُوا الضَّرَاء[1] وأَفْحِجُوا إفحاج النعامة وآمسحوا بأشمُلكم.

وقال عمرو بن العاص للحسن بن علي بن أبي طالب رحمهما الله: يا أبا محمد، هل تَنْعت الخَرَاءة[2]؟ فقال: نعمْ، تُبعِد المشيَ في الأرض الصَّحْصَحَ حتى تتوارى من القوم، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبِرْها ولا تستَنْجِ بالرَّوْثة ولا العَظْم ولا تَبُلْ في الماء الراكد.

أراد الحسن البصريّ الحجَّ، فقال له ثابت: بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن نصطحب. فقال: ويحك! دَعْنا نتعايشْ بستر الله، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه. وفي الحديث المرفوع عن بَقيَّةَ عن الوَضِين بن عَطَاء عن محفوظ بن عَلْقمة قال: قال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «أما إنّك إن ترافق غير قومك يكن أحْسَنَ لخلقك وأحقَّ أن يُقتفَى بك».

أتى رجل هِشَاماً أخا ذي الرُّمَّة الشاعر فقال له: إني أريد السفر

---

(١) الضَّرَاءُ: ما واراك من شجر وغيره.
(٢) الخَرَاءَةُ: اسم من خَرِىء يَخْرَأ أي تَغَوَّط وسلح.

فأوْصِني. قال: صَلِّ الصلاة لوقتها فإنك مصلّيها لا محالة فَصَلِّها وهي تنفعك، وإياك وأن تكون كلبَ رُفْقتك فإن لكل رُفقة كلباً ينبح دونهم، فإنْ كان خيراً شَرَكُوه فيه وإنْ كان عاراً تقلّده دونهم.

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عثمان بن عَطَاء عن أبيه قال: إذا ضلَّتْ لأحدكم ضالَّةٌ فليقلْ: اللهمَّ ربَّ الضالّة تَهْدِي الضالّة وتردّ الضالّة اردُدْ عليّ ضالتي، اللهمَّ لا تبلُنا بهلاكها ولا تتعبنا بطلبها، ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. يا عباد الله الصالحين، ردّوا علينا ضالَّتنا. وإذا أردت أن تحمل الحمل الثقيل فقل: يا عباد الله أعينونا. وقال أبو عمرو: إذا ضلّت لأحدكم ضالة فليتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلِّي ركعتين ثم يتشهد ويقول: بسم الله، اللهمَّ يا هاديَ الضَّال ورادّ الضالِّ، أرْدُدْ عليّ ضالّتي بعزَّتك وسلطانك فإنها من فضلك وعطائك.

حدّثني محمد بن عبيد عن حمزة بن وَعْلة عن رجل من مُرَاد يقال له أبو جعفر عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يا عليّ، أمانٌ لأمتي من الغَرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن. ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] ﴿بِسْمِ الله مَجْراها ومُرْسَاهَا إنَّ رَبِّي لغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

(١) سورة الزُّمَر ٣٩، آية ٦٧. ومعنى الآية: ما أطاعوه وشكروه كما يجب، ولا نزَّهوه عما لا يليق، فبعضهم صوَّره في شكل إنسان، وآخرون في هيئة كوكب... إلى أمثال هذه الخرافات. (والأرض جميعاً قبضته...) المراد من ذلك مجرد الذات القدسية وصفاتها، وأنها فوق التصور والأوهام وإنها لا تعرف إلّا بالآثار البارزة للعيان. التفسير المبين.

(٢) سورة هود ١١، آية ٤١، مجراها: من الجري والسير، ومرساها من الإرساء والثبوت، والمعنى جريها ورسوُّها يكون باسم الله. التفسير المبين.

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن محمد بن عجْلان عن عمرو بن شُعَيب قال: أراد عمر أن يُغْزي البحرَ جيشاً، فكتب إليه عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، البحرُ خَلْق عظيم يركبه خَلْق ضعيف دُودٌ على عُود بين غَرَق وبَرَق[1] قال عمر: لا يسألني الله عن أحد حَمَلتُه فيه.

وحدّثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد قال: كان ابن عمر يقول في السَّفَرِ إذا أَسْحر: سمِعَ سامعٌ بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا. ويقول: اللهمَّ، صاحِبْنا فأفضلْ علينا ثلاثاً، اللهمَّ عائذٌ بك من النار ثلاثاً لا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن الأوزاعي عن حسَّان بن عطيَّةَ أن رسول الله ﷺ قال في سفره حين هاجر: «الحمد لله الذي خلقني ولم أَكُ شيئاً مذكوراً، اللهمَّ أَعِنِّي على أهاويل الدنيا وبوائق الدهر ومصيبات الليالي والأيام واكْفني شرَّ ما يعمل الظالمون في الأرض، اللهمَّ، في سفري فاصْحَبْني، وفي أهلي فاخلُفْني، وفيما رزقتني فبارِكْ لي ولك في نفسي فذلِّلْني، وفي أعين الصالحين فعظِّمني، وفي خُلُقي فقوّمني، وإليك ربِّ فحبِّبْني، إلى من تكلُني ربَّ المستضعَفين وأنت ربي».

وحدّثني أيضاً عن معاوية عن أبي إسحاق عن عاصم عن عبد الله بن سَرْجِس قال: كان النبي ﷺ إذا سافر يقول: اللهمَّ، إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المُنْقَلَب والحَوْر بعد الكَوْر ودعوة المظلوم وسوء المنظَر في الأهل». وزاد غيره: «اللهمَّ اطوِ لنا الأرض وهوِّنْ علينا السفر».

وقال مطرِّف بن عبد الله لابنه: الحسنة بين السّيئتين وخيرُ الأمور

(١) البَرَقُ: الفزع والحَيْرَة.

أوساطها وشرُّ السير الحَقْحَقَةُ. وفي الحديث «لا تُحَقْحِقْ فتنقطع ولا تَبَاطأ فتُسبَق ولكنِ ٱقِصدْ تبْلُغ» والحقحقة أشدّ السير. وفي حديث آخر «إن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» وقال المَرَّار[1]: [وافر]

تُقَطَّعُ بالنْزول الأرضُ عنّا ... وبُعْدُ الأرضِ يقطعُهُ ٱلنزولُ

الأصمعي قال: قيل لرجل أسرع في سيره: كيف كان مسيرك؟ قال: كنت آكل الوَجْبَة وأُعرِّس إذا أَسْحرْتُ وأرتحلُ إذا أَسفرْتُ وأسيرُ الوَضْع وأجتنبُ المَلْع[2] فجئتكم لِمُسيء سَبْع. قال أبو اليقظان: من السير المذكور مسير ذَكْوان مولى آل عمر بن الخطاب، سار من مكة إلى المدينة في يوم وليلة، فقدم على أبي هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلّى العَتَمَة، فقال له أبو هريرة: حاجٌّ غير مقبول منه. قال له: ولم؟ قال: لأنك نفرْتَ قبل الزوال. فأخرج كتاب مروان بعد الزوال وقال: [طويل]

ألم تَرَني كلَّفتُهُمْ سيْرَ ليلةٍ ... مِنْ آل مِنىً نَصّاً إلى آل يَثْرِبِ
فأقسمْتُ لا تنفكُّ، ما عشتُ، سَيْرتي ... حديثاً لمن وافى بجمعِ المَحصَّبِ[3]

ومن السير المذكور مَسير حُذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار في ليلة مسيرة ثمانٍ، فقال قيس[4] بن

---

(١) هو المّرار بن سعيد الفَقْعَسي، نسبة إلى «فَقْعَس» من بني أسد بن خزيمة. من شعراء الدولة الأموية وكثير الشعر. الأعلام ج ٧ ص ١٩٩ - ٢٠٠. ولقد أورد ابن قتيبة في هذا الجزء ص ٢٦٩ الإسم نفسه ولكنه معرِّفاً إياه بالمرار بن منقذ العَدَويّ.

(٢) المَلْع: مصدر مَلَعَ، يقال: مَلَع الشاةَ: سلخها من قبل عنقها.

(٣) المُحَصَّبُ: موضع رمي الجمار في منى؛ والجمار هي الأحجار الصغيرة. وجَمَرات المناسك ثلاث: الجمرة الأولى والوسطى وجمرة العَقَبَة.

(٤) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي شاعرُ الأوس وأحد صناديدها. أدرك الإسلام ولكنه قتل قبل أن يدخل فيه نحو ٢ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٥.

الخَطِيم: [وافر]

هَمَمْنا بالإقامة ثم سِرْنا كسيْر حُذَيفةِ الخيرِ آبن بَدْرِ

قال الشَّرَقيّ بن القَطَامي: خرجْتُ من الموصل أريد الرَّقّة فصحبني فتى من أهل الجزيرة وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مِزْوَد وَرَكْوة وعصا، ورأيته لا يفارقها مُشاة كنّا أو رُكباناً وهو يقول: إن الله جعل جِمَاع أمرِ موسى وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه، ويُكثر من هذا وأنا أضحك متهاوِناً بما يقول، فتخلّف المُكَاري فكان حمار الفتى إذا وقف أكرهه بالعصا ويقف حماري ولا شيء في يدي فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويُرِيح ولا أقدر على البَرَاح حتى يوافيني المكاري، فقلت: هذه واحدة. ثم خرجنا من غد مُشاة فكان إذا أعيا توكّأ على العصا وربما أَحْضَر ووضع طرفاً على الأرض فآعتمد عليها ومرّ كأنه سهم زَالِجٌ حتى آنتهينا وقد تفسّختُ من الكَلَال وإذا فيه فضل كثير، فقلت: وهذه أخرى. فلما كان في اليوم الثالث هجمنا على حيّة منكَرَة فسارت إلينا فأسلَمْتُه إليها وهربْتُ عنها فضربها بالعصا حتى قتلها، فقلت: هذه ثالثة، وهي أعظمهنّ. وخرجنا في اليوم الرابع وبنا قَرَمٌ[1] إلى اللحم فآعترضنا أرنب فحذفها بالعصا وأدركنا ذَكَاتَها فقلت: هذه رابعة. فأقبلتُ عليه فقلْت: لو أن عندنا ناراً ما أَخَّرْتُ أكلها إلى المنزل. فأخرج عُويداً من مِزْوده ثم حكّه بالعصا فأَوْرَتْ إيراءَ المَرْخ والعَفَار[2]، ثم جمع ما قدر عليه من الغثاء[3] والحشيش وأوقد ناراً وألقى الأرنب في جوفها فأخرجْناها وقد لزق بها من الرماد والتراب ما بغَّضها إليّ فعلَّقها بيده اليسرى ثم ضرب جُنوبَها بالعصا

(١) القَرَمُ: الشَّهْوة؛ يقال: قَرِمَ الرجلُ إلى اللحم: إشتدّت شهوته له.

(٢) أوْرَتْ: أنارت. والمَرْخ: شجر سريع الوَرْي يُقْتَدَحُ به، الواحدة مَرْخة. والعَفَار: شجر يُتَّخذ منه الزِّناد (ح زَنْد وهو العود الذي تُقْدَحُ به النار).

(٣) الغُثاء: البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل.

وأعراضها ضرباً رقيقاً حتى آنتثر كل شيء عليها فأكلْناها وسكن القوم وطابت النفس، فقلت: هذه خامسة. ثم نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملآنة رَوْثاً[١] وتراباً فلم نجد موضعاً نظلُّ فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نِصَاباً لها ثم قام فجرف جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض حتى أظهر بياضها وطابت ريحها فقلت: وهذه سادسة. ثم نزع العصا من الحديدة فأوتدها فيا لحائط وعلّق عليها ثيابه وثيابي فقلت: هذه سابعة. فلما صرنا إلى مَفْرِق الطريقين وأردت مفارقته قال لي: لو عدلت معي فبتَّ عندي! فعدلت معه فأدخلني منزلاً يتصل ببيعة[٢] فما زال يحدّثني ويُطْرِفني الليلَ كلّه فلما كان السحَر أخذ العصا بعينها وأخذ خشبة أخرى فقرع بها العصا فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله وإذا هو أحذق الناس به فقلت له: ويحك! أما أنت بمسلم؟ قال: بلى. قلت: فلم تضرب بالناقوس؟ قال: لأن أبي نصراني وهو شيخ كبير ضعيف فإذا شهدْتُ برزْتُه بالكفاية. وإذا شيطان ماردٌ وأظرف الناس وأكثرهم أدباً فخبّرته بالذي أحصيْتُ من خصال العصا فقال: والله لو حدّثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما آستنفدْتُها.

وروى يزيد عن هشام عن الحسن عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم في الخِصْب فأمكِنوا الرِّكَابَ أسنَّتها ولا تَغْدوا المنازل وإذا كنتم في الجَدْب فاستنجوا[٣] وعليكم بالدُّلْجَة فإنَّ الأرض تُطْوَى بالليل وإذا تغوّلتْ لكم الغِيلاَنُ فنادوا بالأذان ولا تصلُّوا على جَوادِّ الطرق[٤] ولا تنزلوا عليها فإنها

---

(١) الرَّوْث: سَرجِيْنُ الفرس وكل ذي الحافر، والجمع أرواث.
(٢) البِيْعَةُ: كنيسة أو مُتَعَبَّد النصارى أو اليهود.
(٣) فاستنجوا: أسرعوا.
(٤) جَوادُّ الطرق: معظمها، وواحدتها جادَّة.

مأوى السِّباع والحيات ولا تَقْضُوا عليها الحوائج فإنها المَلاَعِن».

وأراد أعرابي سَفَراً فقال لأمرأته: [كامل]

عُـدِّي السنين لغيبتي وتصبَّـري وذَرِي الشّهـورَ فـإنـهنَّ قِصـارُ

فأجابتْه: [كامل]

أذْكُـرْ صَبابتَنـا إليك وشـوْقَنـا وآرحـمْ بنـاتِـكَ إنهـنَّ صِغـارُ

فأقام وترك السفر. وقال إسحاق[1] بن إبراهيم المَوْصلي: [وافر]

طـرِبْتَ إلى الأُصَيْبِيـةِ الصِّغـارِ وهـاجَـكَ منهمُ قُـرْبُ المـزارِ

وكـلُّ مسـافـر يـزدادُ شـوقـاً إذا دَنَـتِ الـديـارُ من الـديـار

وفي الحـديث المرفـوع قال آبن مسعـود: كنَّا يـومَ بدر ثـلاثةً على بعيـر فكان عليّ وأبو لُبَابة[2] زَمِيلَيْ رسول الله ﷺ، فكان إذا دارت عُقْبَتُهما قالا: يـا رسول الله؛ اركب ونمشي عنك. فيقول: «ما أنتمـا بأقوى منِّي وما أنـا بأغنى عن الأجر منكما».

خطب قتيبة بن مسلم على منبـر خراسـان فقال في خـطبته: إذا غـزوتم فأطيلوا الأظفار وقصِّروا الأشعار.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «لا سهـر إلا لثلاثـة: مُصَلٍّ أو عـروس أو مسافر.

وقال بعض الشعراء: [وافر]

سُـرِرْتُ بجعفـرٍ والقـربِ منـه كمـا سُرّ المسـافـرُ بـالإيـابِ

وكنت بـقـربـه إذ حـلّ أرْضِي أميـراً بـالسَّكِينـة والصّـوابِ

---

(١) إسحاق بن إبراهيم المَوْصلي عالم باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام. تفرّد بصناعة الغناء. فارسي الأصل. توفي سنة ٢٣٥ هـ. الأعلام ج ١ ص ٢٩٢.

(٢) أبو لُبابة هو رِفاعة بن عبد المنذر، وهو صحابي معروف.

كمَمْطُورٍ ببلدته فأضحى ... غنِيّاً عن مطالبة السحاب

وقال آخر في معناه: [بسيط]

وكنت فيهِمْ كممطورٍ ببلدتِهِ ... فسُرَّ أنْ جَمَعَ الأوطانَ والمطرَا

وقال آخر: [طويل]

إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفسٍ ... كرامٍ رَجَتْ أمراً فخابَ رجاؤها

فأنفسنا خيرُ الغنيمةِ انها ... تؤوب وفيها ماءُها وحياؤها

وقال آخر: [وافر]

رَجَعْنا سالمينَ كما بدأْنا ... وما خابت غنيمةُ سالمينا

وما تَدْرينَ أيُّ الأمر خير ... أما تَهْوِيْنَ أم ما تَكرهينا

وقال بعض المحدثين: [خفيف]

قبَّحَ الله آلَ بَرْمَكَ إني . صِرْتُ من أجلهِمْ أخا أسفارِ

إن يكنْ ذو القرنين قد مَسَح الأر ... ضَ فإني موكَّلٌ بالعِيَارِ

التفويز[1]

حدّثني أبي، أحسبه عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال: لما كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى الشام والياً مكان أبي عبيدة بن الجرَّاح، أخذ على السَّماوةِ[2] حتى انتهى إلى قُرَاقِر[3]، وبين قراقر

(١) التفويز: من فوَّز الرجلُ بإبله إذا ركب بها المفازة.

(٢) السَّمَاوَة: مذكورة في حد جزيرة العرب، قيل هي أرض لبني كلب لها طول ولا عرض لها، تأخذ من ظهر الكوفة إلى جهة مصر. سميت بذلك لعلوها وارتفاعها. تهذيب الأسماء واللغات لابن شرف النووي (ج ١ ق ٢ دار الكتب العلمية بيروت ص ١٦٠) وذكر معجم البلدان أنها سميت بذلك لأنها أرض مستوية لا حجر فيها. وأضاف قائلاً: وبادية السماوة تقع بين الكوفة والشام. كما ذكر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠ وج ٦ ص ٩١) السماوة وواديها.

(٣) قُراقِر: إسم وادٍ أصله من الدَّهْناء، وقيل: هوماءٌ لكلب. ويوم قراقر هو يوم ذي قار الأكبر قرب الكوفة. وقراقر أيضاً: وادٍ لكلب السَّماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصده =

وسُوَى[1] خمس ليال في مفازة، فلم يعرف الطريق، فدُلّ على رافع بن عَمِيرة الطائي وكان دليلاً خِرِّيتاً[2] فقال لخالد: خلِّف الأثقال وآسلكْ هذه المفازة إن كنت فاعلاً؛ فكره خالد أن يخلّف أحداً وقال: لا بد من أن نكون جميعاً. فقال له رافع: والله إن الراكب المنفرد ليَخَافُها على نفسه وما يسلكها إلا مغرّرٌ مخاطِر بنفسه، فكيف أنت بمن معك؟ فقال: لا بدَّ من ذلك. فقال الطائي لخالد: إبْغِني عشرين جَزُوراً مَسَانَّ[3] عِظَاماً ففعل فظَمَّأهنَّ ثم سقاهُنَّ حتى رَوِيْنَ ثم قطع مَشَافِرهنَّ وكَعَمَهنّ[4] لئلا تَجْتَرَّ، ثم قال لخالد: سِرْ بالخيول والأثقال فكلما نزلت منزلاً نحرت من تلك الجُزُر أربعاً ثم أخذت ما في بطونها من الماء فسقيته الخيل وشرب الناس مما تزوّدوا، ففعل. فلما صار إلى آخر المفازة آنقطع ذلك وجَهِد الناسُ وعطِشتْ دوابّهم، فقال له خالد: ويحك، ما عندك؟ قال: أدركت الريّ إن شاء الله، أنظروا هل تجدوا شجرة عَوْسَج على ظهر الطريق؟ فنظروا فوجدوها فقال: إحْفِروا في أصلها، فحفَروا فوجدوا عيناً فشربوا منها وتزوّدوا، فقال رافع: والله ما وردتُ هذا الماء قطُّ إلا مرة واحدة مع أبي وأنا غلام. فقال راجز المسلمين في ذلك: [رجز]

لله درُّ رافعٍ أنَّى آهتدَى ... فَوَّزَ من قُرَاقِرَ إلى سُوَى[5]
أرضاً إذا سار بها الجيشُ بَكَى ... ما سارَهَا قبلك من إنس أُوَى

= التام. وقد أكثر الشعراء من ذكر قراقر. معجم البلدان.

(١) سُوَى: إسم ماء لبهراءَ من ناحية السَّمَاوة، وعليه مرّ خالد بن الوليد لما قصد من العراق إلى الشام ومعه دليله رافع الطائي. وقيل: سوى وادٍ أصله الدَّهْناء. معجم البلدان.

(٢) دليلٌ خِرِّيْتٌ: دليل حاذق يهتدي أخرات المفاوز وهي مضايقها وطرقها الخفيّة، والجمع خراريت.

(٣) الجَزُوْر: البعير، ومَسَّانٌ: كِبار.

(٤) كعم البعير: شدَّ فاه لئلا يأكل او يعض.

(٥) وردت ترجمته سابقاً.

قال ولما مرّ خالد بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جَفْنة[1] وأحدهم يَتَغَنَّى: [طويل]

أَلَا علِّلاني قبل جيشِ أبي بكرِ ... لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندري

أَلا علِّلاني بالزُّجاج وكرِّرا ... عليَّ كُمَيْتَ اللون صافيةً تجري

أظنُّ خيولَ المسلمين وخالداً ... سيَطْرُقُكُمْ قبل الصباح من البِشْر

فهلْ لكُم في السير قبل قِتالهمْ ... وقبل خروج المُعْصِرات من الخِدرْ

فما هو إلا أن فرغ من قوله شدّ عليه رجلٌ من المسلمين بالسيف فضرب عنقه فإذا رأسه في الجفنة، ثم أقبل على أهل البِشْر فقَتل منهم وأصاب من أموالهم.

ابن الكلبي قال: أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي ﷺ، فأضلُّوا الطريق ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء فجعل الرجل منهم يَسْتذْرِي بفيء السَّمُر[2] والطَّلْح يأساً من الحياة، فبينا هم كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعضُ القوم بيتين من شعر آمرىء القيس: [طويل]

لـمّا رأتْ أنَّ الشريعةَ همُّها ... وأنَّ البياضَ من فرائِصها دَامِي

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التي عند ضارِجٍ ... يَفيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها[3] طَامِي

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس. قال: والله ما كذب، هذا ضارِج عندكم، وأشار إليه، فجَثْوا على الرُّكَب فإذا ماءٌ غَدَق وإذا عليه

---

(١) الجفنة: القصعة تشبع العشرة.

(٢) يستذري بفيء السَّمُر والطَّلح: يستظل. والسَّمُر: شجر من العِضاه (كل شجر يعظم وله شوك) والطلح: شجر عظام من شجر العِضاخ ترعاها الإبل.

(٣) العَرْمَض: من شجر العِضاه.

العَرْمض والظلّ يفيء عليه فشربوا منه رِيِّهم وسَقَوْا وحملوا حتى بلغوا الماء، فأتوا النبي، ﷺ، فأخبروه وقالوا: يا رسولَ الله، أحيانًا بيتان من شعر امرىء القيس قال: «ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها مَنسي في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء يقودهم إلى النار».

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب عن عمه الأصمعي عن رجل من بني سليم أن رُفْقة ماتت من العطش بالشَّجِي، فقال الحجاج: إني أظنهم قد دعوا الله حين بلغهم الجَهْد فاْحفِروا في مكانهم الذي ماتوا فيه لعل الله يسقي الناس. فقال رجل من جلسائه: أيها الأمير، قد قال الشاعر: [طويل]

تراءتْ له بين اللِّوى وعُنَيزةٍ وبين الشَّجِى مما أحال على الواديْ[1]

والله ما تراءت له إلا وهي على ماء. فأمر الحجاج عبيدة السلمي أن يحفر بالشجى بئراً فحفر فأنْبَط[2]، ويقال: إنه لم يمت قومٌ قطُّ عطشاً إلا وهم على ماء.

---

(١) اللِّوَى: موضع أكثرت الشعراء من ذكره وخلَّطت بين ذلك الموضع وبين الرمل (كون اللوى ما التوى من الرمل أو منقطع الرَّمْلة) فَعَزَّ الفصل بينهما. واللوى: وادٍ من أودية بني سليم. ويوم اللوى: وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع. معجم البلدان. ولقد ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٥ ص ١٦٨ - ١٧٣) يوم اللوى بالتفصيل وقال: هو يوم لغطفان على هوازن. وقال ياقوت: عُنَيْزَة موضع بين البصرة ومكة، وقيل: تنهية للأودية ينتهي ماؤها إليها، وهي لبني عامر بن كُرَيْز. وقال ابن الفقيه: عنيزة من أودية اليمامة قرب سُواج (موضع على طريق الحاج من البصرة بين فَلْجَة والزُّجَيْج) وقيل: عنيزة: وادٍ باليمامة. معجم البدان. والشجيُّ: على ثلاث مراحل من البصرة. قال ياقوت: مات قوم بالعطش بالشَّجِيِّ في أيام الحجاج، وهو منزل من منازل طريق مكة من ناحية البصرة، فاتصل خبرهم بالحجاج فقال: إني أظن أنهم دعوا الله حين بلغ بهم الجهد فاحفروا في مكانهم الذي كانوا فيه لعلّ الله أن يسقي الناس، فقال رجل من جلسائه: وقد قال الشاعر: «تراءت له... على الوادي» أي ما تراءت له إلّا على ماء، فأمر الحجاج عبيدة السُّلَمي أن يحفر بالشجي بئراً فحفر بالشجي بئراً فأنبط ماء لا ينزح. معجم البلدن.

(٢) أنبط: استخرج الماء من البئر.

قالت العرب: «أن تَرِدَ الماء بماء أكْيَسُ»[١]. ويقال في مثل: «بَرْدُ غَداةٍ غَرَّ عبداً مِن ظَمأ»[٢].

في الطِّيرَة [٣] والفأل

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: هَرَب بعض البصريين من الطاعون فركب حماراً له ومضى بأهله نحو سَفَوَان[٤] فسمع حادياً يحدو خلفه وهو يقول: [رجز]

لن يُسبَقَ اللهُ على حمارٍ ... ولا على ذي مَيْعَةٍ[٥] مَطَّارَ
أو يأتيَ الحَتْفَ على مقدار ... قد يصبحُ اللهُ أمامَ السَّاري

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدّثني سعيد بن سلم بن قتيبة عن أبيه أنه كان يعجب ممن يصدّق بالطيرة ويَعْيبُها أشدّ العيب وقال: فَرَقَتْ لنا ناقةٌ وأنا

(١) أكْيَسُ: أظرف. ومعنى المثل: من الكياسة أن تصطحب ماء الشرب حتى ولو وردْت ماء لتشرب. وهو مثل يضرب للحيطة والحذر.
(٢) بَرْدُ غَداة: نوم غداة، والغداة: البُكْرَة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، والجمع غَدَوات. وغَرَّة: خدعة. ومعنى المثل: إن نوم غداة خدع عبداً فأنساه أنه عطشان. وهو مثل يضرب أيضاً للحيطة والحذر.
(٣) الطِّيَرَة بفتح الياء وسكونها: ما يُتشاءم به من الفأل الرديء. ذكر ابن رشيق في العمدة (ج ٢ ص ٢٥٩) أن هناك فرقاً بين الطيرة والفأل؛ ذلك أن الطيرة تكسر النيّة وتثني العزيمة وأن الفأل تقوية للعزيمة وتحضيض على البغية.
(٤) سَفَوَان: ماء على أميال من البصرة، وكانت بنو شيبان توعد تميماً وتزعم أن سفوان لهم، وأرادوا إجلاء بني مازن عنه ومن كان معهم من بني تميم. ولقد ذكره وداك بن نميل المازني في شعره فقال (طويل).

رويدا بني شيبانَ بعضَ وَعِيدِكُمْ ... تُلاقُوا غداً خيلي على سَفَوَانِ

العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٧ ـ ١٠٨) وقال ياقوت في معجم البلدان: سفوان ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبِد بالبصرة وبه ماء كثير. وقيل: وادٍ من ناحية بدر.
(٥) المَيْعَة: الفرس، ومَيْعَة الفرس: أول جريه.

بالطَّفّ[١] فركبْتُ في إثرها فلقيني هانىء بن عتبة[٢] من بني وائل يركُض وهو يقول: [منسرح]

والشرُّ يَلْقَى مُطَالِعَ الأَكَمِ

ثم لقيني رجل آخر من الحي فقال وهو لِلَبِيْد[٣]: [مجزوء الكامل]

ولئن بَعْثْتَ لَهُمْ بُغَا ةً ما البُغَاةُ بواجِدِيْنا

ثم دفعتُ إلى غلام قد وقع في صغره في نار فأحرقتْه فقبح وجهه وفسد، فقلت له: هل ذكرت من ناقَةٍ فارِقٍ؟ قال: ههنا أهل بيت من الأعراب فانظر. فوجدناها قد نُتجت ومعها ولدها. يقال: ناقة فارق: قد ضربها الطَّلْق، وسحابة فارق: قد دنا هراقة مائها. قال المرقِّش[٤]: [مجزوء الكامل]

ولقد غدوْتُ، وكنت لا أغدو، على واقٍ وحاتِمْ[٥]

فإذا الأشائمُ كالأيا من، والأيامِنُ كالأشائِمْ[٦]

---

(١) الطفُّ: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

(٢) لم أهْتدِ على ترجمة له.

(٣) هو لبيد بن ربيعة العامري، أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية. أدرك الإسلام وعُدَّ من الصحابة. عاش عمراً طويلاً. وذكر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٧٨) أنه بلغ ثلاثين ومئة سنة. وهو أحد أصحاب المعلقات. توفي سنة ٤١ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٤٠.

(٤) هو المُرَقِّش الأكبر من بني سَدُوْس. ذكر ابن منظور في اللسان، مادة (رقش) أنه سمِّي بذلك لقوله (سريع).

الدار قَفْرٌ والرسومُ كما رَقَّشَ، في ظهر الأديم، قَلَمْ

وفي مادة (وقي) عدَّ الرقِّش في باب من يُنكْر الطِّيَرَة والفأل من العرب.

(٥) الواقي: الصرد، وهو طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار، له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، ويكنى بأبي كثير، وهو مما يُتشاءم به من الطير. والحاتم هو الغراب الأسود، وكانت العرب تتشاءم به أيضاً. ذكر ابن رشيق في العمدة (ج ٢ ص ٢٦٠، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط. رابعة، بيروت، دار الجبل) أن الغراب يسمونه حاتماً لأنه يحتم عندهم بالفراق.

(٦) الأشائم: خلاف الأيامن، وهي جمع الأَشْأم، والمقصود الطائر الأشأم أي الجاري بالشُّؤْم. =

وكـذاك لا خـيـرٌ ولا شـرٌّ عـلى أحـدٍ بـدائِـمْ

وقال آخر: [طويل]

ولـيس بِـهـيَّـابٍ إذا شـدَّ رَحْـلَه يقـول عَـداني اليـومَ واقٍ وحـاتمُ
ولكنـه يمضي على ذاك مُـقْـدِمـاً إذا صَدَّ عن تلك الهَنَاتِ الخُثَارِمُ [1]

وقال آخر: [وافر]

تَـعـلَّمْ أنـه لا طَـيْـرَ إلاَّ عـلى مُـتَـطَيِّـرٍ وهـو الـثُّـبُـوْرُ [2]
بَـلَى، شـيءٌ يـوافـقُ بـعض شـيءٍ أحـايـيْـنـا وبـاطـلُه كـثـيـرُ

حدّثني الرياشي عن الأصمعي قال: سألت ابن عَوْن[3] عن الفأل فقال: هو أن تكون مريضاً فتسمع: يا سالم، أو باغياً فتسمع: يا واجد. وفي الحديث المرفوع «أَصْدَقُ الطِّيَرة الفأل». وفيه «الطِّيَرُ تجري بقدَر».

أراد أبو العالية أن يخرج من البصرة لعلّة كانت به فسمع منادياً ينادي: يا متوكل، فحطَّ رحْلَه وأقام.

وقال عكرمة: كنا جلوساً عند آبن عمر وآبن عباس رضي الله عنهما فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال آبن عباس: لا خير ولا شر. قال كعب لابن عباس: ما تقول في الطِّيَرَة قال: وما عسيت أن أقول فيها؟ لا طير إلا طير الله ولا خير إلا خير الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوّة

= والأيامن: ج أيمن، وهو خلاف الأيسر. وفي باب الطِّيَرَة والفأل، استشهد ابن منظور بالبيتين الأول والثاني دون الثالث. اللسان، مادة (وقي).

(١) الخُثارم: الرجل المتطيِّر. وقد أورد في اللسان، مادة (وقي) بيتاً ثالثاً إضافة إلى هذين البيتين ونسبهما لُخِثَيْم بن عَدِيّ، وقال: وقيل: للرَّقّاص الكلبي يمدح بها مسعود بن بحر الزَّهْري.

(٢) الثُّبُوْر: الهلاك والويل.

(٣) هو عبد الله بن أرطبان البصري المتوفي سنة ١٥١ هـ.

إلا بالله. قال كعب: إن هذه الكلمات في كتاب الله المنزل. يعني التوراة.

حدّثني محمد بن يحيى القُطَعيّ[١] قال: حدّثني عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا: إن أبا هريرة يحدّث أن رسول الله ﷺ قال: إنما الطِّيَرة في المرأة والدار والدابة فطارت شَفَقاً ثم قالت: كذب، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، مَن حدّث بهذا عن رسول الله ﷺ، إنما قال رسول الله ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقولون إنَّ الطِّيَرَة في الدابة والدار والمرأة» ثم قرأت: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[٢].

كان عبد الله[٣] بن زياد صوّر في دهليزه كلباً وأسداًوكبشاً وقال: كلب نابح وكبش ناطح وأسد كالِح. وأنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ: [رجز]

يا أيّها المُضمِرُ هَمّاً، لا تُهَمّ ... إنك إن تُقدَرْ لك الحمَّى تُحَمّ
ولو عَلْوتَ شاهقاً من العلمَ ... كيف تَوَقِّيك وقد جفَّ القلمْ

ولما أمر معاوية بقتل حُجْر بن عَدِيّ الكنديّ في ثلاثة عشر رجلاً معه قال حُجْر: دعوني أُصَلِّ ركعتين، فتوضَّأ وأحسن الوضوء، ثم صلى وطوّل فقيل له: أجَزِعْتَ؟ فقال: ما توضَّأْتُ قطُّ إلاَّ صليت، ولا صليت قط صلاة أخفّ منها. وإن أُجْزَعْ فقد رأيت سيفاً مشهوراً وكَفَناً منشوراً وقبراً محفوراً.

---

(١) محمد بن يحيى القُطَعيُّ هو ابن بغيض وهو أبو حيّ.

(٢) سورة الحديد ٥٧، آية ٢٢. أي من قبل أن توجد، والمراد بالكتاب هنا علمه تعالى، وأنه يعلم بالشرور والمصائب متى وأين وكيف تقع سواء كان حدوثها بأسباب طبيعية كالطوفان والزلزال أم بأسباب أجتماعية كالحروب والمظالم. التفسير المبين.

(٣) هو عبد الله زياد بن أبيه.

فقيل له: مُدَّ عُنقَك، فقال: إن ذلك لدمٌ ما كنت لأُعِين عليه. فقدّم فضربتْ عنقُه. وكان معاوية بعث رجلاً يقال له هُدْبة لقتلهم، وكان أعور، فنظر إليه رجل من خَثْعم فقال: إن صدقت الطِّيرة قُتلَ نصفنا، فلما قُتل سبعةٌ بعث معاوية رسولاً آخر بعافيتهم فلم يقتل الباقون.

خرج كُثَيِّر عَزَّة[1] إلى مصر يريد عزَّة، فلقيه أعرابيّ من نهد فقال: يا أبا صخر، أين تريد؟ فقال: أريد عزَّة بمصر. قال: فهل رأيت في وجهك شيئاً؟ قال: لا إلا أني رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ينتِّفُ ريشه. فقال له: تُوافي مصر وقد ماتت عزة. فآنتهره كثيّر ثم مضى فوافى مصرَ والناس ينصرفون عن جنازة عزة، فقال: [طويل]

فما أعْيَفَ النَّهْديَّ لا دَرَّ دَرُّه وأزْجَرَه للطير لا عَزَّ ناصرُهُ
رأيْتُ غراباً ساقطاً فوق بانةٍ يُنَتِّفُ أعلى ريشهِ ويُطايرُهُ
فأما غُرابٌ فآغتراب ووحشةٌ وبَانٌ فبَيْنٌ من حبيبٍ تعاشرُهُ

وَهَوِي بعد عزّة آمرأة من قومه يقال لها: أمّ الحويرث. فخطبها فأبت وقالت: لا مال لك، ولكنِ آخرج فآطلبْ فإني حابسة نفسي عليك. فخرج يريد بعض بني مخزوم، فبينا هو يسير عنَّ له ظبيٌ فكره ذلك ومضى فإذا هو بغراب يحثوا التراب على وجهه فكرهه وتطيّر منه، فآنتهى إلى بطن من الأزد يقال لهم بنو لِهبْ، فقال: أَفِيكُم زاجر؟ قالوا: نعم، فأرشدوه إلى شيخ منهم فأتاه فقصَّ عليه القصة، فقال: قد ماتت أو خَلَفَ عليها رجلٌ من بني عمها. فلما آنصرف وجدها قد تزوّجت فقال:

(١) كُثَيِّر عزّة الخزاعي شاعر متيم مشهور. اختص بعبد الملك بن مروان وكان شاعر الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليهأحداً. أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة، وحبه لها كان عفيفاً. توفي سنة ١٠٥ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢١٩.

[طويل]

تَيَمَّمْتُ لِهْبـا أطلبُ العلمَ عنـدهُـمْ وقـد رُدَّ علم العـائفيـنِ إلى لـهْبِ
فقـال جـرى الـطيـرُ السَّنيـحُ ببَيْنِهـا فـدونك فـآهمِـلْ جِـدَّ مُنهمِـرٍ سَكْبِ
فـإلّا تكنْ مـاتت فقـد حـال دونهـا سـواكَ خليـلٌ بـاطنٌ من بني كَعْب

حـدّثني أبو سفيـان الغَنَويّ قـال: حدّثني خـالد بن يـزيد الصَّفَّـار قال: حـدّثنا هَمّـام بن يحيى بن قَتَـادة عن حَضْـرَمِيٍّ بن لاحِق أو عن أبي سَلَمـة أنَّ النبي، ﷺ، كتب إلى امرأته: «إذا أبردتم إليّ بريداً فآجعلوه حسن الوجه حسن الاسم».

خرج عمر إلى حَرَّة وَاقِم[1] فلقي رجلا من جُهَينة فقال لـه: ما آسمـك؟ قال: شهاب. قـال: ابن من؟ قال: ابن جَمْـرة. قال: وممن أنت؟ قـال: من الحُرْقة. ثم قال: ممن؟ قال: من بني ضِرَام[2]. فقال له عمر: أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد آحترقوا، فأتاهم وقد أحاطت النار بهم.

خرج آبن عامر إلى المدينـة فإذا هـو في طريقـه بنعامـات خمس، فقال لأصحابه: قولوا في هذه. فقال بشر بن حسان: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طِيرَة» ومن علم شيئاً فليقله ولكني أقول: فتنة خمس سنين.

قـرأت في كتب العجم أنَّ كسرى بعث وهـرز إلى اليمن لقتـال الحبشـة

---

(١) حَرَّة واقِم: تقع بالمدينة، والحرّة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة كانت بها وقعة،، كأن حجارتها أحرقت بـالنار. لسـان العرب مـادة (حرر) وذكـر ابن شرف النـووي في (تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ق ٢ ص ٨٢) أن للمدينة حَرَّتَينْ إضافة إلى الحرَّة التي بخارج المدينة. وذكـر في وفيات الأعيـان (ج ٦ ص ٢٧٦) أن الحرّة في الأصـل اسم لكل أرض ذات حجـارة سود. وحرَّة واقِمَ تقع بالقرب من المدينـة في جهتها الشـرقية. وواقم اسم أُطُم (بضم الهمـزة والطاء) من آطام المدينة، شبيه بالقصر، وكان مبنياً عند الحرة فأضيفت الحرة إليه.

(٢) هم بنو ضِرام بن مالك بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن حُمَيْس بن عمرو بن ثعلبـة بن مودوعـة ابن جُهَيْنَة. جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٦.

فلما اصطّفوا قال وهرز لغلام له: أخرج إليَّ من الجُعْبة نِشَّابة وكان الأَسْوار[1] يكتب على كل نُشَّابة في جعبته، فمنها ما يَكتب عليه آسمَ الملك، ومنها ما يكتب عليه آسم نفسه، ومنها ما يكتب عليه آسم آبنه، ومنها ما يكتب عليه آسم آمرأته. فأدخل العبد يده فأخرج له نشابة عليها آسم آمرأته فتطيَّر وقال: أنت المرأة وعليك طائر السوء. رُدَّها وهات غيرها. فردَّها وضرب بيده فأخرج تلك النشابة بعينها ففكر وهرزُ في طائره ثم آنتبه فقال: زنان. وزنان بالفارسية: النساء. ثم قال: زن آن، فإذا ترجمتُها: إضْربْ ذلك قال: نِعْمَ الطائر هذا. ثم وضعها في كبد قوسه ثم قال: صِفُوْا لي مُلْكهم، فوصفوه بياقوتة بين عينيه. ثم إنه مَغط في قوسه حتى إذا ملأها سَرَّحها فأقبلتْ كأنها رِشَاء منقطعٌ حتى فَضَّت الياقوتةَ فطار فُضَاضُها ثم فَلَقَتْ هامتَه وهُزم القوم.

وقال المَعْلَوط[2]: [وافر]

تَنادَى الطائران ببَيْنِ سَلْمى ... على غُصْنَيْن من غَرْبٍ وبانِ
فكان البانُ أنْ بانتْ سليمى ... وفي الغَرْب آغتراب غيرُ داني

أخذ معناها أبو الشِّيص[3] فقال: [متقارب]

أَشاقَكَ والليلُ مُلقي الجِرَانِ[4] ... غُرابٌ ينوْحُ على غُصْنِ بانِ
أَحَصُّ[5] الجناحِ شديدُ الصياح ... يبكّي بعينينِ ما تَذْرِفان

---

(١) الأَسْوار: قائد الفرس.

(٢) هو المعلوط بن بَذْل القُرَيْعي، شاعر إسلامي. معجم شعراء الحماسة للدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الرياض دار المريخ ١٤٠٢ هـ ص ١٢٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية.

(٤) القى الليلُ جِرانه: ثبت واستقرَّ، مستعار من قولهم: ألقى البعير جِرانه إذا بَرَك، والجِران: مُقَدَّم عُنُقِ البعير من مذبحه إلى منحره، والجمع جُرُن وأجْرِنه.

(٥) أَحَصُّ الجناح: قليل ريش الجناح.

وفي نَعَبـاتِ[١] الغِـراب آغتـرابٌ ... وفـي البـان بينٌ بـعيـدُ التـداني

وقال الطائيّ: [كامل]

أَتَضَعْضَعَتْ عَبَراتُ عَيْنِكَ أنْ دَعَتْ ... وَرْقـاءُ[٢] حين تضعضعَ الإظـلامُ؟

لا تَنْشِـجَنَّ[٣] لـهـا فـإنَّ بكـاءهـا ... ضِـحْـكٌ وإنَّ بكـاءك آستـغـرامُ

هُنَّ الحَمـام فـإن كسـرْتَ عِيـافـةً[٤] ... مـن حائِهِنَّ فإنهنَّ حِـمَـام

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني موسى بن مسعود عن عِكْرِمـة بن عَمَّار عن إسحق بن عبد الله بن أبي طَلْحة عن أَنَس بن مالك قال: جـاء رجل منا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّـا نزلنـا داراً فكثر فيهـا عددنـا وكثرتْ فيها أموالنا ثم تحوّلنا منها إلى أخرى فقلّت فيها أمـوالنا وقـلّ فيها عـددنا فقـال رسول الله ﷺ: «ذروها وهي ذميمة».

بلغني عن آبن كُنَاسة عن مبارك بن سعيد أخي سفيـان الثَّـوْريّ قـال: بلغنـا أن أعرابيـاً أضاع ذَوْداً لـه فخرج في الـطلب حتى أدركه العـطش، فمـرّ بأعرابي يحتلب ناقة فنَشَده ضالَّته فقال له: متى خرجت في الـطلب؟ ادْنُ مني حتى أسقيك لبناً وأرشدك. قال: قبل طلوع الفجر. قـال: فما سمعتَ؟ قـال: عواطيسُ حولي: ثُغاء الشَّاءِ ورُغَاء البعير ونُبَـاح الكلب وصياح الصبيّ. قـال: عـواطِيس تنهاك عن الغـدوّ. قال: فلمـا طلع الفجـر عَـرَض لي ذئبٌ. قـال: كَسُـوبٌ ذو ظفَر. قـال: فلمـا طلعت الشمس لقيتُ نعـامـةً. قـال: ذات ريش

(١) نَعبـَات الغراب: صـوته، يقـال: نَعَب الغراب: صَـوَّت بالبين على زعمهم. ذكر في العقـد الفريد (ج ٢ ص ٣٠٢) أن العرب تتطيّر من الغراب للغرابة، إذ كان اسمه مشتقاً منها. وذكـر في نفس المصدر والصفحة بيتين من هذه الأبيات الثلاثة وهما الأول والثالث.

(٢) الورقاء: الحمامة التي يُضْرَب لونها إلى خضرة.

(٣) نشج الباكي: غُصَّ بالبكاء في حلقه من غير آنتحاب.

(٤) العيافة: إسم من عافت الطيرُ تعيف إذا آستدارت وحامت على الشيء. وعاف الطيرَ: زجرها.

وآسمها حسن، هل تركتَ في أهلك مريضاً؟ قال: نعم. قال: ارجعْ فإنك ستجد ضالتك في منزلك.

حدّثني عبد الرحمن عن حَفْص بن عمر الخَبَطيّ قال: حدّثنا أبو زُرْعة يحيى بن أبي عمرو السَّيْباني عن يُثَيع عن كَعْب قال: كانت الشجرة تنبت في محراب سليمان النبي ﷺ وتكلمه بلسانٍ ذلِق[1] فتقول: أنا شجرة كذا وفيّ دواء كذا. فيأمر بها سليمان فيُكتب آسمها ومنفعتها وصورتها وتقطع وترفع في الخزائن حتى كان آخر ما جاء منها الخرّوبة فقالت: أنا الخرّوبة. فقال سليمان: الآن نُعِيَتْ إليَّ نفسي وأُذن في خراب بيت المقدس. قال الطائيّ يصف عَمُّورِيَّة[2]: [بسيط]

بِكْرٌ فما ٱفتَرَعْتها كفُّ حادثةٍ ... ولا ترقَّت إليها هِمّة النُّوَبِ
جرى لها الفألُ بَرْحاً يومَ أَنْقِرةَ ... إذ غُودِرَتْ وَحْشةَ الساحات والرَّحَب
لَمّا رأت أختَها بالأمس قد خَرِبَتْ ... كان الخرابُ لها أَعدَى من الجَرَب

مذاهب العجم في العِيَافة والاستدلال بها

قرأت في الآيين: كانت العجم تقول: إذا تحوّلت السِّباع والطير الجبلية عن أماكنها ومواضعها دلَّت بذلك على أن المَشْتَى سيشتدُّ ويتفاقم. وإذا نقَلتِ

(١) اللسان الذَّلِقُ: الذَّرب البليغ الفصيح.

(٢) المقصود قصر عَمُّورِيَّة، وعمورية من أرض الروم. العقد الفريد (ج ٦ ص ٢٥٢) وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٢٣): خرج المعتصم إلى الروم، حكم المنجمون بأنه لا يرجع من وجهه. فلما فتح ما فتح وخرَّب عمورية في شهر رمضان سنة ٢٢٣ هـ وانصرف سالماً، قال أبو تمام قصيدة طويلة ظل يكرِّرها ثلاثة أيام حتى أمر له المعتصم بمئة وسبعين ألف درهم عن كل بيت منها ألفٌ، نذكر منها هذين البيتين:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهنَّ جلاء الشكِّ والرِّيَبِ

الجُرذانُ بُرّاً وشعيراً أو طعاماً إلى رب بيت رُزِقَ الزيادة في ماله وولده، وإن هي قَرَضت ثيابه دلّت بذلك على نقص ماله وولده، فينبغي أن يُقطع ذلك القَرْض ويُصلح. وإذا شبّت النار شبوباً كالصَّخَب دلت على فرح شديد، وإذا شبّت شبوباً كالبكاء دلت على حزن، وأما النار التي تشتعل في أسفلِ القُدور فإنها تدل على أمطار تكثر أو ضيف يحضُر. وإذا فشا المَوت في البقر وقع المُوتانُ[1] في البشر، وإذا فشا الموت في الخنازير عمَّ الناسَ السلامةُ والعافية، وإذا فشا الموتُ في السباع والوحوش أصاب الناسَ ضَيْقةٌ، وإذا فشا الموت في الجُرْذان أَخْصبَ الناسُ. وإذا أكثرت الضفادعُ النَّقِيقَ دلَّت على مُوتان يكون. وإذا أَنَّ دِيك في دارٍ فشا فيها مرضُ الرجال، وإذا أَنَّتْ دجاجةٌ فشا فيها مرض النساء، وإذا صرخت ديوك صُراخاً كالبكاء فشا الموت في النساء، وإذا صرخ الدجاج مثل ذلك الصراخ فشا الموت في الرجال. وإذا نَعَب غراب أسود فجاوبته دجاجةٌ دل ذلك على خراب يُعمر. وإذا قَوَّقَتْ دجاجةٌ وجاوبها غرابٌ دل على عُمران يخرَب. وإذا غطّ الرجلُ الحسيبُ في نومه بلغ سَناً ورفعة، ومَنْ نفخَ في نومه أُفسِدَ مالُه، ومن صَرّتْ أسنانُه في نومه دل ذلك منه على نميمة، وينبغي أن يُضرب على فيه بخفٍّ متخرِّق. ومن سقطت قدّامَه حيةٌ من حُجْر أصابته معرّة ومضرّة. وإذا رُئي في الهواء دُخْنةٌ وظلمة من غير علة تُخوّف على الناس الوباء والمرض. وإذا رُئي في آفاق السماء في ليلة مصحية كآختلاف النيران غَشِي البلاد التي رئي ذلك فيها عدوّ، فإنْ رُئي ذلك وفي البلاد عدوّ آنكشف عنها. وإذا نبح كلب بعد هَدْأةٍ نبحةً بغتة دلَّ على أن السُّرَّاق قد آجتمعوا بالغارة على بعض ما في تلك الدار أو ما جاورها. وإذا صفّق ديك بجناحيه ولم يصرخ دل على أن الخير محتبس عن صاحبه. وإذا

---

(١) المُوْتان: بضم الواو وفتحها: موت بقع في الماشية.

أكثر البوم الصراخ في دار بَرِيء مريضٌ إن كان فيها. وإذا سُمع لبيت تنقُّضٌ شَخصَ مَنْ فيه عنه، وإذا عوتْ ذئابٌ من جبال وجاوبتها كلاب من قرى تفاقَم الأمرُ في التحارُب وسفك الدماء. وإذا عوت كلاب وجاوبتها ذئاب كان وباء ومُوتان جارف، وإذا أكثرتِ الكلابُ في البَغَتات الهريرَ دلّت بذلك على إتيان العدوّ البلادَ التي هي فيها، وإذا صرخ ديك في دار قبل وقتَ صراخ الديوك كان ذلك محاولة لدفع بَليّة قد شارفت تلك الدارَ؛ وإذا صرخت دجاجة في دار كصراخ ديك كان ذلك تحذيراً لمن فيها من آفة قد أشرفوا عليها. وإذا أكثر ديك النَّزوان[١] على تَكَأة[٢] رب الدار نال شرفاً ونباهة، وإن فعلت ذلك دجاجة ناله خمول وضعة. وإذا ذَرَق[٣] ديك على فراشه نال مالاً رغيباً وخيراً كثيراً وذلك إذا كان من غير تضييع من حشمه لفراشه، فإن ذرقت دجاجة على فراشه نالت زوجته منه خيراً كثيراً، وكانوا يقولون: إن الموت من المريض الشبيه للصحيح قريب وإن الصحيح الشبيه بالمريض مستشعر للشر وينبغي مباعدته. وينبغي أن يُعرف كُنْهُ مَنْ كان مِنْطيقاً[٤] لعلّه لا يجيد العمل، وحال من كان سكِّيناً متزمِّتاً لعله بعيد الغور. وكانوا يكرهون آستقبال المولود ساعةَ يُوْضَعُ إلا أن يكون ناقص الخَلْق فإنَّ بليته وآفته قد صارتا على نفسه، ويكرهون آستقبال الزّمن[٥] والكريه الاسم والجارية البكر والغلام الذاهب إلى المكتب، وكانوا يكرهون الثيران المقرونة بِقَران والحيوان الموثق والدابّة المَقُودة وحاملة الشراب والحطب والكلب، ويستحبُّون الصحيح البدن الرضيِّ

---

(١) ديك النَّزَوان: أي ديك كثير الوَثْب.
(٢) التُّكَأة: ما يُتَّكأ عليه.
(٣) ذَرَف الديك: زَرَقَ أيْ خَذَف بسلحه، وذَرْفُ الطائر: خُرْؤه.
(٤) المِنْطِيْق: البليغ.
(٥) الزَّمِنُ: المصاب بالزَّمَانة، وهي العاهة.

الاسم والمرأة الوسيمـة الثيِّب[١] والغلام المنصـرف من المكتب والدواب التي عليها حُمُولة من طعام أو تبن أو زبل. وكانوا لا يُنَحُّون عن سَمْع الملك ألحان المغنيات ونَقِيض الصواري وصهيـل الخيل والبَـرَاذين ويتخذون في مبيتـه ديكاً ودجاجة. وإذا أهديت له خيلٌ سُنِح بها عليه من يساره إلى يمينه وكذلك الغنم والبقر، وأما الرقيق والسباع وما أشبهها فكان يُبرَح بها من يمينه إلى يساره.

باب في الخيل

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا سفيان بن عُيَينة عن شَبيب بن غَرْقَدَة عن عُرْوَةَ البارقي[٢] قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الخيـل معقود في نـواصيها الخير إلى يوم القيامة».

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثني أَشْهل بن حاتم قال: حدّثني موسى ابن علي بن رَبَـاح اللَّخْمي عن أبيه قـال: جاء رجـل إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد أن أُعِدّ فرساً. قال رسول الله ﷺ: «فآشتره إذاً أدهم أو كُميْتـاً أقرحَ أَرْثَمَ[٣] أو محجّلاً مُطْلقَ اليمين» وفي حديث آخر «فـإنها مَيَـامين الخيل ثم آغـزُ تَسْلَمْ وتغنمْ إن شاء الله».

حـدّثني سهل بن محمـد قـال: أخبـرني أبـو عبيـدة أن النبي ﷺ قـال: «عليكم بإناث الخيـل فإن ظهـورها حِـرْزٌ وبطونهـا كَنْزٌ» قـال: وكان النبي ﷺ يستحبّ من الـدواب الشُّقْر ويقـول: «لو جمعت خيـل العرب كلهـا في صعيد

(١) المرأة الثَّيِّبُ: هي التي فارقت زوجها بموت أو طلاق، أو نقيض البكر، وعليـه الحديث: هل تَزَوَّجْتَ بِكْراً أم ثَيِّباً؟

(٢) هو عُرْوة بن الجَعْـد بن أبي الجعد البـارقي الصحابي، نسبـة إلى بارق، وهـو جبل كـان الأزد ينزلونه ببلاد اليمن.

(٣) فرسٌ أَرْثَمُ: الفرس في طرف أنفه بياض.

واحد ما سبقها إلا أشقر». وسأل رجل رسول الله ﷺ: أيُّ المال خير؟ قال: «سكة مأبورة» يعني النخل «ومُهْرة مأمورة» يريد كثيرة النتاج. قال: وكان يكره الشِّكَال[1] في الخيل. قال أبو ذرّ: ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه ويقول: اللهمَّ سَخَّرْتَني لابن آدم وجعلْت رزقي بيده فآجعلني أحبَّ إليه من أهله وماله، اللهمَّ آرزقْه وآرزقني على يديه. سأل المهدي مطر بن درّاج: أيُّ الخيل أفضل؟ قال: الذي إذا آستقبلْتَه قلْتَ نافر، وإذا آستعرضْتَه قلت زافر[2]، وإذا آستدبرْتَه قلْتَ زاخر[3]. قال: فأيّ البراذين[4] شر؟ قال: الغليظ الرقبة الكثير الجلَبَة الذي إذا أرسلته قال: أَمْسِكْني وإذا أمسكْتَه قال: أرسلني. قال: فأيّ البراذين خير؟ قال: ما طرفه إمامه وسوطه عِنانه.

وصف رجل بِرْذَوْنا فقال: إنْ تركْتَهُ نَعَس وإن حرَّكْته طار. وقال آبن أقيصر: خير الخيل الذي إذا آستقبلْتَه أَقْعى وإذا آستدبرتْه جَبَّى وإذا آستعرضته آستوى وإذا مشى رَدَى وإذا عدا دحا[5].

محمد بن سلاَّم قال: أرسل مسلم بن عمرو بنَ عمٍّ له إلى الشام ومصر يشتري له خيلاً فقال: لا علم لي بالخيل قال: ألست صاحب قَنْص؟ قال: بَلَى. قال: فآنظر، كلُّ شيء تستحسنه في الكلب فآطلبه في الفرس. فقدم بخيل لم يَكُ في العرب مثلها. وقالوا: سُمِّيَتْ خيلاً لاختيالها.

---

(١) الشِّكْل في الخيل: هو أن تكون ثلاث قوائم مُحَجَّلة والواحدة مطلقة وعكسه أيضاً.
(٢) المراد بالزافر عظيم الزُّفْرة، وهي وسط الفرس ويكون كأنه زافر أبداً من عظم جوفه وإجفار جنبيه وذلك مما يمدح في الخيل.
(٣) أي أنك إذا آستدْبَرْتَه رأيته عظيم الكفل ممتلئه وذلك مما يمدح في الخيل.
(٤) البراذين: ج بِرْذَوْن بفتح الذال وضمها، وهو الفرس غير الأصيل أو التركي من الخيل.
(٥) أقعى: تساند إلى ما وراءه. وجَبَّى: إنكبَّ على وجهه. ورَدَى: رَجَم الأرض رَجْماً بين المشي الشديد والعدو. ودَحَا: رمى بيديه رَمْياً لا يرفع سُنْبُكَهُ عن الأرض، والسُّنْبُك: طرف الحافر.

وذكر أعرابي فرساً وسرعته فقال: لما خرجت الخيل جارَى بشيطان في أشْطان فلما أُرْسلت لَمَع لمعة سحاب فكان أقربَها إليه الذي تقع عينه عليه.

وسئل رجلٌ من بني أسد: أتعرف الفرس الكريم؟ قال: أعرف الجوادَ المُبِرَّ من المُبْطِىء المُقْرِف. أما الجواد المبِرُّ فالذي نُهز نَهْزَ العَيْر وأُنِّف تأنيفَ السَّيْر، الذي إذا عدا آسلهبَّ وإذا قُيِّد آجلَعَبَّ وإذا آنتصب آتلأَبّ[1]. وأما المبطىء المقرف فالمدلوك الحَجَبَة الضخم الأرْنبة[2] الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذي إن أرسلْتَهُ قال: أمسكني وإن أمسكْتَهُ قال: أرسلْني وأنشد الرِّياشي[3]: [بسيط]

كُمْهِرٍ سوء إذا سكّنْتَ شِرّته   رام الجِماحَ فإنْ رفَّعْتَهُ سَكَنَا[4]

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله قال: حدّثني الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء أن عمر بن آلخطاب شكَّ في العِتَاق والهُجُن[5]، فدعا سَلْمان بن ربيعة الباهلي فأخبره، فأمر سلمان بطَسْت فيه ماء فوُضع في الأرض ثم قُدّمت الخيل إليه فرساً فرساً فما ثَنى منها سُنْبُكَه[6] فشرب هجَّنه، وما شرب ولم يَثْنِ

---

(١) المُؤَنَّف: المحدَّد من كل شيء ومنه سيرٌ مؤنَّفٌ أي مقدود على قدر وآستواء والمراد أنه قُدَّ حتى آستوى كما يستوى السير المقدود. وآسلهبَّ: مضى. وآجلعبَّ: إمتدَّ على الأرض. وآتلأبَّ: إستوى.

(٢) مدلوك الحَجَبَة: أي حَجَبَتُه ملساء مستوية، وحجبة الفرس ما أشرف على صِفاق البطن من وِرْكَيْه. والأرنبة: الأنف.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) شِرَّته: نشاطه.

(٥) العِتاق: ج عتيق، وهو الفرس الرائع. والهُجُنُ: ج هجين، والهجين من الخيل الذي ولدته بِرْذَوْنة.

(٦) السُّنْبُك: طرف الحافر.

سنبكه عرَّبه. وذلك لأن في أعناق الهُجُن قصراً فهي لا تنال الماءَ على تلك الحال حتى تثني سنابكها وأعناق العتاق طوال.

وحدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: ذكروا أن كسرى كان إذا أتاه سائسه فقال: الفرس يشتكي حافره، قال: المطبخ. وإذا قال: يشتكي ظهره، قال: البَيْطار.

وأنشدني أبو حاتم لأبي ميمون العِجْليّ وهو النَّضْر[1] بن سلمة في شعر طويل له يصف الفرس، وقال قرأته على أبي عبيدة وعلى الأصمعيّ:

[سريع]

الخيلُ منّي أهلُ ما أنْ يُدْنَيْنْ ... وأنْ يُقَرَّبْنَ وأنْ لا يُقَصَّيْنْ

وأن يُبَأْبَأنَ[2] وأنْ يُفَدَّيْنْ ... وأن يكونَ المحْضُ مما يُسْقَيْنْ

وأهلُ أنْ يُعْلَيْنَ أو يُغَالَيْنْ ... بالطِّرْفِ والتَّلْد وأنْ لا يُجْفَيْنْ[3]

وأهلُ ما صَحِبْنَنَا أن يُقْفَيْنْ ... وأهل ما أعْقَبْنَنَا أن يُجْزَيْن[4]

أليس عِزُّ الناسِ فيما أُبْلَيْنْ ... والحَسَبُ الزاكي إذا ما يُقْنَيْنْ؟

والأجْرُ والزَّيْن إذا رِيمَ الزَّيْنْ ... كم من كريمٍ جَدُّهُ قد أعْلَيْنْ

وكم طريدٍ خائفٍ قد أنْجَيْنْ ... ومن فقيرٍ عائلٍ قد أغْنَيْنْ

وكم برأسٍ في لبانٍ[5] أجْرَيْنْ ... وجسدٍ للعافياتِ أعْرَيْنْ

وأهلِ حِصْنٍ في آمتناع أرْذَيْنْ ... وكم لها في الغُنْم من ذي سَهْمَيْنْ[6]

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) بَأْبَأها: قال لها: بأبي أنتِ، كناية عن الإحتفاظ بها.

(٣) الطِّرْف من الخيل: كريم الطرفين من الأب والأم. والتَّلْد: عكس الطِّرْف. والمعنى: حديثو النسب أم قديموه.

(٤) يُقْفَيْنَ: يؤثرن.

(٥) لَبان الفرس: صدره أو وسطه.

(٦) أرذى فلانٌ: صارت خيله رذايا (ج رذيّ وهو الضعيف).

يكون فيما آقتسموا كالرجلَيْنْ وكم وكم أَنْكَحْنَ من ذي طِمْرَيْنْ[1]

بغير مَهْرٍ عاجلٍ ولا دَيْن والخيلُ والخيرات في قرينَيْنْ

لا تشتكينَّ عملاً ما أَنْقَيْنْ ما دام مُخٌّ في سُلَامَى أو عَيْنْ[2]

ما بلّل الصوفةَ[3] ماءُ البحرين

وأنشدني أبو حاتم عن أبي عبيدة. قال: وقال: لي أبو عبيدة: لا أعرف قائل هذا الشعر وعَرُوضُهُ لا يُخَرَّج. قال أبو حاتم: أحسبه لعبد الغفار[4] الخُزَاعي: [منسرح]

ذاك وقد أَذْعَرَ آلوحوشَ بِصَلْـ ـتِ الخدِّ رَحْبٍ لَبَانُه مُجْفَرْ[5]

طويلُ خَمْسٍ قصيرُ أربعةٍ عريضُ ستٍ مقلَّصٌ حَشْوَرْ[6]

حَذَّتْ له تسعةٌ[7] وقد عَرِيَتْ تسعٌ ففيه لمنْ رأى منظرْ

ثم له تسعةٌ كُسِيْنَ وقد أَرْحَبَ منه اللَّبانَ والمَنْخَرْ[8]

بَعِيْدُ عشرٍ وقد قَرُبْنَ له عَشْرٌ وخَمْسٌ طالت ولم تَقْصُرْ[9]

---

(١) الطِّمْر: الفرس الجواد.

(٢) السُّلامى: عظم في فِرْسِن البعير أو الفرس. والفرس للبعير كالحافر للدابة.

(٣) صوف البحر: شيء على شكل الصوف الحيواني، واحدته صوفة. وفي العقد الفريد (ج ٥ ص ١٥٩): «لا نصالحكم ما بَلَّ البحر صوفة».

(٤) لم أقف له على ترجمته.

(٥) لَبَانُه مُجْفَرٌ: واسع الجُفْرة، وهي من الفرس وسطه. ولبان الفرس: صدره.

(٦) الخمس الطويلة هي: وظيفا الرِّجْلين والذراعان والشَّن (الشعر الذي في مؤخر الرسغ) والأربع القصيرة هي: أرساغه ووظيفا يديه وعسيبه وساقاه. والست العريضة هي: الفخذان والوركان والأوظفة. والحَشْوَرُ: منتفخ الجنبين.

(٧) التسعة التي حَذَّتْ هي: عرقوباه وأذناه وقلبه ومنكباه. والتسعة العارية من اللحم هي: خَدّاه وجبهته والوجه كله وقوائمه.

(٨) التسعة المكسوّة هي: الفخذان وحامياته ووركاه وحصيرا جنبيه وفهداه وهما في الصدر (هما اللحمتان اللتان في الزَّوْر كالفَهْدَيْن) واللَّبَان: الصدر.

(٩) يريد بالعشر التي قربت عشر خصال صالحة قربْن منه وعشر خصال رديئة بعدن منه فليست فيه. والخمس التي طالت ولم تقصر هي خمس خصال رديئة.

نُقْفِيه بالمَحْض دون وِلْدَتِنا ... وعُضُّه في آرِيِّه يُنْشَرْ[1]
نَصْبِحُهُ تارةً ونَغْبُقُه ... ألبانَ كُومٍ رَوَائمٍ أَظْؤُرْ[2]
حتى شَتَا بادِناً يقال ألا ... يطوون من بُدنِه وقد أُضْمِرْ[3]
مُوثَّقُ الخَلْق جُرْشُعٌ عَتِدٌ ... مُنضَرِجُ الحُضْر حين يُسْتحْضَرْ[4]
خاظِي الحَماتَيْن لحمُه زِيَمٌ ... نَهْد شديدُ الصِّفَاقِ والأَبْهَرْ[5]
رقيقُ خَمْسٍ غليظُ أربعةٍ ... نائي المَعَدّين ليِّن الأَشْعَرْ[6]

وقد فسَّرْتُ هذا الشعر في كتابي المؤلف في أبيات المعاني في خلق الفرس. أنشدنا أبو سعيد لبعض الضَّبِّيين في وصف فرس: [كامل]

متقاذفٌ عبلُ الشَّوى شَنِج النَّسا ... سَبّاق أنديةِ الجيادِ عميثلِ[7]
وإذا تُعَلِّلُ بالسِّياط جيادُها ... أعطاك نائلَه ولم يتعلَّلِ

قيل لما وضعت حرب صِفِّين أوزارها قال عمرو بن العاص: [رمل]
شَبَّتِ الحربُ فأعددْتُ لها ... مُفْرَعَ الحَارِك مرويَّ الثَّبَجْ[8]

---

(١) العُضّ: العجين تُعْلفه الإبل أو الشعير والحنطة لا يشركهما شيء. والآريُّ: الآخيَّة، وهي محبس الدابّة.
(٢) الكُوْم: ج كَوْماء، وهي الناقة الضخمة السِّنام. والروائم: ج رائمة، وهي الناقة العاطفة على ولدها. والأَظْؤُرُ: ج ظِئْر، وهي الناقة التي تعطف على ولد غيرها المِرضعةُ له.
(٣) ضمر الخيلَ تضميراً: علفها القوتَ بعد السمن فأضمرها.
(٤) الجُرْشُع: العظيم الصدر المنتفخ الجنبين. ومُنْضَرِجُ الحُضْر: شديد العَدْو.
(٥) الحَمَاتان من الفرس هما اللّحمتان المجتمعتان في ظاهر الساقين من أعاليهما والخاظي: المكتنز اللحم أو الغليظ الصلب. ولحمه زِيَمٌ: مكتنز. والصِّفاق: هو الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر. والأبهر: عرق في الظهر.
(٦) المَعَدّان: موضع دفتي السَّرْج. والأَشْعر: ما آستدار بالحافر من منتهى الجلد.
(٧) متقاذِفٌ: سريع. وعَبْلُ الشَّوَى: غليظ القوائم. والنَّسا: عرق من الوَرِكِ إلى الكعب. وشَنِجُ النَّسا: منقبضه وهو مدح للفرس؛ لأنه إذا شَنِجَ نَساهُ لم تَسْتَرْخِ رجلاه. و العَمَيْثَلُ: النشيط.
(٨) الحارِكُ: أعلى الكاهل. والثَّبَجُ: ما بين الكاهل إلى الظهر.

جُرْشُعاً أعظمه جُفْرتهُ[١] فإذا آبتلَّ من الماء حَرِجْ
يَصل الشَّد بشدٍّ فإذا وَنَتِ الخيلُ من الشدِّ مَعَجْ[٢]

ووجدت في كتابٍ من كتب الروم أن من علامة فَرَاهة[٣] المُهْر الحولي صِغَرُ رأسه وشدّة سواد عينيه وأن يكون مُحدَّد الأذنين أَجْرد باطِنها كثيف العُرْف، في عرفه ميل من قِبَل يمين راكبه عريض الصدر مرتفع الهادي معتدل العضدين مكتنِزَ الجنبين طويل الذنَبْ عريض الكَفَل مستدير الحوافر صحيح باطنها، ومن علامة فراهة المهر ألا يكون نَفُور ولا يقفُ عند دابة إلا مع أمّه وإذا دُفِعَ إلى عينٍ أو نهرِ ماء لم يقف لِتُجاوِزَهُ دابةٌ فيسير بسيرها ولكنه يقطع ذلك النهر والعين.

قالوا: ومما يسلم الله به الخيلَ من العين وأشباه ذلك أن يُجْعل في أعناقها خرزة من قرون الأيايل[٤].

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن سفيان عن حُصَين بن عبد الرحمن عن هلال بن إسَاف وعن سُحَيم بن نَوْفل قالا: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود ونحن نعرض المصاحف، فجاءت جارية إلى سيِّدها فقالت: ما يُجلِسك؟ قُمْ فآبتغِ لنا راقياً فإن فلاناً لَقَع[٥] مهرك بعينه فتركَتْه يدور كأنه فلك. فقال عبد الله: لا تبتغِ راقياً ولكن آذهب فآنفُثْ في مَنْخره الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً ثم قلْ: بسم الله لا باس لا باس لا أذْهِبِ الباسَ

(١) الجُرْشُع: تقدم شرحه. وجُفْرَة الفرس جوف صدره أو ما يجمع الصدر والجنبين.
(٢) الشَّدُّ: العَدْوُ. ومَعَجَ: أَسْرَعَ.
(٣) فَراهَةُ المُهْر الحَوْليّ: نشاطه. والحولي: الذي بلغ العام الواحد.
(٤) الأيايل: ج أيْل، وهو الوَعْل.
(٥) لَقَعَه بعينه: أصابه بها.

ربَّ النّـاس وآشفِ أنت الشافي لا يكشف الضـراءَ إلا أنت. قـال: فمـا قُمْنـا حتى جاء الرجل فقال: قد فعلت الذي أمرْتَني به فبال وراث وأكل.

حـدّثني أبو حـاتم عن أبي عبيدة أنـه قال: إذا كـان الفـرس صَلُوداً[1] لا يعرق سقيْتَه ماء قد دُفتَ[2] فيهِ خَمِيرة أو علفته ضِغْثاً[3] من هِنْدِبَاء فإن ذلك يُكثـر عزقه، فإن حَمِرَ[4] أدْخَلْتَهُ الحمَّام وأشِمَّه عَذِرَةً. فقلت لأبي عبيدة: ما يـدريك أنَّ هذا كذا؟ فقال: أخبرني بـه جلّ الهنـديّ وكان بصيـراً. قال: فـإن أصابتْـه مَغْلَةٌ وهي وجع البطن من أكل التراب أُخذ له شيء من بُـورَقٍ فَدُقَّ ونُخِـلَ فَجُعِلَ في ربْع دَوْرَق من خمر فحُقن به وبُلّ تراب طيّب ببول[5] أتـان حتى يصير طينـاً ثم لَطخ به بطن الدابة. قال: ومما يذهب العَرَن[6] دماغ الأرنب.

وقفَ الهَيْثم بن مطهَّر على بـاب الخَيزُران على ظهـر دابته، فبعث إليـه الكاتب في دارها: انزل عن ظهر دابتـك فقد جـاء في الأثر: لا تجعلوا ظهـور دوابّكم مجـالس. فبعث إليه: إني رجـل أعـرَج وإن خـرج صـاحبي خِفْتُ ألاّ أدركه. فبعث إليه: إنْ لم تنـزل أنزلنـاك. قال: هـو حَبيس إن أنزلتني عنـه إن أقْضَمْتـه شهراً فـآنظر أيّمـا خير لـه، راحةُ سـاعة أو جـوعُ شهر؟ فقـال: هـذا شيطان، آتركوه.

---

(١) الفرسُ الصَّلُوْدُ: الذي لا يعرق.
(٢) دُفتَ في الماء خميرةً: أذَبْتَ الخميرة في الماء.
(٣) الضِّغْثُ: القبضة. والهِنْدِباء: بَقْلٌ، وهو صنفان بريّ وبستاني.
(٤) حَمِرَ الفرسُ: تخم من أكل الشعير أو تغيَّرت رائحة فيه.
(٥) الأتَان: الحمارة، مؤنث، والجمع أُتن بضم التاء وسكونها.
(٦) العَـرَنُ: داء يصيب الحيوانـات، ولا سيما البعيـر منها؛ يقـال: عُـرِنَ البعيـرُ: شَكـا أنفـه من العِران. وقيل: العِران: قَرْح يأخذه البعير في عنقه فيحتـكُّ منه وربمـا برك إلى أصـل وآحتكَّ بها.

باب البِغال والحمير

قال مَسْلمة: ما ركب الناس مثل بغلة قصيرة العِذار طويلة العِنَان. وكتب رجل إلى وكيله: ابغني بغلة حَصَّاءَ الذنَب[١] طويلة العنق سَوْطُها عِنانُها وهواها أمامُها.

عاتب الفضلَ بن الربيع بعض بني هاشم في ركوبه بغلة، فقال له: هذا مركب تَطأطأ عن خُيَلاء الخيل وآرتفع عن ذلّة الحمار وخير الأمور أوساطها.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرنا أبو عمرو بن العلاء: قال دفع أبوسَيَّارَةَ بأهل المُزْدَلِفة[٢] أربعين سنة على حمار لا يعتلّ، فقالت العرب: «أصح من عَيْر أبي سيارة».

قال رجل للفضل الرَّقَاشِي وهو جدّ مُعْتَمِر لأمّه: إنك لتؤثر الحمير على جميع المركوب، فلم ذلك؟ قال: لأنها أكثرها مَرْفقاً. قال: وما ذاك؟ قال: لا تستبدل بالمكان على قدر آختلاف الزمان ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صَريعاً وأسهل تصريفاً وأخفض مَهْوىً وأقل جِمَاحاً وأشهر فَارِهاً[٣] وأقل نظيراً ويُزهَى راكبه وقد تواضع بركوبه، ويكون مقتصداً وقد أسرف في ثمنه. وقال خالد بن صفوان في وصف حمار: قد أركبه عَيْراً من بنات الكُدَاد أَصْحَرَ

---

(١) حَصّاءُ الذَّنَب: قصيرة الذنب. والمذكر أحصُّ.

(٢) المزدلفة: موضع بمكة. وذكر ابن شرف النووي في (تهذيب الأسماء واللغات (ج ١ ق ٢ ص ١٥٠) أنها تقع بين وادي محسر ومأزمي، وتسمّى جَمْعاً لاجتماع الناس بها، وسميت المزدلفة لازدلاف الناس بها، وقيل لاجتماع آدم وحواء، وقيل لمجيء الناس إليها في زلف من الليل أي في ساعات. فيها مسجد له ٥٩ ذراعاً وشبر في مثله. وقال في معجم البلدان: سميت بذلك لإزدلاف الناس في منى بعد الإفاضة. والمزدلفة فرسخ من منى بها مصلىّ وسقاية ومنارة وبرك عدة إلى جنب جبل ثبير.

(٣) فارِهٌ: نشيط، يقال للبِرْذَوْن والبغل والحمار فارهٌ ولا يقال للفرس فاره ولكن جواد ورائع.

السِّرْبال مُحْملَجَ القوائم يحمل الرَّجْلة[١] ويبلغ العقبة ويمنعني أن يكـون جبّاراً عنيداً.

وقال رجل لنخّاس[٢]: أطلب لي حماراً ليس بالكثير المشتَهر ولا القصير المحتقر ولا يُقْدِمُ تَقحُّماً ولا يُحْجِم تبلُّداً يتجنبُ بي الزحام والرِّجَـام والإكَام خفيفَ اللِّجـام، إذا ركبتُه هـامَ، وإذا ركبه غيـري قام، إن علقْتُـه شَكَـر، وإن أجعته صبر. فقال له النخاس: إنْ مَسَخَ اللهُ القـاضيَ زياداً حمـاراً رجوْتُ أن أصيب لـك حاجتـك إن شاء الله. وقـال رجل لآخـر يوصيـه: خذ من الحمـار شُكْرَهُ وصبره ومن الكلب نصحه لأهلهومن الغراب كتمانه للسِّفَاد.

جرير بن عبد الله عن أبيه قال: لا تركب حماراً فإنه إن كان فـارها أتعب يديك وإن كان بليداً أتعب رجليك.

بابٌ في الإبل

الهيثم قال قال ابن عياش: لا تشترِ خمسة من خمسة: لا تشترِ فرساً من أَسَـديّ ٍ ولا جملاً من نَهْـديّ ٍ ولا عَيْراً من تميمي ولا عَبْـداً من بجَلي. ونسي الهيثم الخامس، يريد أن أهل هذه القبائل عظام الجدود في هذه الأشياء. قيل لبني عبس: أيّ الإبـلُ أصبر عليكم في محـاربتكم؟ قـال الـرُّمْـك[٣] الجِعَـاد. قيـل: فأيّ الخيـل وجدتم أصبـر؟ قالـوا: الكُمْتَ[٤] الحُوَّ. قيـل: فأيَّ النسـاء

(١) العَيْر: الحمار الـوحشي. والكُداد: فحـل تنسب إليه الحُمـرُ. والحمار الأَصْحَـرُ: القريب من الأصهب أو ما كان أغبر في حمرة خفيّة إلى بياض قليل. ومُحَمْلَجُ القوائم: أي قوائمه مفتـولة وقوية: يقال: حَمْلَجَ الحبلَ: فتله شديداً. وحمل الرَّجْلَة: تحمّل المشقّات، و الـرَّجْلة: شدة المشي.

(٢) النَّخّاس: بائع الدواب.

(٣) الإبْل الرُّمْكُ: ما كان لونها الرُّمْكَة (لون الرماد) والمفرد أَرْمَك والأنثى رَمْكَاء.

(٤) الكُمَيْت من الخيل: الذي خالط حمرته سوادٌ غير خالص.

وجدتم أصبر؟ قالوا: بناتِ العم.

المدائني قال: قال شَبَّة بن عِقَال: أقبلْتُ من اليمن أريد مكة وخفْتُ أن يفوتني الحج، ومعي ثلاثة أجمال فمررت برجل من أهل اليمن على ناقة له فطويْته فلما جُزْتهُ قام بي بعيرٌ لي ثم آخر ثم قام الآخر فظننْتُ أن الحج يفوْتُني فمرَّ بي اليماني فقال: مررت بنا ولم تسلِّم ولم تعرِّض. فقلت: أجل يرحمك الله. قال: أتطيْبُ نفساً عما أرى؟ قلت: نعم. فنزل فأرخى أَنْساع[1] رَحْله ثم قدّمه فكاد يضعه على عنقها ثم شدّه وقال لي: لولا أنك لا تضبط رأسها لقدّمتك. ثم قال لي: خذ حُرّ متاعك إن لم تطب نفساً به ففعلت، ثم آرتدفْتُ فَجَعَلَتْ تعوم عوماً ثم انسلَّتْ كأنها ثعبانٌ يسيل سيلاً كالماء فما شعرت حتى أراني الأعلام وقال: أتسمع؟ فسمعت أصوات الناس فإذا نحن بجَمْع[2]، فقضيْتُ حِجَّتي، وكان قال لي: حاجتي إليك ألّا تذكر هذا فإن هذه عندي أثرٌ من ولاية العَرْوض يعني مكة والمدينة، أُدْرِكُ عليها الثأرَ وهي ثِمَال العيال وأصيْدُ عليها الوحش وأوافي عليها الموسم في كل عام من صنْعاء في أقل من غِبّ الحمال فسألته: من أين هي؟ قال: بُجَاوِيّة من هَوَامِي نَتَاجِ بدو بَجِيلة الأولى وهي من المَهَارَى التي يذكر الناسُ.

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله: أَصِبْ لي نَجَائبَ كِراماً. فقدم رجل على جمل[3] سُبَاعِيٍّ عظيم الهامة له خَلْق لم يَرَوْا مثلَه قطّ فساموا، فقال: لا أبيعه. قالوا: لا نَدَعُك ولا نغصِبُك ولكنا نكتب إلى أمير المؤمنين

---

(١) أَنْساعُ رَحْله: حبال رَحْله، مفردها نِسْعَة.

(٢) جَمْع: ضد التفرق، وهو المزدلفة، سمي بذلك لاجتماع الناس به. وجَمْع أيضاً قلعة بوادي موسى عليه السلام. تهذيب الأسماء واللغات (ج ١ ق ٢ ص ٥٩ و ١٥٠) ومعجم البلدان.

(٣) الجمل السُّبَاعيُّ: العظيم الطويل.

بسببه. قال: فهلا خيراً من هذا؟ قالوا: ما هو؟ قال: معكم نجائبُ كِرَامٌ وخيل سابقة، فدعوني أركب جملي وأبعثه وآتبعوني فإنْ لحقتموني فهو لكم بغير ثمن. قالوا: نعم. فدنا منه فصاح في أذنه ثم أثاره فوثب وثبة شديدة فكبا ثم آنبعث وآتبعوه فلم يدروا كيف أخذ، ولم يَرَوْا له أثراً فجعل أهل اليمن عَلَماً على وثْبته يقال له: الكفلان.

أخبار الجبناء

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي قال: أرسل عبيدُ الله بن زياد رجلاً في ألفين إلى مِرْدَاس[1] بن أُدَيَّة وهو في أربعين فهزمه مرداس فعنّفه آبن زياد وأغلظ له فقال: يشتمني الأمير وأنا حيٌّ أَحَبُّ إليَّ من أن يَدْعُوَ لي وأنا مَيْت. فقال شاعر الخوارج[2]: [وافر]

أأَلْفَا مؤمن منكُمْ زعمتُمْ ويَهْزِمُهُمْ بِآسَكَ[3] أربعونا؟
كَذَبتُمُ ليس ذلكُمُ كذاكمْ ولكنَّ الخوارجَ مُؤْمنونا
هم الفئةُ القليلةُ قد علمتُمْ على الفئة الكثيرة يُنْصَرُوْنا[4]

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عون عن الحسن قال: قال النبي ﷺ: «ما آلتقَتْ فئتان قطُّ إلا وكفَّ اللهُ بينهما فإذا أراد أن

(١) مِرْداس بن أُدَيَّة أحد أئمة الخوارج كما في معجم البلدان.
(٢) شاعر الخوارج هو عيسى بن فاتك الخَطِّيّ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة. المصدر السابق مادة (آسَك).
(٣) آسَك: بلد من نواحي الأهواز قرب أرَّجان، بينها وبين أرَّجان يومان. المصدر السابق.
(٤) ورد البيتان الأول والثالث في العقد الفريد (ج ١ ص ١٤٩) كما وردت هذه الأبيات الثلاثة في معجم البلدان مادة (آسَك) باختلاف يسير عما هنا، وسبق البيتَ الأول هذا البيت:
يقول بصيرهُمْ، لما أتاهُمْ بأن القوم وَلَّوْا هاربينا.

يهزم إحدى الطائفتين أمال كفّه عليها». ورفع معاوية ثُنْدُوَتَه[١] بيده وقال: لقد علم الناس أن الخيل لا تجري بمثلي، فكيف قال النَّجاشيُّ[٢]: [طويل]

وَنَجَّى ٱبنَ حَرْبٍ سابقٌ ذو عُلَالَة ... أَجَشُّ هَزِيمٌ والرماحُ دَوَاني[٣]

ابن دَأْب قال: قال عمرو بن العاص لمعاوية: لقد أعياني أن أعلم أَجَبَانٌ أنت أم شجاع؟ فقال: [طويل]

شجاعٌ إذا ما أَمْكَنَتْني فُرْصَةٌ ... وإلاّ تَكُنْ لِيْ فرصةٌ فَجَبَانُ

شهد أبو دُلَامة حرباً مع رَوْح بن حاتم فقال له: تقدّم فقاتلْ.

فقال: [بسيط]

إني أعوذ بِرَوْحٍ أنْ يُقَدِّمَني ... إلى القتال فتَخْزَى بيْ بنو أسدِ

إن المهلّب[٤] حُبَّ الموتِ وَرَّثَكُمْ ... ولم أُوَرَّثْ حُبَّ الموت عن أحد

أبو المنذر قال: حدّثنا زيد بن وهب قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عجباً لابن النابغة! يزعم أني تَلْعَابة أُعافِس وأُمَارِس! أما وشرُّ

---

(١) الثُّنْدُؤَةُ للرجل بمنزلة الثدي للمرأة. وقيل: هي اللحم الذي حول الثدي.

(٢) النَّجاشِيُّ هو قيس بن عمرو بن مالك بن كعب، شاعر هجّاء اشتهر في الجاهلية والإسلام. توفي سنة ٤٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧.

(٣) ابن حرب هو معاوية لأنه كان يُكْنى بذلك. ويظهر ذلك في قول ابن مُفَرِّغ الحميري في عباد بن زياد (وافر).

إذا أودى معاويةُ بن حربٍ ... فَبَشِّر شَعْبَ قَعْبَكَ بانصداعِ

وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٥٠. والعُلالة: بقية جري الفرس والأَجَشُّ: الغليظ الصهيل. والهزيم: الشديد الصوت. ولقد ورد بيت النجاشي في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٩) هكذا: «ونجّى ابْنَ هِنْدٍ... الخ.

(٤) هو المهلّب بن أبي صُفْرَة، الأمير الجواد البطاش. ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير ثم ولاّه عبد الملك بن مروان ولاية خُراسان. وهو أول من آتخذ الركب من الحديد، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب. الأعلام ج ٧ ص ٣١٥.

القول أكذبُه، إنه يسأل فيلحِف[١] ويُسأل فيبخل، فإذا كان عند البأس فإنه آمرؤ زاجرٌ ما لم تأخذ السيوف مأخذَها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبرُ همّه أن يُبَرْقِطَ[٢] ويمنحَ الناس آستَه. قَبحه الله وَتَرحه. وقال الفَرَّار[٣] السُّلَمي: [كامل]

وكتيْبَةٍ لبَّسْتُها بكتيبةٍ ... حتى إذا آلتبسَتْ نَفَضْتُ بها يدي[٤]

وتركْتُهُمْ تَقِصُ الرماحُ ظهورَهُمْ ... من بين مُنْجَدِلٍ وآخرَ مُسْنَدِ[٥]

ما كان يَنْفَعُني مقالُ نسائهمْ ... وقُتِلْتَ دون رجالهم: لا تَبْعُدِ[٦]

وقال آخر: [بسيط]

أصختْ تشجِّعُني هندٌ وقد عَلِمَتْ ... أن الشجاعة مقرونٌ بها العَطَبُ

لا والذي حَجَّتِ الأنصارُ كعْبَتَهُ ... ما يشتهي الموتَ عندي مَنْ له أَرَبُ

للحرب قومٌ أضلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... إذا دعتْهُمْ إلى حَوْبائها[٧] وثبوا

ولسْتُ منهُمْ ولا أبغي فِعالَهُمُ ... لا القتلُ يُعْجبني منها ولا السَّلَب

وقال أيْمن[٨] بن خُرَيْم: [رمل]

إنَّ للفتنة مَيْطاً[٩] بيِّنا ... فَرُوَيْدَ المَيْطَ منها يعتدِلْ

---

(١) يُلْحِفُ: يُضِرُّ.

(٢) يُبَرْقِطُ: يقعد على الساقين مُفَرِّجاً ركبتيه.

(٣) الفَرّار السُّلَمي هو حيّان بن الحكم، شاعر مخضرم صحابي وصاحب راية بني سليم. يوم الفتح. سمي الفرّار لأنه كان يُحسِّن الفِرار على قبحه حتى حَسُنَ.

(٤) لَبَّسْتُها: خلطْتُها. ونفضْتُ بها يدي: كناية عن الإعراض عنها.

(٥) تقِصُ: تكسر. المسند: هو الذي أمسك إلى ما يسنده وبه رَبَقٌ.

(٦) وردت هذه الأبيات الثلاثة في العقد الفريد (ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠).

(٧) الحَوْباء: النَّفْس؛ وحَوْباء الحرب: نيرانها.

(٨) أيمن بن خُرَيْم شاعر من بني أسد. كان يشارك في الغزو، وهو آبن خريم الصحابي. توفي نحو ٨٠ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ٣٥).

(٩) المَيْط: الصَّخَب والشدَّة.

فـإذا كـان عـطاءٌ فـأْتِـهِـمْ وإذا كـان قـتـالٌ فـآعـتـزِلْ
إنـمـا يُـسْعِـرُهـا جُـهّـالُـهـا حَـطب النار فَـدَعْها تشتعـلْ[1]

وقال آخر: [متقارب]

كـمُـلْقـي الأعـنـة مـن كَـفِّـهِ وقـادَ الـجـيـادَ بـأذنـابِـهـا

وقال جِرَان[2] العَوْد في الدَّهَش: [بسيط]

يـوم آرتحلْتُ بـرَحْلي قبـل تَـوْدعتي والقلبُ مُسْتَـوْهِـلٌ بـالبين مشغـولُ
ثم آغتَـرَزْتُ[3] على نِضْـوِي لأدْفَعَـهُ إثْـرَ الحُمولِ الغَـوَادِي وهـو معقـولُ

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيريّة من الرافضة وهو من بَجِيلة فقال من الـدَّهَش: أطعموني مـاء. فذكّـره بعضهم فقال: [بسيط]

عــاد الـظلومُ ظَلِيمــاً حين جُـدَّ بــهِ وآستُطْعِمَ الماءَ لمـا جَدَّ في الهـربِ

وقال عبيد الله بن زياد إمالِلُكْنَةٍ فيه أو لِجُبْنٍ أو دهشة: افتحوا سيـوفكم.

وقال آبن مُفَرِّغ الحِميري[4]:

---

(١) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ١ ص ١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) جِران العَوْد لقبٌ غلب على عامر بن الحارث الثميري لقوله لأمرأتَيْه (طويل).

خُـذا حَـذِراً يـا خَـنَّـتَـيَّ فـإنـنـي رأيْتُ جِـران العَـوْد قـد كـاد يَصْلُحُ

يريد سَوْطاً قَدَّه من صدر جمل مُسِنّ، خَوَّفهما به. وحَنَّةُ الرجـل: إمرأتـه. وكان تـزوَّج امرأتين فلقيا منهما مكروهاً. ومعنى جِران العود: مُقَدَّمُ عُنُق البعير المُسِنّ، كـان عامر يلقِّب نفسه بـه في شعـره. وهو شـاعر جـاهلي ولكنه أدرك الإسـلام. راجع الشعـر والشعـراء لإبن قتيبـة ص ٦٠٥ ـ ٦٠٨ ومعجم شعراء الحماسة مص ٦٧ والأعلام (ج ٣ ص ٢٥٠).

(٣) اغْتَـرَزْتُ: ركبْتُ، وأصل آغتـرز: وضع رجله في الغَـرْز وهو رِكـابُ الرَّحْـل. وقد ورد هـذان البيتان في الشعر والشعراء ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨ بعد هذا البيت:

بـان الأنـيسُ فمـا لـلقـلب مَـعْـقُـوْلُ ولا على الجِـيْـرَةِ الغـادِيْـنَ تَعْـوِيْـلُ

وقبل هذا البيت قال ابن قتيبة في كتابه المذكور آنفاً: «ومما يستحسن من شعره قوله».

(٤) ابن مُفَرِّغ الحميري هو يزيد ابن ربيعة الحميـري، ومُفَرِّغ لقَبٌ لـه. شاعـر غَزِلٌ. مـات سنة =

[وافر]

ويَـومَ فتَحْـتَ سيفَـك من بعيـدٍ ... أضعْتَ وكُـلَّ أمـرك للضيـاعِ[١]

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيراً: [متقارب]

أكـان الـجبـانُ يـرى أنـه ... سَيُقْتَـلُ قبـل آنقضـاء الأجـلْ
فقـد تُـدْرِكُ الحـادثـاتُ الجبـانَ ... ويسلمُ منهـا الشجـاعُ البـطلْ

وقال خالد بن الوليد: لقد لقيت كذا وكذا زَحْفاً وما في جسدي موضع شِبْر إلا وفيه طعنةٌ أو ضربة أو رَمْية ثم ها أنا أموت على فراشي حَتْفَ أنفي[٢]، فلا نامت أعين الجبناء.

قيل لأعرابي: ألا تَغْزو فإن الله قد أنذرك. قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه رَكْضاً؟ وقال قِرْوَاشُ[٣] بن حَوْط وذكر رجلين: [كامل]

ضَبُعـا مُجَاهَـرةٍ ولَيْثَا هُـدْنـةٍ ... وثُعَيلِبـا خَمَـرٍ[٤] إذا مـا أظْلمـا

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله[٥] بن خالد:

= ٦٩ هـ. وفيات الأعيان (ج ٦ ص ٣٤٢) وما بعدها والأعلام ج ٨ ص ١٨٣.

(١) هذا البيت من جملة أبيات آبن مفرِّغ في عبّاد بن زياد يهجوه بعد أن فشل في الظفر بخيره. ولقد أورد ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ٦ ص ٣٥٠) ثلاثة أبيات منها.

(٢) مات حَتْفَ أنفه: مات على فراشه من غير قتل ولا ضرب ولا غرق.

(٣) قِرْواش بن حَوْط شاعر جاهلي. معجم الشعراء ص ٣٣٩. وفي نفس المصدر والصفحة أورد المرزباني بيتين آخرين إلى جانب بيت قرواش المذكور ردّاً على رجلين توعَّداه.

(٤) الخَمَرُ: كل ما واراك وسترك من شجر وغيره.

(٥) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ١ ص ١٤٢ ـ ١٤٣) أمية بن عبد الله بن خالد بن أيد وعدّه من الفرارين. وأضاف قائلاً: فرَّ أمية أقبح فرار من معركة جرت بينه وبين أبي فديك الخارجي، فسار من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام. ونسب البيت المذكور لبعض العراقيين وليس لعبد الملك بن مروان.

[طويل]

إذا صـوّت العُصفـورُ طـار فؤاده ... وليثٌ حـديـدُ الناب عند الثـرائـدِ

ونحوه قول الآخر[١]:

[طويل]

ولـوْ أنهـا عصفـورةٌ لحسبتهـا ... مُسَـوَّمة تـدعـو عُبَيـداً وأَزْنَمـا[٢]

وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[٣].

ومن أشعار الشُّطَّار في الجبان:

[هزج]

رأى فـي الـنـوم إنـسـانـاً ... فـوارَى نـفـسَـه أشـهُـرْ[٤]

قـال ابن المقفـع: الجبْنُ مَقْتلة والحـرص مَحْـرمـة فـانـظرْ فيمـا رأيت وسمعت: من قُتل في الحربَ مقبلاً أكثر أم من قُتـل مدبـراً؟ وانظر من يـطلب إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخـو نفسك لـه بالعـطية أم من يـطلب إليك بالشره والحرص؟ وقال حَنَش[٥] بن عمرو:

[طويل]

وأنتُمْ سمـاءٌ يُعْجِبُ النـاسَ رِزُّهـا[٦] ... لهـا زَجَـلٌ بـاقٍ شـديـدٌ وَئِيـدُهـا

تقـطِّعُ أطنـابَ البيـوتِ بحَـاصِبٍ[٧] ... وأكـذبُ شيء بـرقُهـا ورعـودهـا

---

(١) هو العَوّام بن شَوْذَب الشَّيباني، قال هذا البيت من جملة أبيات في بِسْطام وأصحابه وردت في العقد الفريد (ج ٥ ص ١٩٥ ـ ١٩٦)).

(٢) أَزْنَمُ: بطن من بني يربوع.

(٣) سورة المنافقون ٦٣، آية ٤. أي أنهم جبناء يرتعدون من كل شيء، ويتوقعون الضربة القاضية بين آن وآن حتى ولو نادى البائع على سلعته لظنـوا أن الواقعـة نزلت على رؤوسهم. التفسيـر المبين.

(٤) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ١ ص ١٤٥) لبعض العراقيين في رجل أكول جبان، يعني به أمية بن عبد الله المذكور آنفاً.

(٥) حَنَش بن عمـرو صنعاني وتـابعي من أصحاب علي عليـه السلام. غـزا الأندلس وبنى جـامع سـرقسطة بـالأندلس وأسَّس جـامع قـرطبة. تـوفي بسـرقسـطة سنـة ١٠٠ هـ. جـذوة المقتبس للحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ص ٢٠١ ـ ٢٠٣.

(٦) الرِّزُّ: الصوت تسمعه من بعيد، أو صوت الرعد.

(٧) الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب وتثير الحصباء وتجيء بها إو هو ما تناثر من دقاق الثلج والبَرَد والسَّحاب الذي يرمي بهما.

فـوَيْلُمِّهـا[1] خَيْـلاً تَهـاوَى شِـرَارُهـا إذا لاقت الأعـداءَ لـولا صـدودُهـا

وقال الفرزدق أو البَعِيث: [بسيط]

سائل سَلِيطاً[2] إذا ما الحربُ أفْزَعَها ما بـالُ خيلِكُمُـو قُعْساً هَـوَادِيها
لا يـرفـعـون إلـى داعٍ أعـنَّـتَـهـا وفـي جَـواشِنِهـا داءٌ يُجَـافـيـهـا

كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة بن مَرْثد ويُكْنى أبا الأغَرّ ينزل ببني أخت له في سكة بني مَازِن، وبنو أخته من قـريش، فخرج رجـالهم إلى ضِيَاعهم في شهر رمضان وخرج النسـاء يصلِّيْنَ في مسجدهم فلم يبق في الدار إلا الإماء[3] فدخل كلب يَعْتَسُّ[4] فرأى بيتاً فـدخله وآنصفق الباب فسمع الحركة بعضُ الإماء فظنوا أن لصاً دخل الدار فـذهبت إحداهُنَّ إلى أبي الأغـر فأخبرته، فقال أبو الأغر: مـا يبتغي اللص؟ ثم أخذ عصـاه وجاء، فـوقف على باب البيت وقال: إيه، يا مَلْأمان[5]، أما والله إنك بي لعـارف فهل أنت إلا من لصوص بني مازن شربْتَ حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت القدوح في رأسك مَنَّتْك نفسك الأماني وقلت: أطرقُ ديارَ بني عمرو والرجال خُلُوف والنساء يصلِّيْنَ في مسجدهم فأسرِقهم؟ سَوءةً لـك، والله ما يفعـل هذا ولـد الأحرار، وآيم الله[6] لتخرجَنّ أو لأهتِفنّ هَتْفة مشؤومة يلتقي فيها الحيّان عمرو وحَنْظلة وتجيء سَعْدُ

(١) وَيْلُمِّها: أصل الكلام: وَيْلُ أمِّها. والمعنى: ما أشدَّها.
(٢) أي بنو سليط، وذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٥ أن حـارثه بن بـدر بن ربيعة ابن سليط شهر بقتال الخوارج.
(٣) الإماء: ج أمَة، وهي الجارية.
(٤) إعْتَسَّ الكلبُ: طـاف بـالليـل، ومنـه المثـل: كلبٌ اعتسَّ خيـر من كلب رَبَض، يضـرب في التشويق إلى السعي والكسب.
(٥) يا مَلْأمان: أي يا لئيم.
(٦) أَيْم الله و «إيمِ الله»: قسم؛ يقال أيضاً: أَيْنُنُ الله.

بعدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ولئن فعلتُ لتكوننَّ أشأمَ مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أحدٌ أخذ باللين فقال: أخرج بأبي وأمي، أنت مستور، إني والله ما أراك تعرفني ولو عرفتني لقنعت بقولي وآطمأننت إليّ. أنا ـ فديتُك ـ أبو الأغر النَّهْشلي، وأنا خالُ القوم وجِلْدةٌ بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضارَّ الليلة فآخرج فأنت في ذمتي وعندي قَوْصَرَّتان[1] أهداهُما إليَّ آبن أختي البارّ الوَصُول فخذ إحداهما فآنتبذها حلالاً من الله ورسوله. وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق وإذا سكت وَثَب يُرِيغُ المخرج، فتهاتف أبو الأغرّ ثم تضاحك وقال: يا ألأم الناس وأوضعهم، لا أرى إلا أني لك الليلة في واد وأنت لي في واد، أقلِّب السوداء والبيضاء فتُصِيخ وتُطرِق، وإذا سكتُّ عنك وثبْتَ تُريغ المخرج، والله لتخرجنَّ أو لألجنَّ عليك البيت. فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت: أعرابي مجنون، والله ما أرى في البيت شيئاً، فدفعت الباب فخرج الكلب شَدّاً وحاد عنه أبو الأغر ساقطاً على قفاه، ثم قال: يا لله ما رأيت كالليلة! والله ما أراه إلا كلباً، أما والله لو علمت بحاله لولجت عليه.

وشبيه بهذا حديث لأبي حية النُّميري، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسميه لُعَابِ المنيّة. قال جارٌ له: أشرفْتُ عليه ليلةً وقد آنتضاه وشمَّر وهو يقول: أيها المغترّ بنا والمجترىء علينا، بِئْس والله ما أختَرْتَ لنفسك، خيرٌ قليلٌ وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهور ضربته لا تخاف نبوته. أخْرُجْ بالعفو عنك وإلا دخلْتُ بالعقوبة عليك، إني والله إن أدعُ قيساً تملأ الأرض خيلاً ورَجْلاً. يا سبحان الله، ما

(١) القَوْصَرَّة: كناية عن المرأة، وهي في الأصل وعاء للتمر يؤخذ من قصب تسمى بها ما دام فيها تمر وإلاَّ يقال: زنبيل.

أكثرها وأطيبها! ثم فتح الباب فإذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً.

وقرأت في كتاب كليلة ودمنة: يخاف غيرَ المخوف طائر يرفع رجليه خشية السماء أن تسقط، وطائر يقوم على إحدى رجليه حِذار الخَسْف إن قام عليهما، ودودة تأكل التراب فلا تشبع خوفاً أن يفنى إن شبِعت فتجوع، والخفافيش تستتر بالنهار حَذارِ أن تُصطاد لحسنها.

بَيْنَا عبدُ الله بن خازم السُّلَمي عند عبيد الله بن زياد إذ دُخِل عليه بِجُرَذٍ[1] أبيض فعجب منه وقال: يا أبا صالح، هل رأيت أعجب من هذا؟ وإذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ وآصفَّر حتى كأنه جرادةٌ ذكر. فقال عبيد الله: أبو صالح يعصى الرحمٰن ويتهاون بالشيطان ويقبض على الثعبان ويمشي إلى الأسد الوَرْد[2] ويلقَى الرماح بوجهه قد آعتراه من هذا الجرذ ما ترون! إن الله على كل شيء قدير!.

كان الحارث بن هشام أخو أبي جهل بن هشام شَهِدَ بَدْراً مع المشركين وآنهزم، فقال فيه حسان[3]: [كامل].

إن كنتِ كاذبةَ الذي حَدَثْتِني ... فَنَجَوْتِ مَنْجى الحارث بن هشامِ

تَرَكَ الأحبَّةَ لم يقاتلْ دونهُمْ ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ[4] ولجامِ

(١) الجُرَذُ: ضرب من الفأر، أو هو ذكر الفأر والعامة تقول جرذون.

(٢) الوَرْدُ: الأسد.

(٣) هو الصحابي حسّان بن ثابت الخزرجي الأنصاري، شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوّة وشاعر اليمانيين في الإسلام. توفي سنة ٥٤ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ١٧٥ ـ ١٧٦).
وذكر آبن عبد ربه في العقد (ج ١ ص ١٤٤) بيتاً ثالثاً إضافة إلى البيتين المذكورين وقال: قال حسان بن ثابت هذا الشعر يُعَيِّر الحارث بن هشام بفراره يوم بدر.

(٤) الطِّمِرَّةُ: الأنثى من الجياد، وهي المستفزة للوثب والعَدْو، وقيل: هي الطويلة القوائم.

فآعتذر الحارث من فراره وقال: [كامل]

اللهُ يعلم ما تَرَكْتُ قتالَهُمْ حتى عَلَوْا فَرَسِي بأشقَرِ مُزْبِدِ
وعلمْتُ أنّيَ إنْ أقاتِلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يضْرَرْ عدويَّ مَشْهدي
فصددْتُ عنهم والأحبةُ فيهِمُ طمعاً لهمْ بعقابِ يومٍ مُفْسِدِ

وأسلَمَ يومَ فتح مكة وحَسُنَ إسلامه، وخرج في زمن عمر من مكة إلى الشام بأهله وماله، فآتّبعه أهل مكة يبكون، فرقَّ وبكى ثم قال: أما إنا لو كنا نستبدل داراً بدارنا وجاراً بجارنا ما أردنا بكم بدلاً، ولكنها النُّقْلة إلى الله، فلم يزل هنالك مجاهداً حتى مات.

المدائني قال: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك فقال له: مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنّك؟ قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءَتك يومَ آبن أبي طالب، أما والله لقد وافقتَه منّاناً كريماً، ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين، أما والله إني لعَنْ يمينِك حين دعاك إلى البِرَاز فآحوَلَّتْ عيناك وربا سَحْرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فآضحكْ أو دَعْ.

وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه دِرْعٌ وعمامة سوداء وقوس عربية وكِنانة، فبعثتْ إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت: من هذا الأعرابي المستلئم[1] في السلاح عندك وأنت في غِلالة؟ فبعث إليها أنه الحجاج، فأعادت الرسول إليه، فقال: تقول لك والله لأن يخلو بك ملك الموت أحياناً أحبّ إليّ من أنِ يخلو بك الحجاج، فأخبره بذلك الوليد وهو يمازحه، فقال: يا أمير المؤمنين، دعْ عنك مفاكهة النساء بزخرف

(١) المُسْتَلْئِمُ: اللابس اللّأمَةَ للدرع.

القول فإنما المرأة رَيْحانة وليست قَهْرَمَانَةً[١] فلا تُطلعها على سرك ومكايدة عدوّك. فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج فقالت: يا أمير المؤمنين، حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مستلئماً، ففعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائماً، ثم قالت: إيه يا حجاج، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتال ٱبن الزبير وٱبن الأشعث، أما والله لولا أنَّ الله علم أنك شر خلقه ما ٱبتلاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النِّطاقين[٢] أول مولود ولد في الإسلام، وأما نهيُك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذّاته وأوطاره فإن كنَّ ينفرجْنَ عن مثله فغير قابل لقولك، أنا والله لقد نفَض نساء أمير المؤمنين الطِّيبَ من غدائرهن فبِعْنَه في أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن قد أظلتك رماحهم وأثخنك كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدوّ أمير المؤمنين بحبهم إياه، قاتل الله القائل حين نظر إليك وسِنان غَزَالة[٣] بين كتفيك: [كامل]

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ فَتْخاءُ[٤] تنفِر من صفير الصافرِ
هلّا كررْتَ على غَزَالة في الوَغى بل كان قلبك في جوانح طائرِ

وغزالة ٱمرأة شَبِيب الخارجي. ثم قالت: أخْرُجْ، فخرج.

---

(١) القهرمان والقهرمانة لفظة أعجمية ٱستعملتها العرب بمعنى الوكيل أو أمين الدخل، والجمع قهارمة.

(٢) ذات النِّطاقَيْن: هي أسماء بنت أبي بكر، قيل لأنها شقَّت نِطاقها ليلة خروج رسول الله إلى الغار فجعلت واحدة لِسُفْرَة رسول الله والأخرى عصاماً لقربته.

(٣) هي غزالة الحرورية. وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني (ج ١٦ ص ١٥٥ ط. بولاق) أن غزالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة تحصَّن منها وأغلق عليها القصر، فكتب إليه عمران بن حطان، وقد كان الحجاج لجَّ في طلبه، بيتاً ثالثاً إضافة إلى البيتين المذكورين. كذلك أورد في العقد الفريد (ج ٥ ص ٤٤) هذه الأبيات ولكن بٱختلاف بسيط عمّا هنا.

(٤) فَتْخاء: مسترخية مفاصلها.

وكان في بني ليث رجل جبانٌ بخيْلٌ فخرج رهْطُه غازين وبلغ ذلك أناساً من بين سليم وكانوا أعداءً لهم فلم يشعر الرجلُ إلا بخَيْلٍ قد أحاطت بهم فذهب يفرّ فلم يجد مفرّاً، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه فلما رأى ذلك جلس ثم نثل كنانَته وأخذ قوسه وقال[1]: [رجز]

ما علّتي، وأنا جَلْدٌ نابِلُ[2] والقوسُ من نَبْعٍ لها بَلابِلُ
يَرُزُّ فيها وتَرٌ عُنابِلُ إنْ لم أقاتِلْكُمْ فأميّ هَابِلُ[3]
أَكُلَّ يومٍ أنا عنكُمْ نَاكِلُ لا أُطعِم القومَ ولا أقاتلُ
الموت حقٌّ والحياة باطلُ

ثم جعل يرميهم حتى ردَّهم، وجاءهم الصريخ وقد مُنع الحيُّ، فصار بعد ذلك شجاعاً سمحاً معروفاً.

ولما قتل عبدُ الملك مصعَبَ بن الزبير وجّه أخاه بشر بن مروان على الكوفة ووجّه معه رَوْح بن زِنباع الجُذَامِي كالوزير، وكان روح رجلاً عالماً داهية غير أنه كان من أجبن الناس وأبخلهم، فلما رأى أهل الكوفة من بخله ما رأوا تخوّفوا أن يفسد عليهم أمرهم وكانوا قد عرفوا جبه فآحتالوا في إخراجه عنهم فكتبوا ليلاً على بابه: [بسيط]

إنَّ آبن مروان قد حانت منيّته فآحتَلْ لنفسك يا رَوحُ بنَ زِنباعِ

فلما أصبح ورأى ذلك لم يشكَّ أنه مقتول فدخل على بشر فاستأذنه في الشخوص فأذن له وخرج حتى قدم على عبد الملك فقال له: ما أقدمك؟ قال: يا أمير المؤمنين، تركْتُ أخاك مقتولاً أو مخلوعاً. قال: كيف عَرَفْتَ

(١) قائل هذا الشعر هو عاصم بن ثابت كما في اللسان مادة (عنبل).
(٢) جَلْدٌ: شديد قوي. ونابل: حاذق بالنَّبل، والجمع نُبَّل.
(٣) الوترُ العُنابِلُ: الوتر الغليظ. والأم الهابل: التي تثكل ولدها؛ يقال: هَبِلَتْهُ أُمُّه: ثَكلَتْه.

ذلك؟ فأخبره الخبر فضحك عبد الملك حتى فَحَص برجليه، ثم قال: إحتال لك أهل الكوفة حتى أخرجوك عنهم.

كان أُمَيّة بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد وُجّه إلى أبي فُدَيْك فآنهزم وأُتي الحجاج بدوابٍّ من دوابِّ أمية قد وُسم على أفخاذها «عُدَّة» فأمر الحجاج فكتب تحت ذلك: «للفرار».

وقال عمر رضي الله عنه: إنّ الشجاعة والجبن غرائزُ في الرجال، تجد الرجل يقاتل عمن لا يبالي ألا يؤوَب إلى أهله، وتجد الرجل يفرّ عن أبيه وأمه، وتجد الرجل يقاتل آبتغاء وجه الله فذلك هو الشهيد.

وقال الشاعر: [طويل]

يَفِرُّ الجبانُ عن أبيه وأمّه ... ويَحْمي شجاعُ القومِ من لا يناسِبُهْ[1]

بابٌ من أخبار الشُّجَعَاء[2] والفرسان وأشعارهم

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثني الأصمعي قال: سمعت الحَرَسيَّ يقول: رأيت من الجبن والشجاعة عجباً. استَثْرْنا من مَزْرعة في بلاد الشام رجلين يُذَرِّيان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمش[3]، والآخر مثل الجمل عِظَماً، فقاتلنا الأصيفر بالمِذْرى[4] لا تدنو منه دابة إلَّا نخس أنفها وضربها حتى شقّ علينا فقُتل، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فَرَقاً[5] فأمرت بهما فبقرت بطونهما فإذا

---

(١) ورد هذا البيت مع بيت آخر في العقد الفريد (ج ١ ص ١٣٩) لبعض الشعراء في الجبان والشجاع معاً. والبيت الآخر هو:

وَيُرْزَقُ معروفَ الجوادِ عَدُوُّهُ ... ويُحْرَمُ معروفَ البخيلِ أقاربُهْ

(٢) الشجعاء: ج شجيع، وهو ذو الشجاعة.

(٣) أُحَيْمش: مصغر أَحْمش، وهو دقيق الساقين.

(٤) المِذْرَى والمِذْراة: خشبة ذات أطراف كالأصابع يُذَرَّى بها الطعام وتُنقَّى بها الأكداس، والجمع مَذارٍ.

(٥) مات فَرَقاً: مات فزعاً.

فؤاد الضخم يابس مثل الحشفة[1]، وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدّثنا أبو عمرو[2] الصَّفَّار قال: حاصر مسْلَمة حِصْنا فندب الناس إلى نَقْب منه، فما دخله أحد. فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعةَ يأتي، فعزمتُ عليه إلاّ جاء. فجاء رجل فقال: إستأذنْ لي على الأمير. فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه. فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً: ألاّ تسوّدوا آسمه في صحيفة إلى الخليفة ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه ممن هو. قال: فذاك له. قال: أنا هو. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم آجعلني مع صاحب النقب.

حدّثني محمد بن عمرو الجُرْجاني قال: كتب أنو شِرْوَانُ إلى مَرازِبته: عليكم بأهل الشجاعة والسخاء فإنهم أهل حسن الظن بالله تعالى. وذكر أعرابي قوماً تحاربوا فقال: أقبلت الفحول تمشي مشي الوُعول، فلما تصافحوا بالسيوف فَغَرَتِ المنايا أفواهَها. وذكر آخرُ قوماً آتبعوا قوماً أغاروا عليهم فقال: احْتَثُّوا كلَّ جُمَالِيّة عَيْرانَةٍ[3] فما زالوا يَخْصِفون أخفاف المطيّ بحوافر الخيل حتى أدركوهم بعد ثالثة فجعلوا المُرَّانَ أَرْشِيةَ[4] الموت وآستَقَوْا بها أرواحَهم.

حدّثني عبد الرحمن عن عمه عن رجل من العرب قال: انهزمنا من قَطَرِيّ وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حسّاً منكراً خلفي،

(١) الحَشَفَةُ: أصول الزرع، والجمع حِشاف.
(٢) لعله حماد بن واقد أبو عمرو الصغار كما في كتب التراجم.
(٣) الجُمَالِيَّةُ من النوق: العظيمة الخلق الوثيقة كالجمل. والعَيْرانة من الإبل هي التي تشبَّه بالعير في سرعتها ونشاطها.
(٤) المُرّانُ: الرماح الصلبة اللدنة، والواحدة مُرّانة. والأَرْشِيَة: الحبال ومفردها رِشاء.

فالتفتُّ فإذا أنا بقَطَري فيئست من الحياة فلما عرفني قال: أشدُدْ عِنانِها وأوجِعْ خاصرتَها قطع الله يديك. قال: ففعلت فنجوت منه.

وحدّثني عبد الرحمن عن عمه قال: لما غرق شبيب قالت آمرأة: الغرق يا أمير المؤمنين، قال ذلك تقدير العزيز العليم قال: فأُخرج فشُقّ بطنُه وأُخرج فؤاده فإذا مثل الكوز، فجعلوا يضربون به الأرض فيَنْزو.

حدّثنا الرياشي قال: حدّثنا الأصمعي قال: أخبرنا صاحبٌ لنا عن أبي عمرو بن العَلاَء قال: لما كان يومُ الكُلاب[1] خرج رجل من بني تميم، أحسبه قال: سَعْديٌّ، فقال: لو طلبتُ رجلاً له فداءٌ! قال: فخرجْتُ أطلبهُ، فإذا رجل عليه مُقَطَّعة يمانيَّة على فرس ذَنُوب، فقلت له: على يمينك. قال: على يساري أَقْصَدُ لي. قلت: أَيْهاتَ[2] منك اليمن. قال: العراق منيَ أبعد. قلت: وتالله لا تَرى أهلك العام. قال لا والله أهلَك لا أراهم. قال: فتركْتُه ولما كان بعد أيام ونَعَتُّ نعتَه بعد ذلك، فقيل لي: هو وَعْلَةُ الجَرْميّ[3].

حدّثنا محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن هشام عن محمد بن سيرين قال: بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأحنف بن قيس على جيش قِبَل خراسان فبيَّتهم العدوّ ليلاً وفرّقوا جيوشهم أربع فرق

(١) هو يوم الكُلاب الثاني أو يوم الشُّعيْبَة (وادٍ أعلاه من أرض كُلاب وبصبٌّ في سدّ قناة) وهو يوم لبني تميم وبن سعد في الجاهلية. العمدة (ج ٢٢ ص ٢٠٦) وتحدث ابن عبد ربه في معجم البلدان: الكُلاب ماء بين الكوفة والبصرة.
(٢) أيْهاتَ: إسم فعل أمر بمعنى هيهاتِ، أي أبعد.
(٣) وَعْلة الجرْمي شاعر جاهلي من الفرسان. ولقد تداول الناس قوله (طويل).

أظنُّ صروف الدهر بيني وبينهم ... ستحملهُمْ مني على مركبٍ وِعْرِ

وهو من جرْم قُضاعة. كان صاحب اللواء يوم الكلاب الثاني وآنهزم. الأعلام ج ٨ ص ١١٧.

وأقبلوا معهم الطبل ففزع الناس وكان أوّل من ركب الأحنف فأخذ سيفه وتقلّده ثم مضى نحو الصوت وهو يقول:

[رجز]

إنَّ على كل رئيسٍ حقّاً أن يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ[١] أو تَنْدَقَّا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله، فلما فقد أصحابُ الطبل الصوتَ آنهزموا. ثم حمل على الكُرْدُوس[٢] الآخر ففعل مثل ذلك وهو وحده، ثم جاء الناس وقد آنهزم العدوُّ فآتبعوهم يقتلونهم، ثم مَضَوْا حتى فتحوا مدينة يقال لها مَرْوَ الرُّوْذ[٣].

سأل آبن هُبَيرة عن مقتل عبد الله بن خازم، فقال رجل ممن حضر: سألنا وَكيع بن الدَّوْرَقِيَّة كيف قتلْتَهُ؟ قال: غلبته بفضل فَتَاء[٤] كان لي عليه فصرعْتُه وجلست على صدره وقلت له: يا لثَارات دُوْيلة. يعني أخاه من أبيه. فقال مِن تحتي: قتلك الله! تقتل كبش مُضَرَ[٥] بأخيك وهو لا يساوي كفَّ نوى! ثم تنخَّم فملأ وجهي نُخَامة[٦]، فقال آبن هبيرة: هذه والله البسالة! استدلَّ عليها بكثرة الريق في ذلك الوقت.

قال هشام لمسلمة: يا أبا سعيد، هل دخلك ذُعْر قطُّ لحرب أو عدوّ قال: ما سلِمت في ذلك من ذُعْرٍ ينبّه على حيلة ولم يَغْشَني فيها ذعر سلبني رأيي. قال هشام: هذه البسالة.

---

(١) الصَّعْدَةُ: القناة المستوية التي لا تحتاج إلى تثقيف، والجمع صَعَدات وصِعاد.

(٢) الكُرْدُوْس: الكتيبة من الخيل في الحرب.

(٣) مَرْوَ الرُّوْذ: أشهر مدن خراسان، وهي مدينة مبنية على نهر، والنهر يقال له بالعجمية «الرُّوْذ» والنسبة إليها ومَرْوَزيّ. وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٩.

(٤) الفَتَاء: الشباب.

(٥) أي قبيلة مُضَر.

(٦) تَنَخَّم: أعْيا. والنُّخَامَة: النُّخاعة، وهي ما يخرج من الصدر من البلغم.

خرج رُهْم[1] بن حَزْم الهلاليّ ومعه أهله وماله يريد النُّقلة من بلد إلى بلد فلقيه ثلاثون رجلاً من بني تَغلِب. فعرفهم، فقال: يا بَنِيْ تَغْلُبَ، شأنكم بالمال وخلُّوا الظعينة. فقالوا: رضيْنا إنْ أَلْقَيْتَ الرمح. قال: وإنَّ رُمْحي لَمَعي. وحمل عليهم فقتل منهم رجلاً وصرع آخر وقال: [رجز]

رُدّا على آخرها الأتاليا   إن لها بالمشرفيّ حاديا
ذَكَّرْتَني الطَعْنَ وكنتُ ناسياً

قال الزُّبيري: ما آستحيا شجاع أنْ يفرّ من عبد الله بن خازم السُّلَمي وقَطرِيّ بن الفُجاءة.

أبو اليَقْظان قال: كان حبيب بن عَوْف العَبْدي[2] فاتِكاً، فلقي رجلاً من أهل الشام قد بعثه زياد ومعه ستون ألفاً يتّجر بها فسايره، فلما وجد غَفْلَةً قتله وأخذ المال فقال يوماً وهو يشرب على لذته: [بسيط]

يا صاحبيَّ، أقِلَّا اللومَ والعَذَلَا   ولا تقولَا لشيءٍ فاتَ ما فَعَلَا
رُدّا عليَّ كُميْتَ[3] اللونِ صافيةً   إني لقيْتُ بأرضٍ خالياً رَجُلَا
ضَخْم الفرائصِ لو أَبْصَرْتَ قِمّتَهُ   وَسْطَ الرجال إذنْ شبَّهْتَه جَمَلا
ضاحكْتُه ساعةً طوراً وقلْتُ له   أَنْفَقْتَ بيعك إنْ رَيْثاً وإن عجَلَا
سايرتُهُ ساعةً ما بيْ مخافَتُهُ   إلَّا آلتَّلَفُّتَ حوليْ هل أرى دَغَلا[4]
غادرْتُه بين آجامٍ ومَسْبَعةٍ   لم يَدْرِ غيريَ بعديْ بَعْدُ ما فُعِلا
يدعو زياداً وقد حانتْ مَنيَّتُهُ   ولا زيادَ لمن قد وافقَ الأَجَلا

---

(١) ورد آسمه في أمثال الميداني (ج ٢ ص ٢٤٥): رهيم بن حزن.
(٢) جاء في معجم شعراء الحماسة ص ٢٦ ما نصه: «حبيب بن عوف لم أقف له على ترجمة».
(٣) الكميت: الخمر التي فيها سواد وحمرة.
(٤) الدَّغَل: دَخَلٌ في الأمر أو الموضع يخاف فيه الإغتيال، والجمع أدغال.

المفضَّل الضَّبيّ: كان سُلَيْك بن سُلَكة التميمي من أشدّ فرسان العرب وأذكرهم وأدلّ الناس بالأرض وأجودهم عَدواً على رجليه لا تَعْلَق به الخيلُ وكانت أمُّه سوداء وكان يقول: اللهمَّ إنك تهيء ما شئْتَ لما شئت إذا شئْتَ، اللهمَّ إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ولو كنت آمرأة كنت أمة، اللهمَّ إني أعوذُ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة. وأملَق حتى لم يبق له شيء، فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض من يمرّ عليه فيذهب بإبله، حتى إذا أمسى في ليلة مقمرة وآشتمل الصَّمَّاء[١] ونام، إذا برجل قد جَثَم على صدره وقال: إستأسِرْ. فرفع سليك رأسه وقال: «إن الليل طويل وأنت مُقْمِر» فجرى مثلاً، وجعل الرجل يَلْهَزُه[٢] ويقول: استأسِرْ، يا خبيث، فلما آذاه ضمّه إليه ضمّةً ضرط منها وهو فوقه، فقال له سليك: «أضَرِطاً وأنت الأعلى» فجرى مثلاً، ثم قال له: ما أنت؟ قال: أنا رجل آفتقرْتُ، فقلت: لأخرجنّ ولا أرجع حتى أستغنى. قال: فآنطلقْ معي، فمضَيَا فوَجَدَا رجلاً قصته مثل قصتهما، فأتوْا جَوف مُرَاد وهو واد باليمن فإذا فيه نَعَم كثيرة، فقال لهما سليك: كونا قريباً حتى آتيَ الرِّعَاء وأعلم لكما عِلْم الحي أقريب هُو أم بعيد، فإنْ كانوا قريباً رَجَعْتُ إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أَحِي[٣] به لكما فأَغِيْرَا. فآنطلق حتى أتى الرِّعاء، فجعل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحي فإذا هم بعيد، فقال لهم سليك: ألا أغنّيكم؟ قالوا: بلى. فتغنّى بأعلى صوته ليُسمعَ صاحبيه: [بسيط]

يا صاحبيَّ، ألاَ لا حيَّ بالوادي ... إلا عبيدُ وآمٌ[٤] بين أذوادِ

---

(١) اشتمل الصَّمّاء: ردّ الكِساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر لم يردّه ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطّيهما جميعاً.

(٢) لَهَزَهُ: لَكَزَهُ.

(٣) من وَحَي يحيى إذا أومأ.

(٤) الآمُ: ج أمة، وهي المملوكة.

أتنـظُرانِ قليلاً رَيْثَ غفلتهم ... أمْ تَعْدُوَانِ فإنَّ الربحَ للعادي

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فأطْردوا الإبل وذهبوا بها.

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: كان سليك يُحْضِرُ[١] فتقع السهامُ من كِنانته فترتزُّ في الأرض من شدّة احضاره. وقال له بنو كنانة حين كَبُر: أرأيت أن ترينَا بعض ما بقي من إحضارك؟ قال: نعم، إجمعوا لي أربعين شاباً وٱبغوني درْعاً ثقيلة. فأخذها فلبسها وخرج بالشباب حتى إذا كان على رأس ميل أقبل يُحضر فلاثَ العَدْو لَوْثاًواهتبصُوا[٢] في جَنَبَتَيْه فلم يصحبوه إلا قليلاً فجاء يُحضر مُنبتِراً من حيث لا يرونه وجاءت الدِّرع تخفُق في عنقه كأنها خرقة.

قال سهل: حدّثني العُتْبي قال: حدّثني رجلٌ من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه قال: كنت عند المهاجرِ بن عبد الله والي اليمامة فأتى بأعرابيٍ قد كان معروفاً بالسَّرَق فقال له: أخبرني عن بعض عجائبك، قال: إنها لَكثيرة، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبَق وكانت لي خيل لا تُلحَق، فكنت لا أخرج فأرجع خائباً فخرجت يوماً فٱحترشْتُ ضبّاً فعلّقته على قَتَبي[٣] ثم مررت بِخِباءٍ سِّريٍّ ليس فيه إلاّ عجوز، فقلت: أخلق بهذا الخِباء أن يكون له رائحة من غنم وإبل، فلما أَمْسَيْت إذا بإبلٍ مائةٍ فيها شيخٌ عظيمُ البطن مُثَدَّن[٤] اللحم ومعه عبد أسودُ وَغْدٌ، فلما رآني رحَّب بي ثم قام إلى ناقة فٱحتلبها وناولني العُلْبة فشربْتُ ما يشرب الرجلُ فتناول الباقي فضرب به جبهته

(١) حُضِرَ: دنا موته.
(٢) إهتبصوا: عَدَوْا وعجّلوا ومَشَوْا مِشْيةً سريعة.
(٣) القَتَبُ: الأكاف الصغير على قدر سنام البعير، والجمع أقتاب.
(٤) مُثدَّنُ اللحم: الثَدْنُ أي كثير اللحم.

ثم آحتلب تسع أَيْنُقٍ[١] فشرب ألبانهن ثم نَحَرَ حُواراً[٢] فطبخه ثم ألقى عِظامه بيضاً وحَثَا كُوْمَةً من بَطْحاء وتوسَّدها وغطَّ غطيطَ البَكْر، فقلت: هذه والله الغنيمة. ثم قُمْتُ إلى فحل إبله[٣] فخطمْتُه ثم قرنْتُه إلى بعيري وصِحْتُ به فأتبعني الفحلُ وأَتْبَعْتُه الإبلُ إرْباباً به، فصارت خلفي كأنها حَبْلٌ ممدود، فمضيْتُ أبادر ثنيَّةً بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرّة وأقرعه برجلي أخرى حتى طلع الفجر، فأبصرت الثنيّة فإذا عليها سواد فلما دنوْتُ إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره فقال: أضيْفُنا؟ قلت: نعم. قال: أتسخوا نفسك عن هذه الإبل. قلت: لا. فأخرج سهماً كأن نصله لسان كلب ثم قال: أبصرْ بين أُذُنَيّ الضَّبّ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه، ثم قال: ما تقول؟ قلت: أنا على رأيي الأوّل. قال: أنظر هذا السهم الثاني في فِقْرَةِ ظهره الوسطى. ثم رمى به فكأنما قدَّره بيده ثم وضعه بإصبعه، ثم قال: أرأيتَ؟ قلت: إني أحب أنْ أستثبت. قال: أنظر هذا السهم الثالث في عُكْوة[٤] ذنبه والرابعَ واللهِ في بطنك. ثم رماه فلم يخطىء العُكْوة، فقلت: أنزلُ آمناً؟ قال: نعم. فنزلْتُ فدفعت إليه خِطام فحله وقلت: هذه إبلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى يرميني بسهم ينتظم به قلبي، فلما تنحّيْتُ قال لي: أقبل. فأقبلت، والله، خوفاً من شرّه لا طَمَعاً في خيره، فقال: أي هذا، ما أحسبك جَشِمْتَ[٥] الليلة ما جشمت إلا من حاجة. قلت: أجل. قال: فاْقرُنْ من هذه الإبل بعيرَيْن وآمض لِطيَّتك، قلت: أما والله حتى أخبرك عن

---

(١) الأينق: ج ناقة، وهي الأنثى من الإبل.
(٢) الحُوار: ولد الناقة الذي يُفْصل عن أمّه، والجمع أَحْوِرَة وحُوْران.
(٣) خَطَمَ الفحلَ: وضع الخِطامَ على أنفه.
(٤) عُكْوَةُ الذَّنَب: أصله.
(٥) جَشِمَ الأمرَ: تكلّفه على مشقّة.

نفسك قبلاً. ثم قلت: والله ما رأيت أعرابياً قطُّ أشدَّ ضِرْساً ولا أعدى رِجْلاً ولا أرمى يداً ولا أكرم عفواً ولا أسخى نفساً منك.

وقرأت في كتاب سير العجم أن بَهْرَام جُور خرج ذات يوم إلى الصيد ومعه جارية له فعرضتْ له ظِباء، فقال للجارية: في أيّ موضع تريدين أن أضع السهم من الوحش؟ فقالت أريد أن تُشبّه ذُكْرانها بالإناث وإناثها بالذكران، فرمى تيساً من الظِّباء بنُشَّابة ذات شُعْبتين فٱقتلع قرنيه ورمى عنزاً منها بنُشّابتين فأثبتهما في موضع القرنين. ثم سألته أن يجمع أذن الظبي وظِلْفه بنشّابة واحدة فرمى أصل أذن الظبي ببُنْدُقة فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحتكَّ رماه بنشّابة فوصل ظِلْفه بأذنه ثم أهوى إلى القَيْنة فضرب بها الأرض وقال: شَدّ ما آشتَطَطْتِ عليّ وأردتِ إظهار عجزي!.

وقرأت في كتبهم أن كسرى آستعمل قرابة له على اليمن يقال له المَرْوَزَان، فأقام بها حيناً ثم خالفه أهلُ المَصَانع ـ والمصانع جبل باليمن ممتنع طويل ووراءه جبل آخر بينهما فصل إلا أنه متقارب ما بينهما ـ فسار إليهم المَرْوَزَان فنظر إلى جبل لا يطمع أحد أن يدخله إلا من باب واحد يمنع ذلك الباب رجل واحد. فلما رأى أن لا سبيل إليهم صعد الجبل الذي هو وراء المصانع من حيث يُحاذِي حِصْنَهم فنظر إلى أضيق مكان فيه تحته هواء لا يُقدر قدرُه، فلم يَرَ شيئاً أقرب إلى ٱفتتاح ذلك الحصن من ذلك الجبل، فأمر أصحابه أن يقوموا به صفّين ثم يصيحوا به صَيْحة واحدة ثم ضرب فرسه حتى إذا آستجمع حُضْراً رمى به أمام الحصن وصاح به أصحابُهُ فوثَب الفرسُ الواديَ فإذا هو على رأس الحصن، فلما نظرتْ إليه حِمْير قالوا: هذا أَيْم. والأيم بالحميرية شيطان، فٱنتهرهم بالفارسية وأمرهم أن يربط بعضهم بعضاً ففعلوا وآستنزلهم من حصنهم فقَتل طائفة وسبى طائفة وكتب بما كان منه إلى

كسرى، فتعجّب كسرى وأمره بالاستخلاف على عمله والقدوم إليه وأراد أن يُسامي به أساوِرتَه(١)، فآستخلف المروزان آبنَه ثم توجّه نحوه فلما صار ببعض بلاد العرب هلك فوضعوه في تابوت ثم حملوه حتى قدموا به على كسرى فأمر كسرى بذلك التابوت فوُضع في خزانته فكان يُخرج في كل عام إليه وإلى مَنْ عنده من أساورته فيقول: هذا الذي فعل كذا وكذا.

وروى أبو سُوقَةَ التميمي عن أبيه عن جدّه عن أبي الأغرّ التميمي قال: بَيْنا أنا واقف بِصِفِّين مرَّ بي العباس بن ربيعة مكفَّراً بالسلاح وعيناه تَبِصّان من تحت المِغْفر كأنهما عيناً أرقم وبيده صفيحة له وهو على فرس له صَعْبٌ يمنعه ويليِّن من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عَرار بن أدهم: يا عباس، هلمّ إلى البِرَاز. قال العباس: فالنزول إذاً فإنه إيَاسٌ من القفول. فنزل الشامي وهو يقول: [بسيط]

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

وثنى العباس وِرْكَهُ فنزل وهو يقول: [كامل]

وتصدُّ عنك مَخِيلةَ الرجل الـ ... ـعِرِّيضِ مُوضِحةٌ عن العَظْمِ
بُحسامِ سيفك أو لسانك والـ ... ـكَلِمُ الأصيلُ كأرْغَبِ الكَلْمِ(٢)

ثم غضَّن فَضَلات درعه في حُجْزته ودفع قوسه إلى غلام له أسود يقال له: أسلم، كأني أنظر إلى فَلائل شعره ثم دَلَفَ كلُّ واحد منهما إلى صاحبه فذكرْتُ بهما قول أبي ذؤيب(٣):

---

(١) الأساوِرَةُ: ج إسوار، وهو قائد الفرس.

(٢) هذان البيتان لطرفة بن العبد البكري الشاعر الجاهلي المعدود من الطبقة الأولى والمتوفى سنة ٦٠ ق هـ.

(٣) أبو ذُؤَيْب بن خالد المُضَري، شاعر فحل أدرك الجاهلية والإسلام. مات نحو ٢٧ هـ. وأشهر شعره عينيّةٌ رثى بها ستة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، ومطلعها (كامل):

[كامل]

فتنـازلا وتـواقفتْ خَيْـلاَهُمـا   وكـلاهمـا بـطلُ اللقاء مُخـدَّعُ

وكف الناس أعنَّة خيولهم ينتظرون ما يكون من الرجلين فتكافحا بينهما مَليّاً من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لأْمته إلى أن لحظ العباس وَهْياً في درع الشاميّ فأهوى إليه بيده فهتكه إلى ثُنْدُؤَته[1] ثم عاد لمجاولته وقد أُصْحر له مفتَّق الدرع فضربه العباس ضربة آنتظم بها جوانحَ صدره وخرّ الشامي لوجهه وكبَّر الناس تكبيرة آرتجت لها الأرض من تحتهم وآنشَامَ العباس في الناس وآنساع أمره وإذا قائل يقول من ورائي ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حكيمٌ﴾[2] فالتفت وإذا أميرُ المؤمنين، رضي الله عنه، عليُّ بن أبي طالب، فقال: يا أبا الأغر، مِنِ المُنازِلُ لعدوّنا؟ فقلت: هذا آبن أخيكم، هذا العباس بن ربيعة. فقال: إنه لهو، يا عباس، ألم أنْهك وآبنَ عباس أن تخلَّا بمركزكما أو تباشرا حَرْباً؟ قال: إن ذلك. يعني نعم. قال: فماعَدَا مما بَدَا؟ قال: فأُدْعَى إلى البراز فلا أجيب؟ قال: نعم، طاعةُ إمامِك أوْلى بك من إجابة عدوّك. ثم تغيّظ وآستشاط حتى قلتُ: الساعة الساعة، ثم تطأمن وسكن ورفع يديه مبتهلاً فقال: اللهمَّ آشكر للعباس مقامه وآغفر له ذنبه، اللهمَّ إني قد غفرت له فآغفر

=   أَمِنَ المنونِ ورَيْبِه نتوجَّعُ   والدهرُ ليس بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

الأعلام ج ٢ ص ٣٢٥. كذلك أنظر مرثيته في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

(١) الثُّنْدُؤة للرجل بمنزلة الثدي للمرأة.

(٢) سورة التوبة ٩، الآيتان ١٤ و ١٥. والمعنى: قاتلوهم قتلاً فإن الله سبحانه سيخرجهم أسراً وينصركم عليهم حقاً ويتوب على من أسلم بعد فتح مكة وأحسن، وكان قد طغى من قبل وبغى.

له. قال: وتأسّف معاوية على عَرَار وقال: متى يَنْطِفُ فحلٌ بمثله! أيُطَل دمه! لاها اللهِ ذا. ألا لله رجلٌ يَشْرِي نفسَه يطلب بدم عرار؟ فانْتَدِبَ له رجلان من لخم. فقال: اذهبا فأيّكما قتل العباس برازاً فله كذا. فأتياه ودعواه إلى البراز فقال: إن لي سيداً أريد أن أؤامره. فأتى علياً فأخبره الخبر، فقال عليّ: والله لودّ معاوية أنه ما بقي من هاشم نافِخُ ضَرْمَةٍ إلّا طُعِنَ في نَيْطه[1] إطفاءً لنور الله ويأبى الله إلّا أن يُتِمَّ نورَه ولو كره الكافرون، أما والله ليملكنَّهم منا رجال، ورجال يَسُومونهم الخسفَ حتى يَحْفِروا الآبار ويتكفَّفوا الناس. ثم قال: يا عباسُ، ناقلْني سلاحك بسلاحي، فناقله ووثب على فرس العباس وقصد اللخميين. فلم يَشُكّا أنه العباس فقالا له: أذن لك صاحبك؟ فخرجَ أن يقول نعم، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2] فبرز له أحدهما فضربه ضربة فكأنما أخطأه، ثم برز له الآخر فألحقه بالأوّل، ثم أقبل وهو يقول: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ آعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَآعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[3] ثم قال: يا عباسُ، خذ سلاحك وهاتِ سلاحي، فإنْ عاد لك أحدٌ فعُدْ إليَّ، ونُمي الخبر إلى معاوية فقال: قبح الله اللَّجاج إنه لقَعُود ما ركبته قط إلا خُذِلْتُ. فقال عمرو آبن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت. قال معاوية: أسكت، أيها

---

(١) النَّيْط: نِياط القلب، وهو العرق الذي يتعلق به القلب.

(٢) سورة الحج ٢٢، آية ٣٩. وهي أول آية نزلت في الإذن بالقتال دفاعاً عن النفس، ومعناها: أذن بالقتال للذين يستطيعون حمل السلاح والجهاد؛ بسبب ما حلّ بهم من الظلم والتنكيل دون أن يقاوموا، إذ كانت المقاومة آنذاك أشبه بعملية انتحارية لضعف المسلمين وقوة المشركين. التفسير المبين.

(٣) سورة البقرة ٢، آية ١٩٤. أي لا قتال في الشهر الحرام، أما من أعلن الحرب فإنه يقاتل دفاعاً. وإن من ينتهك حرمات الله في الشهر الحرام يسوغ أن يقتصّ منه في الشهر المحرم. والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.

الرجل، فليس هذه من ساعتك. قال: وإن لم تكن، رحم الله اللخميين وما أراه يفعل. قال: ذاك والله أخسر لصفقتك وأضيق لحُجْرك. قال: قد علمت ذلك ولولا مِصْرَ لركبْتُ المنجاة منها. قال: هي أعمتْكَ ولولا هي لأُلفِيت بصيراً. وقال عمرو بن العاص لمعاوية: [طويل]

معاوي، لا أعطيك ديني ولم أنلْ ... به منك دنيا، فانظُرَنْ كيف تصنعُ
فإنْ تُعْطني مِصْراً فَأَرْبَحْ بصفقةٍ ... أخذْتَ بها شيخاً يضرُّ وينفعُ

خرج الأخينس الجُهَنيّ فلقي الحُصَين العمريّ[1]، وكانا جميعاً فاتِكَيْن، فسارا حتى لقيا رجلًا من كِنْدة في تجارة أصابها من مسك وثياب وغير ذلك، فَنزَلَ تحت شجرة يأكل، فلما انتهيا إليه سلّما. قال الكنديّ: ألا تضحّيان؟ فنزلا. فبينما هم يأكلون مرَّ ظليم فنظر إليه الكنديّ وأبّده[2] بصره فبَدت له لَبّته، فاغتره الحُصَيْن فضرب بطنه بالسيف فقتله، واقتسما ماله وركبا، فقال الأخينس: يا حصينُ، ما صَعْلةٌ[3] وصَعْل؟ قال: يوم شُرْب وأكل. قال: فانعتْ لي هذه العُقَاب. فرفع رأسه لينظر إليها فوَجأ بطنَه بالسيف فقتله مثل قتله الأوّل. ثم إنَّ أختا للحصين يقال لها صَخْرَة لما أبطأ عليها خرجت تسأل عنه في جيران لها من مراح وجَرْم. فلما بلغ ذلك الأخينس قال: [وافر]

وكم من فارسٍ لا تزدريْهِ ... إذا شَخَصَتْ لموقفه العيونُ
يذلُّ له العزيزُ وكلُّ ليثٍ ... شديدُ الهَصْر مسكنُهُ العَرِينُ
علوْتُ بياضَ مَفْرِقه بعَضْبٍ ... يَنُوء لوَقْعه الهَامُ السُّكُون
فأمْسَتْ عِرْسه ولَهَا عليه ... هدوءٌ بعد ليلته أنين

(١) الحصين العمريّ: ابن عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب.
(٢) أَبّدَه النظرَ: أعطاه بُدّتَه من النظر أي أعطاه حظَّه.
(٣) الصَّعْلة: النخلة.

كصَخْرَةَ[1] إذ تُسائل في مراحٍ وفي جَرْمٍ، وعلمهما ظُنون
تسائل عن حُصَيْنٍ كلَّ رَكْبٍ وعند جُهينةَ[2] الخبرُ اليقين

فذهبت مثلاً.

خرج المهدّي وعليّ بن سليمان إلى الصيد ومعهما أبو دُلَامة[3] الشاعر، فسنحت لهم ظِباء فرمى المهديّ ظَبْياً فأصابه، ورمى عليّ بن سليمان كلباً فعقره، فضحك المهدي وقال لأبي دلامة: قل في هذا، فقال:

[مجزوء الرمل]

ورمى المهديُّ ظَبْياً شَكَّ بالسهم فؤادَهْ
وعليُّ بنُ سليما نَ رمى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كـ ـلُّ آمرىءٍ يأكلُ زادَهْ[4]

قال أبو دُلامة: كنت في عسكر مروان أيامَ زحَفَ إلي شبيب الخارجيّ، فلما آلتقى الزَّحْفان خرج منهم فارس ينادي: مَنْ يبارز؟ فجعل لا يخرج إليه إنسان إلا أعجله ولم يُنَهْنِهْه، فغاظ ذلك مروان، فجعل يندُب الناسَ على خمسمائة، فقُتل أصحاب الخمسمائة، وزاد مروان على نُدْبته فبلغ بها ألفاً، فما زال ذلك فعله حتى بلغ بالندبة خمسة آلاف درهم، وتحتي فرس لا أخاف خَوْنه، فلما سمعْتُ بالخمسة آلاف نزَّقْتُه[5] وآقتحمت الصفّ. فلما نظر إليّ

(١) هي صخرة بنت عمرو بن معاوية بن عمرو بن كلاب، أي هي أخت الحصين المترجم له في الحاشية رقم ٤ من ص ١٨١.

(٢) جُهَنْية: أبو قبيلة من العرب، ومنه المثل: «عند جهينة الخبر اليقين» أو «عند جفينة الخبر اليقين» وهو مثل يُضْرب لمن يعرف المجهول عند غيره معرفة صحيحة. مجمع الأمثال للميداني. وقد ورد البيتان الأخيران في اللسان مادة (جفن).

(٣) وردت ترجمته سابقاً.

(٤) وردت هذه الأبيات الثلاثة في العقد الفريد (ج ٦ ص ٤٣٩).

(٥) نَزَّق الفرسَ أو الفحلَ: أنزاه أي جعله يَنْزُو ويسرع.

الخارجيُّ علم أن خرجْت للطمع. فأقبل يتهيأ لي وإذا عليه فَرْوٌ له قد أصابه المطر فآرمعلَّ[1] ثم أصابته الشمس فآقفعلَّ[2] وعيناه تَدُرَّان[3] كأنهما في وَقْبين[4]، فدنا منّي وقال: [رجز]

وخارجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطمَعْ فرَّ من الموتِ وفي الموت وَقَعْ
من كان ينوي أهله فلا رَجَعْ[5]

فلما وَقَرتْ في أذني آنصرفْتُ عنه هارباً، وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟ ائتوني به. ودخلْتُ في غِمَار الناس فنجوت.

كان خالد بن جعفر نديماً للنعمان، فبينا هو ذات يوم عنده وقد دعا النعمان بتمر وزُبْد فهما يأكلان منه إذ دخل عليهما الحارث بن ظالم. فقال النعمان: أدْنُ، يا حارث، فكُلْ، فدنا. فقال خالد: من ذا أبيْتَ اللعنَ؟ قال: هذا سيد قومه وفارسهم الحارث بن ظالم. قال خالد: أما إنَّ لي عنده يداً. قال الحارث: وما تلك اليد؟ قال: قتلْتُ سيدَ قومك فتركْتُك سيدَهم بعده. يعني زُهَير بن جَذَيمة، قال الحارث أما إني سأجزيك بتلك اليد. ثم أخذه الزَّمَع[6] وأرْعدت يده، فأخذ يعبث بالتمر فقال له خالد: أيَّتَهنَّ تريد فأُناولكها؟ قال الحارث: أيَّتُهن تَهُمُّك فأَدَعُها؟ ثم نهض مغضباً، فقال النعمان لخالد: ما أردتَ بهذا وقد عرفتَ فَتْكه وسَفَهه؟ فقال: أبيت اللعن، وما

---

(١) إرمعلَّ: إبتلَّ.
(٢) إقفعلَّ: تقبَّض.
(٣) تَدُرَّان: تلوحان.
(٤) الوَقْب: نقر في الصخرة يجتمع فيه الماء.
(٥) الشِّعْرُ لشبيب بن يزيد الخارجي، وقد تقدمت ترجمته.
(٦) الزَّمَعُ: شبه الرعدة تأخذ الإنسان.

تتخوّف عليّ منه؟ فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني. فآنصرف خالد فدخل قُبّة له من أَدَم بعد هَدْأة من الليل وقام على بابها أخٌ له يحرسه. فلما نام الناس خرج الحارث حتى أتى القبة من مؤخَّرها فشقَّها ثم دخل فقتله، فقال عمرو[1] ابن الإطْنابة: [خفيف]

عـلِّلاَنِي وعـلِّلا صـاحبَـيَّـا	وآسقيـاني من الـمُـرَوّق رِيَّـا[2]
إنَّ فينـا القيَـانَ يعزفن بـالضَّـرْ	بِ لـفتيـاننـا وعـيْشـاً رخيّـا
يتنـاهـيْنَ فـي النـعيـم ويَضْـرِبْـ	ـن خِـلاَل القُرون مِسْكـاً ذكيـا
أَبْلِغَـا آلحارثَ بن ظـالمٍ[3] الرِّعْـ	ـدِيـدَ والـنـاذِرِ النُّـذورِ عَـلَيّـا
إنـمـا تَـقْـتُـلُ الـنِّـيـامَ ولا تـقْـ	ـتُـل يقـظانَ ذا سـلاحٍ كَمِيّـا

وكان عمرو قد آلى ألا يدعوه رجل بِلَيْلٍ إلا أجابه ولم يسأله عن آسمه. فأتاه الحارث ليلاً فهتف به، فخرج إليه، فقال: ما تريد؟ قال أَعِنِّي على أبلٍ لبني فلان وهي منك غير بعيدة فإنها غنيمة باردة. فدعا عمرو بفرسه وأراد أن يركب حاسراً. فقال له: إلبَسْ عليك سلاحَك فإني لا آمن آمتناع القوم، فآستلأم وخرج معه، حتى إذا برزا قال له الحارث: أنا أبو ليلى فخذْ حِذْرَك، يا عمرو، فقال له: أمنُنْ عليّ. فجزَّ ناصيتَه. وقال الحارث: [خفيف]

عـلِّلاَنـي بـلذَّتي قَـيْـنَـتَـيَّـا	قبـل أن تبـكيَ الـعيـون عَـليَّـا
قبـل أن تـذكـرَ العـواذلُ أنـي	كنتُ قِـدْمـاً لأمـرهنَّ عَـصيّـا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) المُرَوِّقُ: الذي يُرَوِّقُ الشراب ويصفِّيه. والرِّيُّ: إسم من روي من الشراب والماء أي شرب وشبع.

(٣) الحارث بن ظالم أشهر العرب في الجاهلية. توفي سنة ٢٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦.

ما أبالي إذا اصطبحْتُ ثلاثاً ... أرَشيداً دَعَوْتَني أم غَوِيّا
غيرَ ألّا أُسِرَّ إثماً ... في حياتي ولا أخونَ صَفِيّا
بَلَغَتْني مقالةُ المرءِ عَمْروٍ ... بلغتني وكان ذاك بِدَيّا
فخرجْنا لموعد فالتقينا ... فوجدناه ذا سلاح كَمِيّا
غيرَ ما نائم يُرَوَّعُ بالليـ ... ـل مُعِدّاً بكفِّه مَشْرَفيّا[1]
فَرَجَعْنا بالمَنِّ مِنّا عليه ... بعد مَا كان منه منّا بديّا

ووفد تَميم[2] بن مُرّ وَبكْر بن وائل[3] على بعض الملوك، وكانا ينادمانِهِ فجرى بينهما تفاخرٌ فقالا: أيها الملك، أعْطِنا سيفين، فأمر الملك بسيفين من عودين فُنحتا ومُوِّها بالفضة وأعطاهما إياهما، فجعلا يضطربان بهما مَليّاً من نهارهما، فقال بكر: [رجز]

لو كان سَيْفانا حديداً قَطَعَا

وقال تميم:

أو نُحِتَا من جَنْدلٍ تصدّعا

ففرّق الملكُ بينهما، فقال بكر لتميم: [وافر]

أُسَاجِلُكَ العداوةَ ما بقيْنَا

وقال تميم:

وإن مُتْنا نُورِّثُها بَنِيْنَا

---

(١) السيف المَشْرَفِيُّ: نسبة إلى مشارف الشام وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف.

(٢) تميم بن مرَّة المضري جَدٌّ جاهلي، بنوه بطون كثيرة جداً. قال في جمهرة أنساب العرب ص ١٩٨ و ٢٠٦ - ٢٠٧: هم قاعدة من أكبر قواعد العرب.

(٣) بَكْر بن وائل بن ربيعة جدٌ جاهلي، من نسله مرّة وتيم الله. المصدر السابق ص ٣٠٠ و ٣٠٧.

فأورثاها بنيهما إلى اليوم.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن خَلَف الأحمر قال: كان أبو عُرْوَة[١] السباعِ يَصِيح بالسبع وقد آحتمل الشاةَ فيسقط فيموت فيُشَقُّ بطنُه فيوجد فؤاده قد آنخلع. وهو مَثَلٌ في شدّة الصوت. قال الشاعر[٢] في ذلك: [منسرح]

زَجْرَ أبي عُرْوَةَ السِباعَ إذا أَشْفَقَ أنْ يلتبسْنَ بالغَنَمِ[٣]

قال: وأبو عطية عفيف النصريّ نادى في الحرب التي كانت بين ثَقِيف وبين بني نَصْر لما رأى الخيل بعَقْوَته[٤]: يا سوء صباحاه، أتيتم يا بني يربوع! فألْقَتِ الحبَالَى أولادها، فقيل في ذلك: [طويل]

وَأَسْقَطَ أحبالَ النساءِ بصوتِهِ عفيفٌ لَدُنْ نادَى بنصرٍ فطرَّبا

في أخبار وَهْب بن مُنبه أن يهوذا قال ليوسف: لتكفنَّ أو لأصيحنَّ صيحة لا تُبْقي حاملَ بمصر إلا ألقت ما في بطنها.

محمد بن الضحاك عن أبيه قال: كان العباس بن عبد المطلب يقف على سَلْع فينادي غلمانه وهم بالغابة فيُسْمِعهم وذلك من آخر الليل. وبين الغابة وبين سلع ثمانية أميال، وسلع جبل وسط المدينة. وكان شَبيب بن رِبْعِيّ يتنحنح في داره فيسمع تنحنه بالكُناسة[٥]، ويصيح براعيه فيسمع نداؤه

(١) أبو عُرْوَة السِّباع رجل زعموا أنه كان يصيح بالسَّبُع فيموت، ويزجر الذئب فيموت مكانه، فَيُشَقُّ بطنُهُ فيوجد قلبُهُ قد زال عن موضعه وخرج عن غشائه. لسان العرب مادة (عَرَا).

(٢) هو النابغة الجَعْدي كما في اللسان مادة (عَرَا) وهو شاعر مفلق وصحابي. عمّر فجاوز المئة وتوفي سنة ٥٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٧.

(٣) ورد هذا البيت في اللسان مادة (عرا) بعد البيت التالي:

وأَزْجُر مالكاشحَ العدوَّ، إذا آغـ ـتابك، زَجْراً مني على وَضَمِ

(٤) العَقْوَة: ما حول الدار أو ساحتها.

(٥) الكُناسة: موضع الزبالة.

على فرسخ وكان هذا مؤذن سَجَاح[١] التي تنبّأت ذكر هذا خالد بن صفوان، وسمعه أبو المجيب النهديّ فقال: ما سمع له بصوت أبعد من صوته بآذانه فإنه كان مؤذنها يعني سجاح.

ذم رجلٌ الأشترَ فقال له قائد: أسكتْ فإن حياته هزمَتْ أهل الشام وإن موته هزم أهل العراق.

المدائني قال: أتى عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه رجلٌ يستحمله، فقال له: خذْ بعيراً من إبل الصدقة. فتناول ذنبَ بعيرٍ صعبٍ فجذبه فٱقتلعه، فعجب عمر وقال له: هل رأيت أشدّ منك؟ قال: نعم، خرجت بٱمرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلنا منزلاً أهلُهُ خُلُوف فَقَرُبْتُ من الحوض فبينا أنا كذلك إذ أقبل رجل ومعه ذَوْد[٢] والمرأة ناحيةً فسرَّب ذوده إلى الحوض ومضى إلى المرأة فساورها ونادتني، فما ٱنتهيت إليها حتى خالطها، فجئت لأدفعه عنها فأخذ برأسي فوضعه بين عضده وجنبه فما ٱستطعت أن أتحرك حتى قضى ما أراد ثم ٱستلقى. فقالت المرأة: أيّ فحل هذا! لو كانت لنا منه سَخْلة[٣]! وأمهلتُهُ حتى ٱمتلأ نوماً فقمْتُ إليه بالسيف فضربت ساقه فأَبَنْتُها، فٱنتبه وتناول رجله فعدا فغلبه الدم فرماني برجله وأخطأني وأصاب عنق بعيري

---

(١) سَجَاح هي بنت الحرث بن سُوَيْد اليربوعيّ، كانت ٱدّعت النبوّة في الجزيرة على عهد مُسَيْلمة الكذّاب واستحاب لها بنو هذيل وقوم من بني تميم. تزوج مسيلمة بها. وكان يضرب بها المثل في شدة الغلمة؛ يقال: أغلم من سَجاح. ولذلك كانت تلقي نفسها على الرجال فيقال: أزنى من سجاح. محيط المحيط للبستاني، مادة (سجح) كذلك ذكرها في لسان العرب مادة (سجح) ولكن بإختصار شديد.

(٢) الذَّوْد من الإبل ما بين ثلاثة إلى العشر أو العشرين أو الثلاثين، مؤنث ولا يكون إلاّ من الإناث.

(٣) السَّخْلة: ولد الشاة ذكراً أم أنثى، والجمع سَخْلٌ.

فقتله. فقال عمر: ما فعلتِ المرأةُ؟ قال: هذا حديث الرجل. فكرر عليه مراراً لا يزيده على هذا، فظنّ أنه قد قتلها.

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا أَشْهل بن حاتم قال: حدّثنا آبن عَوْن عن عُمَير بن إسحاق قال: كان سعد على ظهر بيت وهو شَاكٍ والمشركون يفعلون بالمؤمنين ويفعلون. وأبو مِحْجَن في الوَثَاق عند أم وَلدٍ لسعد فأنشأ يقول: [طويل]

كفى حَزَناً أن تلتقي الخيلُ بالقنا وأُتركَ مشدوداً عليّ وَثَاقيَا
إذا شئتُ غنّاني الحديدُ وغُلِّقَتْ مغاليقُ من دُوْني تُصِمُّ المناديا

فقالت له أم ولد سعد: أتجعلُ لي إن أنا أطْلَقْتُك أن ترجع إليّ حتى أُعيدك في الوثائق؟ قال نعم، فأطلقْتُه فركب فرساً بَلْقاء[1] لسعد وحمل على المشركين فجعل سعدٌ يقول: لولا أن أبا مِحْجَن في الوثاق لظننت أنه أبو محجن وأنها فرسي. فآنكشف المشركون وجاء أبو محجن فأعادته في الوثاق وأتت سعداً فأخبرته، فأرسل إلى أبي محجن فأطلقه وقال: والله لأَحبَسْتُك فيها أبداً. يعني الخمر، فقال أبو محجن: وأنا الله لا أشربها بعد اليوم أبداً.

وقال الشاعر[2]: [طويل]

سأغسل عني العارَ بالسيفِ جالباً عليَّ قضاءُ الله ما كان جالبا
وأذهلَ عن داريْ وأجعلَ هَدْمَها لعِرْضِيَ من باقي المذمّة حاجبا
ويصغرُ في عينيْ تِلَادِيْ إذا آنثنَتْ يمينيْ بإدراك الذي كنْتُ طالبا
فيا لَرِزَامٍ رَشِّحوا بيْ مُقَدّماً إلى الموت خواضاً إليه الكرائبا

(١) الفرس البلقاء: التي فيها سواد وبياض والمحجَّلة إلى الفخذين.
(٢) هو سعد بن ناشب المازني التميمي، شاعر من أهل البصرة وأحد الفتآك المردة. توفي نحو ١١٠ هـ. أنظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ٨٨.

إذا هَمَّ لم يَــرْدَعْ كــريـمــةَ هَمِّــه ... ولم يـأتِ مـا يـأتي من الأمـر هـائبـا
أخـا غَمَـراتٍ لا يـريـدُ على الــذي ... يَهُمُّ بـه من مُقْطِع الأمــر صـاحبــا
إذا همَّ ألقـى بيـن عينيـه عَـزْمَـهُ ... ونكَّبَ عن ذكــر العــواقب جــانبــا
ولم يستشِــرْ في رأيــه غيــرَ نفســهِ ... ولم يَـرْضَ إلا قائمَ السيفِ صـاحبا
عليكُمْ بـدارِيْ فـاْهـدِموهـا فـإنهـا ... تـراثُ كـريمٍ لا يخـاف العـواقبـا[1]

وقال رجل[2] من بني العنبر: [بسيط]

لـو كنْتُ من مـازنٍ لم تَسْتبِـحْ إبلِيْ ... بنـو اللَّقِيـطةِ من ذُهْــلِ بن شَيبـانـا
إذَنْ لقــامَ بنصــري مَعْشَــرٌ خُشُــنٌ ... عنـد الكـريهـة إنْ ذو لُـوثَـةٍ لانـا
قــومٌ إذا الشــرُّ أبـدى نـاجــذَيْـه[3] لهمْ ... طــاروا إليــه زَرَافــاتٍ ووُحْــدانــا
لكنَّ قــومي وإن كـانــوا ذَوي عــددٍ ... ليسـوا من الشرِّ في شيء وإنْ هـانـا
يَجْـزُوْن من ظُلْم أهلِ الـظلم مَغْفِرَةً ... ومن إسـاءة أهـلِ الســوء إحسـانــا
كــأنّ ربَّــك لــم يَخْلُقْ لَخِشْيَتِـهِ ... سِـواهُمُو من جميـع النـاس إنسـانـا
فليت لي بهمُــو قــومــاً إذا رَكِبـوا ... شَنُّــوا الإغـارةَ فُــرْسـانــاً ورُكْبـانــا
لا يســألـون أخــاهُمْ حين ينـدُبُهُمْ ... في النـائبـات على مـا قـال بـرهـانـا
لكنْ يـطيـرون أشتــاتـاً إذا فَــزِعـوا ... وينفِــرون إلى الغــارات وُحــدانــا

---

(١) إشارة إلى دار له بالبصرة كان هدمها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وقيل: هدمها الحجاج وأحرقها.

(٢) هو قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري التميمي، شاعر جاهلي. وسبب قوله هـذه الأبيات المشهـورة أن بعض بني شيبـان أغاروا على إبله وأخـذوا ثـلاثين بعيـراً لـه فـاْستنجـد بقـومـه فلم ينجدوه، فاْستنجد ببني مازن فنهبوا من بني شيبان مئة بعير ودفعوها إليه. وهـذا الشعر من عيـون الشعر العـربي. أنظره في العقـد الفريـد (ج ٣ ص ١٦) وأنظر تـرجمـة قريظ في الأعـلام ج ٥ ص ١٩٥.

(٣) أبدى الشرُّ ناجذيه: مَثَلَ لشدّته وصولته لأن السبع إذا صال كشَّر عن أنيابه وكذا اللسـان إذا حمل على عدوِّه. وهو مثنى ناجذ، والجمع (أقصى الأضراس وهي أربعة).

وقال آخر: [مجزوء الكامل]

ولئِــنْ عَــمَــرْتُ لأشْــفِــيَــنْـ ـنَ آلنفْسَ من تلك الـمســاعي
وَلأعْــلِمَــنَّ الــبــطنَ أنْـ ـن آلـزاد لـيس بِمُـسْـتـطاعِ
أمّــا الـنــهــارُ فـرأيُ أصـ ـحـابـي بـمَـرْقَـبَـةٍ يَـفَـاع
أثــرُ الـشـجـاعِ بــهـا كَـسْـر دِ الـخَـرْزِ في سَـيْـرِ الـصَّنَـاع
تَـرِدُ الـسـبـاعُ مـعـي فـألـ ـفَى كـالمُـدِلِّ من السِّبـاعِ

وقال آخر: [بسيط]

إنَّـا مُحَيُّـونِ يـا سَلْمى فحيِّينـا وإنْ سَقَيْتِ كـرامَ الناس فـآسقيْنا
إنّـا لَنُرْخِصُ يـومَ الـرَّوْع أنْفُسَنَـا ولـو نُسـامُ بهـا في الأمْن أُغْلِينـا
بِـيضٌ مفـارِقُنـا تَغْلِي مـراجِلُنـا نَـأْسُـو بـأمـوالنـا آثـارَ أيـدينـا

وقال المَعْلُوط[1]: [وافر]

أَلَـم تَـرَني خُـلِقْتُ أخـا حـروبٍ إذا لـم أجْنُ كنتُ مِجَـنَّ جـانِـي؟

وقال آخر[2]: [طويل]

لعَمْـري لقـد نـادى بـأرفـعِ صـوتِـهِ نَعِيُّ سُـوَيـدٍ أنَّ فـارسَكُمْ هَـوَى
أَجِـلْ صادقـاً والقـائـلَ الفاعـلَ الذي إذا قـال قولاً أَنْبط[3] المـاءَ في الثرى
فَتىً قَبْـلُ لم تعنسِ الـسِّنُّ وَجْـهَـه سوى خُلْسةٍ في الرأسِ كالبرقِ في الدُّجَى[4]
أشـارتْ له الحـربُ العَوانُ فجـاءهـا يُـقَعْـقِـعُ بـالأقـراب أوّلَ من أتـى

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو سُوَيْد المراثد الحارثي كما في اللسان في مادة (عنس).

(٣) أنْبطَ المـاءَ في الثرى: جعـل الماء تنبـع من الأرض أي أستخرجهـا من الأرض، وهنا مبـالغة وغلو.

(٤) لم تعْنس: لم تغيّر. والخلْسة: من أخلس رأسه فهو مخلس ومخليس إذا أبيضّ بعضه فإذا غلب بياضه سوادهُ فهو أغثم.

ولم يَجْنِهـا لكنْ جنـاهـا وَلِيُّـهُ ... فـآسَى فـآداه فكـان كَـمَنْ جَنى

وقال بَشامَةُ[١]: [بسيط]

إنـا بني نَـهْشَـلٍ لا نَـدّعِي لأبٍ ... عنـه ولا هـو بـالأبنـاء يَشْـرِيْنـا

إنْ تُبْتَـدَرْ غـايَـةٌ يـومـاً لِمَكْـرُمـةٍ ... تَـلْقَ السـوابـقَ منـا والـمُصَلِّيْنـا

إنـا لَمِنْ معشرٍ أفـنى أوائـلَهـمْ ... قِيـلُ الكُمَـاةِ ألاَ أين المحـامـونـا

لـو كان في الألْف منـا واحدٌ فَدَعَوْا ... مَنْ فـارسٌ؟ خـالهمْ إيّـاه يَعْنُـونـا

وقال زهير[٢]: [بسيط]

يَـطْعَنُهُمْ ما ٱرتَمـوْا حتّى إذا ٱطَّعَنـوا ... ضَـارَبَ حتى إذا ما ضـاربـوا ٱعْتَنَقـا

وقالت ٱمرأة من كِنْدة: [طويل]

أَبَـوْا أنّ يَفِـرّوا وٱلقَنـا في نحـورهمْ ... ولم يَـرْتَقُوا من خَشْيـة الموت سُلّمـا

ولـوْ أنـهمْ فـرُّوا لـكـانـوا أعِـزَّةً ... ولكِنْ رَأَوْا صَبْـراً على الموت أكْـرما

وقال آخر: [طويل]

بني عَمِّنـا، رُدُّوا فُضُـولَ دمـائِنـا ... يَـنَمْ لَـيْلُكُـمْ، أوْ لا تَلُمْـنـا اللّوائـمُ

فـإنـا وإيـاكُمْ وإنْ طـال تَـرْكُكُمْ ... كَذِي الدَّيْنِ ينـأى ما نـأى وهو غـارم

وقال أبو سعيد المَخْزُوميّ[٣] وكان شجاعاً: [بسيط]

ومـا يـريـد بنـو الأعيـارِ من رجـلٍ ... بـالجمْرِ مُكْتَحِـلٍ بـالنَّبْـلِ مُشْتَمِـلِ

لا يشـرَبُ المـاءَ إلا من قَلِيـبِ دمٍ ... ولا يـبيْـتُ لـه جـارٌ عـلى وَجَـلِ

---

(١) هو بَشامَة بن عمرو بن هلال المري، جاهلي من شعراء المفضليات. الأعلام ج ٢ ص ٥٣.

(٢) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر المشهور.

(٣) كان أبو سعيد المخزومي دَعِيّاً في بني مخزوم. ولقد ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ١ ص ١١٩) ومعنى البيت الثاني: إنه شجاع لا يشرب إلاّ من دماء الأعداء، وأنه يحمي جاره من كل عدو لئيم.

وقال عبد القُدُّوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بَشِير: [طويل]

نَـدىً تَحْكُم الآمـالُ فيـه، ونجـدةٌ   تَحَكُّم في الأعـداء بـالأسْرِ والقتـلِ

وقال آخر: [طويل]

ضـربناكُمُـو حتى إذا قـام مَيْلكُمْ   ضـربْنا العِدَا عنكُمْ بأبيضَ صـارمِ

تمثَّل زيد بن علي يوم قُتِل بقول القائل: [متقارب]

أذُلُّ الـحيـاةِ وعِـزُّ الـممـاتِ   وكُـلَّاً أراه طـعـامـاً وَبِـيْـلا

فـإن كـان لا بُـدَّ مـن واحـدٍ   فسيـروا إلى المـوتِ سَيْـراً جميلا

وقال قَيْس[١] بن الخَطِيم: [رجز]

أبْـلَجُ لا يَـهُـمُّ بـالـفِـرارِ   قـد طابَ نفْسـاً بـدخـول النـارِ

وقال آخر[٢]: [وافر]

ومَـنْ تَكُـنِ الـحضـارةُ أعْـجَبَتْـهُ   فـأيَّ رجـالِ بـاديـةٍ تَـرَانـا

ومَـن رَبَط الجِـحَـاشَ فـإنَّ فينـا   قَنـاً سُلُبـاً وأفـراسـاً حِسَـانـا

وكـنَّ إذا أغَـرْنَ عـلى قـبيـلٍ   فـأعْـوَزَهُـنَّ كـونٌ حيث كـانـا

أغـرْنَ من الضِّبـاب على حِـلَالٍ[٣]   وضَـبَّـةَ إنـه مَـنْ حـانَ حـانـا

وأحـيـانـاً نَكِـرُّ عـلى أخيْـنـا   إذا مـا لـم نـجِـدْ إلَّا أخـانـا

وقال الخَنْساء[٤]: [متقارب]

تَعَـرَّقنـي الـدهـرُ نَهساً وحَـزّاً   وأوْجَعَني الـدهـرُ قَـرْعـاً وغَمْـزا

وأفْـنـي رجـالـي فبـادُوا مـعـاً   فـأصبـحَ قلبيْ بـهـمْ مستَـفـزّا

---

(١) وردت ترجمته سابقاً.

(٢) هو عُمَيْر القطاعي، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٣ من هذا الجزء.

(٣) الحِلالُ: ج حِلَّة وهي القوم النُّزُوْل.

(٤) هي الشاعرة الشهيرة أخت صخر.

ومن ظنَّ ممّن يلاقي الحروبَ ... بأنْ لا يصاب فقد ظنَّ عجزْا

وفيها[١] تقول: [متقارب]

وَنَلْبَسُ للحرب أثوابَهَا ... ونَلْبَسُ في الأمن خَزّاً وقَزَّا

وهذا كقولهم: إلْبَسْ لكل حالة لَبُوسَها.

وقال عبد الله بن سَبْرة الحَرَشي[٢] حين قُطعت يده: [بسيط]

وَيلُمِّ[٣] جارٍ غداةَ الجَسْرِ فارقني ... أعزِزْ عليَّ به إذ بانَ فانصدَعا

يُمنَى يديَّ غدت منّي مفارقةً ... لم أستطع يومَ خِلْطاس لها تبعا

وما ضَنَنْتُ عليها أنْ أصاحبها ... لقد حَرَصْتُ على أن نستريح معا

وقائلٍ غاب عن شأني وقائلةٍ ... ألَا اجتنبْتَ عدوَّ الله إذ صُرِعا

وكيف أتركه يمشي بمُنْصلِهِ ... نحوي وأجْبُنُ عنه بعدما وقعا

ما كان ذلك يوم الرَّوْع من خُلُقي ... وإن تقارب مني الموتُ واكتَنَعا

وَيْلُمِّهِ فارساً ولَّتْ كتيْبَتُه ... حَامَى وقد ضيَّعُوا الأحسابَ فارتجعا

يمشي إلى مُستميْت مثله بَطَل ... حتى إذا مَكَّنا سيفيْهما امْتَصَعا

كلٌّ ينوءُ بماضي الحَدِّ ذي شُطَبٍ ... جَلَّى الصَّياقِلُ عن دُرِّيِّهِ[٤] الطَّبَعَا

حاسَيْتُهُ الموتَ حتى اشتفَّ آخرَه ... فما استكان لِما لاقَى وما جَزِعا

كأنّ لِمَّتَه هُدَّابُ مُخْمَلةٍ ... أحمُّ[٥] أزرقُ لم يَشْمَطْ وقد صَلِعا

فإن يَكُنْ أطْرَبُون الرومِ قطَّعَها ... فقد تركْتُ بها أوصاله قِطَعا

وإنْ يكن أطْرَبُونُ الرومِ قطّعها ... فإنَّ فيها بحمد الله مُنتَفَعَا

---

(١) أي تقول في الحرب على نفس وزن وقافية الأبيات السابقة.

(٢) عبد الله بن سَبْرة الحَرَشي هو الذي قطع يده أطر بانوس الرومي.

(٣) وَيْلُمِّ جارٍ: وَيْلُ أمِّ جارٍ.

(٤) عن دُرِّيِّه: عن تلألئه وإشراقه.

(٥)) الأحَمُّ: ما كان لونه بين الدُّهْمة والكُمْتَة.

بَنـانَتَـانِ وجُـذْمُـورٌ[١] أُقَيْمُ بـهـا   صَـدْرَ القناةِ إذا مـا آنسوا فَـزَعـا

وقال بعض الشعراء: [رجز]

إنَّ لـنـا مِـنْ قـومـنـا نـاصـرةً   بِيْضَ الـظُّبا سُمْـرَ القَنَا شُهْبَ اللِّمَمْ

يستنفـرون المـوتَ من مَجْثِـمِـهِ   ويبعثـون الحـربَ مِنْ عَقْـدِ السَّلَمْ

أُوْلَاكَ قـيسُ قـومُـنـا أكْـرِمْ بـهـم   قيسُ النَّدى قيس العُلا قيْسُ الكَـرَمْ

وقال جعفر[٢] بن عُلْبة الحارثي: [طويل]

لِيَهْنِ عُقَيـلا أنّني قـد تـركْتُهـا[٣]   يَنُـوْءُ بقَتْلاهـا الـذِّئـابُ الهَـوَامـل

لهمْ صَـدْرُ سيفي يومَ بُـرْقَـةَ سَحْبَـلٍ   ولي منـهِ مـا ضُمَّتْ عليـه الأنـامـل

إذا القـومُ سـدُّوا مـأزقـاً فـرَّجَتْ لنا   بـأيْمـانـنـا بِيْضٌ جَلَتْهـا الصَّيَـاقـل

وقال عمرو[٤] بن مَعْدِ يكرِب: [وافر]

أعـاذِلَ، شِكَّـتِي بَـزِّي ورُمْـحـي   وكـلُّ مُـقَـلَّصٍ سَـلِسِ الـقـيـادِ

أعـاذِلَ، إنـمـا أفْـنـى شـبـابـي   ركـوبٌ في الصَّـريـخ إلى المنادي

وقال أبو دُلَف[٥]: [متقارب]

لـقـد عَـلِـمَـتْ وائـلُ أنـنـا   نخـوضُ الحُتُـوفَ غَـداة الحتـوفِ

ولا نَـتَّـقِـيْـهـا بـزَحْـفِ الـفـرار   إذا مـا الصفـوف آنبـرتْ للصفـوفِ

---

(١) الجُذْمُوْر: ما بقي من يده بعد قطعها.

(٢) جعفر بن عُلْبة الحارثي شاعر غزل من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ومن شعراء «الحماسة» لأبي تمام. توفي سنة ١٤٥ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٢٥.

(٣) الهاء في «تركتها» تعود إلى قبيلة عقيل.

(٤) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٢٧ من هذا الجزء.

(٥) أبو دُلَف هو القاسم بن عيسى، من بني عِجْل، أمير الكَرْخ وسيد قومه وأحد الشجعان الأجواد الشعراء. توفي سنة ٢٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٧٩. وذكر في معجم الشعراء ص ٣٣٤ أنه أديب شاعر قلَّده الرشيد أعمال الجبل فليم يزل عليها إلى أن توفي سنة ٢٢٥ هـ.

ويومَ أفاءتْ لنا خيلُنا ... لدى جبل الدَّيْلَمي المُنْيفِ
طِوالَ الفتى بطوال القَنَا ... وبيضَ الوجوه ببيضِ السيوفِ
وكلَّ حَصَانٍ بكل حِصَان ... أمينٍ شَظَاه سليمُ الوَظِيف
أَلاَ نَعِّماني فما نِعْمتي ... بِرَادِعتي عن ركوب المَخُوْفِ
ليَ الصبرُ عند حلول البَلا ... إذا نَزَلَتْ بِيَ إحدى الصُّروف
وإنْ تسألي تُخْبري أنني ... أَقي حَسَبي بأُلوف الألوف
وأحْلُمُ حتى يقولوا ضعيفٌ ... وما أنا قد علموا بالضعيف
خفيفٌ على فَرَسي ما ركبْتُ ... ولسْتُ على ظالمي بالخفيف

باب الحِيَلِ في الحروب وغيرها

قال ابن إسحاق: لما خرج رسول الله، ﷺ، إلى بدر، مرَّ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن محمد وقريش وما بلغه من خبر الفريقين. فقال الشيخ: لا أخبركم حتى تخبروني ممن أنتم. فقال رسول الله، ﷺ: «إذا أخْبَرتْنَا أخبرناك». فقال الشيخ: خُبِّرْتُ أن قريشاً خرجَتْ من مكةَ وقت كذا، فإن كان الذي خبَّرني صدَق فهي اليوم بمكان كذا، للموضع الذي به قريش. وخُبِّرتُ أنَّ محمداً خرج من المدينة وقت كذا، فإن كان الذي خبَّرني صدَق فهو اليومَ بمكان كذا، للموضع الذي به رسول الله ﷺ. ثم قال: منْ أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف. فجعل الشيخ يقول: نحن من ماء! من ماء العراق أو ماء كذا أو ماء كذا!.

حدّثني سهل بن محمد قال: حدثني الأصمعي قال: حدَّثني شيخ من بني العنبر قال: أَسَرَتْ بنو شَيْبان رجلاً من بني العنبر فقال لهم: أرسلَ إليَّ أهلي ليَفْتدوني. قالوا: ولا تكلِّم الرسولَ إلا بين أيدينا. فجاءوه برسول فقال

له: إئتِ قومي فقل لهم: إن الشجر قد أورق وإن النساء قد آشتكت. ثم قال له: أتعقل ما أقول لك؟ قال: نعم أعقل. قال: فما هذا؟ وأشار بيده. قال: هذا الليل. قال: أراك تعقل. إنطلقْ لأهلي فقل لهم: عرُّوا جملي الأَصْهَبَ وآركبوا ناقتي الحمراء وسَلُوا حارثاً عن أمري. فأتاهم الرسول فأخبرهم، فأرسلوا إلى حارث فقصّ عليه القصة، فلما خلا معهم قال لهم: أمَّا قوله: «إن الشجر قد أورق» فإنه يريد أن القوم قد تسلّحوا. وقوله: «إن النساء قد آشتكت» فإنه يريد أنها قد آتخذت الشِّكَاء[1] للغَزْو، وهي أسقية، ويقال للسقاء الصغير شَكْوة. وقوله: «هذا الليل» يريد أنهم يأتونكم مثلَ الليل أو في الليل. وقوله: «عرُّوا جملي الأصهب» يريد آرتحلوا عن الصَّمَّان. وقوله: «اركبوا ناقتي الحمراء» يريد آركبوا الدَّهْناء. قال: فلما قال لهم ذلك تحوّلوا من مكانهم، فأتاهم القوم فلم يجدوا منهم أحداً.

أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبدَ الله بن عباس لما قدم البصرة فقال: ائتِ الزبَير ولا تأتِ طلحةَ فإنَّ الزبَير أَلْينُ وأنت تجد طلحة كالثور عاقصاً قَرْنه، يركب الصعوبة ويقول هي أسهل، فَأَقْرِئْهِ السلامَ وقلْ له يقول لك آبن خالك: عَرَفْتَني بالحجاز وأنكرْتني بالعراق، فما عَدَا ممّا بَدَا؟ قال آبن عباس: فأتيته فأبلغته. فقال قل له: بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة، وآجتماع ثلاثة وآنفراد واحد، وأمٌّ مبرورة، ومشاورة العشرة، ونشر المصاحف، نحلُّ ما أحلَلْتَ ونحرِّم ما حرمت.

الهيثم بن عدي قال: مرَّ شبيبٌ الخارجي على غلام في الفرات يستنقع في الماء فقال له شبيب: أخرجْ إليَّ أسائلك. قال: فأنا آمن حتى ألبس ثوبي؟ قال: نعمْ. قال: فوالله لا ألبسه.

---

(١) الشَّكاءُ: المرض.

قال الهيثم: أراد عمر رحمه الله قَتْلَ الهُرْمُزان. فاستسقى فأُتي بماء فأمسكه بيده واضطرب، فقال له عمر: لا بأس عليك، إني غير قاتلك حتى تشربه. فألقى القدح من يده وأمر عُمَرُ بقتله، فقال: أو لم تؤمِّني؟ قال: كيف آمنتك؟ قال: قلت: لا بأسَ عليك حتى تشرَبه، ولا بأس أمان، وأنا لم أشربه. فقال عمر: قاتله الله! أخذ أماناً ولم نشعر به. قال أصحاب رسول الله، ﷺ: صدق.

العُتبيّ: بعث يزيد بن معاوية عبيد الله بن عِضاه الأشعري إلى ابنِ الزبير فقال له: إنَّ أوّل أمرِك كان حسناً فلا تفسده بآخره. فقال ابن الزبير: إنه ليست في عنقي بيعةٌ ليزيد. فقال عبيد الله: يا معشرَ قريش، قد سمعتم ما قال، وقد بايعتم، وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة.

المدائني قال: أقبلَ واصلُ بنُ عطاء في رُفْقة فلقيهم ناس من الخوارج فقالوا لهم: مَن أنتم؟ قال لهم واصل: مستجيرون حتى نسمع كلام الله، فأعرِضوا علينا، فعرضوا عليهم فقال واصل: قد قبلنا. قالوا: فامْضُوا راشدين. قال واصل: ما ذلك لكم حتى تُبْلِغونا مَأْمَننا. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[1] فأبلغونا مأمننا. فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنَهم.

وقال معاوية: لا ينبغي أن يكون الهاشميُّ غيرَ جواد ولا الأمويُّ غيرَ حليمٍ ولا الزُّبيريُّ غيرَ شجاع ولا المَخْزوميُّ غيرَ تَيَّاه. فبلغ ذلك الحسنَ بنَ علي فقال: قاتَلَهُ اللهُ! أراد أن يجودَ بنو هاشم فينفَدَ ما بأيديهم، ويحلُم بنو

(١) سورة الأنفال ٨، آية ٦. أي إذا طلب المشرك، الذي يحلُّ قتله، أماناً من أي مسلم فعليه أن يجيره ويعطيه الأمان على نفسه وماله ثم يدعوه إلى الإسلام بالحكمة وطرق الإقناع، فإن أسلم فذاك وإلّا فعلى المسلم أن يوصله إلى مكان يأمن فيه على نفسه. التفسير المبين.

أميـة فيتحبّبـوا إلى النـاس، ويتشجّـع آلُ الـزبيـر فيفنَـوْا، ويَتِيـه بنـو مخـزومٍ فيبغضَهُم الناس.

حـدّثني أبـو حـاتم عن الأصمعي عن عيسى بنِ عمـر قـال: استقبـل الخوارجُ بن عِرْبَاض اليهودي وهم بِحَرُوْرَى [1] فقال: هل خرج إليكم في اليهود شيء؟ قالوا: لا. قال: فأمضُوا راشدين.

المـدائني قال: لمـا بلغ قتيبـةَ بنَ مسلمٍ أنَّ سليمـانَ يـريـد عـزلـه عن خراسانَ وآستعمال يزيد بن المهلّب كتب إليه ثلاثـة صحائفَ، وقـال للرسول: إدفعْ إليه هذه، فإنْ دَفَعَها إلى يزيدَ فآدفعْ إليه هـذه، فإنْ شَتَمَني عنـد قراءتهـا فآدفعْ إليه الثالثة. فلما صار إليه الرسول دفع إليه الكتـاب الأوّل وفيه: يـا أميرَ المؤمنين، إنّ من بلائي في طاعة أبيك وطـاعتك وطـاعة أخيـك كيتَ وكيت. فدفع كتابه إلى يزيدَ فـأعطاه الـرسول الكتـاب الثاني وفيـه: يا أميـر المؤمنين، تـأمنُ آبنَ دَحْمَة على أسـرارك ولم يكن أبوه يـأمنـه على أمهـات أولاده! فشتم قتيبةُ، فدفع إليه الرسول الكتاب الثالث وفيـه: منْ قتيبةَ بن مسلم إلى سليمـانَ آبنِ عبد الملك، سلامٌ على مَن اتّبع الهدى أما بعد، فوالله لأُوَثِّقَنَّ لك آخِيَّةً [2] لا ينزعها المهر الأَرِنُ [3]. قال سليمان: عجّلنا على قتيبـة. يا غـلامُ، جدِّدْ لـه عهدَه على خراسان.

لما صرف أهـلُ مِزّةَ المـاء عن أهل دمشقَ ووجهـوه إلى الصحارَى كتب

(١) حَرُوْراء وحَرُوْرَى: قـرية بنـاحية الكـوفة تنسبُ إليهـا الحَرُوْرِيَّـة من الخوارج؛ لأنـه كان أول آجتمـاعهم بها وتحكيمهم حـين خالفـوا علياً رضي الله عنـه. وفيـات الأعيـان ج ٢ ص ٤٥٨ ولسـان العرب مادة (حرر).

(٢) الآخيّة: عود في حبل يُدْفَنُ طرفاه في الأرض ويُبْرَز طرفه كالحلقـة تُشَدُّ فيهـا الدابـة، والجمع أخايا وأَوَاخيّ.

(٣) الأَرِنُ: النشيط.

إليهم أبـو الهِنْدام: إلى بني آستهـا أهـلِ مـزّة، ليمسِّيني المـاءُ أو لتصبِّحنكم الخيل. فوافاهم الماء قبل أن يُعْتِموا فقال أبو الهندام: «الصدق يُنْبي عنـك لا الوعيد».

ولمـا بايـع الناسُ يـزيدَ بنَ الـوليدِ أتـاه الخبـر عن مـروانَ ببعض التلكؤ والتربص، فكتب إليه يزيد: أمَّا بعدُ، فإني أراك تقدّم رِجْلاً وتؤخر أخـرى فإذا أتاك كتابي هذا فآعتمدْ على أيتهما شئْتَ، والسلام.

ولما هُزِم أميةُ بنُ عبد الله بن خالد بن أَسِيد لم يَدْرِ الناسُ كيف يُعزُّونه، فدخل عليـه عبد الله بنُ الأَهْتم فقـال: مرحبـاً بالصـابر المخـذول، الحمد لله الذي نَظَر لنا عليك ولم ينظُر لك علينا، فقد تعـرَّضْتُ للشهادة بجهـدك إلاَّ أنَّ الله علم حاجة الإسـلام إليك فـأبقاك لـه بخذلان مَنْ كـان معك لـك. فصدر الناس عن كلامه.

وكتب الحارث بنُ خالد المخزومي - وكان عامـلَ يزيـد بن معاويـة على مكة - إلى مسلم بن عُقْبة المُرّيّ، فأتاه الكتاب وهو بآخر رمق، وفي الكتاب: أصلحَ الله الأميرَ، إنَّ آبنَ الزبير أتاني بمـا لا قِبَل لي بـه فآنحـزْتُ. فقال: يـا غلامَ أكتب إليه: أمّا بعدُ، فقد أتاني كتابك تذكر أنَّ آبن الزبير أتاك بما لا قبل لك به فانحزت. وَآيْمِ الله ما أبالي على أيّ جنبيك سقطت إلا أن شرهما لك أحبّهما إليّ، وبالله لئن بقيتُ لك لأُنزلنّك حيث أنزلْتَ نفسك والسلام.

أبو حاتم قال: حدّثنا العتبي قال: حدّثنا إبراهيم قال: لمـا أسنّ معاويـة آعتراه أَرقٌ فكان إذا هَوَّم أيقظَتْهُ نواقيسُ الروم، فلما أصبـح يومـاً ودخل عليـه الناس قال: يا معشرَ العرب، هل فيكم فتى يفعل ما آمره وأعطيه ثلاث دِيَـات أُعَجِّلها له وديتين إذا رجـع؟ فقام فتى من غَسّـان فقال: أنـا يا أميـر المؤمنين.

قال: تذهب بكتابي إلى ملك الروم، فإذا صِرْتَ على بساطه أذَّنْتَ. قال: ثم ماذا؟ قال: فقط. فقال: لقد كلَّفْتَ صغيراً وآتيْتَ كبيراً. فكتب له وخرج، فلما صار على بساط قيصر أذّن، فتناجزتِ البطارقةُ واخترطوا سيوفَهم فسبق إليه ملكُ الروم فجثا عليه وجعل يسألهم بحق عيسى وبحقهم عليه لمّا كفّوا، ثم ذهب به حتى صعد على سريره ثم جعله بين رجليه، ثم قال: يا معشر البطارقة، إن معاوية رجل قد أسنّ وقد أُرِق وقد آذَتْهُ النواقيس، فأراد أن نقتل هذا على الأذان فيقتل مَنْ قِبَلَه منّا ببلاده على النواقيس، والله ليرجعَنَّ إليه بخلاف ما ظنَّ. فكساه وحمله فلما رَجَعَ إلى معاوية قال: أَوَقَدْ جئتني سالماً؟ قال: نعم، أمّا من قِبَلِك فلا.

وكان يقال: ما ولي المسلمين أحدٌ إلا ملَك الرومَ مثلُه إنْ حازماً وإن عاجزاً. وكان الذي ملَكهم على عهد عمر هو الذي دوّن لهم الدواوين ودوّخ لهم العدوّ، وكان ملكُهُم على عهد معاوية يشبه معاوية في حزمه وحلمه. وبهذا الإسناد قال: كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض العرب وتأتي من قِبَلهم الدنانير، وكان عبد الملك أوّل من كتب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] وذكر النبي، ﷺ، في الطَّوَامير[2]، فكتب إليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم نكرهه فَٱنْهَ عنه وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذِكْرِهِ ما تكرهون. فكَبُرَ ذلك في صدر عبد الملك وكره أن يدَع شيئاً من ذكر الله قد كان أمر به أو يأتيه في الدنانير من ذكر الرسول، ﷺ، ما يكره، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال: يا أبا هاشم، إحدى بناتِ طَبَق[3]، وأخبره

(١) سورة الإخلاص ١١٣، آية ١.
(٢) الطوامير: ج طُوْمار أي الصحيفة.
(٣) بناتُ طَبَق: الدّواهي.

الخبر. فقال: لِيُفْرِخ رُوعُكَ، حَرِّمْ دنانيرهم وآضرب للناس سِكَكاً ولا تُعْفِهِمْ مما يكرهون. فقال عبد الملك: فرّجْتَها عنّي فرّج الله عنك.

حدّثنا الرياشيّ قال: لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة دمشق كتب إليه ملكُ الروم: إنك قد هدمْتَ الكنيسة التي رأى أبوك تَرْكَها فإن كان حقاً فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلاً فقد خالفْته. فكتب إليه الوليد: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾[1] إلى آخر القصة.

حدّثنا الزيادي محمد بن زياد قال: حدّثنا عبد الوارث بن سعيد قال: حدّثنا عليّ بن زيد عن يوسف بن مهران عن آبن عباس قال: كتب قيصر إلى معاوية: سلام عليك، أمّا بعد، فَأَنْبِئْني بأحبِّ كلمة إلى الله وثانية وثالثة ورابعة وخامسة، ومَنْ أَكْرَمُ عباده إليه وأكرم إمائه، وعن أربعة أشياء فيهنَّ الروحُ لم يَرْتكضْنَ في رحم، وعن قبرٍ يسيرُ بصاحبه ومكان في الأرض لم تصبْهُ آلشمسُ إلا مرة واحدة، والمجرَّة ما موضعها من السماء، وقوس قُزَح وما بَدْءُ أَمْرِه؟. فلما قرأ كتابه قال: اللهم آلعَنْهُ! ما أدري ما هذا!. فأرسل إليّ يسألني فقلت: أمّا أحَبُّ كلمة إلى الله فلا إله إلا الله لا يقبل عملاً إلا بها وهي المنجية، والثانية سبحان الله وهي صلاة الخلق، والثالثة الحمد لله كلمة الشكر، والرابعة الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود، والخامسة لا حول ولا قوّة إلا بالله. وأمّا أكْرَمُ عباد الله إليه فآدمُ خَلَقَهُ بيده وعلّمه الأسماء كلّها، وأكرم إمائه عليه مريم التي أحْصَنَتْ فَرْجها. والأربعة التي فيهنّ روح ولم يرتكضن في رحم فآدم وحوّاء وعصا موسى والكبش. والموضع الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين آنفلق لموسى وبني إسرائيل. والقبر الذي سار بصاحبه فبطن الحوت الذي كان فيه يونس.

(١) سورة الأنبياء ٢١، آية ٧٨. في الحَرْث: أي في الزَّرْع.

أبو حاتم عن العتبيّ عن أبيه قال: قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر فأقعدهما بين يديه وجعل يسألهما عن أعمالهما إلى أن اعترض عمرو في حديث معاوية، فقال له معاوية: أعليّ تعيب وإليّ تقصد؟ هلُمّ حتى أخبر أمير المؤمنين عن عملك وتخبره عن عملي. قال عمرو: فعلمت أنه بعملي أبصر مني بعمله وأنّ عُمَرَ لا يدَعُ أوّل هذا الحديث حتى يأتي على آخره، فأردْتُ أن أفعل شيئاً أقطع به ذلك فرفعْتُ يدي فلطمْتُ معاوية، فقال عمر: تالله ما رأيت رجلاً أسْفَهَ منك، يا معاوية إلطُمْهُ. فقال معاوية: إنّ لي أميراً لا أقضي الأمور دونه. فأرسل عمر إلى أبي سفيان فلما رآه ألقى له وِسَاده ثم قال معتذراً: قال رسول الله، ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ثم قصَّ عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال: ألهذا بعثت إليّ؟ أخوه وابن عمه وقد أتى غيرَ كبير، قد وهبت له ذلك.

أبو حاتم عن الأصمعي عن نافع قال: ذكر بِشْر بن أَرْطاة علياً فنال منه فضرب زيد بن عمر - وأمّه ابنة عليّ بن أبي طالب - على رأسه بعصا فشجّه فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى زيد بن عمر: أتدري ما صنعت؟ وَثَبْتَ على بِشْر ابن أرْطاة وهو شيخ أهل الشام فضربْتَ رأسه بعصا، لقد أتيْتَ عظيماً. ثم بعث إلى بِشْر فقال: أتدري ما صنعْتَ؟ وثبْتَ على ابن الفاروق وابن علي بن أبي طالب تسبّه وسط الناس وتزدريْه، لقد أتيْتَ عظيماً. ثم بعث إلى هذا بشيء وإلى هذا بشيء.

المدائني قال: كان ابن المقفع محبوساً في خَراج كان عليه وكان يُعَذَّب، فما طال ذلك وخشي على نفسه تعيَّن[1] من صاحب العذاب مائة ألف درهم فكان بعد ذلك يرفق به إبقاء على ماله.

---

(١) تعيَّن: أخذ؛ عيّن التاجرُ وتعَيَّن: أخذ، والعَيْن والعينة: الرِّبا.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال المختار: أدعوا إليَّ المهديّ محمد بن الحَنَفِية: فلما خشي أن يجيء قال: أَمَا إنَّ فيه علامة لا تخفى، يضربه رجل بالسيف ضربة لا تعمل فيه. قال الأصمعي عرَّضه لأن نجرب به.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عَوَانة بن الحَكَم الكلبي قال: ولّى عليّ، رضي الله عنه، الأشترَ مصرَ فلما بلغ العريشَ أتى بطُرَا مصر فقال له مولىً لعثمان: (وكان يقول: أنا مولى لآل عمر): هل لك في شربة من سَوِيْق أَجْدَحُها[1] لك؟ قال: نعم. فجدَح له بعسل وجعل فيها سمّاً قاضياً فلما شربها يبس، فقال معاوية لما بلغه الخبر: يا بردَها على الكبد! «إنّ لله جنوداً منها العسل». وقال عليّ: «لليدين وللفم».

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي عن آبن أبي الزِّناد قال: نظر عليٌّ إلى وُلْد عثمان كأنهم مستوحِشُون فسألهم فقالوا: نُرْمى بالليل، فقال: من أين يأتيكم الرَّميْ؟ قالوا: من ههنا. فصعد عليّ ولفَّ رأسه ثم جعل يَرْمي وقال: إذا عاد فآفعلوا مثل هذا فآنقطع الرمي. قال محمد بن كعب القُرَظيّ: جاء رجلٌ إلى سليمان النبي عليه السلام فقال يا نبيَّ الله: إنَّ لي جيراناً سرقوا إوزَّتي فنادى: الصلاةَ جامعةً. ثم خطبهم فقال في خطبته: وأحدكم يسرق إوزَّةَ جارِهِ ثم يدخل المسجدَ والريشُ على رأسه! فمسح رجلٌ على رأسه، فقال سليمان: خذوه فهو صاحبكم.

أخذ الحكمُ بنُ أيوب الثَّقفي عاملُ الحجاج إياسَ بن معاوية في ظِنّة[2] الخوارج، فقال له الحكم: إنك خارجي منافق وشَتَمَهُ، ثم قال: ائتني بمَنْ يكفل بك. قال: ما أجد أحداً أعرف بي منك. قال: وما علمي بك وأنا من

---

(١) السَّوِيْقُ: الخمر. وجَدَحَ السويق: خلطها.

(٢) الظِّنَّة: التهمة.

أهل الشام وأنت من أهل العراق. قال إياس: ففيم هذه الشهادة منذُ اليوم. فضحك وخلَّى سبيله.

دخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زُبَيْرِيّاً، فقال له عبد الملك: أليس قد ردّك الله على عقبيك؟ قال: ومن رُدَّ عليك فقد رُدَّ على عقبيه؟ فسكت عبد الملك وعلم أنه قد أخطأ.

وكان رجل من النصارى يختلف إلى الضَّحَّاك بن مُزَاحِم فقال له يوماً: لو أسلمت! قال: يمنعني من ذلك حبِّي للخمر. قال فأسلِمْ وآشربها. فأسلم، فقال له الضحاك: إنك قد أسلمت فإن شربْتَ الخمر حددْناكَ وإن رَجَعْتَ عن الإسلام قتلناك. فحسن إسلامه.

دخلتْ أمّ أَفْعى العَبْدية على عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أمَّ المؤمنين، ما تقولين في آمرأة قتلت آبناً لها صغيراً؟ قالت: وَجَبَتْ لها النار. قالت: فما تقولين في آمرأة قتلتْ من أولادها الأكابر عشرين ألفاً؟ قالت: خذوا بيد عدوّة الله.

العتبيّ قال: كتب يزيد بن معاوية إلى المدينة: أمّا بعد، «فإنّ الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم»[1] وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال. إني والله قد لَبِسْتُكُم فأَخْلَقْتُكم ورَقَعْتُ بكم فآخترقْتُكم ثم وضعتكم على رأسي ثم على عيني ثم على فمي ثم على بطني. وَآيْم الله لئن وضعْتُكُم تحت قدمي لأَطَأَنَّكُم وَطْأة أُقِلُّ بها عددكم وأُذِلُّ غابركم[2] وأتركم

(١) هذا القول مأخوذ من قول الله عزّ وجلّ: (ذلك بأن الله لم يَكُ مُغَيِّراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يغيِّروا وأنّ الله سميع عليم) سورة الأنفال ٨، آية ٥٣.

(٢) غابركم: ماضيكم.

أحاديث تُنْسَخُ بها أخبارُكُم مع أخبار عاد وثمود. ثم تمثّل: [وافر]

لعل الحلمَ دلَّ عليَّ قومي ... وقد يُستضعفُ الرجلُ الحليمُ
ومارسْتُ الرجالَ ومارسوني ... فمُعْوَجٌّ عليّ ومستقيم

أبو حاتم قال: حدّثنا أبو عبيدة قال: أُخِذَ سُرَاقة[1] بن مِرْداس البارقيّ أسيراً يوم جَبَّانة[2] السُّبَيْع، فَقَدِمَ في الأسرى فقال: [رجز]

أمْنُنْ عليَّ اليومَ يا خيرَ مَعَدّ ... وخيرَ مَنْ حلَّ بصحراء الجَنَدْ
وخيرَ مَنْ لبّى وصلّى وسَجَدْ[3]

فعفا عنه المختار ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث عليه فجيء بسُراقة أسيراً فقال له المختار: ألم أَعْفُ عنك؟ أما والله لأقْتلَنَّك. قال: إنَّ أبي أخبرني أن الشام ستُفتح لك حتى تهدم مدينة دِمَشق حجراً حجراً وأنا معك فوالله لا تقتلْني. ثم أنشده: [وافر]

ألا أبلغْ أبا إسحاقَ أنّا ... نَزَوْنا نَزْوَةً كانت علَيْنا
خَرَجْنا لا نرى الضَّعْفاءَ شيْئاً ... وكان خروْجُنا بَطَراً وحَيْنا[4]
نراهُمْ في مَصَفِّهمو قليلاً ... وهُمْ مثلُ الدَّبَا لمَّا ٱلتقينا
فأسْجِحْ إنْ مَلَكْتَ فلو قَدِرْنا ... لجُرْنا في الحكومة وٱعتدَيْنا
تَقَبَّلْ توبةً مني فإني ... سأشكرُ إنْ جَعَلْتَ النَّقْدَ دَيْنا

فخلّى سبيله ثم خرج إسحاق عليه ومعه سُراقة فأُخِذ أسيراً فقال: الحمد لله الذي أمكنني منك يا عدوَّ الله، فقال سُراقة: ما هؤلاء الذين أخذوني! فأين

---

(١) سُراقة بن مُرْداس البارقي شاعر عراقي، كان ممن قاتل المختار الثقفي سنة ٦٦ هـ. بالكوفة فأسره أصحاب المختار وحملوه إليه فأمر بإطلاقه. توفي سنة ٧٩ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٨٠.

(٢) جَبّانة السُّبَيْع بالكوفة، وكان بها يومٌ للمختار الثقفي. معجم البلدان.

(٣) في هذا الشعر يخاطب المختارَ الثقفي.

(٤) الحَيْنُ: الهلاك.

هم؟ لا أراهم! إنا لما ٱلتقيْنا رأيْنا قوماً عليهم ثياب بيض على خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض. فقال المختار: خلُّوا سبيله ليخبر الناس. ثم عاد لقتاله وقال: [وافر]

ألا مَنْ مُخْبِرُ ٱلمختارَ عنِّي بأنَّ البُلْقَ بضٌ مُصْمتاتُ[١]

أُرِي عينيَّ ما لم تَرْأياه كلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ

كفرْتُ بدينكُمْ وجعلْتُ نذْراً عليَّ قتالَكُمْ حتى المماتِ[٢]

خرج المغيرة بن شعبة مع النبيّ ﷺ في بعض غزواته وكان له عَنَزة[٣] يتوكأ عليها فربما أثقلَتْه فيرمي بها قارعةَ الطريق فيمرَّ بها المارّ فيأخذها، فإذا صار إلى المنزل عَرَفَها فأخذها المغيرة ففطن له عليّ رضي الله عنه فقال: لأخبرنَّ النبي ﷺ، فقال: لئنْ أخبرْتَه لا تُردُّ بعدها ضالةٌ أبداً. فأمسك عليّ.

بابٌ من أخبار الدولة والمنصور والطالبيين

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدثنا أبو أُسَامة عن زائدة عن سِمَاك عن سعيد بن جُبير عن ٱبن عباس أنه كان إذا سمعهم يقولون: يكون في هذه الأمّة ٱثنا عشر خليفة، قال: ما أحمقكم! إنَّ بَعْد الاثني عشر ثلاثة منا: السفاح والمنصور والمهدي يسلمها إلى الدجّال. قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أن وُلْدَ المهديّ يكونون بعده إلى خروج الدجّال.

---

(١) المُصْمتات: أي لا يخالط لونها لونٌ آخر، أي أن بياضها خالص لا يشوبه لون آخر.

(٢) أقوى الشاعرُ هنا في قافية البيت الأول حيث جاء الروى تاء مضمومة بينما جاء في البيتين تاء مكسورة. ولا إقواء فيما ذكره في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٠ ـ ١٧١):

ألَا أبلغْ أبا إسحاق أني رأيْتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمتاتِ

أي أن الدُّهْمة خالصة لا يشوبها لون آخر.

(٣) العَنَزَةُ: شبيْهُ العكّازة أطول من العصا وأقصر من الرمح ولها زَجٌّ من أسفلها، والجمع عَنَزٌ وعَنَزات.

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة حين آختارهم للدعوة وأراد توجيههم: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة عليّ بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانيّة تدين بالكفّ وتقول: كُنْ عبد الله المقتول ولا تَكُنْ عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحَرُورية مارقة وأعراب كأعْلاج ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوةً لنا راسخةً وجهلاً متراكماً. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدوراً سليمة وقلوباً فارغة لم تتقسَّمْها الأهواء ولم تتوزَّعْها النِّحَل ولم تَشْغَلْها ديانةٌ ولم يتقدَّم فيها فساد وليست لهم اليوم همم العرب ولا فيهم كتَحَازُب الأتباع بالسادات وكتحالف القبائل وعصبيّة العشائر، ولم يزالوا يذالون ويُمتهنون ويُظلمون ويَكظمون ويتمنّون الفرج ويؤمّلون الدول وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل وهامات ولِحىً وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أفواه منكرة، وبعدُ فكأني أتفاَّلُ إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق.

وقال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي: كنت مع مروان بن محمد بالزّاب فقال لي: يا سعيد، من هذا الذي يقابلني؟ قلت: عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عباس. قال: أعرفه؟ قلت: نعم، أما تعرف رجلاً دخل عليك حسن الوجه مصفرّاً رقيق الذراعين حسن اللسان فوقع في عبد الله بن معاوية؟ فقال: بلى قد عرفته والله، يآبن جعدة، ليت عليّ بن أبي طالب في الخيل يقابلني. إنّ عليّاً وأولاده لا حظّ لهم في هذا الأمر، وهذا رجل من بني العباس ومعه ريح خراسان ونصر الشام، يآبن جعدة أتدري لم عَقَدْتُ لعبد الله ولعبيد الله وتركت عبد الملك وهو أكبر منهما؟ قلت: لا أدري. قال: لأني

وجدْتُ الذي يلي هذا الأمر بعدي عبد الله أو عبيد الله، فكان عُبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك.

وكتب مروان إلى عبد الله بن عليّ: إني لا أظن هذا الأمر إلا صائراً إليكم، فإذا كان ذلك فآعلم أنَّ حَرَمَنا حَرَمُكُم. فكتب إليه عبد الله: إنّ الحقَّ لنا في دمك وإن الحق علينا في حرمك.

سمر المنصورُ ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسِيَرَهُم وأنهم لم يزالوا على آستقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترَفين فكانت هممهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصدَ الشهوات وإيثارَ اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلاً منهم بآستدراج الله وأمناً لمكره، فسلبهم الله العزّ ونقل عنهم النعمة. فقال له صالح بن علي: يا أمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل أرض النُّوبة هارباً فيمن معه سأل مِلِكُ النوبة عنهم فأُخبر فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده، فإنْ رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك. فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال: يا أمير المؤمنين، قدمت أرض النوبة بأثاثٍ سلِم لي فافترشْتُه بها وأقمْتُ ثلاثاً، فأتاني ملك النوبة وقد خُبِّر أمرَنا، فدخل عليَّ رجلٌ طُوال أَقْنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب، فقلت: ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال: لأني ملك، وحقّ على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه. ثم قال لي: لِمَ تشربون الخمرَ وهي محرّمة عليكم؟ قلت: اجْترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا لأنّ الملك زال عنا. قال: فَلِمَ تطأون الزروعَ بدوابكم والفسادُ محرم عليكم؟ قلت: يفعل ذلك جهّالُنا. قال: فلم تَلْبَسُوْن الديباجَ والحرير وتستعملون الذهبَ والفضة وذلك محرَّمٌ عليكم؟ قلت: ذهب الملك منا وقلّ أنصارنا

فآنتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا. قال: فأطرق مليّاً وجعل يقلّب يديه وينكُت في الأرض ويقول: عبيدنا وأتباعنا دخلوا في ديننا وزال الملك عنا! يردّده مراراً ثم قال: ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم آستحلَلْتُم ما حرَّم عليكم وركبْتم ما عنه نهيْتم، وظلمْتُم فيما ملكتم فسلبكم الله العزَّ وألبسكم الذلَّ بذنوبكم، ولله فيكم نقمةٌ لم تبلغْ غايتها وأخاف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزوَّدوا ما آحتجْتُمْ إليه وآرتحلوا عن بلدي، ففعلت ذلك.

ولما آفتتح المنصور الشام وقتل مروان قال لأبي عون ومن معه من أهل خراسان: إن لي في بقية آل مروان تدبيراً فتأهَّبوا يوم كذا وكذا في أكمل عُدَّة، ثم بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجُمعوا وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجلٌ من كَلْب قد ولَّدهم[1] ثم أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: ممن أنت؟ قال: من كلب وقد ولَّدْتُهم. قال: فآنصرِفْ وَدَعِ القومَ. فأبى أن يفعل وقال: إني خالهم ومنهم. فلما آستقرَّ بهم المجلسُ خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟ ليدخل، فأيقن القوم بالهلكة، ثم خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن عليّ؟ ليدخل، ثم خرج الثالثة فنادى: أين زيد ابن عليّ بن الحسين؟ ثم خرج الرابعة فقال: أين يحيى[2] بن زيد؟ ثم قيل: إئذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر[3] بن يزيد وكان له صديقاً فأومأ إليه: أنِ آرتَفعْ. فأجلسه معه على طَنْفَسَتِهِ[4] وقال للباقين: اجلسوا. وأهل خراسان قيام

(١) وَلَّدَهُمْ: ربّاهم.
(٢) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين.
(٣) هو الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان.
(٤) الطَّنْفَسَة: البساط والحصير من سَعَف عرضه ذراع، فارسي معرَّب والجمع طنافِس.

بأيديهم العمدَ فقال: أين العَبْديّ[١] الشاعر؟ فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها: [كامل]

أما الدُّعاة إلى الجِنَان فهاشمٌ وبنو أميَّةَ من دُعاة النارِ

فلما أنشد أبياتاً منها قال الغمر: يا ٱبن الزانية. فٱنقطع العبدي وأطرق عبد الله[٢] ساعة ثم قال: إمض في نشيدك. فلما فرغ رمى إليه بصرَّةٍ فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثّل بقول القائل[٣]: [خفيف]

ولقد ساءني وساءَ سوايَ قُرْبُهُمْ من منابرٍ وكراسِي

أنزلوها بحيث أنْزَلَها اللـ ـهُ بدار الهَوان والإتعاسِ

لا تُقِيلنَّ عبدَ شمس عِثاراً وٱقطعوا كلَّ نخلةٍ وغِرَاس

وٱذكروا مَصْرَعَ الحسين وزيْدٍ وقتيلاً بجانب المِهْراس[٤]

ثم قال لأهل خراسان: دِهِيدْ[٥]. فشُدِخوا بالعمد حتى سالت أدمغتهم وقام الكلبيّ فقال: أيها الأمير: أنا رجل من كَلْب لست منهم. فقال:

[بسيط]

ومُدخلٍ رأسَهُ لم يُدْنِهِ أحدٌ بين القرينين حتى لَزُّه ٱلقَرَنُ[٦]

ثم قال: دِهِيدْ. فشُدِخ الكلبيّ معهم ثم ٱلتفت إلى الغمر فقال: لا خير

---

(١) العَبْدي هو الحارث بن مرة العبدي، قائد له ذكر في فتوح السِّنْد في خلافة علي رضي الله عنه. توفي سنة ٤٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١٥٧.

(٢) قائل هذا الشعر هو عبد الله بن علي، ويبدو من سياق الحديث أن هذه القصة لم تقع مع المنصور بل وقعت مع عبد الله بن علي يوم كان أمير الشام من قبل المنصور.

(٣) قائل هذه الأبيات هو سُدَيْف بن إسماعيل بن ميمون الشاعر الحجازي. كان متعصباً لبني هاشم متشيعاً لبني علي. توفي سنة ١٤٦ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٨٠. وفي العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٨٦) ورد البيت الأول والثالث والرابع.

(٤) المهراس: ماء بجبل أحد، وعنده دفن حمزة رضي الله عنه.

(٥) دهِيدْ: كلمة فارسية بمعنى أضربوا.

(٦) القَرَنُ: الحبل يقرن به البعيران. وهذا البيت هو لعبد الله ين علي المذكور آنفاً.

لك في الحياة بعدهم. قال: أَجَلْ، فقُتل ثم دعا ببَرَاذِعَ[1] فألقاها عليهم وبسط عليها الأَنْطاع[2] ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإنَّ أنين بعضهم لم يهدأ، حتى فرغ ثم قال: ما تهنَّأْتُ بطعام منذ عقَلْت مقتل الحسين إلا يومي هذا. وقام فأمر بهم فجُرُّوا بأرجلهم وأغنم أهلَ خراسان أموالَهم ثم صُلبوا في بستانه. وكان يأكلُ يوماً فأمر بفتح باب من الرُّواق إلى البستان فإذا رائحة الجِيَفِ تملأ الأنوفَ، فقيل له: لو أمرْتَ، أيها الأمير، بردِّ هذا الباب! فقال: والله لرائحتها أحبُّ إليَّ وأطيب من رائحة المسك. ثم قال[3]: [كامل]

حَسِبَتْ أميةُ أنْ سترضى هاشمٌ ... عنها ويذهب زَيْدُها وحُسَيْنُها
كلّا وربِّ محمدٍ وإلٰهه ... حتى تُباحَ سُهولُها وحُزونها[4]
وتَذِلَّ ذُلّ حليلةٍ لحليلها ... بالمَشْرفيِّ وتُسْتَردَّ دُيُونُها

وأُتي المهديّ برجل من بني أمية كان يطلبه فتمثل بقول سُدَيف شاعرهم: [خفيف]

جرِّدِ السيفَ وارفعِ السَّوْط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أُمَوِيّا
لا يغرَّنْكَ ما ترى اليومَ منهُمْ ... إنَّ تحت الضلوع داء دَوِيّا[5]

فقال الأموي: لكن شاعرنا يقول: [بسيط]

شُمْسُ العداوة حتى يُستقادَ لهُمْ ... وأعظم الناس أحلاماً إذا قدَروا[6]

(١) البراذِعُ: ج بَرْذَعَة وهي الحِلْس يُلْقى تحت الرَّحْل يُوَقَّى به ظهر البعير من الرَّحْل.
(٢) الأنطاع: ج نَطْع وهو البساط من الأديم.
(٣) ثم قال: أي قال عبد الله بن علي الآنف الذكر. والشعر هو لسُدَيْف بن ميمون الذي ترجم له في الحاشية رقم ٧ من الصفحة ٢٠٧.
(٤) ورد البيت الأول والثاني في العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٨٤ و ٤٨٧).
(٥) ورد هذان البتان في المصدر السابق ص ٤٨٦.
(٦) البيت للأخطل من قصيدة له مطلعها:
خَفَّ القطين فراحوا منك أو بكروا ... وأزعجتهُمْ نوى في صَرْفها غيرُ
المصدر السابق ص ٤٨٧.

فقال المهديّ: قال شاعركم ما يشبهكم وقا شاعرنا ما يشبهنا. ثم أمر به فقتل.

وقال رجل: كنا جلوساً مع عمرو بن عبيد في المسجد، فأتاه رجل بكتاب المنصور على لسان محمد بن عبد الله بن الحسن يدعوه إلى نفسه، فقرأه ثم وضعه فقال الرسول: الجواب. فقال: ليس له جواب، قل لصاحبك: دَعْنا نجلس في هذا الظل ونشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينا آجالنا في عافية.

وكان عمرو بن عبيد إذا رأى المنصورَ يطوف حول الكعبة في قُرْطين يقول: إن يرِدِ اللهُ بأمةِ محمّدٍ خيراً يُولِّ أمْرَها هذا الشابّ من بني هاشم. وكان له صديقاً فلما دخل عليه بعد الخلافة وكلمه وأراد الأنصراف، قال: يا أبا عثمان سل حاجتَك. قال: حاجتي ألاّ تبعث إليَّ حتى آتيك ولا تعطيني حتى أسألك. ثم نهض فقال المنصور: [مجزوء الرمل]

كلُّكُمْ ماشِي رُوَيْدْ كلُّكُمْ خاتلُ صيدْ[1]
غيرَ عمروِ بن عُبَيْد

فلما مات عمرو رثاه المَنصور فقال: [كامل]

صلّى الالهُ عليكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ قَبْراً مررْتُ به على مَرَّان
قَبْراً تضمَّنَ مؤمناً مُتَحَنِّفاً صَدَقَ الالهَ ودانَ بالقرآن
وإذا الرجال تنازعوا في سُنَّةٍ فصَل الحديثَ بحكمةٍ وبيان
فَلَوَ انّ هذا الدهرَ أبقى صالحاً أبقى لنا حيّاً أبا عثمان

---

(١) رُوَيْد: أصل الكلام: «كُلُّكُمْ ماشٍ مَشْياً رويداً و«رويد» صفة، أي كلكم ببطء. وخاتِلُ صيد: مُتَخَفٍّ له.

قال الوَضَّاح بن حبيب: كنا إذا خرجْنا - يعني أصحابه - من عند المنصور صِرْنا إلى المهديّ وهو يومئذ ولي عهده ففعلنا ذلك يوماً فأبرز إليَّ يده، ولم يكن ذلك من عادته، فأكببْتُ عليها فقبَّلْتُها وضرب بيدي إلى يده، ثم علمت أنه لم يفعل ذلك إلا لشيء في يده، فوضع في يدي كتاباً صغيراً تستره الكفُّ، فلما خرجْت فتحْته فإذا فيه: يا وضّاحُ، إذا قرأت كتابي فاستأذنْ إلى ضِياعِكَ بالرَّيّ، فرجعت فقلت للربيع: استأذنْ لي. فدخل فاستأذن، فأُذن لي، فدخلت فقلت: يا أمير المؤمنين، ضياعي بالري قد اختلَّت وبي حاجة إلى مطالعتها فقال: لا، ولا كرامة، فخرجْتُ. ثُم عدْتُ إليه اليوم الثاني والقوم معي فدخْلنا فاستأذنته، فردَّ إليَّ مثلَ الجواب الأوّل. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما أريد إصلاحها إلاَّ لأقْوَى بها على خدمتك. فَسُرِّي عنه، ثم قال: إذا شئْتَ فودّع. فقلت: يا أمير المؤمنين، ولي حاجة أذكرها. قال: قُلْ. قلت: أحتاج إلى خَلْوة. فنهض القوم وبقي الربيع قلت: أَخلني. قال: ومن الربيع وبينكما ما بينكما! قلت: نعم. فتنحَّى الربيع، فقال: قد خلوْتَ فَقُلْ إن جُدْتَ لي بمالِكَ ودَمِكَ. فقلت: يا أمير المؤمنين، وهل أنا ومالي إلا من نعمتك، حقنْت دمي ودم أبي ورددْتَ عليّ مالي وآثرتني بصحبتك. قال: إنه يهجِس في نفسي أنَّ جَهْورا[١] على خَلْع وليس على غيرك لما أعرفه بينكما، فأظهرْ إذا صرتَ إليه الوَقِيعةَ فيّ والتنقُّص لي حتى تعرف ما عنده، وإن رأيته يهمُّ بخلع فاكتب إليّ، ولا تكتبنَّ على يد بريد ولا مع رسول ولا يفوتني خبرك في كل يوم فقد نصبْتُ لك فلاناً القَطّان في دار القُطن فهو يُوصل كتبك في كل يوم إليَّ. قال: فمضيْتُ حتى أتيْتُ الريَّ فدخلت على جهور فقال: أَفْلَتَّ؟ فقلت: نعم والحمد لله. ثم أقبلت أؤانسه بالوقيعة فيه حتى أظهر ما

---

(١) هو جَهْور بن مرار العجلي أحد قوّاد المنصور.

ظنّ به المنصور فكتبْت إليه بذلك.

دخل عبد الله بن الحسن الطالبيّ على المنصور وعنده إسحاق بن مسلم العُقَيلي وعبد الملك بن حُميد الشامي الكاتب، فتكلم عبد الله بكلام أعجب إسحاق فغمَّ ذلك المنصور، فلما خرج عبد الله قال: يا غلام، رُدَّه. فلما رَجَعَ قال: يا أبا محمد، إن إسحاق بن مسلم حدّثني أن رجلاً هلك بدمشق وترك نَاضّاً[1] كثيراً وأرضاً ورقيقاً وزعم أنه مولاكم وأشهد على ذلك. قال: نعم يا أمير المؤمنين، ذلك مولانا قد كنت أعرفه وأكاتبه. فقال المنصور: يا إسحاق، أعجبك كلامه فأحببْتَ أن تعرفه.

أبو الحسين المدائني قال: لما بنى أبو العباس المدينة بالأنبار قال لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد، كيف ترى؟ فتمثل عبد الله فقال: [وافر]

ألم تَرَ حَوْشَباً أمسى يُبَنِّي قصوراً نَفْعُها لبني بُقَيْلَهْ
يُؤمِّلُ أنْ يُعَمَّر عُمْرَ نُوح وأَمْرُ الله يحدث كلَّ لَيْلَه

ثم آنتبه فقال: أقلني أقالك الله. قال: لا أقالني الله إن بتَّ في عسكري، فأخرجه إلى المدينة. حَنَشُ بن المغيرة قال: جئتُ وأبو ذَرٍّ آخذٌ بحلقة باب الكعبة وهو يقول: أنا أبو ذر الغِفَاري، من لم يعرفني فأنا جُنْدَبٌ صاحبُ رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ أهلِ بيتي مثلُ سفينةُ نوْح مَنْ ركبها نجا».

حدّثنا خالد بن محمد الأزدي قال: حدّثنا شَبَابة بن سَوّار عن يحيى بن إسماعيل بن سالم عن الشعبيّ قال: قيل لابن عمر: إن الحسين قد توجّه إلى

(١) الناضّ: المال، وهو في الأصل الدرهم والدينار.

العراق، فلحقه على ثلاث ليال من المدينة وكان عند خروج الحسين غائباً في مال له فقال: أين تريد؟ قال: العراق. وأخرج إليه كتباً وطَوَامِيرَ[1] قال: هذه كتبهم وبيعتهم. فناشده الله أن يرجع فأبى فقال: أما إني سأحدثك حديثاً: إنَّ جبريل، عليه السلام، أتى النبيَّ ﷺ فخيَّره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنكم بِضعة من النبي ﷺ، والله لا تليها أنت ولا أحد من أهل بيتك وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم فارجع. فأبى فاعتنقه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل.

حدّثني القاسم بن الحسن عن علي بن محمد عن مَسْلمة بن مُحَارِب عن السَّكَن قال: كتب الحسين بن علي رضي الله عنهما إلى الأحنف يدعوه إلى نفسه فلم يردَّ الجواب وقال: قد جَرَّبْنا آل أبي الحسن فلم نجدْ عندهم إيَالَةً ولا جمعاً للمال ولا مكيدة في الحرب. وقال الشعبي: ما لقِيْنا من آل أبي طالب؟ إن أحببناهم قتلونا، وإن أبغضناهم أدخلونا النار.

ولما قُتِلَ مُصعَبُ بن الزبير خرجتْ سُكَينة بنت الحسين تريد المدينة فأطاف بها أهل الكوفة فقالوا: أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله. فقال: والله لقد قتلتم جدّي وأبي وعمّي وزوجي مُصعبا، أَيتَمْتُمُوْني صغيرة وأَرْمَلْتُمُوْني كبيرة فلا عافاكم الله من أهل بلد ولا أحسن عليكم الخلافة. وقال بعض الشعراء: [منسرح]

إبْكِ حُسَيْناً ليوم مَصْرعِهِ ... بالطَّفّ بين الكتائِبِ الخُرْسِ
أضحت بناتُ النبيِّ إذ قُتلوا ... في مَأْتَمٍ والسِّباع في عُرْسِ

روى سِنَان بن حَكيم عن أبيه قال: انتهب الناس وَرْساً في عسكر

---

(١) الطوامير: ج طُوْمار أي الصحيفة.

الحسين بنِ علي يوم قُتل فما تطيبت منه آمرأة إلا بَرِصَتْ. ولما قتل حسين قالت بنتٌ لعَقِيل بن أبي طالب: [بسيط]

ماذا تقولون إنْ قال النبي لكُمْ ... ماذا فعلتُمْ وأنتُمْ أفضلُ الأممِ
بعتْرَتي وبأهلي بعد مُنْطَلَقي ... منهُمْ أُسَارى وقتلَى ضُرِّجوا بدمِ
ما كان هذا جزائي أنْ نصحْتُ لكُمْ ... أن تَخْلُفوني بقتلٍ في ذوي رَحِمي

فما سمعها أحدٌ إلا بكى.

دخل زيد بن عليّ على هشام فقال: ما فعل أخوك البقرة؟ قال زيد: سماه رسول الله ﷺ باقراً وتسميه بقرة! لقد آختلفتما.

أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «يا جابرُ، إنك ستعمَّر بعدي حتى يولد لي مولود آسمه كآسمي يَبْقَر العلم بَقْراً فإذا لقيتَه فَأَقْرِئه مني السلام» فكان جابر يتردّد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادي: يا باقرُ، حتى قال الناس: قد جُنّ جابر. فبينا هو ذات يوم بالبَلَاط إذ بَصُر بجارية يتورَّكها صبيٌّ فقال لها: يا جارية، من هذا الصبي؟ قالت: هذا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. فقال: أَدْنِيْهِ مني فأدْنَتْه منه فقبَّل بين عينيه وقال: يا حبيبي، رسول الله يقرئك السلام. ثم قال: نُعِيَتْ إليَّ نفسي وربِّ الكعبة. ثم آنصرف إلى منزله وأوصى فمات من ليلته.

قال هشام لزيد بن علي: بلغني أنك تَرَبَّصُ نفسُك للخلافة وتطمع فيها وأنت آبن أَمَة. قال له زيد: مهلاً يا هشام، فلو أنَّ الله علم في أولاد السَّرارِيّ[1] تقصيراً عن بلوغ غاية ما أعطى إسماعيل ما أعطاه. ثم خرج زيد وبعث إليه بهذه الأبيات: [بسيط]

مهلاً بني عَمِّنا عن نحت أَثْلَتِنا[2] ... سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا

(١) السَّرارِيُّ: ج سُرِّيَّة وهي الأَمَة التي أنزلْتَها بيتاً.
(٢) الأَثْلَةُ: الأصل، والجمع إثال.

لا تجمعــوا أنْ تُهِيْنُوْنــا ونُكــرِمَكُم وأنْ نـكُفَّ الأذى عـنكُـمْ وتؤذونا
فــالله يــعـلـمُ أنَّــا لا نــحـبّـكُــمُ ولا نــلومكــمــو أَلَّا تُــحِـبُّـوْنــا

ثم إن زيداً أعطى الله عهداً ألا يلقى هشاماً إلا في كتيبة بيضاءَ أو حمراءَ فدخل الكوفة فطبع بها السيوف وكان من أمره ما كان حتى قتل رحمه الله.

ذكر الأمصار

قالت الحكماء: المدائن لا تُبْنى إلا على ثلاثة أشياء: على الماء والكلأ والْمُحتَطَب.

قال ابن شهاب: من قدم أرضاً فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عُوفي من وبائها. وقال معاوية لقوم قدموا عليه: كلوا من فَحَا[١] أرضنا فقلّما أكل قوم من فَحَا أرض فضرّهم ماؤها.

حدّثني الرياشيّ قال: حدثني الأصمعيّ قال: معاوية: أغبطُ الناسِ عندي سعد مولاي، وكان يلي أمواله بالحجاز، يتربَّعُ جُدَّةَ ويتقيّظ الطائف ويتشتَّى مكة.

حدّثنا الرياشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن: الخِطْر والكُنْدُر والعَصَب والوَرْس.

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: اليهود لا تأكل من بقل سُورَا[٢] وتقول: هي مَغِيض الطوفان. قال: وقال الأصمعي عن مَعْمَر[٣] قال: سبعٌ

(١) الفَحَا: البصل، وقيل: توابل القدور كالفُلْفُل والكمُّوْن ونحوهما.
(٢) سُوْرا: موضع بالعراق من أرض بابل، وهو بلد السريانيين. لسان العرب مادة (سور) وقال ياقوت في معجم البلدان: نسبوا إلى سُوْرى الخمر، وهي قريبة من الحِلة المزيديّة
(٣) هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى اللغوي النحوي، وكان معاصراً للأصمعي.

محفوظات وسبع ملعونات، فمن المحفوظات نَجْرَان ومن الملعونات أَثَافِتُ وبَرْذَعَة[١]. وأثافِتُ باليمن. وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: ما تسمى هذه القرية؟ فقالت ويحك! أما سمعت قول الشاعر: [متقارب]

أُحِبُّ أَثَافِتَ عند القِطَافِ وعند عُصَارة أعنابها

قال الأصمعي: سواد البصرة الأَهْواز ودَسْتُمِيسَان وفارس، وسواد الكوفة كَسْكَر إلى التراب[٢] إلى عمل حُلْوان إلى القادسية، وعمل العراقِ هيتُ إلى الصين والسِّنْد والهِنْد ثم كذلك إلى الريّ وخُراسان إلى الديلم والجبال كلها، وأصبهان صرّة العراق آفتتحها أبو موسى الأشعري، والجزيرة ما بين دِجلة والفرات، والموصل من الجزيرة، ومكة من المدينة ومصر لا تدخل في عمل العراق.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبّه قال: أوّل قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقَرْدَى تسمى سوقَ ثمانين، كان نوح لما خرج من السفينة آبتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتاً وكانوا ثمانين فهي اليوم تسمى سوق ثمانين. قال: وحَرَّان سميْت بِهَارَانَ بن آزَرَ أخي إبراهيم النبي ﷺ وهو أبو لوط.

قال النبي، ﷺ لبُرَيدة: «يا بُرَيْدَة، إنه سيُبعث بعدي بُعُوث فإذا بُعثت فكن في أهل بَعْث المشرق ثم في بعث خراسان ثم في بعث أرض يقال لها: مَرْو، فإذا أتيتها فآنزل مدينتها فإنه بناها ذو القرنين وصلّى فيها، غزيرةٌ أنهارُها تجري بالبركة، في كل نقب منها ملَك شاهرٌ سيْفَهُ يدفع عنها السوء إلى يوم القيامة» فقدمها بُريدة فمات بها.

---

(١) بَرْذَعَة: كرسي أعمال أذربيجان، وقيل إنها من أران. وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠.

(٢) التراب: قد يعني بها الزاب، وهذا هو الأصح كما في معجم البلدان.

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني الأصمعي قال: أخبرني النَّمِر بن هِلال الحَبَطي عن قَتَادة عن أبي جلدة قال: الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان آثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك فارس ثلاث آلاف فرسخ وأرض العرب ألف فرسخ.

وقال أبو صالح: كنا عند آبن عباس فأقبل رجل فجلس، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل خراسان، قال: مِنْ أيِّ خراسان؟ قال: من هَرَاة. قال: من أيِّ هراة؟ قال: من بُوشَنْج. ثم قال: ما فعل مسجدها؟ قال: عامر يُصلَّى فيه. قال آبن عباس: كان لإبراهيم مسجدان: المسجد الحرام ومسجد بُوشَنْج. ثم قال: ما فعلت الشجرة التي عند المسجد؟ قال: بحالها. قال: أخبرني العباس أنه قال في ظلها.

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن ميمون الحرّاني عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال: لما قدم عليٌّ، رضي الله عنه، البصرةَ آرتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل البصرة،يا بقايا ثَمُودْ ويا جُنْد المرأة[1] ويا أتباع البهيمة،رَغَا فاتَّبَعْتُمْ وعُقر فآنهزمْتُمْ. أما إني لا أقول رغبة فيكم ولا رهبة منكم، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُفَتَحُ أرضٌ يقال لها البصرةُ أَقْوَمُ الأرضين قبلةً، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس، ومُتصدِّقها أعظم الناس صدقةً. وتاجرها أعظم الناس تجارة. منها إلى قرية يقال لها الأُبُلَّةْ[2] أربعة

---

(١) يا جند المرأة: يعني بالمرأة عائشة. ويا أتباع البهيمة: يعني بالبهيمة الجمل الذي ركبته عائشة، وبه سمي هذا اليوم وهو معروف مشهور.

(٢) الأُبلَّة: بلده قديمة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، ويبعد عنها أربعة فراسخ وإليها ينسب نهر الأُبُلَّةْ الذي هو أحد متنزهات الدنيا الأربعة. وهي من جنات الدنيا. وفيات الأعيان ج ٤. ص ٧٩ ومعجم البلدان ونهاية الأرب (ج ٩ ص ١٧٩).

فرسخ. يُسْتشهَدُ عند مسجد جامعها أربعون ألفاً، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معي يوم بدر».

حدّثنا القاسم بن الحسن قال: حدّثنا أبو سَلَمة قال: أخبرني أبو المهزَّم عن أبي هريرة قال: مُثِّلت الدنيا على مثال طائر، فالبصرة ومصر الجناحان فإذا خربتا وقع الأمر.

وحدّثني أيضاً عن هارون بن معروف عن ضَمْرة عن آبن شَوْذَب عن خالد بن ميمون قال: البصرة أشدُّ الأرض عذاباً وشرها تراباً وأسرعها خراباً. قال: وقال آبن شوذب عن يزيد الرِّشْك[1] قِسْتُ البصرةَ في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدْت طولها فرسخين غير دانِق.

وقال محمد بن سلام عن شُعيب بن صَخْر: تذاكروا عند زياد البصرة والكوفة فقال زياد: لو ضَلَّتِ البصرةُ لجعْلتُ الكوفةَ لمن دلَّني عليها. قال محمد بن سيرين: كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة وآستعمله على الكوفة. وقال عليّ حين دخل البصرة: يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة، رَغَا فأجبتم وعُقر فآنهزمتهم، ودينكم نِفَاق وأخلاقكم رِقَاق وماؤكم زُعاق، يا أهل البصرة والبُصيرة والسُّبَيْخَة والخُرَيبة، أرضكم أبعد الأرض من السماء وأبعدها من الماء وأسرعها خراباً وغرقاً.

مرَّ عُتْبة بن غَزْوان بموضع المِرْبد فوجد فيها الكَذَّان[2] الغليظ فقال: هذه البصرة فآنزلوا بسم الله. وقال أبو وائل: اختطَّ الناسُ البصرة سنة سبع عشرة.

---

(١) الرِّشْك: لقب يزيد بن أبي الضَّبُعيّ.

(٢) الكَذَّان: حجارة رخوة كالمَدَر وربما كانت نَخِرَة، والواحدة كَذَّانَة.

فَخَرَ ناسٌ من بني الحارث بن كعب عند أبي العباس، فقال أبو العباس لخالد بن صَفْوان: ألا تَكلَّم يا خالد؟ قال: أخوال أمير المؤمنين وأهله. قال: فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعَصَبته. قال خالد: ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج بُرْد ودابغ جلد وسائس قُرْد، دلَّ عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم آمرأة.

سئل خالد عن الكوفة فقال: نحن منابِتُنا قصب، وأنهارنا عجب، وثمارنا رُطب، وأرضنا ذهب. قال الأحنف: نحن أبعد منكم سريَّةً وأعظم منكم بحْرِيّةً وأَعْذى[1] منكم بَرِّيَّة. وقال أبو بكر الهذليّ: نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجَّاجاً.

وقال الخليل[2] في ظهر البصرة مما يلي قصر أَوْس من البصرة:

[بسيط]

زُرْ واديَ القصر نِعْمَ القصرُ والوادي ... لا بُـدَّ من زَوْرةٍ عن غيـر ميعـادِ

تُـرْفـا بــه السُّفْنُ والـظُّلْمـانُ واقفـةٌ ... والضَّبُّ والنّـونُ والمـلّاحُ والحـادِي

وقال آبن أبي عُيَيْنَة[3] في مثل ذلك: [منسرح]

يـا جَنّـةً فـاتتِ الجِنَـانَ فمـا ... تـبْلغُهـا قيـمـةٌ ولا ثَـمَـنُ

أَلِفْتُهـا فـآتَّخـذْتُهـا وطنـاً ... إنَّ فـؤاديْ لِـحُـبِّهـا وطـنُ

زوِّجَ حِيْتـانَهـا الضِّبـابُ بهـا ... فـهـذه كَـنَّـةٌ وذا خَـتَـنُ

فـآنظرْ وفكِّـرْ فيمـا نَـطَقْتَ بـه ... إنَّ الأريب المُفكّـرُ الـفِـطنُ

---

(١) الأَعْذى: الأقرب إلى الصواب، يقال: عَذا البلد يَعْذُو: طاب هواؤه.

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب العين ومبتكر البحور الشعرية. توفي سنة ١٧٥ هـ. وقد ورد هذان البيتان، مع خلاف بسيط، في معجم الشعراء ص ٢٦٧ وفي العقد الفريد (ج ٥ ص٤٢٢).

(٣) تقدم الحديث عنه.

مِنْ سُفُنٍ كالنَّعامِ مقبلةٍ ومن نَعَامٍ كأنها سُفُنُ[1]

أنشد محمد بن عمر عن آبن كِنَاسةَ[2] في ظهرِ الكوفة: [طويل]

وإنَّ بها، لو تعلمين، أصائلاً وليلاً رقيقاً مثل حاشيةِ البُرْدِ

بلغني عن إبراهيم بن مهدي عن إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم التَّيْمي قال: لما أُمِرَتِ الأرضُ أن تغيضَ غاضت إلا أرض الكوفة فلُعِنَتْ، فجميع الأرض تُكَرب على ثورين وأرض الكوفة تُكرب على أربعة ثيران. وكان يقال: إذا كان علم الرجل حجازياً وسخاؤه كوفياً وطاعته شامية فَقَدْ كَمُلَ.

لما آحتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب، كتب عمر إلى سعد في بعثة روّادٍ يرتادون منزلاً برِّيّاً فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء. فسأل مَن قِبله عن هذه الصفة فيما يليهم، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان. وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين إلى عين بني الحذّاء وكانت العرب تقول: أدلعَ البَرُّ لسانَهُ[3] في الرِّيف، فما كان يلي الفرات منه فهو المِلْطاط وما كان يلي الظهر منه فهو النِّجَاف، فكتب إلى سعد يأمره به.

---

(١) يصف الشاعر في هذه الأبيات بستاناً له كما ورد في العقد الفريد (ج ٥ ص ٤٢٢) وقد سبق له أن وصف نفس البستان في شعر ورد في نفس المصدر المذكور ص ٤٢١ نذكر منه هذا البيت (طويل).

يُذَكِّرني الفِرْدَوْسُ طوراً فأنثني وطوراً يُواتيني إلى القصف والفَتْكِ

(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب بكُناسة، من شعراء الدولة العباسية، كان يجتنب في شعره المدح والهجاء. توفي سنة ٢٠٧ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٢٢١.

(٣) أدلع البَرُّ لسانَهُ: أخرجه.

وقال النابغة[١] الجعدي يمدح الشام: [رمل]

جاعلينَ الشامَ حَمّاً[٢] لهُمْ ولئنْ هَمّوا لَنِعْمَ آلمتنقَلْ
مَوْتُهُ أجْرٌ ومَحْياه غِنىً وإليه عن أذاه مُعْتَزَلْ

وقال أيضاً: [طويل]

ولكنَّ قوميْ أصبحوا مثل خَيْبرِ بها داؤُها ولا تضرُّ الأعاديْا

قال الأصمعي: لم يولد بغَدير خُمٍّ مولودٌ فعاش إلى أن يحتمل إلّا أنْ يتحوّلَ عنها. قال: وحَرَّة لَيْلَى[٣] ربما مرّ بها الطائر فيسقط ريشه. قال عمرو ابن بحر: يزعمون أنَّ من دخل أرض تُبَّتْ لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير عَجب حتى يخرج منها، ومن أقام بالموصل عاماً ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلاً، ومن أقام بالأهواز حولاً فتفقّد عقله وجد النقصان فيه بيّناً. والناس يقولون: حُمّى خَيْبر وطِحَال البحرين ودماميل الجزيرة وطواعين الشام.

قالوا: من أطال الصوم بالمَصِّيصة[٤] في الصيف خيف عليه الجنون. وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف إلى طبائع أهلها، ووباؤها وحُمّاها يكون في وقت آنكسار الوباء ونزوع الحُمّى عن جميع البلدان، وكل محموم فإن حُمّاه إذا أقلعتْ عنه فَقَدْ أخذَ عند نفسه منها البراءة إلى أن تعود إلى التخليط وإلى أن يجتمع في جوفه الفساد إلا محمومَ الأهواز فإنها تعاود مَنْ فارقته

---

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من هذا الجزء.
(٢) يقال: حَمَّ: قَصَدَ قَصْدَه.
(٣) حَرَّة ليلى تقع بالمدينة. اللسان مادة (حرر) وقد تقدم شرح وافٍ عن مفهوم «حرة».
(٤) المِصِّيْصَة: مدينة على ساحل البحر الرومي تجاور طرطوس والسيسَ وتلك النواحي. بناها صالح بن علي عمّ أبي جعفر المنصور في سنة ١٤٠ هـ. بأمر المنصور نفسه. وفيات الأعيان (ج ١ ص ١٢٧). وقال في الأعلام (ج ١ ص ٣١) أنها من أرض كيليكيا.

لغير علّة حدثتْ، ولـذلك جمعتْ سـوقُ الأهواز الأفـاعي في جبلها المـطلّ عليها والجرّارات(١) في بيوتهـا ومن ورائها سبـاخ ومناقـع مياه غليـظة وفيها أنهار تشقّهـا مسـايل كنْفهم وميـاه أمطارهم فـإذا طلعت الشمس وطـال مُقـامهـا وآستمـرّت مقابلتها لذلك الجبل قبل الصخرية التي فيها الجرارات، فإذا آمتلأت يبساً وحرّاً وعادت جمرة واحدة قذفت مـا قبلت من ذلك عليهم وقـد بخرت تلك السبـاخ وتلك الأنهار، فإذا آلتقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسـد الهواء وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمـل عليه الهـواء. وقال إبـراهيم بن العباس الكاتب: حدَّثني مشايخ أهل الأهواز عن القوابل أنهنّ ربما قَبِلْن الطفـلَ فيجدْنَـه في تلك الساعة محموماً يعرفن ذلك ويتحدّثن به. قال: ومن قدم من شِقِّ العراق إلى بلد الـزِّنْج لم يـزل حزينـاً ما أقـام بهـا فـإنَّ أكـثر مَنْ شـربَ نبيـذهـا وأكـل النَّـارَجيل(٢) طمس الخُمَـارُ(٣) على عقله حتى لا يكـون بينه وبـين المعتوه إلا شيء يسير. قال: وفي عهد سِجِسْتان على العرب حين آفتتحوهـا: ألاّ يقتلوا قنفذاً ولا يصيدوه؛ لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار.

وقال آبن عيّاش لأبي بكـر الهُذَلي يـوم فاخـره عند أبي العبـاس: إنما مَثَـلُ الكوفة مثل اللَّهَاة من البـدن يأتيهـا الماء ببـرده وعذوبتـه، والبصرة بمنـزلة المثـانة يأتيها الماء بعد تغيّره وفساده.

وقال محمد بن عمير بن عُطَارِد: إن الكوفة قـد سَفُلت عن الشام ووبـائها وآرتفعت عن البصرة وعمقها فهي مَـرِيئة مَـرِيعة عَـذْبة ثَـرِيَّة، إذا أتتْنـا الشَّمال

(١) الجرّارات: ج جَرَّارة وهي عُقَيْرب قتّالة تجرُّ ذنبها إذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب.
(٢) النارَجِيْل: الجوز الهندي، وهو شجر كالنخل إلاَّ أنَّ وجه الجريد فيه إلى أسفل، وإذا قطع لم يَمُتْ. الواحدة: نارَجِيْلَة.
(٣) الخُمار: الصُّداع، وهو صُداع الخمر وبقية السُّكْر.

ذهبت مسيرةَ شهر على مثل رَضْراض الكافور، وإذا هبَّتِ الجَنُوبُ جاءتنا بريح السّواد وورْدِهِ وياسَمِينه وأُتْرُجِّه، وماؤنا عذب وعيشنا خصب. وقال الحجاج: الكوفة بِكْرٌ حسناءُ والبصرة عجوزٌ بخَرْاء[1] أُوتِيَتْ من كل حَلْي وزينة.

اجتمع أهل العراق ليلةً في سَمَر يزيد بن عمر بن هُبَيرة، فقال يزيد: أيّ البلدين أطيب ثمرة: الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان: بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأزاذُ والمَعْقِليّ وكذا وكذا. فقال عبد الرحمن بن بَشير العجْلي: لست أشك أيها الأمير أنكم قد آخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به إليه. قال: أجلْ، قال: قد رضينا بآختيارك لنا وعلينا. قال: فأيَّ الرُّطب تحملون إليه؟ قال: المُشَان. قال: ليس بالبصرة منه واحدة. ثم أيَّة؟ قال: السَّابِري. قال: ولا بالبصرة منه واحدة. قال خالد بن صفوان: بلى عندنا بالبصرة منه شيء يسير. قال: فأيَّ التمر تحملون إليه؟ قال: النِّرْسِيَان. قال: ولا بالبصرة منه واحدة. قال: ثم أية؟ قال: الهَيْرُون أَزَاذ. قال: ولا بالبصرة منه واحدة. قال: فأيَّ القَسْب[2] تحملون إليه؟ قال: قَسْب العنبر. قال: ولا بالبصرة منه واحدة. قال آبن هبيرة لخالد: ادَّعى عليك خمساً فَشاركْتَه في واحدة وسلَّمْتَ له أربعاً، ما أراه إلا قد غلبك.

دخل فتى من أهل المدينة البصرة ثم آنصرف، فقال له أصحابه: كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والعَزَب والمفلِس: أما الجائع فيأكل خبز الأرز والصَّحْناء[3] لا ينفق في الشهر درهمين، وأما العزب فيتزوج بشق درهم، وأما المحتاج فلا عَيْلة عليه ما بقيت عليه آسْتُه يخرأ ويبيع.

---

(١) البَخْراء: المنتنة ريحها.
(٢) القَسْبُ: تمر يابس يتفتَّتُ في الفم صلب النواة، والواحدة قَسْبَة.
(٣) الصَّحْناء: إدام يتخذ من السمك الصغار.

أبو الحسن المدائني قال: قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية: أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت. قال معاوية: إذاً كنت أكون آبن أبي سفيان، منزلي الأبطح ينشقّ عنه سيله، وكنتَ آبنَ خالد، منزلُكُ أَجْيَادُ أعلاه مَدَرَة وأسفله عَذِرَة.

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رَثَّة، فسأل عنه فقالوا: من بني تغلب. فوقف له وهو يطوف بالبيت، فقال له: أرى رِجلين قلّما وطئتا البطحاء. قال له التغلَبيّ: البَطْحاوات ثلاث: بطحاء الجزيرة وهي لي دونك، وبطحاء ذي قار وأنا أحق بها منك، وهذه البطحاء، وسواء العاكف فيه والبادي.

وقال بعض الأعراب: اللهمَّ، لا تنزلني ماء سوء فأكون آمرأ سوء. قال خالد بن صفوان: ما رأينا أرضاً مثل الأُبُلَّة أقرب مسافة ولا أعذب نُطفة ولا أوطأ مطيّة ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد. وقال آبن أبي عيينة[1] يذكر قصر أَنَس[2] بالبصرة: [طويل]

فيا حُسْنَ ذاك القصرِ قصراً ونزهةً ... بأفْيَحَ سهلٍ غيرِ وَعْرٍ ولا ضَنْكِ[3]
بِغَرْسٍ كأبكار الجواري وتُرْبةٍ ... كأن ثَرَاها ماءُ وَرْدٍ على مِسْكِ
كأن قصورَ الأرض ينظرْنَ حوله ... إلى مَلِكٍ مُوْفٍ على مِنْبر المُلْك
يُدِلُّ عليها مستطيلاً بحسنه ... ويَضْحَك منها وهي مُطرقةٌ تَبْكي[4]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ذكر آبن خلكان هذا القصر في وفيات الأعيان (ج ٤ ص ١٨٢) فقال: إنه قصر أَنَس بن مالك بالطفّ، وعندما مات أنس غسّله آبن سيرين في هذا القصر وكفَّنه.

(٣) ضَنْكٌ: ضيِّقٌ.

(٤) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٥ ص ٤٢١) هذا الشعر وجعله في وصف بستان آبن عيينة الشاعر. وبذلك يتناقض عما هنا.

قال جعفر بن سليمان: العراق عين الدنيا، والبصرة عين العراق، والمِرْبَد عين البصرة، ودَارِينُ عين المِربَد. وقالـوا: من خصال الحـرم أن المطر إذا أصاب الباب كان الخِصْبُ من شقّ العـراق، وإذا أصاب المـطرُ الناحيـة من شق الشام كـان الخِصب بالشـام، وإذا عمَّ جوانب البيت كـان المـطر عـامـاً. قـال: وذرع الكعبة أربعمائة وتسعون ذراعاً.

المدائني قال: قال الحجاج: لما تبوّأت الأمورُ منازلَهـا قالت الـطاعة: أنـزل الشام، قال الطاعون: وأنا معك. وقـال النفاق: أنـزل العراق، قـالت النعمة: وأنا معك. وقالت الصحة: أنزل البادية، قالت الشِّقوة: وأنا معك.

* * *

نجز كتاب الحرب ويتلوه كتاب السؤدد



كتاب السؤدد

مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة رحمه الله: حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيْب عن عمه الأصمعي قال: أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخاً مُسِنّاً من أهل البادية وكان من ولد الزِّبْرِقان بن بدر من قِبل النساء، قال: كان الزبرقان يقول: أبغضُ صبيانِنا إليَّ الأُقَيْعِسُ الذكر الذي كأنما يَطَّلع في حجره، وإن سأله القوم أين أبوك، هرّ في وجوههم وقال: ما تريدون من أبي. وأحبُّ صبياننا إليّ الطويلُ الغُرْلة[1]، السَّبْط الغُرّة، العريض الورك، الأبله العَقول الذي يطيع عمّع ويعصى أمه، وإن سأله القوم أين أبوك، قال: معكم.

قال: وقال الأصَمعي: قال معاوية: ثلاث من السُؤدد: الصَّلَع، وآندحاق البطن، وترك الإفراط في الغَيرة.

قال وقيل لأعرابي: بم تعرفون سؤدد الغلام فيكم؟ فقال: إذا كان سائل الغرّة طويل الغُرلة مُلْتاثَ الإزْرة وكانت فيه لَوْثة فلسنا نشكّ في سؤدده. وقيل لآخر: أيّ الغلمان أسود؟ قال: إذا رأيتَه أَعْنقَ أَشْدق أَحْمقَ فأَقْرِبْ به من السؤدد. وكان يقال: إذا رأيت الغلام غائرَ العينين ضيِّق الجبهة حَديد الأرنبة كأنما جبيْنُهُ صَلَايةٌ[2] فلا تَرْجُه، إلا أنْ يريد الله أمراً فيبلغه.

---

(١) الغُرْلَةُ: جِلْدَة الذَّكَر، والجمع غُرَلٌ.

(٢) الصَّلَايَةُ: الجبهة.

حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعي قال: قريش تُمْدَحُ بالصَّلَع.

وأنشد: [رجز]

إنَّ سعيداً وسعيدُ فَرْعُ   أصْلَعُ تُنْمِيْهِ رجالٌ صُلْعُ

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال: إني أظن هذا الغلام سيسود قومه. فقالت هند: ثكلتُه إن كان لا يَسُود إلا قومَه.

قال شبيب بن شيبة لبعض فُرسان بني مِنْقَر: ما مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرسان ولا فُتِقْتَ فَتْق السادة. وقال آخر لِسنَان بن سَلَمة الهُذليّ: ما أنت بأَرْسحَ[1] فتكونَ فارساً ولا بعظيم الرأس فتكون سيداً. وقال بعض الشعراء: [طويل]

فقبَّلْتُ رأساً لم يكن رأسَ سَيِّد   وكَفّاً ككَفّ الضَّبِّ[2] أو هِيَ أَحْقَرُ

وقال آخر: [طويل]

دعا ابنُ مُطِيع للبِيَاع فجئْتُهُ   إلى بَيْعةٍ قلبيْ لها غيرُ آلفِ

فناوَلَني خَشْناءَ لَمّا لَمَسْتُها   بكَفِّيَ ليستْ من أكُفّ الخَلائف

وقرأت في كتابٍ للهند أنه قد قيل في الفِراسة والتَّوَسُّم: إنه مَنْ صغُرت عينه ودام آختلاجها وتتابع طَرْفُها ومال أنفُه إلى أيمن شقَّيْه وبَعُدَ ما بين حاجبيه وكانت منابِتُ شعره ثلاثاً ثلاثا وطال إكبابه إذا مشى، وتلفّت تارة بعد أُخرى، غَلَبت عليه أخلاق السوء.

كان يقال: أربع يُسَوِّدْنَ العبد: الأدب، والصّدق، والعفّة، والأمانة.

وقال بعض الشعراء في النبي صلى الله عليه وسلم: [بسيط]

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيِّنَةٌ   كانت بَداهَتُهُ تُنْبِيكَ بالخبرِ

(١) الأَرْسَحُ: قليل لحم العجز والفخذين.
(٢) الضَّبُّ: دُوَيْبّة من الحشرات.

وقال معاوية: إني لأكره البَكَاءة[1] في السيد وأحب أن يكون عاقلاً متغافلاً

وقال الشاعر في هذا المعنى: [كامل]

ليس الغَبيُّ بسيد في قومِهِ لكنَّ سَيِّدَ قومِهِ المُتَغابي

ويقال في مَثَلٍ: «ليس أمير القوم بالخَبِّ[2] الخَدِع». وقال الفرزدق: [بسيط]

لا خير في خِبٍّ[3] مَنْ تُرجَى فواضِلُهُ فآستمطِروا من قريشٍ كلَّ مُنخَدِعِ
كأنَّ فيه إذا حاوْلتَهُ بَلَهاً عن مالِهِ وهو وافي العقل والوَرَعِ

وقال إياس بن معاوية: لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يخدعني. وقال مالك بن أَنَس عن آبن شهاب: الكريم لمّا تُحْكِمهُ التجارب.

قال بعض الشعراء: [خفيف]

غيرَ أني أراكَ من أهل بيتٍ ما على المرء أن يَسُودُوهُ عارُ

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: السيد الجواد حين يُسأل، الحليم حين يُسْتجهَل، البارّ بمن يعاشِر. قال عَدِيّ بن حاتم: السيد الذليل في نفسه، الأحمق في ماله، المُطَّرِح لحقده، المعنيُّ بأمر عامّته. سئل خالد بن صفوان عن الأحنف بم ساد، فقال: بفضل سلطانه على نفسه. وقيل لقَيْس بن عاصم: بم سُدْتَ قومَكَ؟ فقال: ببذل القِرَى وترك المِرَا[4] ونُصْرة المَوْلى. وقال علي بن عبد الله بن عباس: سادة الناس في الدنيا الأسخياءُ وفي الآخرة الأتقياء. وقال سَلْم

---

(١) البكاءة: قلة الكلام.
(٢) الخَبُّ: بفتح الخاء وكسرها: الخدّاع والأنثى خَبَّة.
(٣) الخِبُّ: الخداع.
(٤) المِرَا: أصلها المِراء، من ما راه مِراءً أي جادله ونازعه وطعن في قوله تصغيراً للقائل.

ابن قُتَيبة لولده: إنكم لن تسودوا حتى تصبروا على سَرَار الشيوخ البُخْر. وقال: الدنيا هي العافية، والصحة هي الشباب، والمروءة الصبر على الرجال. قال عمرو بن هدّاب: كنا نعرف سُؤدد سلم بن قتيبة بأنه كان يركب وحده ويرجع في خمسين. وقال رجل للأحنف وأراد عيبَه: بم سُدْتَ قومك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك. وقال عبد الملك بن مروان لابن مطاع[1] العَنَزيّ: أخْبِرْني عن مالك بن مَسْمَع. فقال له: لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه في أيّ شيء غضب. فقال عبد الملك: هذا وأبيك السُّؤدد، ولم يَلِ شيئاً قط. وكذلك أسماء بن خارجة لم يَلِ شيئاً قط. قيل لعَرَابة الأوْسيّ: بمَ سُدْتَ قومك؟ فقال بأربع: أنخدع لهم عن مالي، وأذِلُّ لهم في عِرضي، ولا أحقِر صغيرهم، ولا أحسدُ رفيعَهم. وقال المُقَنّع الكِنديّ وهو محمد بن عميرة[2]:

[طويل]

ولا أحمِلُ الحِقْدَ القديم عليهم ... وليس رئيسُ القوم من يحمل الحِقْدَا

وليسوا إلى نَصْري سِرَاعاً وإن هُمُ ... دعَوْني إلى نصرٍ أتيتُهُمُ شَدَّا

إذا أكلوا لحمي وفَرْتُ لحومَهُمْ ... وإن هدموا مجدي بَنَيْتُ لهم مجدا

يُعَيّرني بالدَّيْنِ قومي وإنما ... ديونيَ في أشياءَ تكسبهم حَمْدا[3]

وقال آخر:

[بسيط]

هَيْنُونَ[4] لَيْنُونَ أيْسارٌ ذوو يَسَر ... سُوّاسُ مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيْسارِ

---

(١) ذكر ابن عبد ربه هذه القصة في العقد (ج ٢ ص ٢٨٧) في باب السؤدد وقال: «سأل عبد الملك بن مروان رَوْح بن زِنْباع عن مالك بن مسمع... الخ».

(٢) محمد بن عميره الكندي شاعرٌ من أهل حضرموت، كان مقنعاً طول حياته، والمقنّع لقب له وهو الرجل اللابس سلاحه. كانت وفاته نحو ٧٠ هـ. الأعلام (ج ٦ ص ٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٣) ورد البيتان الأخيران في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٦٨) باختلاف يسير عما هنا.

(٤) هَيْنُوْن لَيْنُوْن أي لا يعرفون الخشونة، جمع هَيِّن ولَيِّن. وقد ورد البيت الأول في لسان العرب مادة (عزز) ومنه قول الكميت (منسرح).

=

لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا ولا يُمارُون إن مارَوْا بإكثار
مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيْتُ سَيِّدَهُمْ مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقال آخر: [وافر]

وإنَّ سيادَةَ الأقوام فاْعلَمْ لها صُعَداءُ مَطْلَعُها طويلُ

وقال رجل من العرب: نحن لا نُسَوِّدُ إلا من يُوَطّئنا رَحْله ويُفَرِّشنا عِرْضه ويُمَلِّكنا ماله. وفي الحديث المرفوع: «مَنْ بذلَ معروفه وكفَّ أذاه فذلك السيد». ويقال: لا سُؤدد مع انتقام. والعرب تقول: «سيد مُعَمّم» يريدون أنّ كل جِنَاية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه. ويقال: بل السيد منهم كان يَعْتَمُّ بعمامة صفراءَ لا يعتمُّ بها غيره. وإنما سُمّي الزِّبْرِقان بصفرة عِمامته. يقال: زَبْرَقْتُ الشيءَ إذا صفَّرته، وكان اسمه حُصَيْنا. قيل لابن هُبَيْرة: مَن سيدُ الناس اليوم؟ قال: الفَرَزْدَق، هجاني مَلِكاً ومدحني سُوْقَةً. وقال عامر[1] بن الطُّفَيْل: [طويل]

إني وإن كنْتُ ابنَ سيدِ عامرٍ وفارِسها المشهورِ في كل مَوْكِبِ
فما سَوَّدَتْني عامرٌ عن وِراثةٍ أبىَ اللهُ أن أسمُوُ بأُمٍّ ولا أبِ
ولكِنَّني أحْمي حِماها وأتّقي أذاها وأرمي مَنْ رماها بِمَنْكِبِ[2]

هذا نحوَ قول الآخر:

= هَيْنُوْن لَيْنُوْن في بيوتهُمُ سِنْخُ التُّقى والفضائلُ الرُّتَبُ
أنظر لسان العرب مادة (لين).

(١) عامر بن الطفيل العامري فارس قومه وأحد فُتّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. أدرك الإسلام شيخاً دون أن يدخل فيه. وهو ابن عم لبيد الشاعر. توفي في ١١ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢.

(٢) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩١).

[رجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاماً ... وعلَّمَتْه الكَرَّ والإقداما
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكاً هُماما

وعصام عبدٌ كان للنعمان بن المُنْذِر. وله يقول النابغة [وافر]

فإنّي لا ألوم على دُخُوْل ... ولكنْ ما وراءكَ يا عِصامُ؟

الكمال والتناهي في السُّؤدُد

حدّثني أبو حَمْزة الأنصاريّ عن العُتْبيّ قال: قال الأحنف: الكامل من عُدَّتْ هَفَواته. وكتب معاوية إلى زياد: أنظر رجلاً يصلح لثغر الهند فوَلِّهِ، فكتب إليه إنَّ قِبَلي رَجُلَيْن يَصْلحانِ لذلك: الأحنف بن قَيْس، وسِنَان بن سَلَمَة الهُذَلي. فكتب إليه معاوية: بأيّ يَوْمَيِ الأحنف نكافيه: أبِخِذْلانِهِ أمَّ المؤمنين، أمْ بسَعْيِهِ علينا يوم صِفِّين؟ فوجّه سناناً، فكتب إليه زياد: إن الأحنف قد بلغ من الشرف والحلم والسؤدد ما لا تنفعه الولاية ولا يضرّه العَزْل. وقال أبو نواس يمدح رجلاً: [سريع]

أوْحَدَهُ اللهُ فما مِثْلُهُ ... لطالبٍ ذاكَ ولا ناشدِ
وليس لله بمُسْتَنْكَرٍ ... أنْ يجمعَ العالَمَ في واحدِ

وقال أيضاً في نحو هذا: [بسيط]

يا ناقَ، لا تسأمي أو تَبْلُغي رَجُلاً ... تَقْبِيلُ راحته والرُّكنِ سِيَّانِ
متى تَحُطّي إليه الرَّحلَ سالمةً ... تَسْتَجْمِعِي الخَلْقَ في تِمثالِ إنسانِ
محمدٌ [1] خيرُ مَنْ يمشي على قَدَمٍ ... ممن برا اللهُ من إنسٍ ومن جانِ

---

(١) هو الأمين محمد بن هارون الرشيد.

تنازَعَ الأحمدانِ الشِّبْهَ فآشتبها ... خَلْقاً وخُلْقاً كما قُدَّ الشِّراكان
سِيّانِ لا فرق في المعقول بينهما ... معناهما واحدٌ والعِدّة آثنان

وقال الطائي: [بسيط]

لو أنَّ إجماعَنا في فضلِ سُؤدَدِهِ ... في الدِّيْن، لم يختلف في المِلّة آثنان

وقال أيضاً: [وافر]

فلو صوَّرْتَ نَفْسَكَ لم تَزِدْها ... على ما فيك من كَرَمِ الطِّباعِ

وقال خالد بن صَفْوان: كان الأحنف يفرّ من الشرف والشرف يتبعه.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: وفد الأحنف والمنذر بن الجَارُود إلى معاوية، فتهيّأ المنذر وخرج الأحنف على قَعود وعليه بَتٌّ، فكلما مرّ المنذر قال الناس: هذا الأحنف، فقال المنذر: أراني تزيّنْتُ لهذا الشيخ. وقالت بنو تميم للأحنف: ما أعظم مِنّتنا عليك! فضّلناك وسوّدناك، فقال: هذا شِبْل بن مَعْبَد، من سوّده وليس بالحَضْرة بجليّ غيره؟ أو قال بالبصرة.

قال عبد الملك بن مروان لعبد الله بن عبد الأعلى الشاعر الشَّيْباني: مَن أكرم العرب أو مَن خيرُ الناس؟ قال: مَن يُحِبُّ الناسِ أن يكونوا منه، ولا يُحِبُّ أن يكون من أحد، يعني بني هاشم. قال: مَن ألأم الناس؟ قال: مَن يُحِب أن يكون من غيره، ولا يُحِب غيره أن يكونوا منه. قال رجل من أشراف العجم لرجل من أشراف العرب: إن الشَّرَف نسب مفرد، فالشريف من كل قوم نسيب. وكان يقال: أكرمُ الصَّفَايا أشدّها وَلَهاً إلى أولادها، وأكرمُ الإبل أحنُّها إلى أوطانها، وأكرم الأفْلاء[1] أشدُّها ملازمة لأمهاتها، وخير الناس آلفُ الناس للناس

(١) الأَفْلاءُ: ج فِلْو، وهو الجحش أو المهر إذا فطم أو بلغ السنة.

السّيادة والكمال في الحَداثة

قال الأحنف: السّؤدد مع السواد، يريد أنه يكون سيداً مَنْ أَتَتْه السيادةُ في حداثته وسواد رأسه ولحيته، وقد يُذهب بمعناه إلى سواد الناس وعامّتهم يُراد أن السُّؤدد يكون بتسويد العامّة. وقال أبو اليقْظان: وَلّى الحجّاج محمد ابن القاسم بن محمد بن الحَكَم الثَّقَفيّ قتال الأكراد بفارس فأباد منهم، ثم ولّاه السِّنْدَ فآفتتح السندَ والهندَ وقاد الجيوشَ وهو آبن سبع عشرة سنة، فقال فيه الشاعر: [كامل]

إن السماحة والمُروءة والنّدى ... لمحمدِ بن القاسم بن محمدِ[1]

قاد الجيوش لِسبْعَ عَشْرَة حِجّة ... يا قربَ ذلك سُؤدداً من مولد!

ويُرْوى: يا قربَ ذلك سُورة من مولد؛ السُّورة المنزلة الرفيعة. قال أبو اليقظان: وهو جعل شِيرَازَ معسكراً ومنزلاً لُولاة فارس. وقال حمزة[2] بنَ بيْض لمخلَّد بن يزيد بن المُهلّب: [متقارب]

بَلَغْتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ من سِنيْـ ... ـك ما يبلغُ السيّدُ الأشْيَبُ

فَهَمُّكَ فيها جِسامُ الأمورِ ... وهمُّ لِدَاتِك أن يلعبوا

نظر الحُطَيئة إلى آبن عباس يتكلم في مجلس عمر، فقال: مَن هذا الذي نزل عن الناس في سنّه وعَلاهم في قوله! وقال آبن مسعود: لو بلغ أسناننا ما عشره منّا رجل[3]. ونظر رجل إلى أبي دُلَف في مجلس المأمون

---

(١) مثل هذا قول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحَشْرَج أحد امراء قيس.

(٢) حمزة بن بَيْض (بكسر الباء وفتحها) الحنفي شاعر من بني بكر بن وائل، كثير المجون، كان منقطعاً إلى المهلّب بن أبي صفرة وولده. توفي سنة ١١٦ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) ذكر ابن منظور في اللسان مادة (عشر): لو كان في السنّ مثلنا ما بلغ أحدٌ منا عشر علمه.

فقال: إن همته ترمي به وراء سنه. وولي عُبَيد الله بن زِياد خُراسان وهو ٱبن ثلاث وعشرين سنة، وليها لمعاوية. قيل لزياد عند موته: استخلِفْ عبيدَ الله، فقال: إن يَكُ فيه خير فسيولّيه عمُّه، فلما مات زياد شخص عبيد الله إلى عمه معاوية فقال له: ما منع أباك أن يولّيك؟ أما إنه لو فعلَ فعلت، فقال عبيد الله: يا أمير المؤمنين، لا يقولنَّها أحدٌ بعدك: ما منع أباه وعمه أن يكونا ٱستعملاه، فرغِب فيه فٱستعمله على خراسان. وولى معاذ اليمن وهو ٱبن أقل من ثلاثين سنة. وحمل أبو مسلم أمر الدولة والدعوة وهو ٱبن إحدى وعشرين سنة، وحمل النّاسُ عن إبراهيم النَّخَعيّ وهو ٱبن ثماني عشرة سنة. وولّى رسولُ الله ﷺ عَتّابَ بن أَسِيد مكةَ وهو ٱبن خمس وعشرين سنة. وسوَّدَتْ قُريشُ أبا جهل ولم يَطِرَّ شاربه فأدخلتْه مع الكهول دارَ النَّدوة. قال الكُمَيْت[1]:

[مجزوء الكامل]

رُفِعتْ إليك، وما ثُغِرْ[2] ... تَ، عيونُ مُسْتَمِعٍ وناظِرْ
ورأوا عليك ومنك في الـ ... ـمهد النُّهَى ذات البصائرْ

قال: قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوَّز[3] يريد الكلام، فقال عمر: كبِّروا كبِّروا، فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، إن الأمر ليس بالسن، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسنّ منك، قال صدقْتَ فتكلّم. قال الشاعر في خلاف هذا المعنى:

[خفيف]

إنما الهلكُ أن يُساسوا بِغِرٍّ ... لم تُعِرْهُ الأيامُ رأياً وَثيقا[4]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) يقال: ثغر الغلامُ إذا سقطت أسنانه الرواضع.

(٣) تحوَّز الرجلُ: تنحّى.

(٤) ذكر في العقد الفريد (ج ٥ ص ٢٩١) أن هذا الشعر قيل ردّاً على عُتْبة بن شمّاس في قوله=

وقال آخر: [طويل]

ألا قــالتِ الحسْنــاءُ يــومَ لـقيْتُهــا كبِرْتَ، ولم تجزعْ من الشيب مَجْزعا
رأتْ ذا عصــاً يمشي عليها وشيْبَــةً تَـقَنَّــعَ منهـا رأسُـهُ مـا تـقـنَّـعـا
فقلتُ لهـا: لا تَهْـزئي بي فـقلّمـا يســود الفتى حتى يشيْبَ ويصـلعـا
وَلْلقــارحُ اليَعْبُــوبُ خيــرٌ عُــلالَــةً من الجـذَع الْمُجْرَى وأبعـدُ مَنْزعـاً

رأى بُكَيْر[1] بن الأخنس المُهَلّبَ وهو غلام فقال: [طويل]

خــذوني بـه إن لم يَسُــدْ سَرَواتِهِمْ ويَبْــرَعُ حتـى لا يكــونَ لــه مـثْـلُ

الهمّة والخِطار بالنفس

قـال: أخبرنـا خالـد بن جُوَيـريـة عن محمـد بن ذُؤيب الفُقَيميّ[2] وهـو العُمانيّ الراجـز عن دُكَيْن الراجـز قال: أتيت عمـر بن عبـد العـزيـز بعـد مـا آستُخلِف أَسْتَنْجِزُ منه وَعْداً كان وَعَدنِيْه وهو والي المدينة، فقال لي: يا دُكَين، إن لي نَفْساً توّاقة، لم تزل تتوق إلى الإمارة، فلما نِلْتها تاقت إلى الخلافة، فلما نِلْتها تاقت إلى الجنة. وما رَزَأْتُ من أموال المسلمين شيئاً، وما عندي إلا ألفا درهم، فـآختَرْ أيَّهمـا شِئْتَ، وهو يضحـك. فقلت: يا أميـر المؤمنين، قليلُك خيرٌ من كثير غيرك، ويقال قليلك خير من كبير غيرك، فآختـر لي أنت، فدفـع إليّ ألفاً وقال: خذْها بارك الله لك فيها، فآبتعْتُ بها إبلاً وسُقْتهـا إلى الباديـة، فرمى الله في أذنابها بالبركة بدعوته حتى رزقني الله ما ترون.

= يمدح عمر بن العزيز (خفيف).

إنَّ أولـى بـالـحـق فـي كـلِّ حـقٍّ ثـم أحـرى بـأن يـكـون حـقـيـقَـا
مَـنْ أبـوه عـبـد الـعـزيــز بـن مَـرْوا نَ ومَــنْ كــان جَــدُّه الـفـاروقَـا

(١) لم نقف له على ترجمة في الكتب التي بين أيدينا.

(٢) محمد بن ذُوَيْب الفُقَيْمي نسبة إلى بني فقيم، لـه أخبـار مـع المهـدي والـرشيـد تـوفي نحـو ٢٢٨ هـ. الأعلام ج ٦ ص ١٢٣.

قال معاوية لعمرو بن العاص حين نظر معسكر عليّ عليه السلام: من طلب عظيماً خاطر بعظيمته. وكان عمرو يقول: عليكم بكل أمر مَزْلَقَةٍ مَهْلَكةٍ. أي عليكم بِجَسام الأمور. وقال كَعْب[1] بن زُهَير: [طويل]

وليس لمن لم يَـرْكَبِ الهَـوْلَ بُغْيَـةٌ ... وليس لـرَحْـلٍ حـطَّهُ اللهُ حـامِـلُ
إذا أنت لم تُقْصِرْ عن الجهل والخَنا ... أصَبْتَ حليماً أو أصابك جاهـل

وفي كتاب للهند: ثلاثة أشياء لا تنال إلا بارتفاع همّةٍ وعظيم خطر: عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ. وفيه أيضاً: لا ينبغي أن يكون الفاضل من الرجال إلا مع الملوك مكرّماً أو مع النُّسّاك مُتَبَتِّلاً، كالفيل لا يَحسُن أن يُرَى إلا في موضعين: في البَرِّيّة وَحْشِيّاً أو للملوك مركبًا وفيه أيضاً: ذو الهمة إن حُطّ فنفسُه تأبى إلا عُلُوّاً كالشُّعلة من النار يُصَوّبها صاحبها وتأبى إلا آرتفاعاً. وقال العَتّابيّ[2]: [طويل]

تـلومُ على تَـرْكِ الغِنـى بـاهـليَّـةٌ ... طَوَى الدّهْرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالدِ[3]
يَسُـرُّكِ أني نِلْتُ مـا نـالَ جعفـرٌ ... من المُلْك أو ما نال يحيى بنُ خالدِ
وأنّ أمـيـر الـمؤمنيـن أغصَّـنـي ... مغَصّهما بـالمُشْـرِقـات البـوارد
ذَرِيني تَجِئْني ميتتي مُطْمئنّـةً ... ولـم أتقَحَّمْ هَـوْل تـلك المـوارد
فـإنَّ كـريمـاتِ المعالي مَشُوبـةٌ ... بِمُسْتـودَعـاتٍ في بطون الأسـاوِدِ

وقال الطائي: [طويل]

وأخرى لحَتْني يومَ لم أمنعِ النَّوَى ... قِيـاديْ ولم يَنقُضْ زَمَـاعِيَ نـاقضُ

---

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني شاعر عالي الطبقة، ابن الشاعر الشهير. كانت وفاته سنة ٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٢٦. ولقد ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٩).

(٢) هو كلثوم العتّابي، وقد مرّت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ٩٤. وقد ذكرت أبياته هذه في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٠٨).

(٣) الطِّرْفُ: الطارف والحديث. والتالد ضد الطِّرْف.

أرادتْ بـأن يَحْـوِي الغِنى وهـو وادعٌ وهل يَفرِسُ اللّيثُ الطّلاَ[1] وهو رابض؟

وقال أيضاً: [كامل]

فـاْطلب هـدوءاً في التقلْقـل وآستتـرْ بـالعِيْس من تحت السُّهاد هُجُـودا
مـا إن ترى الأحسـابَ بِيضـاً وُضَّحَـا إلا بحيـثُ تـرى المنـايـا سُـوْدا

وقال آخر: [رجز]

مـا الـعِـزُّ إلا تحـت ثـوب الـكَـدِّ[2]

وقال آخر: [كامل]

الــذُّلّ في دَعَـةِ النفـوسِ ولا أرى عــزَّ المعيشــة دون أن يُشْقَـى لهـا

وقال بعض المُحْدَثين وأظنه البُحْتُريَّ: [خفيف]

فـاْطلبـا ثـالـثـاً سـوايَ فـإنّـي رابـعُ العِيْس والـدُّجَى والـبِيْـدِ
لستُ بـالـواهن المـقيـم ولا القـا ئـل يـومـاً إن الـغِنـى بـالجُـدود
وإذا اسـتُـصْـعِبـتْ مَـقـادةُ أمـرٍ سَهَّلَتْهـا أيـدي المَـهَـارى القُـودِ

وقال عبد الله بن أبي الشِّيْص[3] [وافر]

أظـنّ الـدهـرَ قـد آلـى فَـبَـرَّا بـأنْ لا يَـكـسِـبَ الأمـوالَ حُـرّا
لـقــد قعـد الـزمـانُ بـكـل حُـرّ ونـقَّض مِـن قُـواه الـمُـسْـتَـمِـرّا
كـأنَّ صـفـائـحَ الأحـرار أَرْدَتْ أبـاه فـحـاربَ الأحـرارَ طُـرّا
فـأصبح كـلُّ ذي شرف رَكـوبـا لأعـنـاق الـدجـى بَـرّاً وبَـحْـرَا
فـهتّـك جَيْـبَ دِرْع الـليـل عنـه إذا مـا جَـيْـبُ دِرْع الـلـيـل زُرّا

(١) الطّلاَ: ولد الظبي ساعة يولد.
(٢) المعنى: إنك لن تصل إلى مبتغاك إلاّ بعد جهد وتعب.
(٣) وردت ترجمته آنفاً.

يـراقبُ لِلْغِنَى وَجْهـاً ضَحُـوكـا ووجـهـاً لـلمـنِيّـةِ مُـكْـفَـهِـرّا
ومَـنْ جَـعَـلَ الـظلامَ لـه قَـعُـودا أصـاب بـه الـدجى خيـراً وشـرّا

وكان يقال: مَن سرّه أن يعيش مسروراً فَلْيَقْنَعْ، ومن أراد الذكر فليجْهَد. قيل للعتّابيّ: فلانٌ بعيدُ الهمة، قال: إذن لا يكون له غـاية دون الجنـة. وقيل لبعض الحكمـاء: مَن أسوأ النـاس حالاً؟ قـال: من آتّسعت معـرفتـه وضـاقت مقدرته وبعُدَتْ همَّتُه.

وقال عَديّ[1] بن الرِّقاع: [كامل]

والـمـرء يُـوْرِثُ جُـوْدَه أبـنـاءَه ويمـوتُ آخَـرُ وهـو في الأحيـاءِ

أبو اليقظان قـال: كان أوّلُ عمـل وليَه الحجّـاج تَبَالَـةَ، فسار إليهـا فلما قرُب منها قال للدليل: أين هي وعلى أيّ سَمْت هي؟ قال: تسترها عنك هذه الأَكَمةُ. قال لا أراني أميراً إلاّ على موضـع تستر منـه أكَمَة! أهْـوِنْ بها وِلايـة! وكرَّ راجعاً. فقيل في المثل: «أهوَنُ مِنْ تَبالةَ على الحجّاج». وقال الطائيّ: [طويل]

وطـولُ مُقـام المرء في الحيّ مُخْلقٌ لـدِيبـاجتَيْـهِ فـآغتـربْ تـتجـدَّدِ
فـإني رأيتُ الشمسَ زِيْـدَتْ محبّـةً إلى النـاس أنْ ليستْ عليهمْ بسَرْمَـدِ

وقال رجل لآخر: أبوك الذي جهل قدرَه وتعدَّى طَورْه فشقَّ العصا وفرّق الجماعة، لا جَرَمَ لقد هُـزِم ثم أُسر ثم قُتـل ثم صُلب. قال الآخـر: دَعْني من ذكر هزيمة أبي ومن صَلْبه، أبوك ما حَدّث نفسَه بشيء من هذا قطّ. قال حاتم طيء: [طويل]

لحى الـلهُ صُعْـلوكـاً مُنـاه وهَـمُّـه من العيش أنْ يَلْقى لَبُـوسْاً ومَـطْعمَـا
يرى الخَمْصَ[2] تعذيباً وإن يَلْقَ شَعْبَةً يَبِتْ قـلبُـه مِنْ قِـلَّةِ الهـمِّ مُبْـهَمـا

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الخَمْصُ: الجوع.

ولِلّهِ صُعلوكٌ يُساوِرُ هَمَّه ... ويمضي على الأهوال والدهرُ مُقدما
يرى قَوْسَه أو رُمْحه ومِجنَّه ... وذا شُطَبٍ لَدْنَ الْمَهَزَّة مِخْذَما[1]
وأحناءَ سَرْجٍ قاترٍ[2] ولجامَه ... مُعَدّاً لدى الهَيْجا وطِرْفاً مُسَوَّما
فذلك إنْ يَهْلِك فحَيٌّ ثناؤه ... وإن يَحْيَ لا يَقْعُدْ لئيماً مُذَمَّما

وقال آخر: [بسيط]

لا يمنعنَّك خَفْضَ العيش تَطْلُبُهُ ... نِزاعُ شوقٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تَلْقى بكلِّ بلادٍ إنْ حَلَلْتَ بها ... أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

ويقال: ليس بينك وبين البلدان نسبٌ فخير البلاد ما حملكَ. وقال عُرْوَة ابن الوَرْد[3]: [طويل]

لحى اللهُ صُعْلُوكاً إذا جَنَّ ليلُه ... مُصافي المُشاش[4] آلفاً كلَّ مَجْزِرِ
يَعُدّ الغِنَى من دهره كلَّ ليلة ... أصاب قِراها من صديق مُيسَّرِ
ينام عِشاءً ثم يُصْبِحُ قاعداً ... يَحُتّ الحصا من جنبه المُتعَفِّرِ
يُعِيْنُ نساءَ الحيّ لا يَسْتَعِنَّهُ ... ويُمسِي طَلِيحاً كالبعير المُحسَّرِ
ولله صُعلوكٌ صَفِيحةُ وجهِهِ ... كضوء شهاب القابس المُتَنَوِّرِ
مُطِلٌّ على أعدائه يَزْجُرُوْنَهُ ... بساحتِهِمْ زَجْرَ المَنيح المشهَّرِ

وقال آخر: [طويل]

تقول سُلَيمى: لو أَقَمْتَ بأرضنا! ... ولم تَدْرِ أني لِلْمُقام أطوفُ

---

(١) ذو شَطَبٍ: السيف. والمِخْذَم: القاطع.
(٢) القاتر والمُقْتِرُ من الرحال والسروج: الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها.
(٣) عُرْوة بن الوَرْد عبسي من غطفان ومن شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها، كان يلقب بعُرْوة الصعاليك لجمعة إياهم. توفي نحو ٣٠ ق هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٧.
(٤) المُشاش: ج مشاشة وهي رأس العظم الممكن مضغه.

وقال الطائيّ في نحوه: [وافر]

أآلِفَةَ النَّحِيبِ كم ٱفتراقٍ ... أَلَمَّ فكان داعيةَ ٱجتماعِ
وما إنْ فَرْحَةُ الأوباتِ إلا ... لموقوفٍ على تَرَحِ الوَداع

نظر رجل إلى رَوْح بن حاتم واقفاً في الشمس على باب المنصور فقال له: قد طال وقُوفك في الشمس. فقال روح: لِيَطُولَ مُقامي في الظل. وقال خِدَاش[1] بن زهير: [بسيط]

ولَنْ أكونَ كمنْ ألقى رِحالَتَهُ ... على الحمار وخَلّى صَهْوة الفَرَسِ

وقال آخر: [بسيط]

لا أنتَ قصَّرْتَ عن مجدٍ ولا أنا، إذْ ... أسْمُو إليك بنفسي، قَصَّرَتْ هِمَمي

قال عمر بن الخطاب: أشْنِعُوا بالكُنَى فإنها منبِّهة. دخل عُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان التيميّ على أبيه وهو يجود بنفسه فقال له: ألاَ أُوصي بك الأميرَ؟ فقال عبيد الله: إذا لم يكن للحيِّ إلّا وصِيَّةُ المَيْت فالحيُّ هو الميت.

وقال الشاعر في نحوه: [وافر]

إذا ما الحيّ عاش بعَظْمِ مَيْتٍ ... فذاك العظْمُ حيٌّ وهو مَيْتُ

وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صبيّ: إلى مَنْ أوْصَى بك أبوك؟ قال: أوصى إليَّ ولم يُوْصِ بي. نظر أبو الحارث حمير إلى بِرْذَوْنٍ[2] يُستقَى عليه، فقال: المرء حيث يجعل نفسَه، لو هَمْلَجَ[3] هذا لم يُبْلَ بما تَروْن. قال الطائي:

---

(١) خِداش بن زهير العامري شاعر جاهلي من أشراف بني عامر بن صعصعة. غلب على شعره الحماسة والفخر. الأعلام ج ٢ ص ٣٠٢.
(٢) البِرْذَوْن: الدابة أو الفرس غير الأصيل.
(٣) هَمْلَجَ البرذون: مشى مشية سهلة في سرعة، أو مشى مشياً حسناً.

[طويل]

وقَلْقَلَ نابي من خراسانَ جاشُها ... فقلت آطمئني أَنْضَرُ الرَّوضِ عازِبُهْ

وَرَكْبٌ كأطراف الأسِنَّة عرَّسوا ... على مثلها، والليل تَسْطو غياهِبُه

لأمرٍ عليهِمْ أن تتِمَّ صدورُه ... وليس عليهم أنْ تَتِمَّ عواقبُه

وقال آخر: [طويل]

وعشْ مَلكاً أومُتْ كريماً، وإن تَمُتْ ... وسيفُك مشهورٌ بكفك تُعذَرِ

والمشهور في هذا قول آمرىء القيس: [طويل]

فلو أنَّ ما أسْعَى لأدْنَى معيشةٍ ... كفاني ولم أطلُبْ قليلٌ من المالِ

ولكنَّما أسْعَى لمَجْدٍ مؤَثَّلٍ ... وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمثالي

وقوله: [طويل]

بكى صاحبي لما رأى الدّربَ دونه ... وأيْقَن أنّا لاحقانِ بقَيْصرا

فقلت له: لا تبكِ عينُك، إنما ... نُحاولُ مُلْكاً أو نموتَ فنُعذَرا

وقال أبو نُوَاس: [طويل]

سأبغِي الغِنَى إمّا جليس خَلِيفةٍ ... نقوم سَواءً، أو مُخِيفَ سبيلِ

وقيل ليزيد بن المُهلّب: ألاَ تبني داراً! فقال: منزلي دارُ الإمارة أو الحبس. والمشهور في سقوط الهمة قولُ الحُطَيْئة[1]: [بسيط]

دَعِ المكارمَ لا ترحَلْ لبُغْيَتها ... وآقعدُ فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِي

---

(١) الحطيئة هو جَرْوَل بن أوس بن مالك العبسي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجّاء عنيفاً. توفي نحو ٤٥ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١١٨. قال هذا البيت للزِّبْرِقان في قِصَرِ الهمّة. ولقد أورد في اللسان مادة (طعم) وقال: رجل طاعم: حسن الحال في المطعم. وسيذكر هذا البيت في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وقال مالك[1] بن الرَّيْب: [طويل]

فإنْ تُنصِفُونا، آلَ مروانَ، نَقْتَرِبْ … إليكُمْ وإلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعادِ
فإنَّ لنا عنكُمْ مراحاً ومرحلا … بِعْيسٍ إلى ريح الفَلاة صَوادي
وفي الأرض عن دار المَذَلّةِ مَذْهبٌ … وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كبلادِي
فماذا عسى الحجّاج يَبلغُ جُهْدُه … إذا نحن جاوزْنا حَفِيرَ[2] زِياد
فَبِٱسْتِ أبي الحجاج وٱستِ عَجوزه … عُتيِّد[3] بَهْم يَرْتعي بِوهَادِ
فلولا بنو مروان كان ٱبنُ يُوسف[4] … كما كان عَبْداً من عبيدِ إياد
زمانَ هو المُقْرِي المُقِرُّ[5] بذُلَّةٍ … يُراوِح غِلمانَ القُرى ويُغَادِي

بعث ينحاب خليفتها إلى ٱبن عائشة المحدّث وهو عُبيدَ الله بن محمد ابن حَفْص التَّيْميّ، فأتاه في حلقته في المسجد فقال له: أبو مَنْ؟ قال: هلاّ عَرَفْتَ هذا قبل مجيئك؟ قال: أريد أن تُخْلِيَني. قال: في حاجة لك أم في حاجة لي؟ قال: في حاجة لي. قال: فَٱلقَني في المنزل. قال: فإنَّ الحاجة لك. قال: ما دون إخواني سرّ.

وقال بعض لصوص هَمْدان وهو مالك[6] بن حَرِيم: [طويل]

كذبْتُمْ وبيتِ اللهِ لا تأخذونها … مُراغَمةً ما دام للسّيفِ قائمُ

---

(١) مالك بن الرَّيب المازني التميمي شاعرٌ من الظرفاء الأدباء الفتّاك، كان من أجمل العرب توفي نحو ٦٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٦١.
(٢) هو زياد بن أبيه.
(٣) العُتَيِّدُ: الجَدْي الذي ٱستَكْرَش، وهو من أولاد المَعَز ما رَعَى وقوِيَ وأتى عليه حَوْلٌ. وهنا يصفه الشاعر بالضعف.
(٤) ابن يوسف هو الحجاج بن يوسف؛ والمعروف أن الحجاج ـ قبل أن يتولى شرطة عبد الملك ويصبح والياً على العراق ـ كان يعلِّم الصبيان بالطائف كما كان أبوه يوسف معلماً أيضاً.
(٥) المُقْري: طالب الضيافة.
(٦) مالك بن حَرِيْم من بني دالان الهَمْداني وشاعر هَمْدان وفارسها جاهلي يماني. الأعلام ج ٥ ص ٢٦٠.

متى تجمعِ القلْبَ الذكَّي وصارماً[1] وأنْفاً حَمِيّاً تَجتنِبْك المظالمُ
ومَن يَطْلُبِ المال المُمنَّعَ بالقَنَا يَعِشْ مُثْرِياً أو تَختَرِمْه المَخَارمُ
وكنتُ إذا قَومٌ غَزَوْني غزوتُهُمْ فهل أنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظالمُ

وقال أبو النَّشْنَاش[2]، من اللصوص: [طويل]

إذا المرءُ لم يَسْرَحْ سَوَاماً[3] ولم يُرِحْ سَواماً ولم تعطف عليه أقارِبُهْ
فَلَلْموتُ خيرٌ للفتى مِن حياتِهِ فقيراً ومِنْ مَوْلًى تدِبُّ عقارِبُهْ
وسائلةٍ بالغيْبِ عنّي وسائلٍ ومَن يسألُ الصُّعْلوكَ أين مذاهبُه؟
وطامسةِ الأعلام مائلة الصُّوى[4] سَرَتْ بأبي النَّشناش فيها ركائبه
فلم أرَ مِثْلَ الفَقْر ضاجَعَهُ آلفتى ولا كَسَواد الليل أخفَق صاحبه

وقال آخر من اللصوص: [طويل]

وإنّي لأستَحْيي من الله أن أُرَى أُطُوفُ بحبلٍ[5] ليس فيه بَعِيرُ
وأنْ أسألَ المرءَ اللئيمَ بَعِيرَهُ وبُعْرانُ ربِّي في البلاد كثيرُ
فلِلَّيل، إنْ وارانِيَ الليلُ، حكمةٌ ولِلشمس إن غابت عليَّ تَدورُ
عَوَى الذئب فآستأنَسْتُ للذئب إذْ عَوَى وصوَّتَ إنسانٌ فكِدْتُ أطيرُ
رأى اللهُ أنّي للأنيس لَشَانِىءٌ وتُبْغِضُهُمْ لِيْ مقْلةٌ وضَمِيرُ

(١) الصارم: السيف القاطع.
(٢) أبو النَّشْناش هو أحد لصوص بني تميم في العصر الأموي، كان يعترض القوافل بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها. أنظره في معجم شعراء الحماسة ص ١٣١. وفي معجم الشعراء ص ٥١٥ ذكر المرزباني كنيته دون أن يترجم له فقال: «أبو النشناش النهشلي».
(٣) السَّوَام: الإبل الراعية.
(٤) الصُّوَى: ج صُوَّة وهي ما آرتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً.
(٥) الحَبْل: الرمل المستطيل الممتدّ.

وقال النَّمِرُ[١] بن تَوْلَب: [كامل]

خـاطِرْ بنفسـك كَيْ تُصيْبَ غنيمـةً ... إنّ الـجلوسَ مـع الـعيـال قـبيْـحُ
فـالـمـالُ فـيـه تَـجِـلَّةٌ ومـهـابـةٌ ... والـفـقـرُ فـيـه مَـذَلَّـة وقُبُـوحُ

وقال آخَرُ: [طويل]

تقـول آبنتي: إنّ آنـطلاقـكَ واحـداً ... إلى الـرَّوْعِ يـومـاً تـارِكِي لا أبـالِيَـا
ذَرِيْني من الإشفـاق أو قـدِّمي لنـا ... مـن الـحَـدَثـانِ والـمـنـيَّـةِ واقـيـا
سَتُتْلَفُ نفسي أو سـأُجْمـعُ هَجْمـةً ... تَـرى سـاقِيَهْـا يَـأْلَمَـانِ التَّـراقِيـا

وقال أوس[٢] بن حَجَر: [طويل]

ومَنْ يـكُ مثلي ذا عيـالٍ ومُـقْتِـراً ... من المـال يَطْرَحْ نَفْسَـه كـلَّ مَـطْرَحِ
لِيُبْـلي عُـذْراً أو لِـيَبْـلغَ حـاجـةً ... ومُبلِغُ نفسٍ عُـذْرَهـا مثـلُ مُنجِحِ

وقال آخر: [طويل]

رمى الفَقْـرُ بـالأقـوام حتى كـأنَّهُمْ ... بـأَطْـرار آفـاق الـبـلاد نـجـومُ

قـال كسرى: إحـذروا صولـةُ الكريم إذا جـاع، واللئيم إذا شبع. وقـال الشاعر: [طويل]

خُـلُقـانِ لا أرضى آختـلافَـهـمـا ... تِـيـهُ الـغِـنـى، ومَـذلّـةُ الـفَـقْـرِ
فـإذا غَـنْيِـتَ فـلا تـكـنْ بَـطِـراً ... وإذا آفـتـقـرْتَ فَـتِـهْ عـلى الدّهر
واصـبـر، فلسـتَ بـواجـدٍ خُلُقـاً ... أدنـى إلـى فـرجٍ مـن الـصَّـبْـر

---

(١) النَّمِرُ تَوْلَب العكلي شاعر مخضرم أدرك الإسلام وهو كبير السن. كـانت وفاته نحو ١٤ هـ. الأعلام (ج ٨ ص ٤٨).
(٢) تقدمت ترجمته.

كان أعرابيّ يمنع ٱبنه من التصرف إشفاقاً عليه، فقال شعراً فيه:

[طويل]

إذا مـا الفتى لم يَبْـغِ إلاَّ لِبـاسَـهُ ... ومَـطْعَمَـه، فـالخيـرُ منـه بعيْـدُ

يُـذَكِّـرني خـوفَ المنـايـا، ولم أكنْ ... لأَهْـرُبَ ممَّـا ليس منـه مَحِيْـدُ

فلو كنتُ ذا مـالٍ لَقُـرِّبَ مَجْلِسي ... وقيـل إذا أخـطأتُ: أنتَ رشيـدُ

رأيتُ الغِنى قد صار في الناس سُؤدَداً ... وكـان الفتى بـالمَكْـرُمـات يسـودُ

وإن قلتُ لم يُسمَـع مَقَـالي وإنّـني ... لَـمُبْـدِىءُ حقٍّ بينـهـمْ ومُعِيـدُ

فـذَرْني أُجَـوِّلْ في البـلاد لَعَـلّه ... يُسَـرُّ صـديقٌ أو يُسَـاءُ حسـودُ

ألَا رُبّـمـا كـان الشَّـفِيقُ مَضَـرَّةً ... عـليـك مـن الإشفـاق وهـو وَدُودُ

وقال أعرابيّ من باهلة:

[طويل]

سأُعْمِـلُ نَصَّ العِيْس(1) حتى يَكُفَّني ... غِنَى المـالِ يومـاً أو غِنَى الحَـدَثـانِ

فَلَلْمـوْتُ خيـرٌ من حيـاةٍ يُـرَى لهـا ... على الحُرِّ بـالإقـلال وَسْمُ هَـوَانِ

متى يَتَكلَّمْ يُلْغَ حُسْـنُ كـلامـه ... وإن لم يَقُـلْ قـالـوا: عَـدِيمُ بَيَـانِ

كـأنّ الغِنَى عن أهله ـ بُوْرِكَ الغِنى ـ ... بـغيـر لـسـانٍ نـاطـقٌ بـلسـانِ

الشرف والسُّؤدَد بالمال
وذم الفقر والحض على الكسب

أنشد ٱبن الأعرابيّ(2):

[طويل]

ومَن يفتقـرْ في قـومـه يَحْمَـدِ الغِنى ... وإن كـان فيهِمْ مَـاجِـدَ العَمِّ مُخْـوِلَا

---

(1) نَصُّ العِيْس: أقصى ما عندها من سير.

(2) إبن الأعرابي هو محمد بن زياد، راوية كوفي وعـالم بالشعـر، وله تصـانيف كثيرة. تـوفي سنة ٢٣١ هـ. الأعلام ج ٦ ص ١٣١.

يَمُنُّــون إنْ أعْـطَوْا ويبخــلُ بعضُهُمْ ويُحْسَبُ عجْـزاً سَكْتُه إن تَجَمَّــلا
ويُــزْرِي بعقــل المــرء قِلَّةُ مــالِـهِ وإن كـان أقـوى من رجــال وأحْـوَلَا

وقـرأت في كتـاب للهنــد: ليس مِنْ خَلَّة يُمـدَح بهــا الغَنِيُّ إلا ذُمّ بهـا الفقيرُ، فإن كان شجاعاً قيل أهْوَجُ، وإن كان وَقُـوراً قيل بليـدٌ، وإن كان لَسِناً قيل مِهذارٌ، وإن كان زِمِّيتاً[1] قيل عَيِيٌّ. وقال آخر: [بسيط]

الفقــرُ يُـزْرِي بــأقـوامٍ ذَوِي حسبٍ وقــد يُسَــوِّدُ غيــرَ السّيــد الـمــالُ

وأنشد ٱبن الأعرابيّ: [بسيط]

رُزِقْـتُ لُـبّــاً ولــم أُرْزَقْ مَــرُوءَتَــهُ ومــا الـمــروءة إلاّ كَـثْـرَةُ الـمــالِ
إذا أردْتُ مُـســامــاةٍ يُـقَـعِّـدُنــي عمــا يُنَــوِّهُ بــآسمي رِقّــةُ الحــالِ

وقال آخر: [طويل]

يُغَـطِّي عيـوبَ المــرء كثرةُ مــالـه يُصدَّقُ فيمــا قــال وهــو كَـذوبُ
ويُــزْرِي بعقــل المــرء قِلَّةُ مــالِـهِ يُـحَمِّـقُـهُ الأقــوامُ وهــو لبيـبُ[2]

وقال آخر: [منسرح]

كـم من لئيـمِ الـجُـدود سـوّده الـ ـمــال، أبــوه وأُمُّــه الــوَرِقُ
وكـم كـريـمِ الـجـدودِ ليس لـه عَـيْـبٌ سـوى أنَّ ثـوبـه خَـلَقُ
أدَّبَهُ ســادةٌ كِـرامٌ فـمــا ثــوبــاه إلا الـعَـفـافُ والـخُـلُقُ

وأنشد الرّياشيّ[3]:

(١) الزِّمِّيتُ: الكثير الوقار.
(٢) في فهرس القوافي ص ٢٥٨ جعل المحقق هذين البيتين على بحر الكامل، وهما كما نرى، على الطويل.
(٣) قال ابن عبد ربه في العقد (ج ٣ ص ٢٩ ـ ٣٠): الرياشي قال: «أنشدنا أبو بكر بن عياش» موردأ الأبيات الثلاثة المذكورة بٱختلاف يسير عما هنا.

[بسيط]

غضبانُ يعلم أنَّ المال ساقَ له ... ما لم يَسُقْهُ له دِينٌ ولا خُلُقُ
لولا ثلاثون ألفاً سُقْتُها بَطَراً ... إلى ثلاثين ألفاً ضاقتِ الطُّرُقُ
فمَنْ يكن عن كِرام الناسِ يسألني ... فأكرمُ الناسِ مَنْ كانت له وَرِق

وقال أُحَيْحَةُ[1] بن الجُلَاح: [بسيط]

إستغْنِ أو مُتْ ولا يَغْرُرْكَ ذو نَشَبٍ[2] ... مِن آبنِ عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ
يَلْوُوْنَ ما عندهُمْ من حقِ أقربِهِمْ ... وعن صديقهمو والمال بالوالي
ولا أزال على الزَّوْراء[3] أعمُرها، ... إنَّ الكريم على الإخوان ذو المال
كلُّ النداء إذا ناديْتُ يَخذُلني ... إلَّا ندائي إذا ناديْتُ يا مالي

وقال حسّان[4]: [خفيف]

رُبَّ حلْمٍ أضاعه عَدَمُ الما ... ل وجَهْلٍ غطَّى عليه النعيْمُ

وقال الهُذَليّ[5]: [وافر]

رأيتُ مَعاشِراً يُثْنَى عليهِمْ ... إذا شَبِعوا وأوجُهُهُمْ قِباحُ

---

(١) أُحَيْحَة بن الجُلَاح الأوسي شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم، كان سيِّد الأوس في الجاهلية. توفي نحو ١٣٠ هـ. الأعلام (ج ١ ص ٢٧٧).
(٢) النَّشَبُ: المال أو العقار.
(٣) الزَّوْراء: مال لأحيحة الشاعر.
(٤) هو حسّان بن ثابت، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٦٩.
(٥) أغلب الظن أنه أبو خِراش خويلد بن مرة الهذلي، وليس أبا ذؤيب الهذلي. وأبو خِراش شاعر مخضرم وفارس مشهور. أسلم وهو شيخ كبير. نهشته حيّة فقتلته نحو ١٥ هـ. الأعلام (ج ٢ ص ٣٢٥).

يَظَلُّ المُصْرِمون لهم سُجُودا ... ولو لم يُسْقَ عندهُمُو ضَيَاحُ(١)

ويروى يُلْف. وقال بعضهم: وددْتُ أنَّ لي مثل أُحُد ذهباً لا أنتفع منه بشيء. قيل له: فما تصنع به؟ قال: لكثرة من يخدمني عليه. قال الصَّلَتان(٢):

[متقارب]

إذا قلْتَ يوماً لمن قد ترى: ... أُرُونِي السَّرِيَّ، أَرَوْكَ الغَنِي
وسِرُّك ما كان عند آمرىءٍ ... وسِرّ الثلاثة غيرُ الخَفِي(٣)

وقال آخر: [بسيط]

لا تسألي النّاسَ: ما مَجدي وما شَرَفي، ... الشأنُ في فِضّتي وآلشأنُ في ذهبي
لو لم يكنْ لِيْ مالٌ لم يَطُرْ أحدٌ ... بأبي ولم يعرفوا مجدي ومجدَ أبي

وقال آخر: [طويل]

أَجَلّكَ قومٌ حين صِرْتَ إلى الغِنَى ... وكلُّ غنيٍّ في العيون جليلُ
ولو كنتَ ذا عقلٍ ولم تُؤتَ ثَرْوةً ... ذَلَلْتَ لديهمْ والفقيرُ ذليلُ
إذا مالتِ الدنيا على المرء رغَّبَتْ ... إليه ومالَ الناسُ حيث يميلُ
وليس الغِنَى إلّا غنىً زَيَّنَ الفتى ... عشيّةَ يَقْرِي أو غداةَ يُنِيلُ

وقال آخر: [طويل]

وكلُّ مُقِلٍّ حين يغدو لحاجةٍ ... إلى كلّ مَنْ يعدو من الناس مُذْنِبُ
وكان بنو عمي يقولون مرحباً ... فلما رَأَوْني مُعْدِماً مات مَرْحَبُ(٤)

---

(١) المُصْرِمُوْن: مُصرِم وهو الفقير الكثير العيال.
(٢) هو الصَّلَتان العَبْدي، وقد مرّت ترجمته.
(٣) في فهرس القوافي ص ٢٩٤، جعل المحقق هذين البيتين ضمن قافية النون، وهذا خطأ؛ لأنهما على قافية الياء.
(٤) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٣ ص ٣٥) هذين البيتين فقال: «قال إبراهيم الشيباني: رأيت في جدارٍ من جُدّر بيت المقدس بيتين مكتوبين بالذهب..». ونظير هذا المعنى قول ابن عبد=

وقال آخر: [طويل]

أبا مصلح أصلحْ، ولا تكُ مُفْسِداً فإنَّ صلاحَ المال خيرٌ من الفَقْرِ
ألم تَرَ أنَّ المرء يزداد عِزَّةً على قومه إنْ يعلموا أنه مُثْرِي

وقال عُرْوة[1] بن الوَرْدْ: [وافر]

ذَرِيني للغِنَى أَسْعَى فإني رأيتُ النّاس شرُّهُمُ ٱلفقيرُ
وأبعدُهُمْ وأهونُهُمْ عليهمْ وإن أمسى له حَسَبٌ وخِيْرُ
ويُقصِيْه النِّديُّ وتزدريْهِ حليلتُه وينهَرُه الصغيرُ
وتُلْفِي ذا الغِنَى وله جلالٌ يكاد فؤاد صاحبه يطيرُ
قليلٌ ذَنْبُهُ والذنبُ جَمٌّ ولكنْ للغَنِي ربٌّ غفورُ

وقال زيد بن عمرو[2] بن نُفيل: [خفيف]

وَيْكَأنْ مَن يَكُنْ له نَشَبٌ[3] يُحْـ ـبَبْ، ومن يَفتقرْ يَعِشْ عَيْشَ ضِرِّ
ويُجَنَّبْ سرَّ النَّجِيِّ ولكنْـ ـنَ أخا المال مُحْضَرُ كلَّ سرِّ

وقال آخر: [طويل]

ألم تَرَ بيْتَ الفقر يُهجَرُ أهلهُ وبيتَ الغِنى يُهْدَى له ويُزارُ

وقال آخر: [وافر]

إذا ما قلَّ مالُك كنْتَ فرداً وأيُّ الناسِ زُوّارُ المُقِلِّ؟

= ربه (طويل).

أرى كل فَدْمٍ قد تَبَحْبَحَ في الغِنى وذو الظَّرْف لا تَلْقاه غير عَديْمِ

والفِدْم: العَيِيُّ عن الكلام وقلة الفهم والغليظ الأحمق.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) زَيد بن عمرو بنُ نُفَيل العدوي أحد الحكماء ونصير المرأة في الجاهلية. كان عدوّاً لوأد البنات. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. توفي سنة ١٧ ق هـ. الأعلام ج٣ ص ٦٠.

(٣) النَّشَب: المال.

وقال عبد العزيز[١] بن زُرَارة: [وافر]

ومـا لُـبُّ اللبـيـب بـغـيـر حظٍّ ... بـأغنى في المـعيشـة من فَـتيْـلِ

رأيتُ الحظَّ يستُـر عيْبَ قـومٍ ... وهيهـاتِ الحـظوظُ مِنَ العقـول

وقال الطائيّ: [بسيط]

الصبرُ كاسٍ وبطنُ الكف عاريةٌ ... والعقلُ عارٍ إذا لم يُكْسَ بالنَّشَبِ

ما أضيَعَ العقلَ إن لم يَرْعَ ضيعتَه ... وَفْرٌ، وأيّ رحىً دارتْ بلا قُطُب؟

وقال آخر: [خفيف]

عِشْ بِجَدٍّ ولا يَضُرّك نَوْكٌ ... إنما عَيْشُ مَنْ تَرَى بالجُدُوْد

عِشْ بِجَدٍّ وكُنْ هَبَنَّقَةَ القيْـ ... ـسيَّ نَوْكاً أو خالدَ بن يزيد[٢]

وقال الطائيّ: [طويل]

يَنالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ ... ويُكْدِي الفتى في دهره وهو عالمُ

ولو كانت الأرزاقُ تجري على الحِجَا ... هلكْنَ إذاً من جهلهنَّ البهائمُ

وقال المرَّار[٣]: [طويل]

إذا لم تُرافدْ في الرِّفاد ولم تَسُقْ ... عدوّاً ولم تستغْنِ فالموتُ أرْوَحُ

وقال آبن الدُّمَيْنة[٤] الثقفيّ: [وافر]

أطعْتُ العِرْسَ[٥] في الشهوات حتى ... أعادتْني عَسِيْفاً عبدَ عبْدِ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية.

(٢) في مادة (هَبَنَق) من لسان العرب أورد ابن منظور هذين البيتين وقال: هبنقة القيسي رجل كان أحمق بني قيس بن ثعلبة، واسمه يزيد بن ثَرْوان، وكان يضرب به المثل في الحمق.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) إبن الدَّمِيْنة الثقفي هو عبد الله بن عبيد الله بن تيم الله، من خثعم، والدمينة أمه. كان شاعراً بدوياً من أرق الناس شعراً. وأكثر شعره في الغزل والنسيب والخمر.

(٥) العِرْس: الزوجة.

إذا مـا جئتُهـا قـد بعثُ عَـذْقـاً ... تُـعـانِقُ أو تـقـبِّـلُ أو تُـفـدِّي

وقال الأسْعَر[١] الجُعْفيّ: [كامل]

وخَصَاصَـةُ الجُعْفيِّ مـا دايَنْتَـهُ ... لا ينقضي أبـداً وإنْ قِيْـل آنقضى

إخـوانُ صِـدْقٍ مـا رأوك بِـغبْـطةٍ ... فإن آفتقَرْتَ فقد هوى بك ما هـوى

وقال آخر: [طويل]

إذا المرءُ لم يَكسِبْ مَعاشاً لنفسهِ ... شكا الفقْرَ أو لاقَى الصدّيقَ فأكْثَرا

وصـار على الأدْنَيْن كَـلًّا وأوشكتْ ... صِلاتُ ذَوي القُرْبَى لـه أنْ تنكَرّا

فَسِـرْ في بـلاد الله وآلتمس الغِنَى ... تَعِشْ ذا يَسـار أو تمـوْتَ فَتُعْـذَرا

وما طالبُ الحاجات مِن حيث تُبْتَغى ... مـن النـاس إلا مَـنْ أجـدَّ وشمَّـرا

فـلا تَـرْضَ من عَيشٍ بـدونٍ ولا تَنَمْ ... وكيف ينامُ الليلَ مَنْ كـان مُعِسرا[٢]؟

وقال آخر: [رجز]

مَـنْ يجـمـعِ المـالَ ولا يُثِبْ بِـه ... ويـتْـركِ العـامَ لـعـامِ جَـدْبِـهِ

يَهُنْ على النـاس هـوانَ كلبـه

قال أبو اليَقْطَان: ما ساد مُمْلِقٌ قطُّ إلا عُتْبَةُ بن ربيعة.

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ عن حَمّاد بن سَلَمَة عن عُبَيد الله

---

(١) الأسْعر الجُعْفي هو مَرْثَد بن معاوية الجُعْفي، شاعر جاهلي، لُقِّب بالأسعر لقوله (طويل).

فـلا يَـدْعُني قـومي لسعدِ بن مـالكٍ ... إذا أنـا لـم أسعـرْ عليهـمْ وأثقـبِ

الأعلام ج ٧ ص ٢٠١.

(٢) هذه الأبيات لربيعة بن الوَرْد. قال في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣١) ما نصه:

كان الرُّماحِسُ بن حَفْصة بن قيس وابن عم لـه يُدْعى ربيعـة بن الوَرْد يسكنـان الأردن، وكان ربيعة مُوْسراً، والرماحس مُعْسراً، وكان هذا الأخير كثيراً ما يشكو الحـاجة إلى ربيعـة فيعطف ربيعة عليه بعض العطف. فلما أكثر عليه كتب إليه هذه الأبيات.

ابن العَيْزار عن عبد الله بن عمرو أنه قال: احْرُث لدنياك كأنّك تعيش أبداً واحرُثْ لآخرتك كأنّك تموت غداً.

قال: حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثني أصحاب أيّوب عن أيّوب قال: كان أبو قِلَابة يَحُثُّني على الإحتراف ويقول: إنّ الغِنَى من العافية.

قال: وقال الأصمعيّ: سأل أعرابيٌّ عن رجل فقالوا: أحمقُ مرزوقٌ، فقال: ذاك والله الرجل الكامل. وكان يقال: من حفظ مالَه فقد حفظ الأكرمَيْن: الدّينَ والعِرْضَ. ويقال في بعض كتب الله: أطعني فيما آمرك ولا تُعلِمْني بما ينفَعُك وآمدُدْ يَدك لباب من العمل أَفْتَحْ لك باباً من الرزق. وكان يقال: من غَلَى دماغه في الصيف غَلَتْ قِدْرُه في الشتاء. ويقال: حفظُ المال أشدُّ من جمعه. وقال الحسن: إذا أردتم أن تعلموا مِنْ أين أصاب المال فآنظروا فيم ينفِقه فإنّ الخبيث يُنفَقُ سَرَفاً. ونحوه قولهم: مَنْ أصاب مالاً من نَهاوِشَ أذهبه الله في نَهابِر[1]. ويُقال في مثل «الكَدّ قبل المدّ» يراد الطلبُ قبل الحاجة والعجز. وقال لَقِيط «الغزو أدرُّ للِّقاح وأحدّ للسلاح». وقال أبو المعافَى[2]: [طويل]

وإن التوانيْ أنكح العَجْزَ بنتَه ... وساق إليها حين زوَّجها مَهْرا
فراشاً وطِيئاً ثم قال لها آتّكي ... قُصاراهما لا بدَّ أن يَلِدا الفقْرَا

وقال زيد بن جَبَلة: لا فقير أفقرُ من غنيّ أَمِنَ الفقرَ. ورُوي عن علي بن

(١) ذكر في اللسان في مادة (نهبر) هذا القول على النحو التالي: «من كسب مالاً من نَهاوِشَ أنفقه في نَهابَرِ». ونهاوش من غير حِلّة كما تَنْهَشُ الحيَّةُ من ههنا وههنا. ونهابر حرام؛ والمعنى: من آكتسب مالاً من غير حِلّة أنفقه في غير طريق الحق. وقيل: النهابر: المهالك، أي أذهبه الله في مهالك وأمور متبدِّدة.

(٢) أبو المُعافى هو يعقوب بن إسماعيل المزني، شاعر من أبناء العصر العباسي توفي نحو ١٨٠ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٩٦.

أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: ما دون أربعةِ آلافِ درهم نفقةٌ، وما فوقها كنزٌ. ويقال: القبرُ ولا الفقرُ. ويقال: ما سبق عيالٌ مالاً قطّ إلا كان صاحبُه فقيراً. وقيل لرجل من البصريين: مالَكَ لا يَنْمِي مالُكَ؟ قال: لأني آتخذتُ العيالَ قبل المال وآتخذ الناسُ المالَ قبل العيال. ويقال: العيالُ سُوْسُ المال. وقيل لمدينيّ: كيف حالُك؟ قال: كيف يكون حال من ذهب مالُه وبقيت عادتُه. ويقال: الغَني في الغربة وطنٌ والفقرُ في الوطن غربةٌ.

حدّثني محمد بن يحيى بإسنادٍ ذكره قال: شكا نبيٌّ من الأنبياء إلى الله شدة الفقر فأوحى اللهُ إليه: هكذا جرى أمرُك عندي أفتريد من أجلك أن أُعِيدَ الدنيا.

قال أبو حاتم: حدّثنا العُتبيّ قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما أجدب أهلُ البادية قطّ حتى تسوّيهم السَّنةُ ثم جاءهم الخِصْب إلا عاد الغِنى إلى أهل الغنى.

قال الأصمعيّ: رأيت أعرابية ذات جمال رائع تسأل بِمنىً فقلت: يا أمة الله، تَسألينَ ولكِ هذا الجمالُ! قالت: قدَّر اللهُ فما أصنعُ؟ قلت: فمن أين معاشُكم؟ قالت: هذا الحاجُّ نتقمّمُهم ونغسلُ ثيابَهم. فقلت: فإذا ذهب الحاجُّ فمن أين؟ فنظرتْ إليَّ وقالت: يا صُلْبَ الجبين! لو كنا إنما نعيشُ من حيث نَعلمُ لما عِشْنا. وقال الشاعر[1]: [خفيف]

أتُرَاني أرَى من الدهر يوماً ... لِيَ فيه مَطِيَّةٌ غيرُ رِجْلي
وإذا كنْتُ في جميعٍ فقالوا ... قَرِّبوا للرحيل قَدَّمْتُ نَعْلي
حيثما كنت لا أُخَلِّفَ رَحْلاً ... مَنْ رآني فقد رآني ورَحْلي

(١) هو أبو الشَّمَقْمَق مروان بن محمد، والشمقمق لقب له. شاعر هجّاء صُعْلُوك من أهل البصرة. توفي نحو ٢٠٠ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٠٩.

قيل لمدينيّ: ما عندك من آلة الحج؟ قال: التلبيةُ. وقيل لآخر: ما عندك من آلة العصيدة[١]؟ قال: الماءُ. وقيل لآخر: ما عندك من آلة القَرِيس[٢]؟ قال: الشتاءُ.

ذَمُّ الغِنى ومَدْحُ الفقر

قال شُرَيح: الجِدَةُ كنيةُ البَهْل[٣]. وقال أكثَم بن صَيْفِي: ما يسرُّني أني مَكْفِيٌّ كلَّ أمرِ الدنيا. قيل: وإن أسمنْتَ وألبنْتَ؟ قال: نعم، أكره عادةَ العَجْز. وكان يقال: عَيبُ الغِنَى أنه يُورِثُ البَلَهَ، وفضيلةُ الفقر أنه يورث الفِكرةَ. وقال محمد بن حازم[٤] الباهليّ: [منسرح]

ما الفقرُ عارٌ ولا الغِنى شَرَف ... ولا سخاءٌ في طاعةٍ سَرَفُ
ما لكَ إلّا شيٌّ تُقدِّمه ... وكلُّ شيء أخَّرْتَهُ تَلَفُ
تَرْكُكَ مالاً لوارثٍ يتهـ ... ـنّاه وتَصْلَى بحَرِّه أَسَفُ

وقال ابن مُناذر[٥]: [وافر]

رَضِيْنا قِسْمةَ الرحمٰن فينا ... لنا عِلْمٌ وللثَّقَفِيِّ مالُ
وما الثَّقَفِيُّ إن جادتْ كُساه ... وراءَكَ شخصُه إلّا خيالُ

وقال أنس بن مالك: لمّا خرج مروانُ من المدينة مرَّ بماله بذي خُشُبٍ[٦]

---

(١) العصيدة: طعام وهي دقيق يُعْقد بالطبيخ، قيل: سمّيت بذلك لأنها تُعْصَد بالمِسْواط أن تقلب وتُلْوى.

(٢) القريس: البرد الشديد.

(٣) البَهْلُ: المال. والجِدَةُ: اليسار والغنى.

(٤) محمد بن حازم الباهلي شاعر مطبوع كثير الهجاء. ولد ونشأ بالبصرة وسكن بغداد ومات فيها نحو ٢١٥ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٧٥.

(٥) هو محمد بن مناذر اليربوعي، وقد تقدمت ترجمته.

(٦) خُشُب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة، له ذِكْرٌ كثير في الحديث والمغازي؛ ويقال له: ذو خُشُب. أنظر اللسان، مادة (خشب).

فلما نظر إليه قال: ليس المالُ إلا ما أُشرِجَتْ عليه المناطقُ. ورُوي عن المسيح أنّه قال: في المال ثلاثُ خصالٍ، قالوا: وما هي يا رُوحَ الله: قال: لا يَكسِبُه مِنْ حِلّه قالوا: فإن فعل قال: يمنعُه من حقّه، قالوا: فإن لم يفعل، قال: يَشْغَله إصلاحُه عن عبادة ربه. قيل لابن عمر: توفّي زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم، قال: لكنها لا تتركه. وقال المَعْلوط[1]. [طويل]

ولا سوَّدَ المالُ الدَّنيَّ ولا دَنَا ... لذاك ولكنَّ الكريمَ يَسُودُ

متى ما يَرَ الناسُ الغنيَّ وجارَه ... فقيراً يقولوا عاجزٌ وجليدُ

وليس الغِنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظ قُسِّمَتْ وجُدودُ

فكم قد رأينا من غنيٍّ مُذمَّمٍ ... وصُعْلُوكِ قومٍ مات وهو حميدُ

إذا المرء أَعْيَتْهُ المُروءة ناشئاً ... فمطلبُها كهلاً عليه شديدُ

وقال آخر: [منسرح]

ولا تُهِيْنَ[2] ٱلفقيرَ علَّك أنْ ... تركعَ يوماً والدهرُ قد رَفَعَهْ

الأخفَش قال: قال المبرّد: أُرِيْدَ النونُ الخفيفةُ في ولا تهيْنَ فأسقط التنوين لسكونه وسكون اللام. وقال آخر: [طويل]

ولستُ بنظّارٍ إلى جانب الغِنَى ... إذا كانت العَلْياءُ في جانب الفَقْرِ

وإنّي لَصَبَّارٌ على ما ينُوبُني ... لأنّي رأيتُ الله أثْنَى على الصبر

وقال أعرابيٌّ يمدح قوماً: [طويل]

إذا ٱفتقروا عَضُّوا على الصبر حِسْبَةً ... وإن أيْسَرُوا عادوا سِراعاً إلى الفَقْرِ

يقول: يُعطون ما عندهم حتى يفتقروا. قال الحسن: عَيَّرتِ اليهودُ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) اراد القول: ولا تَهِيْنَنْ بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين.

عيسى بن مريم بالفقر فقال: من الغنى أُتيتُم، وقال: حَسْبُكَ من شرف الفقر أنك لا تَرَى أحداً يعصي الله ليفتقرَ. أنشد ابن الأعرابيّ[1]: [بسيط]

المال يَغْشَى رجالاً لا طَبَاخَ بِهِمْ كالسَّيل يَغْشَى أصولَ الدِّنْدِنِ البالي[2]

وقال الطائيّ: [كامل]

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكريم من الغِنَى فالسيلُ حَرْبٌ للمكان العالي[3]

قال عمر بن الخطاب: من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله. قال أعرابيّ: الغَنيُّ مَنْ كثُرَتْ حسناته والفقير من قَلَّ نصيبه منها. وقال ذو الأصبع[4]: [بسيط]

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ مخالفٌ لي أقْلِيه ويَقْلِيني[5]
أَزْرَى بنا أننا شَالَتْ نَعَامتُنا فخالِني دونه بل خِلْتُه دوني

(١) هو محمد بن زياد وقد تقدمت ترجمته. وفي لسان العرب مادة (طبخ) عزا ابن منظور هذا البيت لحسان بن ثابت. ثم عادوقال: جاء هذا البيت في شعر لحيَّةَ بن خلف الطائي يخاطب امرأة من بني شمحى بن جرم يقال لها أسماء.

(٢) الطَّبَاخُ: القوة، والمعنى: لا عقل لهم. والدِّنْدِنُ: ما بلي وعَفِنَ من أصول الشجر، والواحدة دِنْدِنَة.

(٣) عَطَلُ الكريم من الغنى: خُلُوُّه من الغنى. وهذا البيت قاله أبو تمام لزوجته وقد شَكَّت بأمره؛ لأنه كان ينال الكثير من الأعْطيات ويعود للمنزل فارغ اليدين فأجابها بهذا البيت، وها يشبِّه ضمناً حال الكريم المحروم من الغنى بحال قمم الجبال الخالية من السيل، بجامع كثر العطاء.

(٤) ذو الإصبع لَقَبُ لحُرْثان بن الحارث بن ثعلبة، لقِّب بذلك لأن حيّة نهشت إصبع رِجْله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة. ينتهي نسبه إلى مضر، وهو شاعر حكيم شجاع، جاهلي. عاش طويلاً. وشعره مليء بالحكمة والعظة. توفي نحو ٢٢ ق هـ. الأعلام جج ٢ ص ١٧٣.

(٥) يَقْلِيني: يبغضني.

وقال آخر: [كامل]

إنّ الحرام غزيرةٌ حَلَبَاتُهُ ... ووجدْتُ حالبةَ الحلال مَصُورا[١]

وقيل لأعرابي: إن فلاناً أفاد مالاً عظيماً قال: فهل أفاد معه أياماً يُنفقه فيها؟. وفي كتاب للهند: ذو المروءة يُكْرَم مُعْدِماً كالأسد يُهَابُ وإن كان رابضاً، ومن لا مروءة له يُهَانُ وإن كان مُوْسِراً كالكلب وإن طُوِّق وحُلِّي. وقال خِدَاشُ[٢] بن زُهير: [طويل]

أعاذِلَ، إنَّ المالَ أعْلمُ أنّه ... وجامعَهُ للغائلاتِ الغوائلِ

متى تَجعلِيْني فوق نعشك تعلَمِي ... أيُغْنِي مكاني أبْكُري وأَفائلي؟

وقال آخر: [طويل]

إذا المرء أثرى ثمّ قال لقومه ... أنا السيّدُ المَقْضِي إليه المُعَظَّمُ

ولم يُعْطِهِمْ خيراً أبَوْا أنْ يسودَهُمْ ... وهان عليهمْ رغمُه وهو أظلم

وقال زَبّانُ[٣] بن سَيّار: [طويل]

ولسنا كقوم مُحْدَثِيْنَ سيادةً ... يُرَى مالُها ولا يُحَسُّ فعَالُها

مساعيهمو مقصورةٌ في بيوتهمْ ... ومَسْعاتُنا ذُبيانُ طُرّاً عِيالُها

وقال أبو عبيد الله الكاتب: الصبرُ على حقوق المروءة أشدُّ من الصبر على ألم الحاجة، وذِلّةُ الفقر مانعةٌ من عزّ الصبر كما أنّ عزّ الغِنى مانعٌ من كرم الإنصاف. وقال بعض المتكلمين في ذمّ الغَنى: ألم تَرَ ذا الغِنَى ما أدْوَم نَصَبَه، وأقلَّ راحتَه، وأخسّ من ماله حظّه، وأشدّ من الأيام حَذَره، وأغرى

(١) مُصُوْرا: من صاره يَصُوْرُه أي أماله.

(٢) وردت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٢٣٥.

(٣) زَبّان بن سيّار الفزاري شاعر جاهلي من شعراء المفضليات. توفي نحو ١٠ ق هـ. الأعلام ج ٣ ص ٤١.

الدّهر بثلمه ونقضه، ثمّ هو بين سلطان يرعاه، وحقوق تسترثيه، وأكفاءَ يتنافسونه، وَوَلَدٍ يَودّون فراقَه، قد بعث عليه الغِنى من سلطانه العَناءَ، ومن أكفائه الحسدَ، ومن أعدائه البَغْيَ، ومن ذوي الحقوق الذمَّ، ومن الولَد الملامةَ، لا كَذِي البُلْغة قَنِع فدامَ له السرورُ، ورفض الدنيا فسلِم له الجسدُ، ورضي بالكَفاف فتنكَّبَتْه الحقوقُ. ضَجِر أعرابيٌّ بكثرة العيال والوَلَد مع الفقر وبلغه أنَّ الوباء بخَيْبَرَ شديدٌ فخرج إليها بعياله يُعرِّضهم للموت، وأنشأ يقول:

[رجز]

قلتُ لحُمىّ خَيْبَرَ آستعِدِّي ... هاكِ عِيالي وآجهَدِي وجِدِّي
وباكِري بصالبٍ ووِرْدِ ... أعانك اللهُ على ذا الجُنْدِ

فأخذته الحمّى فمات هو وبقي عيالُه. وكتب عمر بن الخطاب إلى آبنه عبد الله: يا بُنَيّ، إتق الله، فإنه مَنِ اتَّقَى الله وقاه، ومن توكّل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فَلْتَكُنِ التقوى عِماد عينيك وجِلاءَ قلبك، وآعلم أنه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حِسْبَة له، ولا مال لمن لا رِفق له، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له. وقال محمود الورّاق[1]: [سريع]

يا عائبَ الفقر ألا تَزْدَجِرْ ... عَيْبُ الغِنَى أكثرُ لو تَعْتَبِرْ
مِن شَرَفِ الفقر ومن فضله ... على الغِنَى إنْ صحَّ منك النظرْ
أنك تَعْصِي اللهَ تبغي الغِنَى ... ولستَ تَعْصِي الله كي تفتقرْ

وقال آخر: [مجزوء المديد]

ليس ليْ مالٌ سوى كرمي ... فيه ليْ أمْنٌ من العُدُمِ
لا أقول آللهُ أعْدَمني ... كيف أشكو غيرَ متَّهَمِ

(١) تقدمت ترجمته.

قَنِعَتْ نفسي بما رُزِقَتْ ... وتمطّتْ بالعُلى هِمَمِي
وجعلْتُ الصبرَ سابغةً ... فهي من قَرْني إلى قَدَمي
فإذا ما آلدّهرُ عاتَبَني ... لم يَجِدْني كافراً نِعَمِي

التجارة والبيع والشراء

قال: حدّثني محمد بن عُبَيْد عن معاوية بن عمرو عن آبن إسحق عمّن حدّثه يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ مَرْغَمةً ومرحمةً ولم أُبْعَثْ تاجراً ولا زَرّاعاً وإنَّ شرَّ هذه الأمّة التّجارُ والزرّاعون إلاّ مَنْ شَحّ عن دِينِه». وفي حديث/آخر رواه أبو معاوية عن الأعمش عن وائل بن داود عن سعيد بن جُبَير: سئل النبيّ، ﷺ، أيُّ الكسب أطيبُ قال: «عَمَلُ الرجل بيده وكلُّ بيع مبرورٍ».

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا عَوْن بن عُمارة عن هشام بن حسّان عن الحسن أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: مَنْ تَجَرَ في شيء ثلاث مرات فلم يُصِبْ فيه فليتحوّل منه إلى غيره. وقال: فرّقوا بين المنايا، وآجعلوا الرأسَ رأسين ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجَزَةٍ[1]. وقال: إذا آشتريتَ بعيراً فآشتَرِه عظيمَ الخَلْق فإنْ أخطأَك خيرٌ لم يُخطِئْكَ سوقٌ. وقال: بعِ الحيوانَ أحسَنَ ما يكون في عينك. وقال الحسن: الأسواقُ موائدُ الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها. ابن المبارك عن مَعْمَر عن الزُّبيري قال: مرّ رسول الله، ﷺ، برجل يبيع شيئاً، فقال: «عليك بالسَّوْم أوّلَ السوق فإن الرَّبَاح مع السماح». وكان يقال:

(١) رواه ابن منظور في اللسان (فرق) هكذا: «فَرِّقُوا عن المنيّة وآجعلوا الرأسَ رأسين». ومعناه: إذا آشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان فلا تُغالوا في الثمن وآشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين، فإن مات الواحد بقي الآخر فكأنكم فَرَّقْتُمْ ما لكم عن المنيّة. ولا تُلِثُّوا بدار مَعْجَزَة: أي لا تقيموا بدارٍ يعجزكم فيها طلب الرزق وتَحَوَّلوا عنها إلى دار أخرى.

إسْمَحْ يُسْمَحْ لك. وفي بعض الحديث المرفوع: «أمر رسول الله، ﷺ، الأغنياءَ بآتخاذ الغنم والفقراءَ بآتخاذ الدَّجاج». وقيل للزُّبَير: بمَ بلغْتَ ما بلغت من اليسار؟ قال: لم أَرُدَّ ربحاً ولم أسْتُرْ عيباً. دخل ناسٌ على معاوية فسألهم عن صنائعهم، فقالوا: بيعُ الرقيق. قال: بئس التِّجارُ ضمانُ نفسٍ ومَؤونةُ ضِرْس.

باع رجلٌ ضَيْعةً فقال للمشتري: أما والله لقد أخذْتَها ثقيلةَ المؤنة قليلة المنفعة، فقال: وأنت والله لقد أخذْتَها بطيئةَ آلاجتماع سريعةَ التفرّق. وآشترى رجل من رجل داراً فقال له المشتري: لو صبرْتَ لاشتريْتُ منك الذراعَ بعشرة، فقال: وأنت لو صبرْتَ بِعْتُك الذراع بدرهم.

حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ أنّ أبا سُفيان بن العَلاَء باع غلاماً له بثلاثين ألفاً فقال عمر بن أبي زائدة: هذا أحمق، قالوا: كيف؟ قال: لأنّه لم يبلغ ثلاثين ألفاً حتى أُعطي قبل ذلك عشرون ألفاً فكيف انتظر ولم يغتنمها. ورُئي عبد الله بن جعفر يُمَاكِس[1] في درهم فقيل له: أتُماكس في درهم وأنت تجود من المال بما تجود به؟ قال: ذلك مالي جُدْتُ به وهذا عقلي بَخِلْتُ به. ابتاع آبن عمر شيئاً فحَثَا له البائعُ على المكيال فقال له آبن عمر: أرسل يدكَ ولا تُمسِكْ على رأسه فإنّما لي ما يحمله المكيالُ. كان جريرُ بن عبد الله إذا آشترى شيئاً قال لصاحبه: إن الذي أخذنا منك خيرٌ ممّا أعطيناك إذ أظنُّ أنّه كذلك فأنتَ بالخيار. اشترى عمرو بن عُبَيد إزاراً للحسن بستّة دراهم ونصف فأعطاه سَبْعَة دراهم فقال الرجل: إنما بعتُه بستة دراهم ونصف، فقال عمرو: إني اشتريتُه لرجل لا يقاسِم أخاه درهماً.

---

(١) ماكَسَهُ في البيع: شاحَّه.

قـال: حدّثنـا أبو حـاتم عن الأصمعيّ عن أبي الزِّنـاد قال: إذا عَـزَب[١] المـالُ قَلَّتْ فواضلُه، لا بَلَحـةَ ولا بُسْرةَ ولا رُطَبَـةَ ولا كُرْنـافةَ[٢]. ونحـوه قـول بعض الحجازيّين: [طويل]

سَـأَبْغِيْـكَ مـالاً بـالمـدينـة إنّني أرَى عـازِبَ الأمـوال قَلَّتْ فـواضلُهْ

قال عمر بن عبد الرحمن بن عـوف: قَسَمٍ سهلُ بن حُنَيف بيننـا أموالنـا وقال لي: يا بنَ أختي، إني أوترك بالقـرابة، اعلمْ أنّـه لا مال لأَخْـرَقَ ولا عَيْلةَ على مُصلح، وخيرُ المال مـا أطعمك لا مـا أطعمْتَه، وإن الـرقيقَ جَمالٌ وليس بمـال. قال زيـاد: ليس لذي ضَعْف مثـل أرضٍ عُشْـرٍ وليس لـذي جـاه مثـلُ خَـراجٍ وليس لتاجـرٍ مثلُ صـامتٍ. قال رجـل لآخر: بكم تبيـع الشـاةَ؟ قـال: أخذْتُها بستةٍ وهي خير من سبعةٍ وقد أُعطيْتُ بها ثمانيةً فـإن كانت من حـاجتك بتسعـةٍ فَزِنْ عشـرةً. كان يقـال: خيـرُ المـال عينٌ خَـرَّارة، في أرض خـوّارة، تُفَجِّرُها الفـارة، تسهَرُ إذا نِمْتُ، وتشهـدُ إذا غِبْتُ، وتكون عِقبـاً إذا مِتُّ. عبد الـرزاق عن مَعْمَر عن الـزهريّ عن سعيـد بن المسيّب قال: إن الله إذا أبغض عبداً جعل رزقه في الصيّاح. وقـال الفُضَيل مثـلَ ذلك وقـال: أما سمعْت إلى أهل دارِ البِطّيخ والملاَّحينَ ودَوِيِّهِم.

قال: حدّثنا أحمد بن الخليل قال: حـدّثنا أحمـد بن الحارث الهُجَيْميّ قال: حدّثنا المُبارك بن سعيد عن بُرْد بن سِنان عن نافع عن آبن عمر أنّـه كان لا يرى بالمُكَايسة والمُمَاكسة في الشراء والبَيْع بأساً.

---

(١) عَزَبَ المالُ: غاب وآختفى.

(٢) الكرنافة، بضم الكاف وكسرها، واحدة الكرناف وهو أصـول السَّعَف (جريـد النخل أو ورقـه) التي تبقى بعد قطعه في جذع النخلة.

قال: حدثني محمد قال: حدّثني الأصبهانيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن مُجَالِد عن أبي بُردة. قال: أتى عمرُ غلاماً له يبيع الحُلَل، فقال له: إذا كان الثوب عاجزاً فآنشرْهُ وأنت جالسٌ وإذا كان واسعاً فآنشره وأنت قائم. قال: فقلتُ له: اللّهَ اللّهَ يا عمرُ. قال: إنما هي السُّوق. قال عبد الله بن الحسين: غَلّةُ الدور مُسْكَةٌ وغَلّةُ النخلِ كَفَافٌ وغَلْةُ الحَبّ الغِنَى. قال أعرابيّ: [طويل]

زيادةُ شيءٍ تُلحِقُ النفسَ بالمُنَى وبعض الغلاء في التجارة أَرْبَحُ

ولمّا بلغ عُتبةَ بنَ غَزْوانَ أنّ أهل البصرة قد آتخذوا الضِّياعَ وعَمَرُوا الأرضين كتب إليهم: لا تُنْهِكُوا وجهَ الأرض فإن شَحْمتها في وجهها. قال أعرابيّ: [طويل]

وفي السُّوق حاجاتٌ وفي النَّقْدِ قِلّةٌ وليس مُقَضي الحاجِ[1] غيرُ الدّراهمِ

قال ميمون بن ميمون: من آشترى الأشياءَ بِنَعْتِ أهلها غُبِنَ

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: حدّثني شُكْر الحَرَشي قال: جاء الحسن بشاةٍ فقال لي: بِعْها وآبرأْ من أنّها تقْلِبُ المَعْلَفَ وتَنزِعُ الوَتِدَ مِنْ قَبْلِ البيع لئلا يقولوا ندم. قال الشاعر: [وافر]

إذا ما تاجرٌ لم يُوْفِ كَيْلاً فصُبَّ على أنامله الجُذامُ

ابن الزيات[2] في الطائيّ: [طويل]

رأيتُكَ سهلَ البيع سَمْحاً وإنما يُغَالي إذا ما ظنَّ بالشيء بائعُهْ
هو الماء إنْ أَحْمَيْتَه طاب شُرْبُهُ ويَكْدُرُ يوماً أنْ تُبَاحَ مشارِعُهْ

---

(١) الحاجُ: ج حاجة وهي السُّؤْل.

(٢) ابن الزيات هو محمد بن عبد الملك، وزير المعتصم وابنه الواثق ومن بلغاء الكتاب والشعراء. مات ببغداد سنة ٢٣٣ هـ. الأعلام ج ٦ ص ٢٤٨.

حُدِّثْتُ عن شَيْبان بن فَرّوخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال: كان رجل يتّجر في البحر ويحمل الخَمْرَ يأتي بها قوماً، فعمَد إليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصِّرْف وآشترى قرداً فحمله معه في السفينة، فلمّا لَجَّج في البحر لم يَشعُرْ إلاّ وقد أخذ القرْدُ الكيسَ وعلا على الصَّاري وجعل يُلقي ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه قِسمين. قال رجلٌ من الحاجّ: أتانا رجلٌ من الأعراب بالرمل في طريق مكّة بغِرارة[1] فيها كَمأة، فقلنا له: بِكَم الغِرارةُ؟ فقال: بدرهمين، فقلنا: لك ذلك، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن، فلما نهض قال له رجل منا: في آست المغبون عُودٌ، فقال: بل عودان وضرب الأرض برجله فإذا نحن على الكمأة قيامٌ. قيل لأعرابيّ: ألا تشتري لابنك بِطِّيخةً. فقال: لا، أوْ يبلغَ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يَدَي البقّال وأخذه وعَدَا رماه بأخرى ولم يَعْدُ خلفه. اشترى أعرابيّ غلاماً فقال للبائع: هل فيه من عَيْبٍ، فقال: لا، غيرَ أنّه يبول في الفراش. فقال: ليس هذا بعيبٍ، إن وَجَدَ فِراشاً فَلْيَبُلْ فيه.

الدَّيْن

قال ثابت قُطْنة: الدَّين عُقْلة الشريف. وقال دُليم[2]: [طويل]

اللهُ لَقَّى مِنْ عَرابةَ بَيْعةً على حينَ كاد النَّقدُ يَعْسُرُ عاجِلُهْ[3]

ولوى بَنانَ الكفّ يحسُبُ رِبْحَه ولم يحسُبِ المَطْلَ الذي أنا ماطِلُهْ[4]

سيرضى من الرِّبح الذي كان يرتَجي برأسِ الذي أَعْطى وهل هو قابِلُهْ؟[3]

(١) الغِرارة: الجُوالق بضم الجيم وكسرها وهي العِدْل من صوف أو شَعْر والغرارة في المكيلات آثنا عشر كيلاً.

(٢) لم أحظ بترجمة له.

(٣)) يَعْسُرُ: ضدّ يَسُرَ، أي آفتقر. وعرابة: إسم رجل من الأنصار من الأوس.

(٤) في فهرس القوافي ص ٢٨٣ جعل المحقق هذه الأبيات على الكامل، وهي ـ كما نرى ـ على الطويل.

عبد الرزاق عن ابن جُرَيج قال: رآني عمر وأنا متقنّع، فقال: يا أبا خالد، إنَّ لقمانَ كان يقول: القِناعُ بالليل رِيبةٌ وبالنهار مذلّةٌ، فقلْتُ: إنّ لقمان لم يكن عليه دَينٌ. كتب يعقوب بن داود إلى بعض العُبَّاد يسأله القدومَ عليه، فأتى محمدَ بن النضر الحارثيَّ فاستشاره وقال: لعلّ اللهَ يقضِي دَيْني، فقال محمد بن النضر: لأنْ تَلْقى اللّهَ وعليكَ دَينٌ ولك دين خيرٌ من أن تلقاه وقد قضِيْتَ دَيْنكَ وذهب دَيْنُكَ. قال عِيَاض بن عبد الله: الدَّينُ رايةُ الله في أرضه فإذا أراد أن يُذِلَّ عبداً جعلها طَوقاً في عنقه. دخل عُتْبة بن عمرو على خالد القَسْريّ. فقال خالد يُعرّض به: إنَّ ههنا رجالاً يَدّانون في أموالهم فإذا فُنِيَتْ آدَّانوا في أعراضهم. فقال عتبة: إن رجالاً تكون مُروءاتُهم أكثرَ من أموالهم فيَدَّانون[1] على سَعَة ما عند الله، فخجل خالد وقال: إنّك منهم ما علمْتُ.

وقال أعرابيّ يذكر غُرماء[2] له: [بسيط]

جاءوا إليّ غِضاباً يَلْغَطون معاً ... يَشفِي أذاتَهُمُو أنْ غابَ أنصاري

لما أَبَوْا جَهْرةً إلا ملازمتي ... أجمعْتُ مكراً بهم في غير إنكار

وقلْتُ: إني سيأتيني غداً جَلَبي[3] ... وإنَّ موعِدَكُمْ دارُ ابنِ هَبّار

وما أُواعدُهُمْ إلا لأَرْبثَهُمْ[4] ... عني فيُخْرِجُني نَقْضِي وإمراري

وما جلبْتُ إليهمْ غير راحلةٍ ... تَخْدِي برَحْلي وسيفٍ جَفْنُه عاري

إن القضاء سيأتي دونه زمنٌ ... فأطوِ الصحيفةَ واحفظْها من الفار

وقال آخر لِغُرَمائه:

(١) إدَّان الرجلُ آدّياناً: أخذ دَيْناً.
(٢) الغُرَماءُ: ج غريم، وهو الدائن.
(٣) الجَلَبُ: المجلوب، أي ما جُلب من خيل أو غيرها، والجمع أجلاب.
(٤) أربثهم عني: أبعدهم؛ يقال: ربثه عن حاجته يربثه: حبسه عنها.

[وافر]

ولو علّقتموني كلَّ يوم ... برجْلي أو يدي في المَنْجنيْق[1]
لَمَا أعطيتُكُمْ إلا تُراباً ... يُطيِّر في الخَياشم والحلوقِ

وقال آخر[2]:

[وافر]

إذا جئْتَ الأميرَ فقلْ سلامٌ ... عليك ورحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأمّا بعد ذاك فلي غريمٌ ... من الأعراب قُبِّحَ من غريم
دراهمُ ما آنتفعْتُ بها ولكنْ ... وصلْتُ بها شيوخَ بني تميم

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي. قال: جاء رجل من بني مخزوم إلى الحارث بن عبد الله بن نَوْفل وهو يقضي عن أخيه ديناً فقال: إنَّ لي على أخيك حقّاً، قال: ثبِّتْ حقَّك تُعْطَهُ. قال: أفمِنْ مَلاَءة أخيك ووفائه ندَّعي عليه ما ليس لنا؟ فقال: أمِنْ صدْقِكَ وبِرِّك نقبل قولَكَ بغير بينةٍ؟. لزم سَهْلَ ابن هارون دَينٌ كثيرٌ، فقال أعرابي يوصيه بالتَّوارِي عن غُرمائه: [طويل]

انزلْ أبا عمرو على حدّ قريةٍ ... تَربّعْ إلى سهلٍ كثير السَّلاَئقِ
وخُذْ نَفقَ اليَرْبوع فآسلُكْ طريقَه ... ودَعْ عنك إنّي ناطقٌ وآبنُ ناطقِ
وكنْ كأبي قُطْب على كلّ رائع ... له بابُ دارٍ ضيِّقِ العَرْضِ سامق

وأبو قُطْبَة خَنّاق كان بالكوفة مولى لكِنْدَة.

حدّثني محمد بن عبيد. قال: حدّثني سُفيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عُمير أنَّ رجلاً كان يبايع الناسَ ويداينهم، وكان له كاتب ومَتْجَرٌ، فيأتيه المُعْسِرُ والمستنظِرُ فيقول لكاتبه: أَكْلِيءْ وآستنظِرْ ليومٍ يتجاوز

(١) المنجنيق: آلة تُرْمى بها الحجارة، مؤنثة، والجمع مجانيق.
(٢) هو أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن، وقد تقدمت ترجمته.

اللهُ عنا فيه، فمات لا يعمل عملاً غيره فغفر الله له. قال شُقْرانُ القُضاعِيّ[١]:

[طويل]

لو كنتُ مولى قَيْسَ عَيْلانَ لم تجدْ ... عليّ لإنسانٍ من الناس دِرْهماً
ولكنّني مولى قُضاعَةَ كلِّها ... فلسْتُ أُبالي أن أَدِينَ وتَغْرَما

بلغني عن يحيى بن أيّوب عن الأعمش عن إبراهيم. قال: أرسل عمر إلى عبد الرحمن بن عوف يستسلفُه أربعمائةِ درهم، فقال عبد الرحمن: أتستَسْلِفُني وعندك بيت المال، ألا تأخذ منه ثم تردُّه؟ فقال عمر: إني أتخوّف أن يصيبني قَدَري، فتقول أنت وأصحابُك: أَتركُوا هذا لأمير المؤمنين؟ حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة، ولكني أتسلَّفُها منك لِمَا أعلم مِنْ شُحّك فإذا مِتُّ جئتَ فآستوفيْتَها من ميراثي.

كتب أبو عَبّاد المهلّبي[٢] إلى صديق له مُكثرٍ يَستسلِفُه مالاً، فاعتلّ عليه بالتعذُّر وضيق الحال، فكتب إليه ابن عبّاد: إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنتَ ملوماً فجعلك الله معذوراً. أبو اليقظان قال: كان الفضل[٣] بن العبّاس بن عُتبة بن أبي لَهَب الشاعر يُعَيِّن[٤] الناسَ فإذا حَلّت دراهمُه ركب حماراً له يقال له شاربُ الريح فيقف على غُرَمَائه ويقول: [طويل]

بَنِي عمِّنا، رُدّوا الدراهمَ إنما ... يُفَرِّق بين الناس حُبُّ الدراهمِ

---

(١) لم أقف له على ترجمة.
(٢) أبو عبّاد المهلبي هو محمد بن عباد بن حبيب المهلبي.
(٣) الفضل بن العباس من قريش ومن فصحاء بن هاشم. مدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي يمدح أموياً. توفي نحو ٩٥ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٥٠.
(٤) يُعَيِّنُ الناسَ: من يعين التاجرُ تعييناً، والإسم العِيْنة، وذلك إذا باع سلعته إلى أجل ثم آشتراها بأقل من ذلك الثمن. وكان أكثر الفقهاء يكرهون العينة.

وكان رجل من بني الدِّيل عَسِر القضاء فإذا تعلّق به غرماؤه فرَّ منهم وقال: [وافر]

فلو كنتُ الحديدَ لكسّروني ولكني أشَدُّ من الحديدِ

فعيَّنه الفضلُ فلما كان قبل المَحِلّ جاء فبنى مَعْلَفاً على باب داره، وكان يقال للرجل عَقْرب فلقي كل واحد من صاحبه شِدّةً، فهجاه الفضل فقال.

[سريع]

قد تَجَرَتْ في دارنا عقربٌ لا مرحباً بالعقرب التاجِرَهْ
إنْ عادتِ العقربُ عُدنا لها وكانت النّعلُ لها حاضره
كُلُّ عدوٍ يُتّقى مُقْبِلاً وعقربٌ تُخشَى من الدّابره
إنَّ عدوّاً كيدُه في آسته لَغيرُ ذي كيدٍ ولا نائره

قال بعضهم: ثلاثةٌ مَنْ عازَّهُمْ عادت عزّته ذلّة: السلطان. والوالد، والغريم. وفي الحديث المرفوع: «لصاحب الحقِّ اليدُ واللسانُ». المدائني قال:ساير بعضُ خلفاء بني أمية رجلاً وهو يحادثه ثم قطعَ حديثه وآصفرّ لونه، فقال له الرجل: ما هذا الذي رأيتُ منك؟ قال: رأيت غريماً لي، قال الشاعر:

[طويل]

إذا ما أخذْتَ الدَّين بالدَّين لم يكن قضاءً ولكنْ كان غُرْماً على غُرْمِ

وقال آخر: [وافر]

أخذْتُ الدَّينَ أدفعُ عن تِلادي وأَخْذُ الدَّين أهلكُ للتِّلادِ

كان لرجل من يَحصُبَ على رجل من باهلة دَيْنٌ، فلما حل دينُه هرب الباهليّ وأنشأ يقول: [طويل]

إذا حلّ دَيْنُ اليحصُبيِّ فقلْ له: تزوّدْ بزادٍ وآستعِنْ بدليل

سَيُصبحُ فوقي أقتمُ الرأس واقعاً بقَالي قَلاَ أو من وراء دَبِيلِ[1]

قال المحدّث بهذا: فحدّثني من رآه بقالِي قَلاَ أو بدبيل وهو مصلوب وقد وقعت عليه عُقابٌ. وقف أبو فرعون الأعرابيّ على باب قوم يسألهم، فحلفوا له: ما عندهم شيء يُعطُونه، فقال: استقرضوا لنا شيئاً، فقالوا: ما يُقرضنا أحدٌ شيئاً، فقال أبو فرعون: ذلك لأنكم تأخذون ولا تُعطُون، أو قال ولا تَقضُون. أتى قومٌ عِبَادِيّاً فقالوا: نحبّ أن تُسلِفَ فلاناً ألفَ درهم وتؤخره بها سنةً، قال: هاتان حاجتان وسأقضي لكم إحداهما، وإذا أنا فعْلتُ فقد أنصفْتُ، أنا أؤخرّه ما شاء. كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل له عليه دينٌ. قد آن للحقّ الذي عندك أن يرجعَ إلى أهله، وتَستغفرُ اللهَ تعالى من حبسه.

اختلاف الهمم والشهوات والأماني

اجتمع عبد الله بن عمر وعُروة بن الزُّبَير ومُصعَبُ بن الزبير وعبد الملك بن مروان بِفناء الكعبة، فقال لهم مصعبٌ: تمنَّوْا فقالوا: إبدأ أنت. فقال: ولايةُ العراق وتزوّجُ سُكَينةَ ابنة الحسين وعائشة بنت طلحة بن عُبَيد الله، فنال ذلك وأصدقَ كلَّ واحدة خمسمائة ألف درهم وجهّزها بمثلها. وتمنى عُروةُ بن الزُّبَير الفِقهَ وأن يُحملَ عنه الحديثُ فنال ذلك. وتمنّى عبدُ الملك الخلافة فنالها. وتمنى عبد الله بن عمر الجنة.

قال قُتيبة بن مُسلم لحُصين بن المُنْذر: ما السّرورُ؟ قال: امرأةٌ حسناء،

---

(١) قالي قَلاَ: من أعمال ديار بكر، وقيل: هي أرْزن الروم. وذكر البلاذري في فتوح أرمينية أو زوجة أرمينياس، وتسمى قالي، هي التي بنت مدينة قالي قلا وسمتْها «قالي قاله» ومعنى ذلك: إحسان قالي، فعرَّبت العربُ «قالي قاله» فقالو: قالي قلا. ودَبِيْل هي دبيل أرمينية. وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ وج ٦ ص ٣٤٢.

ودارٌ قَوْرَاء[1]، وفرسٌ مُرتبِطٌ بالفِناء. وقيل لِضرار بن الحُسين: ما السّرورُ؟ قال: لِواءٌ منشور، وجلوسٌ على السرير، والسلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبد الملك[2] بن صالح: ما السّرورُ؟ فقال: [مجزوء الكامل]

كلّ الكرامة نِلتُها إلّا التحيةَ بالسلامِ

يريد أنه لم يُسَلَّم عليه بالخلافة. وأخذه من قول الآخر:

[مجزوء الكامل]

مِن كلّ ما نال الفتى قد نلْتُهُ إلاَّ التحيَّهْ

يريد المُلكَ. قيل لعبد الملك بن الأهتم: ما السّرور؟ فقال: رفعُ الأولياء، وحطُّ الأعداء، وطولُ البقاء، مع القدرة والنماء. وقال آخر:

[خفيف]

أطْيَبُ الطيّبات قتلُ الأعادي وآختيالٌ على مُتون الجِيادِ
وأيادٍ حَبَوْتهُنَّ كريماً إنَّ عند الكريم تزكو الأيادي

قيل للفضل بن سهل: ما السّرور؟ فقال: توقيعٌ جائز وأمرٌ نافذ. وقال يزيد بن أسد يوماً: أيُّ شيءٍ أسرُّ للقلوب؟ فقالوا: رجل هَوِيَ زماناً ثم قَدَر، فقال: إن هذا السّرورُ. وقال آخر: رجل طلب الولدَ زماناً فلم يولَد له ثم بُشّر بغلام، فقال يزيد: أسرّ من هذا كلّه قَفْلَةٌ على غَفْلة. قيل لبعض الحكماء: تمنَّ، فقال: مُحادثة الإخوان، وكَفَافٌ من عيش يَسُدّ خَلّتي ويستر عورتي، والانتقال من ظِلّ إلى ظل. قيل لآخر: ما بقي من مَلاذّك؛ قال: مناقلةُ الإخوان الحديثَ على التِّلَاع العُفْر في الليالي القُمْر. قيل لامرىء القيس: ما

(١) دارٌ قَوْراء: دار واسعة، والمذكر أقور.
(٢) عبد الملك بن صالح أمير من بني العباس، توفي سنة ١٩٦ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٥٩.

أطيبُ عيشِ الدنيا؟ فقال: بيضاءُ رُعْبُوبة[١]، بالطِّيب مَشبوبة، بالشحم مكروبة. وقيل لطَرَفة مثلُ ذلك فقال: مطعمٌ شهِيّ وملبسٌ دَفِيّ، ومركبٌ وطِيّ. وقيل للأعشَى مثلُ ذلك، فقال: صهباءُ صافية، تمزُجُها ساقية، من صَوْبِ غادية[٢]. وقال طَرَفة[٣]: [طويل]

ولولا ثلاثٌ هُنّ من عيْشة الفتى ... وجَدِّكَ لم أحْفِلْ متى قام عُوَّدي

فمنهنَّ سَبْقِي العاذلاتِ بِشَرْبة ... كُمَيْتٍ[٤] متى ما تُعْلَ بالماء تُزْبِد

وتقصيرُ يوم الدَّجْن والدَّجْنُ مُعْجَبٌ ... ببَهْكَنةٍ تحت الطِّرَاف المَعَمَّد

وكَرِّي إذا نادى المُضَافُ مُحَنَّباً ... كسِيْدِ الغَضا نَبَّهْتَهُ آلمتورِّدِ

وقال أبو نواس: [مجزوء الكامل]

قلت بالقُفْص ليحيى ... ونداماي نِيامُ

يا رَضِيعِيْ ثَدْيَ أُمٍّ ... ليس لي عنه فِطَامُ

إنّما العيشُ سَماعٌ ... ومُدامٌ ونِدامُ

فإذا فاتَكَ هذا ... فعلى العَيش السلامُ

وقال سُحَيمٌ[٥]: [منسرح]

تقول حَذْراءُ: ليس فيك سوى الـ ... ـخمر مَعَابٌ يَعِيْبُهُ أحَدُ

فقلتُ: أخطأتِ، بل مُعَاقرتي الـ ... ـخمرَ وبَذْلِي فيها الذي أجِدُ

---

(١) بيضاءُ رُعْبُوْبَةٌ: فتاة أو جارية رُعْبُوب، أي بيضاء حسنة ناعمة.

(٢) صَوْبُ الغادية: مطر السحابة التي تنشأ غدوة.

(٣) هو طَرَفَة بن العبد البكري، وقد مرّت ترجمته.

(٤) كُمَيْت: أي خمر كُمَيْت.

(٥) هو سُحَيْم بن وَثِيْل بن عمرو التميمي، الشاعر المخضرم الذي عاش في الجاهلية والإسلام. ناهز عمره المئة. توفي نحو ٦٠ هـ. الأعلام ٣ ص ٧٩. وقد وردت هذه الأبيات في البيان والتبين (ج ٣ ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥) باختلاف يسير في البيت الثالث فقط.

هـو السَّنـاء الـذي سمعْتِ بـه ... لا سَبَـدُ مَحْـتِـدي ولا لَـبَـدُ[١]
وَيْحَكِ لولا الخمورُ لم أحْفِلِ الـ ... ـعيشَ ولا أن يَضُـمَّنـي لَحَـدُ
هي الحيـا والحيـاة واللّهـو لا ... أنـت ولا ثَـرْوَةٌ ولا ولَـدُ

وقال أبو الهِنديّ[٢]: [متقارب]

تـركـتُ الـخـمـورَ لأربـابـهـا ... وأصبحْتُ أشـربُ مـاءً قَـرَاحـا
وقـد كـنتُ حينـاً بـهـا مُعْجَبـاً ... كَحُبِّ الغُـلامِ الفتـاةَ الـرَّداحَـا
ومـا كـان تـركـي لـهـا أنّـنـي ... يَخـافُ نـديمي عليَّ آفتِضـاحَـا
ولـكـنَّ قَـوْلي لـه مَـرْحَـبـاً ... وأهـلاً مع السّهـل وآنعَمْ صَبَاحا

وقال آخر: [خفيف]

اِسْقِنِي بـالـكبيـر إنّي كبيـرُ ... إنّمـا يشـربُ الـصغيـرَ الصغيـرُ
لا يَغُـرَّنْـكَ يـا عُبَيْـدُ خُشـوعي ... تحت هـذا الخشـوعِ فِسْقٌ كثيـرُ

كان آبن عائشة يُنشد: [رجز]

لـمّـا رأيتُ الـحظّ حظَّ الجـاهـلِ ... ولم أَرَ المَغْبـونَ غيـرَ العـاقـلِ
رَحَّلْتُ عَنْسـاً من كـروم بـابـلِ ... فَبِتُّ مـن عـقـلي عـلى مـراحـلِ

وقال آخر: [طويل]

شَـرِبنَـا من الـدّاذيِّ[٣] حتى كـأننـا ... ملوكٌ لهمْ بَـرُّ العِـراقَيْنِ والبحـرُ
فلمّـا آنجلتْ شمسُ النهـار رأيْتنـا ... تَـوَلَّى آلغِنَى عنّا وعـاوَدَنـا الفَقْـرُ

---

(١) السَّبَدُ: الشَّعْرُ. واللَّبَدُ: الصوف ومُحْتَدي: من احتدى بالمكان أي لزمه فلم يَبْرَحْه.
(٢) أبـو الهندي هـو غالب بن عبـد القُدُّوس اليـربوعي، شـاعـر مـطبـوع أدرك الـدولتين الأمـويـة والعبـاسيـة. استفـرغ شعره في وصف الخمـر، وهـو أول من تفنن في وصفهـا من شعـراء الإسلام. توفي بسجستان نحو ١٨٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٤٤. كذلك وردت ترجمة له مع ذكر الأبيات الأربعة في الشعر والشعراء ص ٥٧٢ ـ ٥٧٣.
(٣) الدَّاذِيُّ: خمر وهي شراب الفاسقين.

قال بعضهم: العيشُ كله في كثرة المال وصحةِ البدن وخمولِ الذكر. وكان يقال: ليس السّرورُ للنفس بالجِدَةِ،[1] إنما سرورُ النفس بالأمل. قال يزيد بن معاوية: ثلاث تُخْلِقُ العقلَ وفيها دليلٌ على الضّعف: سرعةُ الجواب، وطول التمنّي، والاستغراب في الضحك. وكان يقال: المُنى والحُلْمُ أخوان. وسئل آبن أبي بَكْرة: أيُّ شيءٍ أدْومُ إمتاعاً؟فقال: المُنى.

وقال الشاعر: [بسيط]

إذا تمنَّيتُ بِتُّ الليلَ مُغتبطاً ... إنَّ المُنَى رأسُ أموال المَفالِيسِ

وقال آخر: [سريع]

ما فاتني منك فإنَّ المُنَى ... تدنِيهِ مِنّي فكأنَّا معَا

وقال آخر: [سريع]

وإنَّ لوّاً ليس شيئاً سوى ... تسليةِ اللَّوْمَاءِ بالباطلِ

وقال بعض الأعراب: [طويل]

مُنىً إن تكنْ حقّاً تكنْ أحْسَنَ المنَى ... وإلَّا فقد عِشْنا بها زمناً رَغْدَا

أمانِيَّ من سُعْدَى عِذَاباً كأنما ... سَقَتْك بها سُعْدى على ظمأٍ بَرْدا

وقال بشَّار: [طويل]

كرْنا أحاديثَ الزمان الذي مضى ... فلذَّ لنا محمودُها وذميمُها

وقال المجنون[2]: [طويل]

أيا حَرجَاتِ الحيِّ حيث تحمّلوا ... بذي سَلَمٍ، لا جَادَكُنَّ ربيعُ[3]

---

(١) الجِدَةُ: اليسار والغنى.

(٢) المجنون لقبٌ لقيس بن المُلَوّح العامري لهيامه في حب ليلى بنت سعد. شاعر غزل متيمٌ. توفي سنة ٦٨ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٨.

(٣) الحَرَجَاتُ: ج حَرَجة وهي الشجر الملتف أو الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة. =

وخيماتك اللّاتي بمُنْعَرَج اللِّوَى ... بِلَيْن بِلىً لم تَبْلَهُنَّ رُبوعُ
فَقَدْتُكِ من نفس شَعاع فطالما ... نَهَيْتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ
فقرَّبْتِ ليْ غيرَ القريب وأشرفَتْ ... إليكِ ثنايا ما لهنَّ طُلوعُ

وقال آبن الدُّمَينة [1]: [بسيط]

يا لَيْتَنا فردا وَحْش نَدُوْرُ معاً ... نرعَى المِتَان ونَخْفَى في نواحيها[2]
أَوَ لَيْتَ كُدْر القَطا حلَّقْنَ بي وبها ... دون السماء فَعِشْنا في خَوَافيها
أكثرْتُ مِن لَيْتَنا لو كان ينفعُني ... ومِن مُنَى النفس لو تُعطَى أمانِيها

وقال كُثَيِّر[3]: [طويل]

فيا ليتنا، يا عَزَّ[4]، من غير رِيْبةٍ ... بعيرانِ نَرعَى في الفلاة ونَعزُبُ
نكونُ لذِي مالٍ كثيرٍ يُضِيْعُنا ... فلا هو يَرْعانا ولا نحن نُطلَبُ

وقال جرَانُ [5] العَوْد: [طويل]

ألا ليتنا طارتْ عُقابٌ لنا معاً ... لها سببٌ عند المَجَرَّةِ أو وَكْرُ

وقال مالك[6] بن أسماء: [طويل]

ولما نَزَلْنا منزلاً طَلَّهُ النَّدَى ... أنِيقاً وبُستاناً مِن النَّوْر حَالِيَا
أَجَدَّ لنا طِيْبُ المكان وحُسْنُه ... مُنىً فتمنْينا فكنْتِ الأمانِيَا

= وقد ورد في اللسان مادة (حرج): «حين تحملوا» بدل «حيث تحملوا». والسَّلْمُ: شجر من العِضاه وورقها القَرَظ الذي يُدْبَغ به الأديم. وهنا يدعو لها الشاعر بعدم السَّقْيا.

(١) تقدمت ترجمته. وفي الأصل: ابن أبي الدمينة، وهو خطأ.
(٢) الفَرَدُ: الواحد. والمُتانُ: جمع مَتْن وهو ما صلب من الأرض وآرتفع.
(٣) هو كُثَيِّرٌ عزة وقد تقدمت ترجمته.
(٤) يا عَزَّ: منادى مرخم من عَزَّةَ.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) تقدمت ترجمته.

وأنشدنا الرِّياشيّ: [طويل]

نهـاريْ نهـارُ النـاس حتَّى إذا دجـا لِيَ الليـلُ مَلّتْني هنـاكَ المضـاجـعُ
أُقضّي نهـاري بـالحـديث وبـالمنى ويجمعُني والهمَّ بـالليـلِ جـامـعُ[1]

وأنشد أبو زيد: [طويل]

كـأنِّيَ، إذْ أسعى لأظفَـرَ، طـائـرُ مع النجم في جوّ السمـاء يَـطيـرُ
فَتىً مُتَلَهّـى بـالمُنَى فـي خـلائـه وهـنَّ وإنْ حَسَّـنْـتُـهـنَّ غُـرُوْرُا

أبـو حاتم عن الأصمعيّ قـال: زعم شيخ من بني القُحَيْف قـال: تمنّيتُ داراً فمكثْتُ أربعة أشهر مغتماً للدّرجة أين أضعُها. قال الوليد بن عبد الملك لبُدَيْح[2] المَغني: خُذْ بنا في التمنّي فوالله لأغلبَنَّك. قال: والله لا تَغلِبني أبداً. قـال: بلى. قال بُـدَيحٌ: فـإني أتمنّى كِفْلَين من العذاب، وأن يلعَنني الله لعْنـاً كثيراً فخذْ ضَعفَيْ ذلك. قال: غلبتني، لعنك الله. قيل لِمُزْبِد: أَيَسُرُّكَ أنَّ هذه الجنة لك؟ قال: وأُضْرَبُ عشرينَ سَوْطاً. قالوا: ولِمَ تقول هذا؟ قال: لأنـه لا يكون شيء إلا بشيء.

الأصمعيّ عن مُبَشّر بن بَشير أن رجلاً كان يطلبه الحجّاج فمرَّ بسـاباط[3] فيه كلب بين حُبَّينِ[4] يَقْطُر عليه ماؤهمـا. فقال: يـا ليتني مثلُ هـذا الكلب، فما لبث سـاعةً أن مُـرّ بالكلب في عنقـه حبلٌ، فسـأل عنه، فقـالـوا: جـاء كتـابُ

(١) هذان البيتان لإبن الدمينة المتقدم الذكر أعلاه.
(٢) إختص بُدَيْح المغني بمعاوية، فكثيراً ما كان يحضر مجالسه ليـروِّح عنه متـاعب النهار، وكـان مفتناً بالضرب على العود، وكان صديق طُوَيْس المغني. قال ابن منظور في اللسان مادة (بدح) ما نصه: قال أبو عمرو: يقال: ذبحه وبذحه، ودبحه وبدحه، ومنـه سمي بُدَيْـح المغني؛ كان إذا غنّى قطع غناء غيره بحسن صوته.
(٣) السـاباط: سقيفة بين دارَيْن تحتها طريق.
(٤) مثنى حُبّ والحُبّ جَرَّةُ أو الضخمة من الجرار أو الخابية، وهي فارسية معرّبة، والجمع أحباب وحِبَبَة.

الحجّاج يأمر فيه بقتل الكلاب. قال مَدِينيّ لكوفيّ: ما بلغ من حبك لرسول الله ﷺ؟ فقال: وَدِدْتُ أنّي وَقَيْتُه ولم يكن وصل إليه يوم أُحُدٍ ولا غيره شيءٌ من المكروه إلاّ كان بي دونه. قال المدينيّ: وَدِدْتُ أن أبا طالب كان أسلَمَ فسُرّ به رسولُ الله ﷺ وأنّي كافرٌ.

تَمَنّى ٱبن أبي عَتِيق أن يُهدَى له مسلوخٌ يَتخِذُ منه طعاماً، فسمعَتْه جارةٌ له فظنّت أنه قد أمر أن يُشتَرَى له، فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تَدُقُّ البابَ، وقالت: شَمَمْتُ ريحَ قُدوركم فجئتُ لِتطعِموني، فقال ٱبن أبي عتيق: جيراني يَشمّون ريحَ الأماني.

وفي كتاب للهند أن ناسكاً كان له عسل وسمن في جَرّة، ففكّر يوماً فقال: أبيعُ الجَرّةَ بعشرة دراهم، وأشتري خمسةَ أعنُزٍ فأُولِدُهُنّ في كلّ سنةٍ مرتين؛ ويبلغ النتّاجُ في سنين مائتين، وأبتاعُ بكل أربعٍ بقرةً، وأُصِيب بَذْراً فأزرع، ويَنْمي المالُ في يدي؛ فأتّخذُ المساكنَ والعبيدَ والإماءَ والأهلَ ويُولَدُ ليَ ٱبنٌ فأسميه كذا وآخذه بالأدب، فإن هو عصاني ضربتُ بعصاي رأسه وكانت في يده عصا فرفعها حاكياً للضرب، فأصابت الجرّةَ فٱنكسرت، وٱنصبّ العسلُ والسمنُ على رأسه.

ابن الكلبيّ قال: كان رجل من ولد عمر بن الخطاب إذا كان مسروراً قال:

[خفيف]

ليت أيّامَنا ببُرْقةِ[1] خاخٍ وليالِيكَ، يا طويلُ، تعودُ

---

(١) بُرْقَة: موضع بالمدينة كانت صَدَقات سيدنا، رسول الله ﷺ، منها. وقد يريد الشاعر: بروضة خاخٍ بين الحرمين كما ورد في اللسان مادة (خوخ).

وإذا كان مغتمّاً قال: [طويل]

تَـرَى الشيءَ مما تَتّقي فتخـافُـه   ومـا لا تَـرَى ممـا يَقِي اللهُ أكثـرُ

الأصمعيّ عن أبيه قال: قـال زِياد: أيّ النـاس أنعمُ؟ قالـوا: معاويـة. قال: فأين مـا يَلْقى من الناس! قـالوا: فـأنت. قال: فـأين ما ألقى من الثغـور والخـراج! قالـوا: فمن؟ قال: شـابٌّ له سِـدَادٌ من عيشٍ، وآمرأةٌ قـد رضيهـا ورضيته، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإن عرَفنَاه أفسدنا عليه دينَه ودنياه.

التواضع

قال: حدّثني محمد بن خالد بن خدَاش قال: حدّثنـا مسلم بن قُتيبة عن شيخ من أهل المدينة قال: قال رجاء بن حَيْوَة: قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلحَ من السِّراج فقلت: يا أمير المؤمنين، لِمَ لا أمرتَنِي بذلك، أو دعوْتَ له من يُصلِحُه؟ فقال: قمتُ وأنا عمرُ وعدتُ وأنَا عمرُ.

قـال: حـدّثني أبـو حـاتم عن الأصمعي قـال: كتب محمـد بن كعب فآنتسب وقال: القُرَظيّ، فقيل له: أو الأنصاريّ. فقال: أكره أن أَمُنّ على الله بما لم أفعل.

قـال: حدّثني أحمـد بن الخليل قـال: حـدّثنـا عبـد الله بن مسْلمـة عن يعقوب بن حمّاد المدني عن عبد الرحمن بن يـزيد عن أبيـه قال: كـان عمر بن الخطاب إذا سافر لا يقوم في الظلّ، وكان يراحلنا رِحالَنا ويُرحِّلُ رحلَه وحـده.

وقال ذات يوم: [سريع]

لا يـأخـذُ الليـلُ عليـك بـالهِمّ   إذْ آلـبَسَـنْ لـه القـميصَ وآعـتمّ[1]

---

(١) كذا ورد هذا الشطر وهو مختل الوزن وآرتأيت أن يكون هكذا:
إذ آلبَسَنْ له القميصَ وآعتَم»واعتمَّ الرجلُ: لبس العِمامة.

وكـن شـريْـكَ نـافـعٍ وأسْلَمْ   ثم آخـدُمِ الأقـوامَ حتى تُخـدَمْ

وروى وَكيـع عن إسماعيـل بن أبي خالـد عن قيس بن أبي حازم قـال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ، فأصابَتْه رِعدةٌ فقال النبيّ ﷺ: «هوّن عليك فإنمـا أنا آبن آمرأة من قريش كانت تأكل القَدِيدَ»[١].

قال: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: جلس الأحنف على باب دار، فمرّت به سـاقيةٌ فـوضعَتْ قِربتَهـا وقالت: يـا شيخُ، احفظ قـربتي حتى أعودَ ومضت، فأتاه الآذن وقال: انهض. فقال: إن معي وديعةً، وأقام حتى جاءت.

حـدّثني أبـو حـاتم عن الأصمعيّ عن جَـريـر بن حـازم عن الـزُّبيـر بن الحارث عن أبي لَبيد، قال: مرَّ بنا زياد وهو أمير البَصرة ومعه رجـل أو رجلان وهو على بغلة قد طوّق الحبلَ في عنقها تحت اللجام.

الأصمعيّ قال: قال يحيى بن خالد: الشريفُ إذا نُقّرَ[٢] تواضع والوضيع إذا نُقّر تكبّر. الأصمعيّ قال: لا أُراه أخذه إلا من كِيسِ غيره.

حدّثنا حسين بن حسن المَـرْوَزِيّ قال؛ حـدّثنا عبـد الله بن المبارك عن يحيى بن أيّوب عن عُمارة بن غَزِيّة عن عبد الله بن عُروة بن الـزُّبَير قـال: إلى الله أشكو حمدي ما لا آتِي، وذَمِّي ما لا أتركُ.

قال: حدّثني أحمـد بن الخليل عن أبي نُعَيم عن مُنْـدَلٍ عن حُمَيد عن أَنَس قال: مرّ النبيّ ﷺ وأنا في غلمانٍ فسلم علينا.

وحـدّثني أحمد بن الخليـل عن عمر بن عـامر عن شُعْبـة عن جابـر عن طارق التَّيميّ عن جَرير بن عبد الله البَجَليّ قال: مرّ رسول الله ﷺ بِنسْوة فسلَّم عليهن.

(١) القديد: اللحم المُشَرَّر المقدَّد أو ما قطع منه طولاً.
(٢) نُقِّر: عِيْب أو نودي بأسمه من بين الأسماء.

قال: حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: أخبرني مَعْمر قال: قلت لجارٍ لعَطَاء السُّلَميّ: من كان يخدُم عطاء؟ قال: مُخَنّثون كانوا في الدار يستقون له وَضُوءَه. فقلت: أيُوضِّئُه مخنّثون! فقال: هو كان يظنهم خيراً منه. الأصمعيّ عن رجل عن البَتّي قال: آذى آبنٌ لمحمد بن واسع رجلاً، فقال له محمد: أتؤذيه وأنا أبوك وإنما آشتريتُ أمّك بمائة درهم.

قال عامر بن الظّرِب العَدْوانيّ: يا معشرَ عَدْوان، إن الخيرَ أَلوف عَرُوفٌ عَزَوفٌ، وإنه لن يُفارِقَ صاحبَه حتى يفارقَه، وإني لم أكن حكيماً حتى صحِبتُ الحكماءَ، ولم أكن سيدَكم حتى تعبّدْتُ لكم. قال عُروة بن الزبير: التواضعُ أحدُ مصايد الشرف. كان يقالُ: اسمان متضادّان بمعنى واحد: التواضعُ والشرفُ. وقال بُزُرْجِمَهْر: ثمرةُ القناعة الراحةُ، وثمرةُ التواضع المحبةُ. وقال الوليد: خِدمةُ الرجلِ أخَاه شرفٌ. وقال عبد الله[1] بن طاهر:

[وافر]

أمِيلُ مع الذِّمام على آبن عمّي ... وأحتملُ الصديقَ على الشقيقِ
وإن أَلْفَيْتَنِي مَلِكاً مُطاعاً ... فإنك واجِدي عبدَ الصديقِ
أُفرِّقُ بين معروفي ومَنِّي ... وأَجمَعُ بين مالي والحقوقِ

وقال آخر: [طويل]

وإني لَعَبْدُ الضَّيْف من غيرِ ذِلّةٍ ... وما فيّ إلّا تلك من شِيْمة العبدِ[2]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هذا البيت لِدِعْبل بن علي الخزاعي كما صرّح بذلك آبن قتيبة في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

كذلك ذكره الأصفهاني في الأغاني (ج ١٢ ص ١٥٠ ط. بولاق) ضمن أبيات منسوبة لقيس بن عاصم المنقريّ. وقد تقدمت ترجمة دِعبل.

ويقال: كلُّ نِعمةٍ محسودٌ عليها إلّا التواضعَ. قال المسيح عليه السلام لأصحابه: إذا آتّخذكم الناسُ رؤوساً فكونوا أذناباً. اعتمَّ هشام بن عبد الملك فقام الأبرش ليُسوِّيَ عِمامتَه، فقال هشام: مَهْ إنا لا نتخِذُ الإخوان خَوَلاً. كان عمر بن الخطاب يلقُط النَّوَى ويأخذ النِّكْثَ من الطريق، فإذا مرَّ بدارٍ رَمَى بها فيها وقال: انتفعوا بهذا.

قال يوسف بن أَسْبَاط: يَجْزِي قليلُ الورع من كثير العلم، ويجزي قليلُ التواضع من كثير الاجتهاد. وقال بكر بن عبد الله: إذا رأيتَ أكبر منكَ فقلْ: سبقني بالإسلام والعمل الصالح فهو خيرٌ منّي، وإذا رأيتَ أصغرَ منكَ فقل: سبقْتُه بالذنوب والمعاصي فهو خيرٌ منّي، وإذا رأيتَ إخوانَك يُكرِمونك فقل: نعمةٌ أحدثوها، وإذا رأيتَ منهم تقصيراً فقل: بذنب أحدثته. قال عبد الملك ابن مروان: أفضل الرجال من تواضع عن رفعةٍ، وزَهِدَ عن قُدرةٍ، وأنصفَ عن قوّةٍ. قال آبن السَّمَّاك لعيسى بن موسى: تواضعُكَ في شرفك خيرٌ لك من شرفك. وقال عبد الملك بن مروان: ثلاثةٌ من أحسنِ شيء: جُود لغير ثواب، ونَصَبٌ(١) لغير دنيا، وتواضعٌ لغير ذلّ.

قال إبراهيم النَّخَعيُّ: كان رسول الله ﷺ يُجيب دعوةَ العَبْدِ ويركبُ الحمارَ رِدْفاً. الأعمش عن أنس: كان رسول الله ﷺ يُدعَى إلى خُبزِ الشعير والإهالة السَّنِخة(٢) فيُجيبُ. قال غيره: وكان لا يأكلُ مُتَّكِئاً ويأكلُ بالحَضِيض، ويقول: «إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكل العبدُ» قال أوْس آبن الحَدَثانِ: رأيتُ أبا هُبيرةَ وهو أمير المدينة راكباً على حمار عُرْيٍ يقول: الطريقَ الطريقَ، قد جاء الأميرُ. قال حَفْص بن غِياث: رأيتُ الأعمش خارجاً إلى العيد على حمار

(١) النَّصَب: التعب.

(٢) الإهالة: ما يُؤْتدم به من الأدهان. والسَّنِخَةُ: المتغيِّرة الريح.

مقطوع الذنَب قد سَدَلَ رجليه من جانب. المدائنيّ قال: بينا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر إذ أحسّ من نفسه بريح خرجت منه، فقال: أيها الناسُ إني قد مَيّلْتُ بين أن أخافكم في اللهِ وبين أن أخاف اللهَ فيكم، فكان أن أخاف اللهَ فيكم أحبَّ إليّ، ألا وإني قد فَسوْتُ، وهأنذا أَنْزِلُ لأُعِيدَ الوضوءَ. كان يقال: من لم يستحِ من الحلال قلّت كِبْرِياؤه وخفّت موازينُه. قال معاوية: ما منا أحد إلا فُتِّشَ عن جائفةٍ أو مُنَقِّلةٍ[1] خلا عمر بن الخطاب. المُنَقِّلة الشجة التي يخرج منها العظام، والجائفة التي تبلغ جوف الدماغ. يحيى بن آدم عن محمد بن طلحة عن أبي حمزة قال: قال إبراهيم: لقد تكلّمتُ ولو وجدْتُ بُدّاً ما تكلمت، وإنَّ زماناً تكلمْتُ فيه لزمانُ سُوْء. كان رجل من خَثْعَمَ رَدِيَ فقال في نفسه: [كامل]

لـو كنتُ أَصْعَـدُ في التكـرُّم والعُـلا كَتَحَـدُّرِي أصبحْتُ سيّـد خـثعـمِ

فبادَ أهلُ بيته حتى ساد فقال: [كامل]

خَلَتِ الـدّيَـارُ فسُـدْتُ غيـرَ مُسـوَّدِ ومـن الـشَّـقـاء تـفَـرُّدِي بالسـؤُّددِ

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعيّ في مثله: [طويل]

إنَّ بـقـومٍ سَـوَّدُوك لَـحَـاجَـةً إلـى سيّـدٍ لـو يَـظفَـرون بسيّـدِ

قال يحيى بن خالد: لستَ ترى أحداً تكبَّر في إمارته إلّا وهو يعلم أن الذي نال فوق قَدْرِه، ولستَ ترى أحداً يضعُ نفسَه في إمارة إلّا وهو في نفسه أكثرُ مما نال في سلطانه. ومثله، قيل لعُبيد الله بن بَسّام: فلان غيرّته الإمارةُ، فقال: إذا وَلِي الرجلُ وِلايةً فرآها أكثر منه تغيّر، وإذا وُلّي ولايةً يَرى أنه أكثرُ منها لم يَتغيّر. ويقال: التواضعِ مع السخافة والبخل أحمدُ من السخاء والأدب مع الكبر، فأعظِمْ بنعمةٍ عفَتْ من صاحبها بسيّئتين، وأقْبِحْ بسيئةٍ حَرمت

(١) يريد ليس فينا أحدٌ إلاّ وفيه عيب عظيم، فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك.

صاحبَها حسنتين. وفي بعض كتب العجم: علامةُ الأحرار، أن يُلقَوْا بما يُحبون ويُحرَموا أحبُّ إليهم من أن يُلقَوْا بما يكرهون ويُعطَوْا؛ فانظر إلى خَلّة أفسدت مثلَ الجود فاجتنبها، وانظر إلى خَلّة عفّت مثلَ البخل فالزمْها. كان يقال: الشرفُ في التواضع، والعزُّ في التّقوَى، والغِنَى في القَناعة. أبو الحسن قال: خَطَب سلمانُ إلى عمر فأجمعَ على تزويجه، فشقّ ذلك على عبد الله ابن عمرَ وشكاه إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أردّه عنك، فقال: إن ردَدْتَه بما يكره أغضبْتَ أمير المؤمنين، قال: عَليَّ أن أردَّه عنك راضياً، فأتى سلمانَ فضرب بين كتفيه بيده، ثم قال: هنيئاً لك أبا عبد الله، هذا أمير المؤمنين يتواضع بتزويجك، فالتفَتَ إليه مُغضَباً وقال، أبي يتواضع! والله لا أتزوّجها أبداً. وقال المرّار بن مُنْقِذ العَدَويّ[1]: [بسيط]

يا حبّذا، حين تُمسِي الريحُ باردةً ... وادِي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ به هُضُمُ[2]

مُخدَّمون، كِرامٌ في مجالسِهمْ، ... وفي الرحال، إذا لاقيتَهُمْ، خَدمُ

وما أُصاحبُ قوماً ثم أذكُرهُمْ ... إلّا يزيدُهُمُو حُبّاً إليَّ هُمُ[3]

ابن المبارك عن ذَرّ عن الشعبيّ قال: ركب زيد بن ثابت، فدنا عبد الله

---

(١) المرّار بن مُنْقِذ العدوي هو زياد بن منقذ، من بني العدويّة، ويلقَّب بالمرار. وهو من شعراء الدولة الأموية. توفي نحو ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٥٥.

(٢) وادي أُشَيّ: موضع بالوَشْم، والوَشْم: وادٍ باليمامة فيه نخل، وهو تصغير الأشاء، وهو صغار النخل والواحدة أشاءَة. وهُضُم: ج هضيم وهو الضامر اللطيف الكَشْح. والمعنى أن هؤلاء الفتيان يجودون في وقت الضِّيْق، وأضيق ما في عيشهم يكون في وقت الشتاء.

(٣) هذه الأبيات من قصيدة للمّرار قالها في ذم صنعاء ومدح بلده وقومه، وأولها:

لا حَبّذا أنتِ يا صنعاءُ من بلدٍ ... ولا شعُوبُ هوىً مني ولا نُقُمُ

وشُعُوب ونُقُم: موضعان باليمن. وقد ورد البيت الأول في لسان العرب، في مادتي (أشي) و (هَضَمَ) كما ورد البيت الثاني والثالث في معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٠١ باختلاف بسيط عما هنا. وذكر المرزباني أن هذا الشعر يُروى أيضاً لأخي المرّار. كذلك وردت هذه الأبيات الثلاثة ضمن خمسة أبيات في معجم البلدان مادة (أُشي).

ابن عباس ليأخذ بركابه، فقال: لا تفعل يا آبن عمّ رسول الله، فقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بعلمائنا. فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبّلها زيد، ثم قال: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا عليه السلام. قال عبد الله بن مسعود: رأسُ التواضعِ أن تبدأ مَنْ لَقِيْتَ بالسّلام، وأن تَرضَى بالدُّون من المجلس. ابن أبي الزِّناد عن أبيه أن العبّاس بن عبد المطّلب لم يمرَّ قطُّ بعمرَ ولا بعثمانَ وهما راكبان إلّا ترجّلا حتى يجوزهما إجلالاً له أن يمرَّ وهما راكبانِ وهو يمشي. كان سَلْمان يتعوّذ بالله من الشيطان والسلطان والعِلْج[1] إذا آستعرب. المدائنيّ قال: سلّم رجل على حسّان بن أبي سِنَان فدعا له، فقيل: أتدعو لمثل هذا! فقال: إن مما يَفْضُلُني به أن يَرَى أنّي خيرٌ منه. قال عبد الله بن شدّاد: أربعٌ مَنْ كنّ فيه فقد برىء من الكبر: من آعتقلَ العَنْزَ، وركب الحمار[2]، ولبس الصوفَ، وأجاب دعوةَ الرجل الدُّوْنِ.

باب الكِبر والعجب

حدّثني إبراهيم بن مسلم قال: حدّثنا أبو السُّكَيْن قال: حدّثني عمُّ أبي زَحْرُ بن حِصْن قال: قال رجل للحجّاج: أصلحَ الله الأميرَ، كيف وجدتَ منزلكَ بالعراق؟ قال: خيرُ منزلٍ لو كان الله بلّغني أربعةً فتقرّبْتُ بدمائهم إليه. قال: ومَن هم؟ قال: مُقاتِل بن مِسْمَع، وَلِي سِجِسْتانَ فأتاه الناسُ فأعطاهم الأموالَ، فلمّا عُزِل دخل مسجد البَصرة فبسط الناسُ له أردِيَتهم فمشى عليها، وقال لرجل يُماشِيه: لمثل هذا فليعمل العاملون. وعُبيد الله بن زِيَاد بن ظَبْيان

(١) العِلْجُ: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٢) الجمار: الصغار من الحجارة. وركب الجمار: مشى عليها.

وآعتقل العَنْزَ: عَقَلَهُ أي ثنى وظيفه مع ذراعه فشدّهما معاً بحبل هو العقال، أو وضع رجليها بين ساقه وفخذه وحَلَبَها.

التميميّ، حزبَ أهلَ البصرة أمرٌ فخطبَ خطبةً أوجز فيها، فنادى الناسُ من أعراض المسجد: أكثر اللهُ فينا أمثالك. فقال: لقد كلّفتم الله شَطَطاً. ومَعْبَد ابن زُرَارة، وكان ذات يوم جالساً في طريق، فمرّت به آمرأة فقالت: يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى موضع كذا، فقال: لهدّ عبد الله! أنا لهدّ؛ أراد: كفى بكِ أنا، يريد الفخر. وأبو سماك الأسديّ، أَضلّ راحلتَه فآلتمسها الناس فلم يجدوها، فقال: والله لئن لم يَردُدْ عليَّ راحلتي لا صلَّيْتُ له أبداً، فآلتمسها الناسُ حتى وجدوها، فقالوا: قد ردّ الله عليك راحلتَك فصلِّ، فقال: إن يميني كانت صِرَّى[1].

قال أبو حاتم عن الأصمعيّ عن كُرْدِين المِسْمَعيّ. قيل لرجل متكبّر: هل مرّت بك أَحْمِرةٌ؟ فقال للسائل: تلك دوّاب لا يراها عمُّك. قال: وقال كُرْدِين: رآني ابنُ مَيّادةَ الشاعر فأعجبْتُه لِمَا رأى مِنْ جَلَدِي وبياني. فقال: ممن أنت؟ قلت: من بكر بن وائل، فقال: وفي أيّ الأرض يكون بكر بن وائل؟.

قال أبو اليقظان: جلس رافع بن جُبَير بن مُطْعِم في حَلْقة العَلاء بن عبد الرحمن الخرَقيّ وهو يُقْرِئُ الناسَ. فلما فرغ قال: أتدرون لِمَ جلسْتُ إليكم؟ قالوا: لتسمع، قال: لا، ولكن أردتُ التّواضعَ للهِ بالجلوس إليكم. قال: ومرّ محمد بن المنذر بن الزُّبير بن العوّام في حاجة له، فآنقطع قِبالُ[2] نعله، فنزع الأخرى بقدمه ومضى وتركهما ولم يُعَرِّج عليهما. قال بعض الشعراء:

[طويل]

وأُعْرِضُ عن ذي المال حتى يُقالَ لِيْ ... قَدَ آحدثَ هذا نَخْوةً وتعظّما

ومـا بيَ كِبْرٌ[3] عن صديقٍ ولا أخٍ ... ولكنّه فِعْلي إذا كنتُ مُعْدِما

---

(١) صِرَّى: عزيمة قاطعة ويمين لازمة.

(٢) قِبال النعل: زِمامٌ بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

(٣) الكِبْر: العظمة والتجبرُّ.

قيل لبعضهم: ما الكِبْر. قال: حُمُقٌ لم يَدْرِ صاحبُه أين يضعُه. قال معاوية بن أبي سُفيان: قدِم عَلْقَمةُ بن وائل الحَضْرميّ على رسول الله ﷺ فأمرني رسولُ الله أن أنطلق به إلى منزل رجل من الأنصار أُنزِلُه عليه، وكان منزلُه في أقصى المدينة، فانطلقْتُ معه وهو على ناقة له وأنا أمشي في ساعة حارّة وليس عليّ حِذاءٌ، فقلتُ: إحملني يا عمُّ من هذا الحرَّ فإنه ليس عليّ حذاءٌ، فقال: لستَ من أرادف الملوك، قلت: إنّي آبن أبي سُفيان، قال: قد سمعتُ رسول الله عليه السلام يذكر ذلك، قال قلت: فألْقِ إليَّ نعلك، قال: لا تَقْبَلُها قدماك ولكن آمش في ظلّ ناقتي فكفاك بذلك شرفاً، وإن الظلّ لك لكثير. قال معاوية: فما مرّ بي مثل ذلك اليوم قطُّ ثم أدرَك سلطاني فلم أؤاخذه بل أجلسْتُه معي على سريري هذا. قال آبن يَسَار[1]: [متقارب]

لو لَحَظَ الأرضَ لي والدٌ   تطأطأتِ الأرضُ من لَحْظَتِهْ

وقال آخر: [طويل]

أتِيْهُ على جِنّ البلاد وإنْسِها   ولو لم أجدْ خَلْقاً لَتِهْتُ على نفسي
أتيهُ فما أدري مِن التِّيه مَنْ أنا   سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي
فإنْ زعموا أنّي من الأنس مثلُهُمْ   فما لِيَ عيبٌ غير أني من الأنس

وكان عند الرُّسْتَميّ قوم من التُّجار فحضرت الصلاةُ فنهض ليصلّي فنهضوا فقال: ما لكم ولهذا وما أنتم منه! الصَّلاةُ ركوعٌ وسجود وخضوع، وإنما فرض اللهُ هذا يريد به المتكبّرين والمتجبّرين والملوك والأعاظم مثلي ومثل فرعون ذي الأوتاد ونمروذ وأنو شِرْوان. وكان يقال: مَنْ رضي عن نفسه

---

(١) إبن يسار هو معاوية بن عبد الله بن يسار، اتصل بالمهدي العباسي قبل خلافته فكان كاتبه ووزيره. ولما آلت الخلافة إليه قام بتدبير المملكة والدواوين. توفي سنة ١٧٠ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٦٢.

كثر الساخطون عليه. قال الحسن: ليس بين العبد وبين ألّا يكون فيه خير إلّا أن يرى أن فيه خيراً. رأى رجلٌ رجلاً يختال في مِشْيتِه ويتلفَّتُ في أَعْطافه، فقال: جعلني اللهُ مثلكَ في نفسك ولا جعلني مثلَكَ في نفسي. قيل لعبد الله ابن المُبارك: رجلٌ قتل رجلاً فقلتُ إني خيرٌ منه، فقال: ذنبك أشدُّ من ذنبه. قال الأحنف: عجبْتُ لمن جرى في مجرى البَوْل مرتين كيف يتكبّر. ابن عُلَيَّة عن صالح بن رُسْتَم عن رجل عن مُطَرِّف، قال: لأن أَبِيْتَ نائماً وأُصبحَ نادماً أحبُّ إليَّ من أن أبيْتَ قائماً وأُصبِحَ مُعْجباً. وقال هشام بن حسان. سيئة تسوءك خيرٌ من حسنة تُعجِبك. قال أبو حازم: إن الرجل ليعمل السيئةَ ما عمِل حسنةً قطّ أنفعَ له منها وإنّه ليعمل الحسنةَ ما عمل سيِّئةً قط أضرَّ عليه منها.

قال الشاعر: [طويل]

أمّا آبنُ فَرْوَةَ يونُسُ فكأنّه ... من كِبْره أيْرُ الحمارِ القائمُ
ما آلناسُ عندكَ غيرَ نَفْسِكَ وَحْدَها ... والناسُ عندك ما خلاكَ بهائمُ

قال المسعوديّ: [طويل]

مُسَّا ترابَ الأرضِ منها خُلِقْتُما ... وفيها المعادُ والمصيرُ إلى الحَشْرِ
ولا تَعْجَبا أنْ تَرجِعَا فتُسَلِّما ... فما خَشِي الأقوامُ شرّاً من الكِبْرِ
ولو شئْتُ أدْلَى فيكما غيرُ واحد ... علانيةً أو قال عنديَ في سِتْرِ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكما ... ضحكْتُ له حتى يُلِحَّ ويَسْتَشْرِي

الأصمعي قال: قال رجل: ما رأيتُ ذا كِبْرٍ قطُّ إلا تحوّل داؤه فيّ، يريد أني أتكبرّ عليه. وقال آخر: ماتاه أحد قطُّ عليَّ مرتين، يريد إذا تاه مرة لم أُعاوِده. قال الشاعر: [بسيط]

يا مُظْهر الكِبْر إعجاباً بصورته ... أُنظرْ خَلاءكَ إن النَّتْنَ تثريْبُ

لـو فكر الناس فيما في بطونهُمُ ... ما آستشعر الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيْبُ
هل في آبنِ آدمَ غيرُ الرأس مكرُمةٌ ... وهو بِخَمسٍ من الأقذار مضروب؟
أنفٌ يَسيلُ وأُذْنٌ رِيْحُها سَهِكٌ ... والعينُ مُرمَصَةٌ والثغرُ ملعوب[1]
يا آبنَ التراب ومأكولَ الترابِ غداً ... أَقصِرْ فإنك مأكولٌ ومشروبُ

دفع أَرْدَشِيرُ الملك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له: إذا رأيتني قد آشتدَّ غضبي فآدفَعْه إليَّ، وفي الكتاب: أمْسِكْ فلسْتَ بإله إنما أنتَ جَسَد يُوشِك أن يأكلَ بعضُه بعضاً ويصيرَ عن قريب للدُّود والتراب. كان للسِّنْديّ والي الجِسر غلامٌ صغير قد أمره بأن يقوم إليه إذا ضرب الناسَ بالسِّيَاط فيقول له: ويلك يا سِنديُّ، أذْكر القصاصَ. كتب إبراهيم[2] بن العباس إلى محمد بن عبد الملك[3]: [طويل]

أبا جعفرٍ، عَرِّج على خُلَطائِكَا ... وأَقْصِرْ قليلاً عن مَدَى غُلَوَائكَا
فإنْ كنتَ قد أُعْطِيْتَ في اليوم رِفْعَةً ... فإنَّ رجائي في غدٍ كرجائكا[4]

قال لي بعضُ أصحابنا وأحسبه محمد بن عمر: سمعتُ رجلاً يُنْشد: [متقارب]

ألا رُبّ ذي أَجَلٍ قد حَضَرْ ... طويلِ التمنّي قليلِ الفِكَرْ
إذا هزَّ في المشي أعطافَه ... تبيَّنْتَ في مَنْكِبَيْه البَطَرْ

---

(١) ريْحٌ سَهِكٌ أي عاصفة شديدة. والعين مُرْمَصَةٌ: أي سأل منها الرَّمَصُ (وسخ أبيض جامد يجتمع في المُوْق).
(٢) إبراهيم بن العباس كاتب المعتصم والواثق والمتوكل ببغداد. له ديوان رسائل وديوان شعر. توفي سنة ٢٤٣ هـ. الأعلام ج ١ ص ٤٥.
(٣) هو المعروف بابن الزيات، وقد تقدمت ترجمته.
(٤) أورده في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٥٦) هذين البيتين لعلي بن الجَهْم.

قال: فغدوْتُ عليـه لأكتبَ تمامَ القصيـدة فوجـدتُهُ قـد مات. المـدائنيّ قال: رأيتُ فلاناً مولى باهلةَ يطوف بين الصفـا والمروة على بغلة ثم رأيتُـه بعد ذلك راجلاً في سَفَـر، فقلتُ له: أراجـلٌ في هذا المـوضع؟ قـال: نعم، إني ركبتُ حيثُ يمشي الناسُ فكان حقاً على الله أن يُرْجِلَني حيث يـركبُ الناس.

وقال أبو نواس في جعفر بن يحيى البرمكي: [طويل]

وأعـظمُ زَهْـواً من ذبـابٍ على خُـرْءٍ وأبخُـلُ من كلبٍ عَقُـورٍ على عَـرْقِ

ولو جاء غيـرُ البُخْلِ من عنـد جعفرٍ لمـا وضعوه النّـاسُ إلا على حُمْقِ

وقال آخر: [متقارب]

ألَـجُّ لَـجـاجـاً من الـخُـنْـفَـسَـاءِ وأزْهَـى إذا مـا مشـى مِن غـرابِ[1]

قيل لرجل من بني عبد الدار: ألا تأتي الخليفةَ، قال: أخشى ألاّ يَحمِلَ الجِسْرُ شَرفي. وقيل له: الْبسْ شيئاً فإن البرد شديـد، فقال: حَسَبي يُـدْفِئُني.

قال أبو اليَقْظان: كان الحجّاج آستعمل بِـلالاً الضَّبيّ على جيشٍ وأغزاه قِـلاعَ فارس، وكان يقال لذلك الجيش: بِيَبي[2]، سُمّي بذلـك لأنه فـرض فرضـاً من أهـل البصرة فكـان أهلوهم وأمهاتهم يـأتونهم يقـولون: بِيَبي. وفي جيشـه قال الشاعر: [طويل]

إلى الله أشكـو أنّني بِـتُّ حـارسـاً فـقـام بـلاليٌّ فبـالَ عـلى رِجْـلي

فقلت لأصحابي آقـطعـوهـا فـإنني كـريـمٌ وإنّـي لـن أُبـلِّغَـهـا رَحْـلي

---

(١) الخُنْفَسَاءُ: دُوَيْبة سوداء أصغر من الجعل منتنة الريح، والجمع خنـافس، وذكورهـا تسمى الجُعْلان.

(٢) بِيَبي: أصله: بأبي فأبدلت الهمزة فيـه ياء. لسـان العرب مـادة (أبى) وفي الأغاني (ج ٢ ص ١٥٥) أن الحجاج ضرب البعث على المحتملين ومن أنبت من الصبيـان فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرِّد فتضمُّه إليها وتقول له: «بأبي» جزعاً عليه فتسمي ذلك الجيش جيش بأبي.

مـدّ أعرابيٌ يـده في الموقف وقـال: اللّهمّ إن كنتَ ترى يـداً أكرم منهـا فاقطعهـا. قال نـوح: سمِعتُ الحجّاج بن أَرْطَـاة يقول: قتلني حُبّ الشـرف. وقيل له: ما لك لا تحضُـر الجماعـة؟ قال: أكـره أن يَزْحَمني البقّـالون. كـان جَذِيمةُ الأبرشُ ـ وهو الوَضّاح سُمّي بذلك لبَرَص كان به ـ لا يُنادِمُ أحداً ذَهَابـاً بنفسه، وقال: أنا أعظمُ مِن أن أُنادِمَ إلا الفَرْقَدَيْن[١]، فكان يشرب كأساً ويصبّ لكلّ واحد منهما في الأرض كأساً ، فلما أتاه مالك[٢] وعَقيل بـآبن أخته الـذي آستهوتْه الشياطين قال لهما: إحتكِما، فقالا له: مُنادمتُك، فنادماه أربعين سنـةً يحادثانه فيها ما أعادا عليه حَديثاً. وفيهما يقول مُتَمِّم[٣] بن نُوَيْرة: [طويل]

وكنّـا كنَـدْمَـانَيْ جَـذِيْمَـة حِقْبَـةً   من الـدّهر حتى قِيْـلَ لن نَتَصَـدَّعَـا[٤]

وقال الهُذليّ: [طويل]

ألم تَعْـلَمِي أنْ قـد تـفَـرَّقَ قَبْـلَنـا   خليْـلاَ صفـاءٍ مـالـكٌ وعقيْـلُ[٥]

قيل لإياس بن معاوية: ما فيك عيْبٌ إلا أنك مُعجَبٌ، قال: أفأعجِبُكم؟ قالوا: نعم قـال: فأنـا أحقّ أنْ أُعْجَب بما يكـون منّي. ويقال: للعـادة سلطانٌ

---

(١) الفَرْقَدان: نجمان قريبان من القطب الشمالي، شديدا الإتصال يُهْتَدَى بهما.

(٢) هو مالك أخو الشاعر متمِّم بن نويرة. وقد ذكر في العقـد الفريـد (ج ٣ ص ٣٧٢) أن مالـك وعقيل هما آبنا فارج القضاعي.

(٣) متمِّم بن نويرة اليربوعي التميمي شاعر فحل وصحابي من أشراف قومه، سكن المدينة واشتهر في الجاهلية والإسلام. توفي نحو ٣٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٧٤.

(٤) نَدْمَانا جَذِيْمة: هما مالك وعقيل السالفا الذكر. وهذا البيت من مرثية تعدُّ من أشهر شعره قالها متمِّم في أخيه مالك، الذي حزن عليه حزناً شديداً.

(٥)هو أبو خِراش الهذلي، وقد تقدمت كما نسب هذا البيت في العقد الفريـد(ج ٣ ص ٣٧٢) للمُنَخَّل. ومالك وعقيل وردا ذكرها في الصفحة السابقة.

على كلّ شيء، وما آستُنبط الصوابُ مثل المشاورة، ولا حُصِّنَتِ النِّعَمُ بمثل المواساة، ولا اكتُسِبَتْ البِغْضَة بمثل الكِبْر.

باب مَدْحِ الرجل نَفْسه وغيره

قال الله عزَّ وجلّ حكايةً عن يوسف: ﴿آجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: «أنا سيدُ ولد آدم ولا فخر». وقال للأنصار: «والله ما علمتُكم إلاّ تَقِلُّون عند الطمع وتَكْثُرون عند الفزع». وذكر أعرابيّ قوماً فقال: والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئاً إلا وقد وطِئناه بأَخَامص أقدامنا، وإنَّ أقصى مُنَاهم لأدنى فعالنا. ابن إدريس عن إسمعيل بن أبي خالد، قال: كنتُ أمشي مع الشَّعْبيّ وأبي سَلَمَة، فسأل الشّعبيُّ أبا سَلمة: مَنْ أعلمُ أهل المدينة؟ فقال: الذي يمشي بينكما، يعني نفسَه. وقال الشّعبيُّ: ما رأيتُ مثلي، وما أشاءُ أن ألقى رجلاً أعلَم منّي بشيء إلا لقيتُه. قال معاوية لرجل: مَنْ سيّدُ قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنتَ كذلك لم تَقُلْ. الوليد بن مُسْلم عن خليد عن الحسن قال: ذَمُّ الرجلِ نفسَه في العلانية مَدْحٌ لها في السرّ. كان يقال: مَنْ أظهر عيْبَ نفسه فقد زكّاها. الأعمشُ عن إبراهيم عن عبد الله قال: إذا أثنيْتَ على الرجل بما فيه في وجهه لم تُزكِّه. قال عمر بن الخطاب: المدح ذَبْح. ويقال المدح وافِدُ الكِبْر. وقال عليّ بن الحسين: لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلمُ إلا أوشك أن يقولَ فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا يصطحب آثنان على غيْر طاعةِ الله إلا أوشكا أن يفترِقا على غير طاعة الله. قال وهب بن منبِّه: إذا سمعتَ الرجلَ يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا

(١) سورة يوسف ١٢، آية ٥٥. والمعنى: يقول يوسف للملك: أنا أنقذ البلاد من شرّ المجاعة المقبلة لخبرتي الإقتصادية وإخلاصي وأمانتي. فوافق الملك على اقتراح يوسف وجعله أميناً مطلقاً على خزائن المال والاقتصاد، وأصبح الرئيس الثاني للبلاد بعد الملك. التفسير المبين.

تـأمَنْ أن يقولَ فيـك من الشـرّ مـا ليس فيـك. ويقـال في بعض كتب الله عـزّ وجـلّ: عجباً لمن قِيَـل فيه الخيـرُ وليس فيه كيف يفـرحُ! ولمن قِيل فيـه الشرُّ وليس فيه كيف يَغضَبُ! وأعجبُ من ذلك من أحبَّ نفسَـه على اليقين وأبغضَ الناسَ على الظُّنون!. وكان يقـال: لا يَغلِبَنَّ جهْلُ غيـرك بك عِلمَـك بنفسك. وقـال أعرابيّ: كفى جهـلاً أن يَمدح المـادحُ بخلاف مـا يَعـرِفُ الممـدوحُ من نفسـه، وإنّي والله ما رأيتُ أعشقَ للمعـروف[1] منه. قـال آبن المقفع: إيّـاك إذا كنتَ والياً أن يكون من شأنك حبُّ المدح والتزكيةِ وأن يَعرِفَ الناسُ ذلك منك فتكـونَ ثُلْمةً من الثُّلمَ يَقْتَحِمـون عليك منهـا، وبابـاً يفتتحـونـك منـه، وغِيبَـةً يغتابونك بها ويضحكون منك لها. وآعلم أنَّ قابِلَ المدح كمادح نفسه، والمرءُ جديرٌ أن يكـون حُبُّه المـدحَ هو الـذي يحملهُ على ردّه، فإن الـرادَّ له ممـدوحٌ والقابلَ له مَعِيبٌ. وقال البَعِيثُ[2]: [طويل]

ولستُ بِمفْـراحٍ إذا الـدّهـرُ سَـرّني ... ولا جـازعٍ مِنْ صَـرْفِـه المتقـلّبِ
ولا أتـمنّـى الشـرَّ والـشَّـرُّ تَـارِكي ... ولكنْ متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ[3]
ويـعـتـدُّه قـومٌ كـثيـرٌ تـجـارةً ... ويَـمنعُني مِن ذاكَ دِيني ومَـنْصِبي
فـإنَّ مسيـري في البـلاد ومنـزلي ... لبـالمنـزِل الأقصى إذا لم أُقـرَّبِ

قول الممدوح عند المِدْحَة

حـدّثني سَهْلُ بن محمـد عن الأصمعيّ قال: كـان أبو بكـر يقـول عنـد المِـدحَـة: اللهمَّ أنتَ أعلَمُ بي منّي بنفسي وأنـا أعلَمُ بنفسي منهم، الـلهم اجعلني خيراً مما يَحسَبُون وآغفر لي ما لا يعلمون ولا تُؤاخِـذْني بما يقـولون.

(١) يظهر عدم الإرتباط بوضوح بين الجملتين «كفى... من نفسه» و «والله... للمعروف».
(٢) تقدمت ترجمته.
(٣) ورد البيتان الأول والثاني في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٣ و ١٠٨).

قال: حدّثنا الرِّياشي عن الأصمعيّ عن حمّاد بن سَلَمة قال: أثنى رجلٌ على علّي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في وجهِه، وكان تُهَمَةً، فقال عليّ: أنا دونَ ما تقولُ وفوقَ ما في نفسكَ.

قيل لأعرابي: ما أَحسَنَ الثناء عليك! فقال: بلاءُ الله عندي أحسنُ من وصف المادحين وإن أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامّين وإن أكثروا، فيا أسفًا على ما فرّطْتُ ويا سُوْءَتا ممَّا قدَّمْتُ. كان رسول الله، ﷺ، لا يقبل الثناءَ إلا من مُكافىء. ومِن أحسنِ ما قيلَ في مدحِ الرجلِ نفسَه قولُ أعشى[1] بني ربيعةَ:

[طويل]

مـا أنـا في أهلي ولا في عشيـرتي — بِمُهْتَضَـمٍ حقّـي ولا قـارعٍ سِنّـي

ولا مُسلمٍ مـولايَ عنـد جنـايـةٍ — ولا خـائفٍ مولاي من سوء ما أجْني

وإنَّ فـؤاداً بيـن جَنْبَـيَّ عـالـمٌ — بمـا أَبْصَرتْ عيني ومـا سمِعَتْ أُذْني

وفضّلنـي في الشِّعـر واللُّب أنّني — أقـول على علمٍ وأعـلَمُ مـا أعْنِـي

فـأصبحْتُ إن فضَّلْتُ مـروانَ وآبنَـه — على الناس قد فضَّلتُ خير أَبٍ وآبْنِ[2]

وقال آخر:

[طويل]

إذا المـرءُ لم يمـدَحْـه حُسْنُ فَعـالـه — فمـادِحُـه يَهْـذِي وإن كـان مُفْصِحَـا

وقال آخر:

[طويل]

لَعَمْـرُ أبيـكَ الخَيْـرِ إنّي لـخـادمٌ — لِصَحْـبي وإنّـي إن رِكِبْـتُ لفَـارِسُ

---

(١) أعشى بني ربيعة هو عبد الله بن خارجة، بن أبي ربيعة بن شيبان. مدح عبد الملك بن مروان وآبنه سليمان بن عبد الملك. توفي نحو ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٨٤.

(٢) أورد في العقد الفريد (ج ١ ص ١٣٢) هذه الأبيات،فقال: أنشد أبو المغيرة أعشى ربيعة هذه الأبيات على عبد الملك بن مروان بينما كان عن يمينه ولده الوليد وعن يساره آبنه سليمان.

وقال آخر: [طويل]

ونحن ضِياءُ الأرض ما لم نَسِرْ بها غِضَاباً، وإن نَغْضَبْ فنحن ظَلاَمُها

وأنشدَ الحسنُ البصريّ قولَ الشاعر: [رجز]

لولا جَرِيرٌ هلكَتْ بَجِيلَهْ نِعْمَ الفتى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

قال الحسنُ: ما مُدِح رجلٌ هُجِيَ قومُه. وقال أبو الهِنْدام[1]: [وافر]

يقولون آلحديدُ أشدُّ شيءٍ وقد ثُنِيَ الحديدُ وما ثُنِيْتُ

تَخِرُّ الأرضُ إن نُودِيْتُ بآسمي وتَنهدُّ الجبالُ إذا كُنِيْتُ

ومَدْحُ النفسِ في الشِّعر كثيرٌ، وهو فيه أسهل منه في الكلام المنثور.

باب الحياء

حدّثني أبو مسعود الدَّارِميّ، قال: حدّثني جَدّي خِرَاش عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «الحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان». وروى آبنُ نُميرَ عن الأحوص آبن حَكيم، قال: حدّثني أبو عَوْن المدنيّ قال: سمِعتُ سعيدَ بن المسيّب يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «قِلّةُ الحياءِ كُفْرٌ». وروَى جريرُ بن حازم عن يَعْلى آبن حَكيم عن رجل عن آبن عمر، قال: الحياءُ والإيمانُ مَقْرونان جميعاً فإذا رُفِع أحدُهما آرتفع الآخرُ. وكان يقال: أحْيُوا الحياءَ بمجالسة مَنْ يُسْتَحْيا منه. ذكر أعرابيٌّ رجلاً فقال: لا تراه الدَّهرَ إلا وكأنه لا غنَى به عنك وإن كنتَ إليه أحوجَ، فإن أذنْبتَ غفر وكأنه المذنبُ، وإن أسأْتَ إليه أحسن وكأنه المسيء.

وقالت ليلى[2] الأَخْيلِيَّةُ:

(١) لم أحظ بترجمته.

(٢) ليلى الأخيلية هي ليلى بنت عبد الله بن شداد بن كعب، شاعرة فصيحة ذكية جميلة. هي من بني عامر بن صعصعة، وطبقتها في الشعر على طبقة الخنساء توفيت نحو ٨٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٤٩.

[كامل]

ومُخَـرَّقٍ عنـه القميصُ تَخـالُـه وَسْطَ البيـوتِ من الحيـاء سقيما [1]

حـتـى إذا رُفِـع اللواءُ رأيتَـه تحت اللواءِ على الخميس [2] زعيمَـا

ونحوه قول الآخر إلّا أنه في التواضع: [بسيط]

يبـدو فيبدو ضعيفـاً مِن تَـواضُعِـهِ ويكفَهِـرُّ فيُلفَى الأَسْـوَدَ اللَّحِمـا

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحيّ [3]: [كامل]

إنَّ البيـوتَ معـادِنٌ فنِجَـارُهُ ذَهَـبٌ وكـلُّ جُـدودِه ضَـخْـمُ [4]

مُتَهـلِّلٌ بِنَعَـمْ لِـلاَّءِ مُجـانـبٌ سِيّـانِ منـه الـوَفْـر والـعُـدْمُ

نَـزْرُ الكلام من الحياء تَخَالُـه ضَـمِنـاً وليس بجسمـه سُـقْمُ

عُقِمَ النسـاءُ فـلا يَلِدْنَ شبيهَـهُ إنَّ الـنـسـاءَ بـمـثـله عُـقْـمُ

حـدّثنا أبـو الخطاب قـال: حدّثنـا المعتمر، قـال: سمعتُ لَيْثَ بن أبي سليم يُحـدّث عن واصل بن حَيّـان عن أبي وائل عن آبن مسعـود، قال: كـان آخر ما حُفِظ من كلام النبّوة «إذا لم تَسْتَحْي فآصنع ما شئت». قال الشاعر [5]: [طويل]

تَخَـالُهُمـو للحلم صُمّـاً عن الخَنـا وخُـرْساً عن الفحشـاء عند التهـاجُـرِ

---

(١) معنى البيت: إن قميصه مُتَخَرِّقٌ من كثرة ما يتجاذبه العُفاة.

(٢) الخميس: الجيش لأنه خمس فرق هي المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة.

(٣) أبـو دَهْبَل الجُمَحي هـو وَهْب بن زَمْعة بن أسـد، من قـريش. من أهـل مكـة وأحـد الشعـراء العشاق المشهورين. توفي سنة ٦٣ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٢٥.

(٤) جُدُوْده: القبائل التي آكتنفته من أخواله وأعمامه. وهنـا يمدح الـرسولَ الكـريم صلى الله عليه وسلم.

(٥) هـو ابن قيس الرُّقَيـأت، وقد تقـدمت ترجمته.

ومَرْضَى إذا لُوقوا حياءً وعِفّةً ... وعند الحِفاظ كالّليوث الخَوادر

وقال آخر: [طويل]

عليه من التقوى رِداءُ سكينةٍ ... وللحقِّ نورٌ بين عينيه ساطعُ

وقال الشَّعْبي: تعايَش الناسُ زماناً بالدّين والتّقوى، ثم رُفِع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمّم، ثم رُفِع ذلك فما يتعايش الناسُ إلا بالرغبةِ والرهبةِ، وأظنُه سيجيء ما هو أشدّ مِن هذا.

باب العَقْل

حدّثني إسحاق بن إبراهيم الشَّهيدي، قال: حدّثنا الحارثُ بن النّعمان، قال: حدّثنا خَليد بن دَعْلَج عن معاوية بن قُرّة يرفعه، قال: «إن الناس يعملون الخيرَ وإنما يُعْطَوْنَ أجورَهم يوم القيامة على قَدْر عقولهم». مَهْديُّ بن غَيْلان ابن جرير قال: سمعت مُطَرّفاً يقول: عُقولُ الناس على قَدْر زمانهم.

حدّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن مُنَبّه قال: وجدتُ في حكمة داودَ: ينبغي للعاقل أن لا يَشْغَلَ نفسَه عن أربع ساعاتٍ، ساعةٍ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٍ يُحاسِبُ فيها نفسَه، وساعةٍ يخلُو فيها هو وإخوانُه والذين يَنصحُون له في دينه ويَصْدُقُونه عن عيوبه، وساعةٍ يُخَلِّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يَحِلُّ ويُحْمَدُ فإن هذه الساعةَ عونٌ لهذه الساعات وفَضْلُ بُلْغَةٍ[1] واستِجمامٌ للقلوب. وينبغي للعاقل أن لا يُرَى إلا في إحدى ثلاثِ خِصَالٍ: تزوُّدٍ لمَعادٍ، أو مَرَمّةٍ لمعاشٍ، أو لذَّةٍ، في غير محرّم. وينبغي للعاقل أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً للسانه، مُقْبِلاً على شانه. قال: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا هِلالُ بنُ حِقٍّ قال: قال عمرو بن العاص:

---

(١) البُلْغة: ما يُتَبَلَّغُ به من العيش، أي القوام منه.

ليس العاقلُ الذي يَعرِفُ الخيرَ من الشرّ ولكنه الذي يعرِفُ خيرَ الشَّرينِ، وليس الواصلُ الذي يصِلُ مَنْ يصِلُه ولكنه الذي يصِلُ مَنْ قطعه. وقال زياد: ليس العاقلُ الذي يحتالُ للأمر إذا وقع ولكنه الذي يحتال للأمر ألّا يقعَ فيه. قال معاوية لعمرو: ما بلغَ من دَهَائكَ يا عمرو؟ قال عمرو: لم أدخُلْ في أمرٍ قطّ فكرِهتُه إلا خرجتُ منه. قال معاويةُ: لكنّي لم أدخُلْ في أمرٍ قطّ فأردتُ الخروجَ منه. وقرأتُ في كتابٍ للهند: الناسُ حازمانِ وعاجزٌ، فأحدُ الحازِمينِ الذي إذا نزل به البلاءُ لم يَنْظُرْ به وتلقّاه بحيلته ورأيه حتى يَخرُجَ منه، وأحزمُ منه العارفُ بالأمر إذا أقبلَ فيدفعُه قبل وقوعه، والعاجزُ في تردُّدٍ وتَمَنٍّ حائرٌ بائرٌ لا يأتَمِرُ رَشَداً ولا يُطيعُ مُرشداً. وقال أعرابيٌّ: لو صُوِّرَ العقلُ لأظلَمَتْ معه الشّمسُ، ولو صُوِّرَ الحمقُ لأضاءَ معه اللّيلُ. قال بعض الحكماء: ما عُبِد اللهُ بشيءٍ أحبَّ إليه من العقل وما عُصِيَ اللهُ بشيءٍ أحبّ إليه من السّتر. أبو رَوْقٍ عن الضحّاك في قول الله عز وجل: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً﴾[1] قال: مَنْ كان عاقلاً. ذكر المغيرةُ بن شُعْبَةَ عمرَ بن الخطاب فقال: كان أفضَلَ مِنْ أن يَخْدَعَ وأعقلَ مِنْ أن يُخْدَعَ.

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن قُرَيشِ بن أنس عن حبيب بن الشهيد قال: قال إياس: لستُ بِخَبٍّ والخَبُّ لا يَخْدَعُنِي ولا يخدعُ آبن سِيرينَ ويخدعُ أبي ويخدعُ الحسن. قال غيرُه: وكان كثيراً ما يُنشِدُ: [متقارب]

أبى لي البلاءُ وأنّي آمرؤٌ   إذا ما تَشَبَّتُّ لم أرْتَبِ

وفي كتاب كليلة ودمنة: الأدبُ يُذْهِبُ عن العاقلِ السّكرَ ويَزيدُ الأحمقَ سُكراً، كما أن النهارَ يَزيدُ كُلَّ ذِي بصرٍ بصراً ويَزيدُ الخفافِيشَ سُوءَ بَصَر.

(١) سورة يس ٣٦، آية ٧٠.

وفيه: ذو العقل لا تُبطِرُه المنزلة والعِزُّ كالجبل لا يَتزعزعُ وإنِ آشتدّتْ عليه الريحُ، والسَّخيفُ يُبطِرُه أدنَى منزلةٍ كالحشيش يُحَرِّكه أضعفُ ريحٍ. وقال تأبَّط[1] شرّاً في هذا المعنى: [طويل]

ولستُ بمفْرَاحٍ إذا الدهْرُ سَرَّني ولا جازعٍ مِنْ صَرْفِه المتقلّبِ
ولا أتمنّى الشرَّ والشرّ تاركي ولكن متى أُحْمَلْ على الشرِّ أَرْكبِ[2]

وفي كتاب كليلة: رأسُ العقلِ التمييزُ بين الكائن والممتنع، وحُسْنُ العَزاءِ عما لا يُستطاعُ. وفيه: العاقلُ يُقِلُّ الكلامَ ويُبالِغُ في العمل ويَعترفُ بزلّة عقله ويَستقيلُها كالرجل يَعثُرُ بالأرض وبها ينتعشُ. ويقال: كلُّ شيءٍ محتاجٌ إلى العقل، والعقلُ محتاجٌ إلى التَّجارِب. قال يحيى بن خالد: ثلاثةُ أشياءَ تدلُّ على عقول الرجال: الكتابُ، والرسولُ، والهديةُ. وكان يقال: دَلَّ على عقل الرجل آختيارُه، وما تمَّ دِيْنُ أحدٍ حتى يتمَّ عقلُه، وأفضلُ الجِهادِ جهادُ الهوى. سُئِلَ أنو شِرْوانُ: ما الذي لا تَعلُّمَ له، وما الذي لا تَغيُّرَ له، وما الذي لا مَدْفَعَ له، وما الذي لا حِيلةَ له. فقال: تَعلُّمُ العقلِ، وتَغيُّرُ العُنصُرِ، ودَفعُ القَدَرِ، وحِيلَةُ الموت. وكان يقال: كِتابُك عقلُك تضعُ عليه خاتَمكَ. وقالوا: كِتابُ الرجلِ مَوضعُ عقله، ورسولُه موضعُ رأيه. كان الحسنُ إذا أُخبرَ عن رجل بصلاح قال: كيفَ عقلُه. وفي الحديث أن جبريلَ عليه السلام أَتى آدمَ عليه السلامُ فقال له: إني أتيتُك بثلاثٍ فآخترْ واحدةً، قال: وما هي يا جبريلُ؟ قال: العقل والحياء والدينُ. قال: قد آخترْتُ العقلَ فخرج جبريل إلى الحياء والدين فقال: إرجِعا فقد آختار العقل عليكما، فقالا: أُمِرنا أن

---

(١) تأبَّطَ شرّاً هو ثابت بن سفيان، من مضر ومن فتّاك العرب في الجاهلية، شاعر فحل. توفي نحو ٨٠ ق هـ. الأعلام ج ٢ ص ٩٧.
(٢) تقدم هذان البيتان ضمن أربعة أبيات ص ٢٧٦ من هذا الجزء منسوبة للبعيث.

كون مع العقل حيث كان. كان يقال: العقلُ يظهرُ بالمعاملة وشِيمُ الرجالِ تظهر بالوِلاية. ويقال: العاقل يَقِي ما لَه بسلطانه، ونفسَه بماله، ودِينَه بنفسه. قال الحسن: لو كان للناس جميعاً عقولٌ لخربَتِ ٱلدنيا. خُيِّر رجلٌ فأبَى أن يختارَ وقال: أنا بِحَظِّي أوثَقُ مِنِّي بعقلي فأقرِعُوا بيننا.

باب الحلم والغضب

قال: حدّثني الزِّيَادِيُّ قال: حدّثنا حمّاد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أيَعْجِزُ أحدُكم أن يكونَ كأبي ضَمْضَمٍ كان إذا خرج من منزله قال: اللهم، إنِّي قد تصدّقتُ بِعِرْضِي على عبادِكَ».

حدّثنا زياد بن يحيى قال: حدّثنا بِشر بن المفضّل عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الغضبَ جمرةٌ تُوقَدُ في جوف ٱبن آدم، ألم تَرَوْا إلى حُمرةِ عينيه وٱنتفاخُ أوداجه»[1]. قال: حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني عبد الله بن رَجَاء عن إسرائيل عن أبي حُصَين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسولَ الله أوصِنِي، فقال: لا تَغْضَبْ، ثم أعاد عليه فقال: لا تغضب، ثم أعاد عليه فقال: لا تغضب. قال: حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثني عبد الله بن نافع عن مالك عن ٱبن شِهاب عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديدُ بالصُّرَعَةِ[2] إنما الشديدُ الذي يَملِكُ نفسهَ عند الغضب». قال: حدّثنا حسين بن الحسن المَرْوَزِيّ، قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قال: حدّثنا حبيب بن حجر القَيْسيّ قال: كان يقال: ما أحسنَ الإيمانَ يَزِينُه العِلْمُ وما أحسنَ العِلْمَ يَزِينُه

---

(١) الأوداج: ج وَدَج وهو عرق إذا قُطع مات صاحبه.
(٢) الصُّرَعَةُ: من يصرع الناسَ.

العمـلُ وما أحسنَ العَمـلَ يَزينُـه الـرفقُ، ومـا أُضِيْفَ شيءُ إلى شيءٍ أَزْينَ مِن حلم إلى عِلمٍ ومِنْ عفـوٍ إلى مَقْدُرَةٍ. وكـان يقـال: مَنْ حَلُم سـادَ ومن تَفَهَّم آزداد. والعرب تقول: أحْلُمْ تَسُـدْ. وقال: سمّي اللهُ يحيى سيـداً بالحِلْم. وقـال عبد الملك بن صالح: الحِلْمُ يَحْيا بحياة السُّؤدَدِ. أغلظَ رجلٌ لمعاويـة فحلُم عنه، فقيل له: تحلُم عن هذا! فقال: إنّي لا أحـولُ بين الناس وبين ألسنتهم مـا لم يَحُولُوا بيننا وبين سلطاننا. شتم رجلٌ الأحنفَ وألَحَّ عليه، فلما فـرغ قال لـه: يا آبن أخي، هل لك في الغداء؟ فإنك منذ اليوم تَحْدُو بجملٍ ثَفَالٍ[1].

حـدّثني أبو حـاتم عن الأصمعيّ عن عبد الله بن دينـار عن عبـد الله بن بكر المُزَنيّ قال: جاء رجل فشتم الأحنفَ فسكتَ عنه، وأعـاد فسكت، فقال: والهَفْاه! ما يَمنعُه مِنْ أن يَرُدَّ عليّ إلاّ هَواني عليه.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: أخبـرنا عبـد الله بن صالـح من آل حـارثة بن لأْمٍ، قـال: نَزَلْتُ بـرجلٍ من بني تغلِبَ فـأتاني بِقِـرىً فآنفلتَ مِنّي فقلت: [كامل]

والـتَّغـلَبـيُّ إذا تَـنـحـنـحَ لِـلقِـرَى حَـكَّ آسْتَـهُ وتَـمـثَّـلَ الأمثـالاَ

فآنقبضْتُ فقال: كُلْ أيها الرجلُ فإنما قلْتَ كلمةً مقولة.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ، قال: أسمع رجلٌ الشعبيَّ كـلاماً فقـال له الشعبيّ: إنْ كنْتَ صادقاً فغفر اللهُ لي وإن كنتَ كـاذباً فغفـر اللهُ لكَ. ومـرّ بقوم ينتقصونه فقال: [طويل]

هَنيئـاً مـريئـاً غيـرَ داءٍ مُخـامِـرٍ لِعَـزَّةَ مِن أعـراضنـا مـا آستحلَّتِ

---

(١) الجمل الثَّفَالُ: البطيء.

وآستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود فقال: أستغفر اللهَ من الذنب الذي سُلِّطْتَ به عليّ. قال معاوية: إني لأرفعُ نفسي أن يكون ذنبٌ أوزنَ من حِلْمي. وقال معاوية لأبي جهم[1] العَدَويّ: أنا أكبرُ أم أنتَ يا أبا جهم؟ قال: لقد أكلتُ في عُرْس أمك هندٍ، قال: عند أيّ أزواجها؟ قال: عند حَفْص بن المَغِيرة، قال: يا أبا جهم، إياك والسلطانَ فإنه يغضبُ غضبَ الصبيّ ويُعاقِب عقوبةَ الأسدِ، وإنَّ قليله يغلبُ كثيرَ الناس. وأبو الجهم هذا هو القائل في معاوية: [وافر]

نَميلُ على جوانبه كأنّا ... إذا مِلْنَا نَميلُ على أبينا
نُقلِّبُه لِنَخْبُرَ حالتيْه ... فَنخبُرَ منهما كرماً ولِينا

سمِع الأحنفُ رجلاً ينازع رجلاً في أمرٍ فقال له الأحنف: لا أحسبك إلا ضعيفاً فيما تُحاوِلُ، فقال الرجل: ما على ظنّك خرجْتُ من عند أهلي، فقال الأحنفُ لأمرٍ ما قيل: إحذروا الجوابَ. جعل رجلٌ جُعْلاً لرجلٍ على أن يقومَ إلى عمرو بن العاص يسألهُ عن أمِّه، فقام إليه وهو يخطبُ على منبرِ تِنِّيس، فقال له: أيها الرجل أَخْبِرنَا مَنْ أُمُّكَ، فقال: كانت آمرأةً من عَنَزَةَ أُصيبت بأطرافِ الرِّماح فوقعت في سهم الفاكه بن المغِيرة فآشتراها أبي فوقع عليها، إنْطلِقْ وخُذْ ما جُعِلَ لك على هذا. قال الشاعر: [بسيط]

قُل ما بدا لكَ مِنْ زُورٍ ومن كذِبٍ ... حِلْمِي أصَمُّ وأُذْني غيرُ صَمَّاءِ

نظر معاويةُ إلى آبنه يزيدَ وهو يضرب غلاماً له، فقال له: أتُفْسِدُ أدبكَ بأدبه فلم يُرَ ضارِباً غلاماً له بعد ذلك. قيل ليحيى بن خالد: إنك لا تُؤدّبُ

---

(١) أبو جَهْم العدوي هو عامر بن حُذَيْفة بن غانم، من قريش من بني عديّ بن كعب، أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان. وله خبر مع معاوية. توفي نحو ٧٠ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٥٠.

غِلمانَكَ ولا تَضرِبُهم، قال: هم أمناؤنا على أنفسنا فإذا نحن أخفناهم فكيف نأمَنُهم. وكان يقال: «الحليم مَطِيَّة الجَهُول». وذكر أعرابيّ رجلاً فقال: كان أحلَمَ من فَرْخ طائر. وفي الإنجيل: كونوا حُلَماء كالحيات وبُلَهاء كالحمام.

قال بعض الشعراء: [بسيط]

إني لأُعْرِضُ عن أشياءَ أسمعُها ... حتى يقولَ رجالٌ إنَّ بِي حُمُقَا
أَخْشَى جوابَ سفيْهٍ لا حياءَ له ... فَسْلٍ[1]، وظنَّ أناسٍ أنه صدَقَا

قال الأحنف: مَنْ لم يصبر على كلمةٍ سَمِعَ كلماتٍ ورُبَّ غيظٍ قد تجرّعْتُه مَخَافَةَ ما هو أشدُّ منه. قال أكثم بن صيفيّ: العِزُّ والغلبةُ للحِلم. وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أوّلُ عِوَضِ الحليم مِنْ حِلمِه أنّ الناسَ أنصارهُ على الجَهُول. وقال المنصور: عقوبةُ الحُلَماءِ التّعريضُ، وعقوبةُ السُّفَهاءِ التصريحُ.

قال: حدّثني سُهيل قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: بلغني أن رجلاً قال لآخر: والله لَئِنْ قلتَ واحدةً لتَسْمَعَنَّ عشراً، فقال له الآخر: لكنك إن قلتَ عشراً لم تَسمَعْ واحدةً. قال: وبلغني أن رجلاً شتم عمر بن ذَرّ فقال له: يا هذا، لا تُغْرِقْ في شتمنا ودَعْ للصلح موضعاً، فإنّي أَمَتُّ مُشاتَمَةَ الرجال صغيراً ولن أُحْيِيهَا كبيراً، وإني لا أُكافىء مَنْ عَصَى اللهَ فيّ بأكثَرَ مِنْ أن أُطيعَ اللهَ فيه. وقال بعض المحدَثِين: [وافر]

وإنَّ اللهَ ذو حِلْم ولكن ... بقدر الحلم يَنْتَقِمُ الزَّنِيْمُ[2]
لقد وَلَّتْ بِدَولتك الليالي ... وأنتَ مُعَلقٌ فيها ذميمُ

---

(١) الفَسْلُ: من لا خير فيه.
(٢) الزَّنِيْم: الدَّعِيُّ واللئيم المعروف بلؤمه، أو الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه.

وزالَتْ لم يَعِشْ فيها كريمٌ ولا آستَغْنَى بِثَروتَها عَديمُ
فَبُعْداً لا آنقضاءَ له وسُحْقاً فغَيْرُ مُصابِكَ آلحدَثُ العظيمُ

المدائني. قال: كان شَبِيب بن شيبةَ يقول: مَنْ سَمِع كلمةً يكرهُها فسكتَ عنها آنقطع عنه ما يكره، فإن أجاب عنها سمع أكثر مما يكره، وكان يتمثّل بهذا البيت: [طويل]

وتَجْزَعُ نفسُ المرءِ مِنْ وَقْعِ شَتْمةٍ ويُشْتَمُ ألفاً بعدها ثم يَصْبِرُ

قاتلَ الأحنفُ في بعض المواطن قتالاً شديداً، فقال له رجل: يا أبا بحر، أين الحِلْمُ قال: عند الحُبَى. وقال مسلم[1] بن الوليد: [طويل]

حُبىً لا يَطِيرُ الجهلُ في جَنَباتها إذا هي حُلَّتْ لم يَفُتْ حَلَّهَا ذَحْلُ

أَغْضَبَ زيدُ بنُ جَبَلَةَ الأحنفَ، فوثب إليه فأخذ بِعمامته وتناصبا، فقيل للأحنف: أينَ الحِلْمُ اليومَ! فقال: لو كان مِثلي أو دوني لم أفْعَلْ هذا به. كان يقال: آفةُ الحِلْمِ الضَّعْفُ. وقال الجَعْديّ[2]: [طويل]

ولا خيرَ في حِلْم إذا لم تكن له بوادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أن يُكَدَّرا

وقال إياسُ بن قَتَادةَ: [طويل]

تُعاقِبُ أَيدِينا ويَحْلُمُ رَأيُنَا ونَشْتُمُ بالأفعال لا بالتكلُّمِ

وأنشد الرِّياشيّ: [رجز]

إني آمرُؤ يَذُبُّ عن حَرِيمي حِلْمي وتَرْكي اللَّوْمَ لِلَّئيم
والعِلْمُ أحْمَى من يدِ الظَّلُومِ

---

(١) مسلم بن الوليد هو الشاعر المشهور المعروف بصريع الغواني. وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ٤٢.

(٢) هو النابغة الجَعْدي؛ وقد تقدمت ترجمته.

وقال الأحنف: أصبْتُ الحلْمَ أنْصَرَ لي من الرجال. قال أبو اليقظان: كان المُتَشَمِّسُ بنُ معاويةَ عمُّ الأحنف يَفْضُلُ في حِلمه على الأحنف قَبْلُ، فأمره أبو موسى أن يَقْسِمَ خيلاً في بني تميم فقسمَها، فقال رجل من بني سعد: ما منعكَ أن تُعطِيَني فرساً ووثبَ عليه فَمَرش[1] وجْهَه، فقام إليه قوم ليأخذوه، فقال: دَعُوني وإياه، إني لا أُعَانُ على واحد، ثم آنطلَقَ به إلى أبي موسى، فلما رآه أبو موسى سأله عما بوجهه فقال: دَعْ هذا ولكنِ آبنُ عمِّي ساخطٌ فآحمِلْه على فرسٍ، ففعل.

قيل للأحنف: ما أحلمَكَ قال: تَعلّمتُ الحِلْمَ من قيس[2] بن عاصم المِنْقَري، بينا هو قاعدٌ بِفِنائه مُحْتَبٍ بكسائه، أتتْه جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ وقيل له: هذا آبنك قتله آبن أخيك، فوالله ما حَلَّ حَبوته حتى فرغ من كلامه، ثم آلتفتَ إلى آبن له في المجلس، فقال له: قم فأطلق عن آبن عمك ووَارِ أخاك وآحمِلْ إلى أمه مائةً من الإبل فإنها غَريبةٌ، ثم أنشأ يقول:

[طويل]

إنـي آمـرؤٌ لا شـائـنٌ حَسَبي ... دَنَسٌ يُـغَـيِّـرُهُ ولا أَفْـنُ

مِـنْ مِنْـقَـرٍ في بيتِ مَكـرُمـةٍ ... والغُصْنُ يَنبُتُ حَـوْلَـهُ الـغُصْـنُ

خُـطَبـاءُ حين يَقُـولُ قـائِلُهُـمْ ... بِيضُ الـوجـوهِ، أعِفَّـةٌ لُـسْـنُ

لا يَـفْـطَنُـونَ لِعَيْـبِ جَـارِهُـمُ ... وهُمُـوا لِحِـفْظِ جِـوَارِه فُـطْنُ[3]

ثم أقبلَ على القاتل فقال: قَتَلْتَ قَرابَتك، وقَطَعْتَ رَحِمَك، وأَقلَلْتَ

---

(١) مَرَشَ وَجْهَهُ: خَدَشه.

(٢) قيس بن عاصم المِنْقري السعدي التميمي أحدُ أمراء العرب الموصوفين بالحِلْم والشجاعة. كان شاعراً مشهوراً في الجاهلية، وكان حرّم على نفسه الخمر. توفي نحو ٢٠ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦.

(٣) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٧).

عَـدَدَكَ، لا يُبعِدِ اللهُ غيـرَكَ. وفي قيس بن عاصم يقـول عَبْدَةُ بنُ الـطَّبيب[1]، إسلاميّ: [طويل]

عليكَ سَلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ... ورحمتُـه مـا شـاء أن يَتـرحَّمَـا
تَحيّـةَ مَنْ أَلْبَسْتـه منـك نِعمـةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بِـلاَدَكَ سَلَّمَـا
ومـا كان قيسٌ هُلْكُـهُ هُلْكُ واحدٍ ... ولَكِنّـه بُـنيـانُ قَـومٍ تَـهَـدَّمَـا

وقال الأحنفُ: لقد آختلفنا إلى قيسِ بن عاصم في الحِلْم كما نَخْتَلِفُ إلى الفقهـاء في الفقه. شتم رجـلٌ الأحنفَ وجعل يتبعُـه حتى بلغ حَيَّه، فقـال الأحنف: يـا هذا، إن كـان بَقي في نفسك شيء فهاتِه وآنصـرِفْ لَا يَسمَعْـكَ بعضُ سُفَهائنا فتَلْقَى ما تَكْرهُ. شتم رجـلٌ آلحسنَ وأَرْبَى عليه، فقـال له: أمّـا أنتَ فما أبقيْتَ شيئاً، وما يعلم اللهُ أكثرُ. قال بعض الشعراء: [بسيط]

لن يُـدرِكَ المجدَ أقـوامٌ وإن كَـرُمُـوا ... حتَّى يَـذِلُّـوا ـ وإن عَـزُّوا ـ لِأَقـوامِ
ويُشْتَمُـوا فتَـرَى الأَلْـوانَ مُشْـرِقَـةً ... لَا صَفْـحَ ذُلٍّ ولَكِنْ صَفْـحُ أَحْـلَامِ

قـال: حدّثني أبـو حاتم عن الأصمعي قـال: لا يَكادُ يَجتمِـعُ عشرةٌ إلا وفيهم مُقاتلٌ وأكثرُ، ويجتمِعُ ألفٌ ليس فيهم حليمٌ. ابن عُيينة قال: كـان عُرْوة ابن الزُّبير إذا أسرع إليه رجلٌ بِشَتْمٍ أو قولٍ سَيِّءٍ لم يُجِبْـهُ وقال: إنِّي أتـرُكك رفعاً لنفسي عنكَ، فجرى بينه وبين عليّ بن عبد الله كلامٌ، فأسرع إليه، فقال له عليّ: خَفِّضْ عليكَ أيها الرجلُ فإنّي أتركُكَ اليومَ لِمَا كنتَ تتركُ له الناسَ.

قال: حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: قال رجل: لمثلِ هـذا اليومِ كنتُ أدعُ الفُحْشَ على الـرجال، فقـال له خَصْمُـه: فـإنّي أدعُ الفحشَ عليـكَ

(١) عَبْدة بن يزيد (الطبيب) شاعر فحـل من تميم ومن مخضرمي الجـاهلية والإسـلام. كان أسـود شجاعاً وكانت وفاته نحو ٢٥ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٧٢.

اليومَ لِما تركْتَه أنتَ له قبل اليوم. وأغلظَ عبدٌ لسيده، فقال: إني أَصْبِرُ لهذا الغلامِ على ما تَروْنَ لأَرُوضَ نَفسي بذلك، فإذا صَبَرْتُ للمملوكِ على المكروه كانَتْ لغير المملوك أصْبَرَ.

كلّم عمر بن عبد العزيز رجلاً من بني أميّة وقد وَلَدَتْه نساء بني مُرّة فعاب عليه جَفَاءً رآه منه، فقال: قبّح الله شَبَهاً غلب عليك من بنيّ مرّة، وبلغ ذلك عَقِيلَ بن عُلَّفَةَ المُرِّيّ وهو بجَنَفَاءَ من المدينة على أميال في بلد بني مُرّة، فركب حتى قَدِم على عمر وهو بدَيْرِ سمْعَان، فقال: هيه يا أمير المؤمنين! بلغني أنك غضبْتَ على فتى من بني أبيك، فقلت: قبح الله شبهاً غلب عليك من بني مُرّة، وإني أقول: قبّح الله ألأمَ طرفيه، فقال عمر: دَعْ، ويحَك، هذا وهات حاجتَك. فقال: والله ما لي حاجة غير حاجته، وولّى راجعاً من حيث جاء، فقال عمر: يا سبحان الله! من رأى مثل هذا الشيخ؟ جاء من جَنَفَاء ليس إلاّ يشتِمُنا ثم آنصرف! فقال له رجل من بني مُرّة: إنه والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه، نحن والله ألأم طرفيه.

المدائني قال: لما عزل الحجاج أميةَ بن عبد الله عن خراسان أمر رجلاً من بني تميم فعابه بخراسان وشنّع عليه، فلما قفل لقيه التميميّ فقال: أصلح الله الأمير لا تَلُمْني فإنيَ كنت مأموراً، فقال: يا أخا بني تميم أوَ حَدَّثَتْك نفسُك أنّي وَجدْتُ عليك؟ قال: قد ظننْتُ ذاك، قال: إن لنفسك عندك قَدْراً!. كان يقال: طيِّروا دماءَ الشباب في وجوههم. ويقال: الغضب غُول الحلم. ويقال: القدرة تُذهِب الحَفِيظَةَ. وكتب كِسْرى أَبْرَوِيز إلى آبنه شِيرَوَيْه من الحبس: إن كلمة منك تَسْفِكُ دماً، وإنَّ كلمة أخرى منك تَحْقِن دماً، وإن سخَطَك سيوفٌ مسلولةً على مَنْ سَخِطْتَ عليه، وإنَّ رضاك بركة مستفيضة على من رضيْتَ عنه، وإنَّ نَفَاذ أمرك مع ظهور كلامك، فآحترس في غضبك

من قولك أن يُخطِىء ومن لونك أن يتغيّر ومن جسدك أن يَخِفَّ، وإن الملوك تُعاقِب قُدْرَةً وحزماً، وتعفو تفضُّلاً وحلماً، ولا ينبغي للقادر أن يُسْتخفَّ ولا للحليم أن يَزْهو، وإذا رضِيْتَ فأبلغْ بمن رضيت عنه يَحرِصْ من سواه على رضاك، وإذا سخِطْتَ فضَعْ من سخِطْتَ عليه يَهْرُبْ مَنْ سواه من سخطك، وإذا عاقبْتَ فآنْهَكْ[1] لئلا يُتعرّض لعقوبتك، وآعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب وأن غضبك يصغُر عن ملكك، فقدّر لسخطك من العقاب كما تُقدّر لرضاك من الثواب. قال محمد[2] بن وُهَيْب: [طويل]

لئن كنتُ محتاجاً إلى الحِلْم إنني ... إلى الجهلِ في بعض الأحايين أَحْوجُ
ولي فرسٌ للحِلْم بالحِلْم مُلجَمٌ ... ولي فرس للجهل بالجهل مُسرَجُ
فَمَنْ رام تقويمي فإني مُقوَّم ... ومن رام تعويجي فإني مُعوَّجُ
وما كنتُ أرضى الجهلَ خِدْنا[3] وصاحبا ... ولكنني أرضى به حين أُحْرَجُ
ألا ربّما ضاقَ الفضاءُ بأهله ... وأمكن من بين الأسنَّة مَخْرَجُ
وإن قال بعض الناس فيه سماجة ... فقد صدقوا، والذلُّ بالحرِّ أَسْمجُ

وقال آبن المقفع: لا ينبغي للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته، ولا يكذب لأنه لا يقدِر أحد على آستكراهه على غير ما يريد، ولا يبخَل لأنه لا يخاف الفقر، ولا يَحْقِد لأن خطره قد جَلَّ عن المجازاة. قال سُوَيد بن الصامت[4]:

---

(١) نَهَكَ السلطانُ: بالغ في العقوبة.

(٢) محمد بن وُهَيْب الحميري شاعر مطبوع مكثر ومن شعراء الدولة العباسية. كان يتشيّع وله مراثٍ في أهل البيت. توفي نحو ٢٢٥ هـ. الأعلام ج ٧ ص ١٣٤.

(٣) الخِدْن: الصاحب والرفيق.

(٤) سُوَيْد بن الصامت شاعر من أهل المدينة، اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير. قتله الخزرج قبل الهجرة. الأعلام ج ٣ ص ١٤٥.

[كامل]

إنـي إذا مـا ٱلأمـرُ بُيِّـن شَكُّـهُ   وبَـدَتْ بصـائـرُه لمن يتـأمَّـلُ
أَدَعُ الـتي هـي أرفق الـحـالات بيْ   عنـد الحَفِيـظة لـلتي هـي أجمـل

أتى عمرَ بن عبد العزيز رجلٌ كان واجداً عليه، فقال: لولا أني غضبان لعاقَبْتُك، وكان إذا أراد أن يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة أيام، فإذا أراد بعد ذلك أن يعاقبه عاقبه، كراهةَ أن يَعْجَل عليه في أوّل غضبه. وأسمعه رجل كلاماً فقال له: أردْتَ أن يستفِزّني الشيطانُ بِعزِّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تناله منّي غداً، انصرفْ رحمك الله.

قال لقمان الحكيم: ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه فقد ٱستكمل الإيمان: من إذا رضي لم يُخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا غضِب لم يُخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتناول ماليس له. وقال لابنه: إن أردْتَ أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، فإن أنصفك في غضبه وإلاّ فدَعْه.

خطب معاوية يوماً فقال له رجل: كذْبتَ، فنزل مُغضَباً فدخل منزله، ثم خرج عليهم تقطرُ لحيتُه ماءً، فصَعِد المنبرَ فقال: أيها الناس، إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإن الشيطان من النار، فإذا غضب أحدكم فليُطفِئْهُ بالماء، ثم أخذ في الموضع الذي بلغه من خطبته. وفي الحديث المرفوع: «إذا غَضِب أحدُكم فإن كان قائماً فَلْيَقعُدْ وإن كان قاعداً فَلْيضطَجِع». وقال الشاعر: [بسيط]

احْـذَرْ مَـغَـايِظَ أقـوامٍ ذوي أَنَـفٍ   إن المَغِيظَ جهـول السيف مجنـونُ

وقال عمر بن عبد العزيز: متى أَشْفي غيظي؟ أحِيْنَ أَقْدِرُ فيقالُ لي: لو عفوْتَ، أو حينَ أَعْجِزَ فيقال لي: لو صبرْتَ؟. والعرب تقول: «إن الرَّثيئة مما

يَفْثأُ الغضبَ»[1] والرثيئة اللبن الحامض يُصَبُّ عليه الحليب، وهو أطيب اللبن.

كان المنصور ولّى سَلْمَ بن قتيبة البصرةَ وولى مولىً له كُورَ البصرة والأُبُلَّةْ[2]، فورد كتاب مولاه أنّ سَلْماً ضربه بالسِّياط، فآستَشَاط المنصور وقال: عليّ تجرّأ سَلْمُ! لأجعلنَّه نَكالاً، فقال آبن عيَّاش - وكان جريئاً عليه -: يا أمير المؤمنين، إن سَلْماً لم يضرب مولاك بقوّته ولا قوّة أبيه، ولكنك قَلَّدْتَه سيفك وأصعدْتَه مِنْبَرك، فأراد مولاك أن يُطَاطِىء منه ما رفعْتَ ويُفْسِدَ ما صنعْتَ، فلم يحتمل ذلك. يا أمير المؤمنين، إنَّ غَضَبَ العربيّ في رأسه، فإذا غضِب لم يهدأ حتى يُخرجَهُ بلسان أو يَدٍ، وإن غَضَبَ النَّبَطي في آسته، فإذا غَضِب وخَرِىء[3] ذهب غضبه، فضحك أبو جعفر وقال: فعل الله بك يا منتوف وفعل، فَكُفَّ عن سَلْم.

كان يقال: إياك وعِزَّةَ الغضب فإنها مُصيِّرتُك إلى ذلّ الاعتذار. قال بعض الشعراء: [بسيط]

النَاسُ بَعدك قد خَفَّتْ حُلُومُهُم ... كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أبو بكْر بن عيّاش عن الأعمش قال: كنت مع رجل فوقع في إبراهيم. فأتيت إبراهيمَ فأخبرْتُه وقلت: والله لهَممْتُ به، فقال: لعلَّ الذي غضبْتَ له لو سمعه لم يقل شيئاً.

---

(١) فَثَا الرجلُ الغضبَ: كسر حِدَّته وسكَّنه بقول أو غيره. ولقد ورد هذا المثل في لسان العرب مادة (فثأ) وفي مجمع الأمثال للميداني هكذا:
«إن الرثيئة تَفْثأُ الغضب». ومعنى المثل: إن الهدية ولو كانت يسيرة تستجلب الرضى. وهو مثل يضرب في اليسير من البرّ. وأصله أن رجلاً كان غضب على قوم، وكان، مع غضبه، جائعاً فسقوه رثيئة، فسكن غضبه وكفَّ عنهم.

(٢) الأُبُلَّة: بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة وقد تقدمت ترجمتها.

(٣) خَرِيء يَخْرَأُ: تغوّط وسلح فهو خارىء.

باب العزّ والذلّ والهيبة

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا عمر بن السَّكَن قال: قال سليمان ابن عبد الملك ليزيد بن المهلَّب: فِيمَنْ العِزُّ بالبصرة؟ فقال: فينا وفي حلفائنا من ربيعة، فقال عمر بن عبد العزيز: ينبغي أن يكون العزّ فيمن تُحُولِفَ عليه يا أمير المؤمنين. قالت قريبةُ: إذا كنت في غير قومك فلا تَنْسَ نصيبَك من الذِّلَّة. قال رجل من قريش لشيخ منهم: عَلِّمْني الحِلْمَ، قال: هو، يا ابن أخي، الذلّ، أَفَتَصْبِرُ عليه؟. وقال الأحنف: ما يسرّني بنصيبي من الذلّ حُمْرُ النَّعَم، فقال له رجل: أنت أعزّ العرب، فقال: إن الناس يَرَوْن الحِلمَ ذلاًّ، فقلت ما قلت على ما يعلمون.

وقرأت في كتاب للهند أن الريح العاصف تَحطِم دَوْحَ الشجر ومُشيَّدَ البنيان ويَسلَمُ عليها ضعيفُ النبت لِلينه وتثنِّيه. ويقال في المثل: «تَطَأْطَأْ لها تُخطِئْكَ»، وقال زيد[1] بن عليّ بن الحسين حين خرج من عند هشام مُغضَباً: ما أَحَبَّ أحدٌ قطُّ الحياةَ إلا ذُلَّ؛ وتمثّل: [سريع]

شَرَّدَهُ الخوفُ وأَزْرى به ... كذاك مَنْ يكرهُ حَرَّ الجِلَادْ
منخرقُ الخُفَّين يشكو الوَجَى ... تَنْكُبه أطرافُ مَرْوٍ[2] حِدَادْ
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموت حَتْمٌ في رقاب العِبادْ

وقال المتلمس[3]:

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، إمام وخطيب بني هاشم. كانت إقامته بالكوفة وإليه تنسب الطوائف الزيدية. توفي سنة ١٢٢ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٥٩.

(٢) المَرْوُ: حجارة بيض رقاق.

(٣) المتلمِّس هو جرير بن عبد العزّى، من ربيعة، شاعر جاهلي من أهل البحرين، وخال طرفة بن العبد، توفي نحو ٥٠ ق هـ. الأعلام ج ٢ ص ١١٩.

[بسيط]

إن الهوان، حمارُ البيت يعرفه ... والمرء ينكره والجَسْرة الأُجُدْ(١)

ولا يُقيم بدار الذلِّ يَعرفُها ... إلا الحمارُ حمارُ الأهل والوَتدُ

وقال الزُّبير(٢) بن عبد المطلب: [بسيط]

ولا أُقيم بدارٍ لا أَشُدُّ بها ... صوتي إذا ما آعترتْني سَوْرَةُ الغضبِ

وقال آخر: [طويل]

إذا كنتَ في قومٍ عِداً لستَ منهُمُ ... فكلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيّبِ

وقال العباس(٣) بن مِرْداس: [طويل]

أبلغِ، أبا سَلْم، رسولاً نصيحةً ... فإنْ معشرٌ جادوا بِعرْضك فآبخلِ

وإن بَوَّؤُوْك منزلاً غيرَ طائلِ ... غليظاً فلا تنزلْ به وتحوَّلِ

ولا تَطْعَمَنْ ما يَعْلِفونك إنَّهُمْ ... أَتَوْكَ على قُرْبانِهِمْ بالمُثَمَّلِ

أراك إذن قد صِرْتَ للقوم ناضحاً ... يقال له بالغَرْب أَدْبِرْ وأَقْبِلِ

وقال آخر: [متقارب]

فأبلِغْ لديْكَ بني مالكٍ ... على نَأْيها وسَراة الرَّبابِ

بأنَّ آمرَأً أنتُمُو حوله ... تحُفُّون قُبَّتَهُ بالقِباب

يُهِيْنُ سَراتَكُمُو عامداً ... ويقتلُكُمْ مثلَ قتلِ الكلاب

فلو كنتُمُو إبْلاً أَمْلَحتْ(٤) ... لقد نَزَعَتْ للمِياهِ العِذاب

---

(١) الجَسْرة: الناقة. والأُجُدُ: القوية الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) العباس ين مِرْداس السلمي شاعرٌ فارسٌ من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وكان ممن ذمَّ الخمر وحرَّمها في الجاهلية. توفي نحو ١٨ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٦٧.

(٤) أملحت الإبلُ: وردت ماء ملحاً.

ولكنكُمْ غَنَمُ تُصطَفى ... ويُترَكُ سائرُها للذئاب

وقال آخر: [بسيط]

تالله لولا آنكسارُ الرمح قد علموا ... ما وجدوني ذليلاً كالذي أجِدُ
قد يُحْطَمُ الفَحْلُ قَسْراً بعد عِزَّتِهِ ... وقد يُرَدُّ على مكروهِهِ الأسَدُ

وقال بعض العَبْديين: [متقارب]

ألا أبْلِغا خُلَّتي راشداً ... وصِنْوي قديما إذا ما اتَّصلْ
بأنَّ الدَّقيق يَهيجُ آلجليلَ ... وأنَّ العزيز إذا شاء ذَلّ
وأنَّ الحَزامة أنْ تَصْرِفوا ... لحيٍّ سِوانا صُدورَ الأَسَلْ
فإن كنتَ سيّدَنا سُدْتَنا ... وإن كنْتَ للخَال فآذهَبْ فَخَلْ

وقال البَعْيث[1]: [وافر]

ولو تُرمى بلُؤمِ بني كُلَيْبٍ ... نجومُ الليل ما وَضَحَتْ لِسَاري
ولو لَبِسَ النهارَ بنو كليبٍ ... لَدَنَّس لُؤمُهمْ وَضَحَ النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ... لِيطْلُبَ حاجةً إلا بجارِ

جاور آبنُ سَيَابَةَ مولى بني أسد قوماً فأزعجوه، فقال لهم: لِمَ تُزعجوني من جواركم؟ فقالوا: أنت مُريب، فقال: فمن أذلُّ من مريب ولا أحسنُ جواراً. أبو عبيدة عن عَوَانَةَ قال: إذا كنْتَ من مُضرٍ ففاخرْ بكنانة وكاثِرْ بتميم وألْقَ بقَيْس، وإذا كنت من قَحْطان فكاثرْ بقُضَاعة وفاخِرْ بمَذْحِج وألْقَ بكلب، وإذا كنت من ربيعة ففاخر بشيبان وألقَ بشيبان وكاثر بشيبان. كان يقال: مَنْ أراد عزّاً بلا عَشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذلِّ معصية الله إلى عز طاعة

(١) تقدمت ترجمته.

الله. قيل لرجل من العرب: منِ السيدُ عندكم؟ قال: الذي إذا أقبل هِبْناه وإذا أدبر آغتبْناه. ونحوه قول مسلم[1]: [طويل]

وكم مِنْ مُعِدٍّ في الضمير ليَ الأذى ... رآني فألقى الرُّعْبُ ما كان أضْمَرَا

وقال أيضاً: [بسيط]

يا أيها آلشاتِميّ عِرْضي مُسارَقَةً ... أَعْلِنْ به، أنت إنْ أعلنته الرجلُ

ومن أحسن ما قيل في الهيبة: [بسيط]

في كفّه خيزرانٌ رِيْحُها عَبِقٌ ... من كفِّ أَرْوَعَ في عِرْنِيْنِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حياءً ويُغْضى من مَهابته ... فما يُكلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ[2]

وقال آبن هَرْمة[3] في المنصور: [طويل]

له لَحَظاتٌ عن حِفَافَيْ[4] سريره ... إذا كَرَّها فيها عِقَابٌ ونائلُ
فأُمُّ الذي آمنْتَ آمِنةُ الرَّدَى ... وأُمُّ الذي أوْعَدْتَ بالثُّكْل ثاكلُ
كريْمٌ له وجهانِ وجْهٌ لدى الرِّضا ... أسيْلٌ، ووجه في الكريهة باسلُ[5]
وليس بمُعْطي العفوِ عن غير قدرةٍ ... ويَعْفُوْ إذا ما أَمْكَنَتْهُ المَقاتِلُ

وقال آخر في العفو بعد القدرة: [مجزوء الكامل]

أسدٌ على أعدائِهِ ... ما إنْ يَلِيْنُ ولا يهونُ
فإذا تمكّنَ منهُمُ ... فهناك أحلمُ ما يكونُ

---

(١) هو مسلم بن الوليد، وقد تقدمت ترجمته.
(٢) هذا الشعر منسوب للفرزدق قاله في مدح زين العابدين.
(٣) مرت ترجمته.
(٤) حِفافا السرير: جانباه.
(٥) أي وجه أسيل في أيام السلم وباسل في أيام الحرب.

وقال آخر[١] في مالك بن أَنَس: [كامل]

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً ... والسائلون نَوَاكِسُ الأذْقانِ
هَدْيُ التَّقِّي وعِزُّ سلطانِ آلتُّقَى ... فهو آلمُطَاع وليس ذا سلطانِ

وقال آخر[٢]: [كامل]

وإذا الرجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهُمْ ... خُضُعَ الرِّقابِ نواكسَ[٣] الأبصارِ

وقال أبو نواس: [سريع]

أُضْمِرُ في القلب عِتَاباً له ... فإنْ بدا أُنْسِيْتُ من هَيْبَتِهْ

آلمدائني قال: قال آبن شُبرُمة القاضي لابنه: يا بُنيّ، لا تُمكِّنِ الناسَ من نفسك، فإنَّ أجرأ الناس على السباع أكثرُهم لها مُعاينةً. قيل لأعرابيّ: كيف تقول: استخذأتُ أو آستخذيتُ؟ قال: لا أقوله، قيل: ولِمَ؟ قال: لأن العرب لا تَستخذي. وكان يقال: إصفَحْ أو آذبَحْ.

باب المروءة

في الحديث المرفوع: قام رجل من مُجَاشِع إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ألسْتُ أفضلَ قومي؟ فقال: «إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خُلُق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حَسَب، وإن كان لك تُقىً فلك

---

(١) الشاعر هو عبد الله بن المبارك بن واضح التميمي كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٢١) وشيخ الإسلام وأول من صنف كتاباً في الجهاد. توفي سنة ١٨١ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١١٥.

(٢) الشاعر هو الفرزدق، وقد تقدمت ترجمته.

(٣) النواكس: ج ناكس على غير القياس؛ لأنه لا يقال في المذكر «فواعل» كالمؤنث إلّا في موضعين: فوارس وهوالك، ولكن الشاعر اضطرَّ في الشعر فأخرج «نواكس» عن الأصل؛ ولولا الضرورة ما جاز له. هكذا علله ذلك أبو العباس محمد بن يزيد النحوي في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٨).

دين» وفيه أيضاً: «إن الله يُحِبّ مَعَالِيَ الأمور ويكره سَفْسافَها». روى كَثيرِ بن هشام عن الحكم بن هشام الثَّقفيّ قال: سمعْتُ عبد الملك بن عُمير يقول: إن من مروءة الرجل جلوسَه ببابه. قال الحسن: لا دِيْنَ إلا بمروءة. قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال: إصلاح المال، والرَّزانةُ في المجلس، والغداء والعشاء بالفِناء. قال إبراهيم: ليس من المروءة كثرةُ الالتفات في الطريق ولا سرعةُ المشي. ويقال: سرعةُ المشي تُذهِب بَهاءَ المؤمن.

قال معاوية: المروءة ترك اللذة. وقال لعمرو: ما ألذُّ الأشياء؟ فقال عمرو: مُرْ أَحْداثَ قريش أن يقوموا، فلما قاموا قال: إسقاطُ المروءة. قال جعفر بن محمد عن أبيه: قال قال رسول الله ﷺ: وَرُّوا لذوي المروءات عن عَثَراتهم، فوالذي نفسي بيده إنَّ أحدهم ليعثر وإنَّ يدَه لفي يد الله. كان عروة ابن الزبير يقول لولده: يا بَنيَّ، إلعبوا، فإنَّ المروءة لا تكون إلا بعد اللعب. قيل للأحنف. ما المروءة؟ فقال: العِفَّةُ والحِرْفة. قال محمد بن عِمْران التَّيْمي: ما شيءٌ حَمْلا عليّ من المروءة، قيل: وأيّ شيءٍ المروءةُ؟ قال: لا تعملُ شيئاً في السرّ تستحي منه في العلانية. وقال زهير في نحو هذا:

[كامل]

السِّتْرُ دون الفاحشات، ولا يَلْقَاكَ دون الخيرِ مِنْ سِتْرِ

وقال آخر:

[طويل]

فسِرّي كإعلاني، وتلك خليقتي وظلمةُ ليلي مثلُ ضوء نهاريا

قال عمر بن الخطاب: تعلَّموا العربيةَ فإنها تزيد في المروءة، وتعلَّموا النسبَ فرُبَّ رَحِمٍ مجهولة قد وُصِلت بنسبها. قال الأصمعيّ: ثلاثة تحكم

لهم بالمروءة حتى يُعرفوا: رجل رأيتَه راكباً، أو سمعته يُعرِب، أو شمِمْتَ منه رائحةً طيبة. وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرفوا: رجل شَمِمْتَ منه رائحةَ نبيذ في مَحْفِل، أو سمعْتَه يتكلم في مصرٍ عربيّ بالفارسية، أو رأيْتَه على ظهر الطريق ينازع في القَدَر. قال ميمون آبن ميمون: أوّل المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودّد، والثالث قضاء الحوائج. وقال: من فاته حَسَبُ نفسه لم ينفعْه حَسَبُ أبيه. قال مَسْلمة بن عبد الملك: مروءتان ظاهرتان: الرِّياسة والفصاحة. وقال عمر بن الخطاب: المروءة الظاهرة الثيابُ الطاهرة. قالوا: كان الرجل إذا أراد أن يَشِيْنَ جارَه طلب الحاجةَ إلى غيره. وقال بعض الشعراء: [بسيط]

نومُ الغداةِ وشُربُ بالعَشِيّاتِ ... موكَّلان بتهديم المروءاتِ

باب اللباس

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا آبن عيينة عن إبراهيم بن مَيْسَرة عن طاوس عن آبن عباس، قال: كُلْ ما شئتَ وآلبَسْ ما شِئْتَ إذا ما أخطأكَ شيئان: سَرَفٌ أو مَخِيلةٌ.

قال: حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا آلمِنْهال بن حَمّاد عن خارجة ابن مُصْعَب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزْم عن أبيه، قال: كانت مِلْحَفةُ رسول الله ﷺ التي يَلبسُ في أهله مُورّسةً[1] حتى إنها لتَرْدَعُ[2] على جلده.

حدّثني أبو الخطّاب قال: حدّثنا أبو عَتّاب قال: حدّثنا المختار بن نافع عن إبراهيم التيميّ عن أبيه عن عليّ قال: رأيت لعمر بن الخطاب، رضي الله

---

(١) مُوَرَّسَةٌ: مصبوغة بالوَرْس (نبات كالسمسم أصفر يزرع باليمن ويصبغ به).
(٢) تَرْدَعُ على جلده: تنفض صبغها.

عنه، إزاراً فيه إحدى وعشرون رُقْعة من أَدَم ورقعةٌ من ثيابنا.

حدّثنا الزِّياديّ قال: حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريريّ عن آبن عباس، قال: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزارُه مرقوع بأدَمٍ. نظر معاوية إلى النخّار العُذْريّ الناسب في عباءة فآزدراه في عباءة، فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلّمك وإنما يكلّمك مَنْ فيها. قال سُحَيم[1] بن وَثيل: [طويل]

أَلَا ليس زَيْنُ الرَّحْلِ قِطْعاً يُمزّقُ ... ولكنَّ زين الرَّحْلِ يا مَيَّ راكبُهْ

وقال آخر [منسرح]

إيّاكَ أنْ تَزْدَرِي الرجالَ فما ... يُدرِيْكَ ماذا يُكِنُّه الصَّدَفُ

نفسُ الجواد العتيقِ باقيةٌ ... يوماً وإنْ مسَّ جسمَه العَجَفُ

والحرُّ حُرٌّ وإنْ ألمَّ به الضُـ ... ـرُّ وفيه العفافُ والأَنَفُ

وقال آخر من المحدَثين: [بسيط]

تَعجَّبَتْ دُرُّ مِنْ شَيْبي فقلتُ لها ... لا تَعْجَبي قد يلوحُ الفَجْرُ في السَّدَفِ[2]

وزادها عَجباً أَنْ رُحْتُ في سَمَلٍ[3] ... وما دَرَتْ دُرُّ أنَّ الدُّرَّ في الصَّدَف

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ أنَّ آبن عَوْن آشترى بُرْنُساً من عمر بن أنس بن سِيرين فمرَّ على معاذة العَدَويّة، فقال: أمِثلُكَ يلبَسُ هذا! قال: فذكرْتُ ذلك لابن سيرين فقال: ألا أَخبرْتَها أن تميماً الداريَّ آشترى حُلّة بألفٍ يُصلِّي فيها؟

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثنا مُصعَبُ بن عبد الله من ولد عبد

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) دُرُّ: إسم محبوبة الشاعر. والسَّدَفُ: الظلمة والليل.

(٣) السَّمَلُ: الماء القلَيل، والمفرد سَمَلَة.

الله بن الزبير عن أبيه قال: أخبرني إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران: رِداءٌ وعِمَامةٌ.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا علي بن عاصم قال: أخبرنا أبو إسحاق الشَّيْباني قال: رأيتُ محمد بن الحنفية واقفاً بعرفات على بِرْذَوْنٍ[1] عليه مُطْرَفُ خزٍّ أصفرُ.

حدّثني الريّاشيّ عن الأصمعيّ عن حَفْص بن الفُرَافِصَة قال: أدركْتُ وجوهَ أهل البصرة، شقيقَ بن ثَوْر فمن دونه وآنيتُهم في بيوتهم الجِفانُ والعِسَسَةُ فإذا قعدوا بأفنِيَتهم لَبِسوا الأكسيةَ وإذا أتَوْا السلطانَ ركبوا ولبِسوا المَطَارِفَ.

قدِم حَمَّادُ بن أبي سليمان البصرة فجاءه فَرْقَدُ السَّبَخِيُّ وعليه ثِيابُ صوف فقال حماد: ضَعْ نصرانيتَك هذه عنك، فلقد رأيتُنا ننتظر إبراهيمَ فيخرج علينا وعليه مُعَصْفَرةٌ ونحن نرى أن المَيتة قد حلّت له.

وروى زيد بن الحُبَاب عن الثَّوْريّ عن ٱبن جُرَيْج عن عثمان بن أبي سليمان أن ٱبن عباس كان يرتدِي رداءً بألفٍ. قال مَعْمَر: رأيت قميصَ أيوبَ يكاد يَمَسّ الأرض، فكلمته في ذلك فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في تذييل القميص وإنها اليومَ في تشميره.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: جاء سَيَّار أبو الحَكَم إلى مالك بن دينار في ثيابٍ ٱشتهرها[2] مالكٌ، فقال له مالك: ما هذه الشّهرةُ؟ فقال له سيّار: أتضعني عندك أم ترفعني؟ قال: بل تَضَعُكَ، قال: أراك تَنْهاني عن التواضع، فنزل مالك فقعد بين يديه.

(١) البِرْذَوْن: دابة أو فرس غير أصيل.
(٢) اشتهرها: شنّع بها.

قال أبو يعقوب الخُرَيميّ: أراد جعفر بن يحيى يوماً حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعيّ فدفع إلى خادم كيساً فيه ألفُ دينارٍ وقال: إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعيّ وسيحدّثني ويُضحِكني فإذا ضحِكتُ فضَعِ الكيسَ بين يديه، فلما رَجَعَ ودخل عليه رأى حُبّاً[١] مكسور الرأس وجَرّة مكسورة العنقِ وقصعة مُشَعَّبة وجَفْنةً أَعْشاراً ورآه على مصلًّى بالٍ وعليه بَرَّكانٌ[٢] أجْرَدُ فغمز غلامَه ألّا يضعَ الكيسَ بين يديه ولم يَدَعِ الأصمعيُّ شيئاً مما يُضحِكُ الثَّكْلانَ إلا أورده عليه فما تبسّم وخرج، فقال لرجل كان يُسَايِره: «مَنْ ٱسترعى الذئبَ ظلَم»، ومن زرع سَبَخَةً[٣] حصد الفقْرَ، فإني والله لو علمْتُ أن هذا يكتم المعروفَ بالفعل لما حَفَلْتُ نشرهَ له باللسان، وأين يقع مدح اللسان من مدح آثار الغِنى؛ لأن اللسان قد يَكذِب والحال لا تكذِب. ولله دَرُّ نُصَيبٍ[٤] حيث يقول: [طويل]

فعاجُوا فأثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ولو سَكَتُوا أَثْنَتْ عليك الحقائِبُ[٥]

ثم قال له: أَعَلِمْتَ أن ناووسَ أبروِيزَ أمدحُ لأبرويزَ من شعر زهير لآل سِنَان.

قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: رأيْتُ مشيخةً بالمدينة في زيّ الفتيان لهم الغدائرُ وعليهم المُورَّد والمُعصفَر[٦] وفي أيديهم المَخَاصِرُ وبها أَثَرُ الحِنّاء، ودِينُ أحدهم أبعدُ من الثريَّا إذا أُريدَ دينُه. ذمّ آبن التوءم رجلاً فقال: رأيته

---

(١) الحُبُّ: الجرّة أو الضخمة من الجرار، والخابية فارسي مُعَرَّب والجمع أحباب وحِبَبَة.
(٢) البَرَّكَانُ: الكساء الأسود.
(٣) السَّبَخَةُ: أرض ذات نزٍّ وملح، والجمع سِباخ.
(٤) نُصَيْب بن رباح شاعر فحل مقدَّم في النسيب والمدائح. له أخبار مع سليمان بن عبد الملك. توفي سنة ١٠٨ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٣١ - ٣٢.
(٥) هذا البيت من جملة أبيات قالها نصيب في مدح سليمان بن عبد الملك.
(٦) المُعَصْفَرُ: المصبوغ بالعُصْفُر (صبغ يسمّى البهرمان والواحدة عُصْفُرَة).

مُشحَّم النعل دَرِنَ الجَوْرَب[١] مُغضَّن الخفّ دقيقَ الخِزَامة. أنشد ٱبن الأعرابي[٢]: [طويل]

فإن كنْتَ قد أُعْطِيْتَ خَزّاً تَجُرُّهُ تَبَدَّلْتَهُ من فروةٍ وإهابِ
فلا تأيَسَنْ أن تملِكَ الناسَ إنّني أرى أُمَّةً قد أدبرت لِذَهاب

قال أيوب: يقول الثوبُ: أطوِني أُجمِّلْك. هِشَامُ بن عُرْوة عن أبيه قال: يقول المال: أرِني صاحبي أُعَمَّرْ، ويقول الثوب: أَكْرِمني داخلاً أُكرِمْك خارجاً. ويقال: لكل شيء راحةٌ، فراحةُ البيت كنسُه، وراحةُ الثوب طَيّه. قيل لأعرابيّ: إنك تُكثِرُ لُبسَ ٱلعِمامة، فقال: إن عظماً فيه السّمعُ والبصرُ لَجديرٌ أن يُكَنّ من ٱلحرّ والقُرّ. ويقال: حُبَى العرب حيطَانُها، وعمائمها تيجانُها. وذكروا العِمامةَ عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جُنّةٌ في الحرب، ومَكِنّة في الحرّ والقُرّ، وزيادةٌ في القامة، وهي بَعْدُ عادةٌ من عادات العرب. وقال طلحة ابن عبيد الله: الدّهنُ يُذهِبُ البؤس، والكِسوةُ تُظهِرُ الغِنى، وٱلإحسانُ إلى الخادمِ مما يَكبِتُ ٱللهُ به العدوَّ.

أبو حاتم قال: حدّثنا العُتْبيّ قال: سمعت أعرابياً يقول: لقد رأيتُ بالبصرة بُرُوداً كأنما نُصِحَت[٣] بأنوار الربيع وهي تَروعُ، واللاّبسوها أَرْوعُ. قال يحيى بن خالد للعَتّابيّ في لباسه ـ وكان لا يُبالي ما لبِس ـ: يا أبا عليّ، أَخْزَى الله ٱمرأً رضِيَ أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله، فإنما ذلك حظُّ الأدنياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعَه أكبراه: هِمَّتُه ونفسُه، وأصغراه: قلبُه

(١) الجَوْرَبُ: لفافة الرِجْل، معرّب كورب بالفارسية، والجمع جوارب.
(٢) هو محمد بن زياد، وقد تقدمت ترجمته.
(٣) نَصَحَ الثوبَ: خاطه.

ولسانُه. وفي الحديث المرفوع: «إن الله إذا أنعم على عبدٍ نعمةً أحبّ أن يَرَى أثرَها عليه». قال حبيب بن أبي ثابت: أن تَعِزَّ في خصَفَةٍ خيرٌ لك من أن تَذِلَّ في مِطْرَفٍ[1]، وما آقترضْتُ من أحد خيرٌ مِنْ أن أقترضَ من نفسي. قال عمرو[2] بن معدِ يكرب: [مجزوء الكامل]

ليس آلجمالُ بِمئزَرٍ	فآعلمْ وإنْ رُدِّيتَ[3] بُرْدَا
إن آلجمالَ معادنٌ	ومواركُ أوْرَثْنَ مَجْدَا

وقال آبن هَرْمة[4] [منسرح]

لو كان حولِيْ بَنُو أُمَيَّةَ لم	يَنطِقْ رجالٌ إذا هُمُوا نطقوا
إنْ جلسوا لم تَضِقْ مجالسُهُمْ	أو رَكِبوا ضاق عنهمُ آلأُفُقُ
كم فيهمُو مِن أخٍ وذي ثِقةٍ	عن مَنْكِبَيْهِ آلقميصُ مُنخَرِقُ
تَجَهَّمَنْ[5] عُوَّذَ النساء إذا	ما آحمرَّ تحت القَوانِس[6] الحَدَقُ
فَرِيْحُهُمْ عند ذاك أندى من آلـ	ـمِسْك وفيهِمْ لخابطٍ وَرَقُ

قال: حدّثني أحمد بن إسماعيل قال: رأيتُ على أبي سعد آلمخزوميّ الشاعر كردوانياً مصبوغاً بسواد، فقلت له: يا أبا سعد، هذا خزّ؟ فقال: لا، ولكنه دَعِيٌّ على دَعِيٍّ، وكان أبو سعد دَعِيّاً في بني مخزوم، وفيه يقول أبو البَرْق:

---

(١) الخَصَفَةُ: الثوب الغليظ جداً، والجمع خُصَفٌ وخِصاف. والمُطْرَفُ، بضم الميم وكسرها، رداء من خزّ مربّع ذو أعلام، والجمع مطارف.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٢٧.

(٣) رُدِّيْتُ: إرتديْتُ.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) في الأصل «تجهَّمَ» وبذلك ينكسر الوزن.

(٦) القوانِسُ: ج قَوْنس (أعلى الرأس).

[مجزوء الهزج]

لَـمَـا تاهَ على الـنـاسِ شـريـفٌ يـا أبـا سـعـدِ
فتِـهْ مـا شئتَ إذْ كـنت بـلا أصـلٍ ولا جَـدِّ
وإذا حَـظُّك في آلنسب ـة بـين الـحـرِّ وآلـعـبـد
وإذْ قـاذِفُـك الـمُـفْـحِـ ـشُ في أمنٍ مِنَ الـحَـدّ

قال عمر بن عبد العزيز لمؤدّبه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدّبني؟ قال: أحسن طاعةٍ، قال: فأَطِعْني آلآن كما كنتُ أطيعك، خذ من شاربك حتى تبدوَ شَفتاك، ومن ثوبك حتى يبدوَ عَقِباك. وكيع قال: راح آلأعمش إلى الجمعة وقد قلَب فروةً جِلدُها على جلده وصوفُها إلى خارج، وعلى كتفيه مِنديلُ الخِوان[1] مكانَ الرِّداء. قال: حدّثني أبو الخطاب عن أبي داود عن قيس عن أبي حُصَين قال: رأيت آلشعبي يَقْضي على جِلْدٍ. قال الأحنف: استجِيدوا النِّعال فإنها خلاخِيْلُ الرجال. أبو الحسن المدائنيّ قال: دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مُسْلم في مِدْرَعةِ صوف فقال له قتيبة: ما يدعوك إلى لُبْس هذه؟ فَسكَتَ، فقال له قتيبة: أُكلّمك فلا تجيبني! قال: أكره أن أقول زُهْداً فَأُزكّيَ نفسي، أو أقول فَقْراً فأشكوَ ربّي. قال آبن السَّمَّاك لأصحاب الصوف: والله إن كان لباسُكم هذا موافقاً لسرائركم لقد أَحْبَبْتُم أن يَطّلع الناسُ عليها، وإن كان مخالفاً لها فقد هلكتم. وقال بعض المحدثين يعتذر من أطمارٍ عليه:

[طويل]

فما أنا إلا السَّيفُ يأكلُ جَفْنَهُ[2] لـه حليةٌ من نفسه وهو عاطِلُ

---

(١) الخوان: بضم الخاء وكسرها: ما يوضع عليه الطعام لِيُؤكَل.
(٢) الهاء في «جفنة» تعود على السيف.

التَّخَتُّم

قال: حدّثني أبو الخطاب زِياد بن يحيى الحَسَّانيّ قال: حدّثنا عبد الله ابن ميمون قال: حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: إن النبيَّ ﷺ تختَّم في يمينه.

قال: حدّثنا أبو الخَطَّاب قال: حدّثنا سهل بن حَماد قال: حدّثنا أبو خَلْدة خالد بن دينار قال: سألت أبا العالية ما كان نَقْشُ خاتَمَ النبيّ ﷺ؟ قال: «صَدَقَ اللهُ» قال: فَأَلْحَقَ الخلفاءُ بَعْدَ «صَدَقَ اللهُ» «محمدٌ رسول الله».

قال أبو الخطاب: حدّثنا أبو عَتَّاب[1] قال: حدّثنا سالم بن عبد الأعلى عن نافع عن آبن عمر: أن النبيّ ﷺ كان إذا أراد أن يذكر الشيء أَوْثَقَ في خاتمه خيطاً.

حدّثني أبو الخطاب: قال حدّثنا عبد الله بن ميمون قال: حدّثنا جعفر ابن محمد عن أبيه أنَّ خاتمَ عليّ كان من وَرِقٍ نقشُه «نِعْمَ القادرُ اللهُ» كان على خاتم عِليّ بن الحسين بن عليّ« عَلِمْتَ فَآعمَلْ». كان نقش خاتم صالح بن عبيد الله بن عليّ«تبارك مَنْ فَخْرِي بأني له عبد» ونقشُ خاتم شريح «الخاتمُ خيرٌ من الظن». ونقش خاتم طاهر «وَضعُ الخدِّ للحقّ عِزٌّ». وكان لأبي نواس خاتمان: أحدهما عقيق مربع وعليه: [طويل]

تعاظَمَني ذَنْبي فلما عَدَلْتُهُ بعفوكَ ربِّي كان عفوُك أعظَمَا

والآخر حديث صينيّ مكتوب عليه: «الحَسَنُ يشهدُ أن لا إله إلا الله مخلصاً» فأوصى عند موته أن يُقلَعَ الفَصُّ ويُغسلَ ويُجعلَ في فمه.

---

(١) هو سهل ابن حماد المذكور آنفاً.

باب الطِّيْب

قال: حدّثنا محمد بن عُبَيد قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن أبي عثمانَ النَّهْدِيّ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ طِيْبِ الرجال ما ظهر رِيْحُه وخَفِي لونُه، وخيرُ طِيْبِ النساء ما ظهر لونُه وخَفِي ريحُه».

حدّثنا القُطَعِيُّ قال: حدّثنا بِشْر عن آبن لَهِيعَةَ قال: حدّثني بُكَير عن نافع أن آبن عمر كان يستجمر بعُودٍ غيرِ مُطَرًّى ويجعل معه الكافور ويقول: هكذا كان رسول الله يستجمر.

قال: حدّثنا زياد بن يحيى قال: حدّثنا زياد بن الربيع عن يونس قال: قال أبو قِلَابة: كان آبن مسعود إذا خرج إلى المسجد عرف جيرانُه ذاك بطيب ريحه.

حدّثني القُومَسِيّ قال: حدّثنا أبو نعيم عن شَقيق عن الأعمش قال: قال أبو الضُّحَى: رأيتُ على رأس آبن الزبير من المسك ما لو كان لي كان رأسَ مال.

قال: حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا أبو قتيبة وأبو داود عن الحسن بن زيد الهاشميّ عن أبيه قال: رأيت آبن عباس حين أَحْرم والغاليةُ على صلعته كأنها[1] الرُّب.

قال: حدّثني أحمد بن الخليل عن عمرو بن عون عن خالد عن عمرو ابن يحيى عن محمد بن يحيى بن حَبّان قال: كان عبد الله بن زيد يتخلّق بالخَلُوق[2] ثم يجلسُ في المجلس.

---

(١) الغالية: أخلاط من الطِّيْب، قيل: أول من سمّاها بذلك سليمان بن عبد الملك، والجمع غَوالٍ. والرُّبُّ: سُلافة خُثارة كل ثمرة بعد آعتصارها كرُبِّ البندورة وما شابه.

(٢) الخَلُوْقُ: أضرب من الطِّيْب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.

وحدّثني أيضاً عن سُوَيد بن سعيد عن ضِمام بن إسماعيل عن عُمَار بن غَزيَّة قال: لما أَوْلِمَ عمرُ بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلكَ الليلةَ الغاليةَ.

قال: وحدّثني عن أبي عبد الرحمن المقرىء عن سعيد بن أبي أيوب عن عبيد الله بن أبي جعفر عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: قال النبيّ ﷺ: «لا تَرُدُّوا الطِّيْبَ فإنه طَيِّبُ الريح خفيفُ المَحْمِل».

قال: حدّثني زيد بن أَخْزم قال: حدّثنا أبو داود قال: حدّثنا أنس بن مالك قال: حدّثنا عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت: كأني أنظر إلى وبِيص[1] الطِّيب في مَفَارق رسول الله ﷺ وهو مُحرِمٌ. إبراهيم بن الحكم عن أبيه قال: قال عِكرمة: كان آبن عباس يَطْلي جسدَه بالمسك فإذا مرَّ بالطريق قال الناس: أَمَرَّ آبنُ عباس أم مَرَّ المسكُ؟. قال المُسيَّب[2] بن عَلَس يمدح بني شيبان: [متقارب]

تَبيْتُ الملوكُ على عَتْبِها ... وشَيْبانُ إن غَضِبَتْ تُعْتَبُ
وكالشَّهْدِ بالراح أحلامُهُمْ ... وأحلامُهُمْ منهما أعذبُ
وكالمسكِ تُرْبُ[3] مَقاماتهم ... وتربُ قبورِهمُو أطيبُ

أخذه العباس[4] بن الأَحْنَف فقال: [متقارب]

وأنت إذا ما وطِئْتَ الترا ... بَ صار تُرابُك للناس طِيْبَا

---

(١) وَبِيْصُ الطِّيْب: بريقه ولمعانه.

(٢) المُسَيَّب بن عَلَس بن مالك بن قمامة شاعر جاهلي من ربيعة بن نزار. وهو خال الأعشى ميمون. الأعلام ج ٧ ص ٢٢٥.

(٣) التُّرْبُ: التراب.

(٤) العباس بن الأحنف شاعر غزِلٌ رقيق، نشأ ببغداد وتوفي بها سنة ١٩٢ هـ. خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يَهْجُ بل كل شعره غزل وتشبيب. الأعلام ج ٣ ص ٢٥٩.

وقال كعب[1] بن زهير يمدح قوماً: [بسيط]

ألمطعِمون إذا ما أَزْمَةٌ أَزَمَتْ والطَّيبونَ ثِياباً كُلَّما عَرِقُوا

وأنشد آبن الأعرابي[2]: [طويل]

خَوْد[3] يكون بها القليل تَمسُّهُ مِن طِيْبِها عَبِقاً يطيْبُ ويكثرُ

شَكَر الكرامةَ جِلدُها فصَفَا لها إنَّ القبيحةَ جِلدُها لا يَشكرُ

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: ذُكِر لأيوب هؤلاء الذين يتقشَّفون فقال: ما علمْتُ أن القذرَ من الدّين.

باب المجالس والجُلَساء والمحادثة

قال: حدّثني أحمد بن الخليل عن حبّان بن موسى قال: حدّثنا آبن المبارك عن معمر عن سُهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الرجلُ أحَقُّ بمجلسه إذا قام لحاجةٍ ثم رجَعَ».

وحدّثني أيضاً عن سعيد بن سليمان عن إسحاق بن يحيى عن المُسيَّب ابن رافع عن عبد الله بن يزيد الخَطْميّ عن عبد الله بن الغَسِيل قال: قال رسول الله ﷺ: «المرءُ أحقُّ بصَدْر بيته وصدرِ دابتّه وصدرِ فِراشه، وأحَقُّ أن يَؤمَّ في بيته».

قال: حدّثني محمد بن عُبيد قال: حدّثنا آبن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن علي قال: أُلقي لعليٍّ وِسادةٌ فجلس عليها وقال: إنه لا يأبى الكرامةَ إلا حمارٌ. وفي الحديث المرفوع عن أبي موسى قال: قال

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الخَوْد: المرأة الحسنة الخَلْق الشابة أو الناعمة، والجمع خَوْدات وخُوْد.

رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الجليسِ الصالح مَثَلُ الدَّارِيّ[١] إن لم يُحْذِكْ[٢] من طِيْبه عَلِقَكَ من ريحه، ومَثَلُ الجليس السوء مَثَلُ الكِيْر[٣] إن لم يَحْرِقْكَ بِشَرَار ناره عَلِقَكَ مِن نَتْنِهِ». قال أبو إدريس الخَوْلانيّ: المساجدُ مجالسُ الكرام. قال الأحنف: أَطْيَبُ المجالِس ما سافرَ فيه البصرُ واتَّدَعَ[٤] فيه البدنُ، فأخذه عليّ ابن الجهم[٥] فقال: [متقارب]

صُحُونٌ[٦] تُسافِرُ فيها العيون ... وتَحْسِرُ عن بُعْدِ أقطارها

وقال المهلب: خيرُ المجالس ما بَعُدَ فيه مَدَى الطَّرْف وكثرت فيه فائدةُ الجليس. قيل للأوْسِيَّةِ: أيُّ مَنظَرٍ أحسنُ؟ فقالت: قصورٌ بِيضٌ في حدائقَ خُضْرٍ. ونحوه قول عِديّ[٧] بن زيد: [خفيف]

كدُمَى العاج في المحاريب أو كالـ ... ـبَيْضِ في الرّوض زَهْرُه مُستنيْرُ

حدّثنا سهل بن محمد قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: كان الأحنفُ إذا أتاهُ إنسانٌ أوسع له، فإن لم يجدْ موضعاً تحرّكَ لِيُرِيَه أنه يُوسِعُ له. وكان آخرُ لا يُوسِعُ لأحد ويقول «ثَهْلانُ ذو الهَضَبات ما يَتَحَلْحَلُ»[٨].

---

(١) الداريُّ: بائع العطر منسوب إلى دارين وهي قرية في البحرين يُحْمَل المسك إليها من الهند فينسب إليها لأنه يُباع فيها.
(٢) لم يُحْذِكَ: لم يُعْطِكَ؛ يقال: أحذاه: أعطاه.
(٣) الكِيْرُ: زِقٌّ ينفخ فيه الحدّاد.
(٤) اتَّدَعَ: من ودع أي سكن.
(٥) تقدمت ترجمته.
(٦) الصحون: ج صَحْن، والمقصود صحن الدار.
(٧) هو عديّ بن الرِّقاع، وقد تقدمت ترجمته.
(٨) هو شطر بيت من قصيدة للفرزدق. وفي اللسان مادة (حلل) أورد ابن منظور ـ نقلاً عن ابن بري ـ البيت كله كالآتي (كامل).

فارفع بكفك إنْ أردت بناءنا ... ثَهْلانَ ذا الهَضَباتِ ما يَتَحَلْحَلُ

وثهلان: جبل معروف. وما يتحلحل: أي ما يتحرك عن مكانه.

قال ابن عباس: لجليسي عليَّ ثلاثٌ: أنْ أرْمِيَهُ بطَرْفي إذا أقبل، وأن أوْسِعَ له إذا جلس، وأُصْغِيَ إليه إذا تحدّث. وقال الأحنف: ما جلسْتُ مجلساً فخفْتُ أن أُقامَ عنه لغيري. وكان يقول: لأن أُدعيَ من بعيد فأُجيْبَ أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُقْصَى من قريب.

كان القَعْقَاع بن شَوْر إذا جالسه رجل فَعَرَفَهُ بالقَصْدِ إليه جعل له نصيباً في ماله، وأعانه على عدوّه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً. وقسم معاوية يوماً آنيةَ فضةٍ ودفع إلى القعقاع حظَّه منها، فآثر به القعقاعُ أقربَ القوم إليه فقال: [وافر]

وكنتُ جليسَ قَعقاعِ[1] بن شَوْرٍ ولا يَشْقَى بقعقاعٍ جليسُ

ضحوكُ السنِّ إنْ نطقوا بخيرٍ وعند الشرّ مِطراقٌ عَبوسُ

كان يقال: إياك وصدرَ المجلس فإنه مجلس قُلْعة. قيل لمحمد بن واسع: ألا تَجلسُ مُتَّكِئاً! فقال: تلك جِلْسَةُ الآمنين. قال عمرو بن العاص: ثلاثة لا أمَلُّهُمْ: جليسي ما فَهِمَ عنّي، وثوبي ما سَتَرني، ودابتي ما حملت رِجْلي. وزاد آخر: وامرأتي ما أَحْسَنَتْ عِشرتي.

ذكر رجلٌ عبدَ الملك بن مروان فقال: إنه لآخِذٌ بأربع، تارِكٌ لأربع: آخذٌ بأحسن الحديث إذا حَدّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدّث، وبأحسن البِشْرِ إذا لقيَ، وبأيسر المؤونة إذا خُوْلف. وكان تاركاً لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللَّجوج، ومماراة السفيه، ومصاحبة المأبون.

كان رجل من الأشراف إذا أتاه رجل عند انقضاء مجلسه قال: إنك

---

(١) قَعْقاع بن شَوْر من بني بكر بن وائل تابعي من الأجواد. كان في عصر معاوية بن أبي سفيان. وكان يضرب به المثل في حسن المجاورة. قيل: كان يجعل لمن جالسه نصيباً من ماله ويُعِيْنُه على عدوه. الأعلام ج ٥ ص ٢٠١.

جلستَ إلينـا على حينِ قيامٍ منّـا أَفَتأْذَنُ؟. قـال الفُضَيل بن عِيَـاض للثـوريّ: دُلَّني على مَنْ أجلسُ إليـه، قال: تلك حالـةٌ لا تُوجـد. قال مُـطرِّف: لا تُطعِم طعـامَكَ مَنْ لا يشتهيْـه، يُـريـد: لا تُقبِـل بحـديثـك على من لا يُقبـل عليـك بـوجهه. وقـال سعيد بن سَلْم: إذا لم تكن المحدِّثَ أو المحـدَّث فـآنهضْ. ونحوه قول آبن مسعود: حَدِّثِ القومَ ما حدَّجوك[1] بأبصارهم.

قال زياد مولى عَيَّاش بن أبي ربيعة: دخلت على عمر بن عبـد العزيـز، فلما رآني زَحَلَ عن مجلسه وقال: إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلاً فـلا تأخُذْ عليـه شـرفَ المجلس. وقـال آبن عبـاس: مـا أحـدُ أكرم عليّ من جليسي، إن الذباب يقع عليه فيشقّ عليّ. ذكـر الشَّعبيّ قومـاً فقال: مـا رأيتُ مثلَهم أشدَّ تَناوباً في مجلس ولا أحْسَنَ فهماً عن محدِّث.

قال سليمان بن عبـد الملك: قد ركبنـا الفارِهَ[2] ووطئنـا الحَسْناءَ ولَبِسنـا الليِنَ وأكلنا الطَّيبَ حتى أَجَمْنا[3]، ما أنا اليومَ إلى شيءٍ أحوجُ منّي إلى جليس أضعُ عنّي مؤونة التحفُّظ فيما بيني وبينه.

روى آبن أبي ليـلى عن حبيب بن أبي ثـابت عن يحيى بن جَعْـدة قـال: قـال عمر بن الخطاب: لولا أن أَسيرَ في سبيل الله أو أضعَ جَبهتي في التراب لله أو أُجالسَ قوماً يلتقطون طَيِّب الحديث كما يُلتقَط طيِّبُ الثمر لأحببْتُ أن أكونَ قد لحقْتُ بـالله. قال عـامر بن عبـد قيس: ما آسَى على شيء من العـراق إلا على ظمـأ الهواجر، وتجاوب المؤذنين، وإخوان لي منهم الأسودُ بن كُلثوم. وقال آخر ما آسَى من البصرة إلا على ثلاث: قصب السّكـر، ولَيْلِ الخَـرير، وحـديثِ آبن

(١) حَدَّج الرجلُ ببصره: حدَّق.
(٢) الفاره: البيِّن الفراهَة، وهي الحذق بالشيء.
(٣) أَجَمَ الطعامَ وغيره: كرهه وملَّه.

أبي بَكرة. وقال المغيرةُ: كان يجالس إبراهيمَ صيرفيٌّ ورجل متّهَمٌ برأي الخوارج، فكان يقول لنا: لا تذكروا الرِّبا إذا حضر هذا، ولا الأهواء إذا حضر هذا. وكان إمام مسجد الحرام لا يقول: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلا عند ختم القرآن في شهر رمضان من أجل اللَّهَبِيّينَ.

كان يقال: محادثة الرجال تُلقِحُ ألبابَها. وكان بعض الملوك في مسير له ليلاً فقال لمن حوله: إنه لا يُقطَعُ سُرَى الليل بمثل الحديث فيه فلينفُضْ كل رجل منكم بنا جَوْشاً[1] منه. قال معاوية لعمرو بن العاص: ما بقي من لذة الدنيا تلذُّه؟ قال: محادثةُ أهل العلم، وخبرٌ صالح يأتيني من ضَيْعتي. قال أبو مُسْهِر: ما حدّثت رجلاً قطُّ إلا حدّثني إصغاؤه: أفَهِمَ أم ضَيَّع.

باب الثُّقَلاء

قال إبراهيم: إذا علم الثقيلُ أنه ثقيلٌ فليس بثقيل. كان يقال: مَنْ خاف أن يُثقِّل لم يثقل. قيل لأيوب: ما لكَ لا تكتبُ عن طاوُوس؟ فقال: أتيته فوجدته بين ثقيلين: ليث بن أبي سليم، وعبد الكريم بن أبي أميّة.

قال الحسن: قد ذكر الله الثقلَ في كتابه قال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِرُوا﴾[2]. كان أبو هريرة إذا آستثقل رجلاً قال: اللهمَّ آغفر له وأرِحْنا منه. وكتب رجل على خاتمه: أَبْرمْتَ فقُمْ، فكان إذا جلس إليه ثقيلٌ ناوله إياه. قال بَخْتَيْشُوعُ[3] للمأمون: لا تُجالس الثقلاءَ فإنا نجدُ في الطب: مجالسةُ الثقيل حُمَّى الروح. قال بعض الشعراء:

---

(١) الجَوْشُ: القطعة العظيمة من الليل أو من آخره.
(٢) سورة الأحزاب ٣٣، آية ٥٣. أي إذا طَعِمْتُمْ آنصرفوا إلى شأنكم. التفسير المبين.
(٣) هو بَخْتَيْشُوْع بن جبريل بن جرجس، طبيب سرياني الأصل مستعرب، قرَّبه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل. وهو لفظ سرياني معناه عبد المسيح. الأعلام ج ٢ ص ٤٤.

[مجزوء الكامل]

إنّـي أُجـالسُ مَـعْـشَـراً نَـوْكَى[1] أخَفُّهمُـو ثقيـلُ
قـومٌ إذا جـالـسْتَـهُـمْ صَـدِئَتْ بقـربهُمُ العقـولُ
لا يُـفهِـمـونـي قـولَـهُـمْ ويَـدِقّ عنهـمْ مـا أقـول
فَـهُـمُـو كـثيـرٌ بـي وأعـ ـلم أنّـني بِـهُـمُـو قـليـلُ

أخبرنا النُّوشَجَانِيّ عن عمر بن سعيد بن القرشي قال: حدّثني صَدَقة بن خالد قال: أتيْتُ الكوفةَ فجلسْتُ إلى أبي حنيفة، فقام رجل من جلسائه فقال: [متقارب]

فـمـا الفِـيْـلُ تحـمِلُه مَـيِّتـاً بـأثقـلَ من بَعْضِ جُـلاّسِنـا[2]

فما حملت عنه شيئاً.

مرَّ رجلٌ بصديق له ومعه رجل ثقيل، فقال له: كيف حالك؟

فقال: [منسرح]

وقـائـلٍ كيف أنت؟ قلتُ لـه هـذا لُبْسي فما تَـرى حـالي؟

وقال بشّار[3]: [خفيف]

ربّمـا يَثقُـل الجليسُ وإن كـا نَ خفيفـاً في كفّـة الميـزانِ
ولقـد قلْتُ حين وَتَّدَ في الأرْ ض ثقيـلٌ أَرْبَى على ثَهْـلانِ[4]

---

(١) النَّوكَى: ج أَنْوك وهو الأحمق.

(٢) هذا البيت لسليمان بن مِهْران الملقب بالأعمش والمتوفى سنة ١٤٨ هـ كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩٦) وذكر ابن عبد ربه في المصدر المذكور أن الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيلٌ كان يقول البيت المذكور. أنظر ترجمة الأعمش في الأعلام (ج ٣ ص ١٣٥).

(٣) هو بشار بن بُرْد العقيلي الضرير، وشعره من الطبقة الأولى، وهو أشعر المولدين على الإطلاق. توفي سنة ١٦٧ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٥٢.

(٤) ثَهْلان: جبل معروف.

كيف لم تَحْمِلِ الأمانـةَ أرضٌ حَمَلَتْ فـوقها أبـا سفيـانِ![1]!

وقال آخر: [منسرح]

هل غُربـةُ الدارِ منـك مُنجيَتي إذا آغتدَتَ بي قَلائصٌ ذُمُـلُ[2]

ومـا أظـنُّ الفَـلاة مُـنْجِـيَتـيْ منـكَ ولا الفُلْكُ أيها الـرجـلُ

ولـو ركبْتُ البُـرَاق[3] أدركني منـكَ على نـأي دارك الثِّقَـلُ

هـل لـك فيمـا ملكْتُ نـافلةٌ تـأخـذُه جـملةً وتـرتحـلُ

وقال أعرابيّ: [وافر]

كـأني عنـد حمـزةَ في مُقـامي ألا حُيِّيْتِ عنّـا يـا مَـدِيـنَـا

بَـلِيْنَـا عـنـده حتى كـأنَّـا ألا هُبّي بِصَحْنِك فآصبَحِيْنا[4]

وقال آخر: [متقارب]

ثـقيـلٌ يطـالـعنـا مـن أَمَـمْ إذا سـرَّه رغْـم أنـفـي ألـمْ

لِـطَلْعَتِهِ وَخْـرَةٌ في آلحشـا كوخز آلمَشَارط في آلمحتجَم

أقـول لـه إذ بـدا طـالـعـا ولا حَـمَـلْتـه إلـينـا قَـدَمْ

فقَـدْتُ خيـالـكَ لا مِنْ عَمىً وأُذْني كـلامَـك لا من صَمَمْ

قال سُهيل بن عبد العزيز: مَنْ ثَقُلَ عليك بنفسه وغمّك فى سؤاله فألزِمْه

---

(١) أبو سفيان هو الثقيل الذي قيل فيه الشعر المذكور. وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٩٦): «أبا عمران».

(٢) القلائص: ج قَلُوْص، وهي الناقة الطويلة القوائم. والذُّمُلُ: أصلها الذُّمْل بسكون الميم (جمع ذَمُوْل) والناقة الذَّمُوْل هي التي تسير الذميل أي السيرِ اللّيِّن.

(٣) البُراق: دابة قيل ركبها نبي الإسلام ﷺ ليلة المِعْراج.

(٤) عجز هذا البيت هو صدر بيت من معلقة عمرو بن كلثوم، والبيت هو:

ألَا هُبيٍّ بـصحـنـك فـأصـبحـينـا ولا تُـبْـقـي خـمـور الأنـدريـنـا

(٥) هو أبو نواس الحسن بن هانيء، قال هذا الشعر في رجل ثقيل.

أذناً صمّاء وعيناً عمياء.

وكتب بعضُ الكتّاب في فصل من كتابه: ما آمنُ نزغَ مُستميحٍ حرمته، وطالبِ حاجةٍ رددْتُه، ومُشابِرٍ ثقيلٍ حَجَبْتُه، أو منبسطِ نابٍ قبضْتُه، ومُقبلٍ بِعنانه عليّ لَوَيْتُ عنه، فقد فعلت هذا بمستحقين وبتعذر الحال، فتثبت رحمك الله، ولا تُطِعْ كلَّ حَلّاف مَهين.

وقال بعض المحدثين للخليل: [متقارب]

خرجْنا نُريد غُزاةً لنا ... وفِينا زِيادُ أبو صَعْصَعَهْ
فِستَّةُ رَهْطٍ به خمسةٌ ... وخمسةُ رَهْطٍ به أربعَهْ

باب البناء والمنازل

الهيثم بن عَديّ عن مُجَالِدٍ عن الشَّعبيّ قال: قال السائب بن الأقرع لرجل من العجم: أخبرني عن مكان من القرية لا يَخْرَبُ حتى أستقطعَ ذلك الموضعَ، فقال له: ما بين الماء إلى دار الإمارة، فاختطّ لثقيفٍ ذلك الموضعَ، قال الهيثم بن عَدِيّ: فَبِتُّ عندهم فإذا ليلُهُم بمنزلة النهار.

وقال قائل في الدار: ليكن أوّلَ ما تَبْتاعُ وآخرَ ما تبيعُ.

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط داره ليبنيها: هي قميصُك فإن شئْتَ فوسِّعْه، وإن شِئْتَ فضيِّقْه. وأتاه وهو يبني دارَه التي ببغداد بقرب الدور، وإذا هم يبيضون حيطانَها فقال: إعلم أنك تُغَطّي الذهبَ بالفضة، فقال جعفر: ليس في كلّ مكانٍ يكون الذهبُ أنفعَ من الفضة، ولكن هل ترى عَيْباً؟ قال: نعم، مخالطتُها دورَ السُّوقة.

دخل ابن التوءم على بعض البصريين وهو يبني داراً كثيرةَ الذرع،

واسعةَ الصحن، رفيعةَ السَّمْك، عظيمةَ الأبواب، فقال: إعلم أنك قد ألزمْتَ نفسك مؤنة لا تُطاقُ، وعيالاً لا يُحتمَلُ مثلُهم، ولا بد لك من الخدم والسّتور والفرش على حسب ما ٱبتُلِيتْ به نفسُك، وإنْ لم تفعل هجَّنْتَ رأيك.

وقرأت في كتاب الآيين أنه كان يُستقبَلُ بِفراش الملك ومجلسه المشرِقُ، أو يُستقبلُ بهما مَهبُّ الصَّبا، وذلك أن ناحية المشرِق وناحية الصَّبا يوصفان بالعلوّ والارتفاع، وناحيةَ الدَّبور وناحيةَ المغرِب يُوصَفان بالفضيلة والانخفاض، وكان يُستقبلُ بصدور إيوانات الملِكِ المشرِقُ أو مَهبُّ الدبور، ويُستقبلُ بصدور ٱلخلاء وما فيه من المقاعد مَهبُّ الصَّبا، لأنه يقال: إنَّ ٱستقبالَ الصبًّا في موضع ٱلخلاء آمنُ من سِحر السَّحَرَة ومن ريح ٱلجِنَّة.

وكان عمر يقول: على كلّ خائنٍ أمينان: الماءُ والطينُ. ومرَّ ببناء يُبنَى بآجُرٍّ وجِصٍّ فقال: لمن هذا؟ قالوا: لفلان، فقال: تأبى ٱلدراهمُ إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها، وشاطَره مالَه.

أبو ٱلحسن قال: لما بلغ عمرَ أنَّ سعداً وأصحابه قد بَنَوْا بالمدَر[1] قال: قد كنتُ أكره لكم البنيانَ بالمدر، فأمّا إذ قد فعلتم فعرِّضوا ٱلحِيطانَ، وأطيلوا السَّمْكَ، وقاربوا بين ٱلخشب. وقيل ليزيد بن ٱلمهلب: لِمَ لا تَبني بالبصرة داراً؟ فقال: لأني لا أدخلها إلا أميراً أو أسيراً، فإن كنْتُ أسيراً فالسجن داري، وإن كنتُ أميراً فدارُ الإمارة داري. وقال: الصواب أن تُتّخَذَ ٱلدُّوْرُ بين الماء والسّوق، وأن تكونَ ٱلدورُ شرقية والبساتينُ غربية.

قال بعض الشعراء: [سريع]

بنو عُميرٍ مجدُهم دارُهُمْ   وكلُّ قومٍ لهُمو مَجْدُ

---

(١) المَدَرُ: قطع الطين اليابس أو التراب المتلبِّد.

وقال آخر لأبي محمد اليزيدي: [سريع]

قَوْمِي خِيارٌ غيرَ ما أَنَّهُمْ صَولَتُهُمْ منهمْ على جارِهِمْ
ليس لهم مجدٌ سوى مسجِدٍ به تَعَدَّوْا فوقَ أطوارِهِمْ
لو هُدِمَ ٱلمسجِدُ لم يُعرفُوا يوماً ولم يُسمَعْ بأخبارِهِمْ

وقال رجل من خُزاعة: [مجزوء الكامل]

فَخَرَ ٱلمُسَيَّبُ بالمناره ومَنارُهُ برَحا[1] عُمَاره
فإذا تفاخَرَتِ القبا ئلُ من تَميمٍ أو فَزارَه
خَفَلَتْ عليك شيوخُ ضَبْـ ـبَة بالمُسَيَّب والمنارَهْ

مرَّ رجل من ٱلخوارج بدار تُبنَى فقال: مَنْ هذا ٱلذي يُقيمُ كفِيلاً؟. وقالوا: كلُّ مال لا يَخرجُ بخروجكَ ولا يرجعُ برجوعكَ ولا ينتقلُ في الوجوه بٱنتقالكَ فهو كفيلٌ.

وقالت ٱلحكماء من ٱلروم: أصْلحُ مواضعِ البنيان أن يكونَ على تلٍّ أو كِبْسٍ[2] وثيقٍ ليكونَ مُطلاًّ، وأحقُّ ما جُعِلَتْ إليه أبوابُ المنازل وأفنِيتُها وكِوَاؤها ٱلمشرِقُ وٱستقبالُ الصَّبا، فإن ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس وضوئها عليهم.

ومن حسن التشبيه في البناء قولُ عليّ بن ٱلجهم: [متقارب]

صُحُونٌ تُسافِر فيها العيون وتَحْسِرُ عن بعد أقطارِها
وقُبَّةُ مُلْكٍ كأن النجو مَ تُصْغِي إليها بأسرارِها

(١) محلة بالكوفة تنسب إلى عمارة بن عقبة بن أبي معيط. معجم البلدان.
(٢) الكِبْسُ: الرأس الكبير والنهر وبيت من طين.

وفَـوَّارةٌ ثـأرُهـا في السمـاء ... فليستْ تُقَصِّـرُ عن ثـارهـا
إذا أُوْقِـدَتْ نـارُهـا بـالعـراق ... أضـاء ٱلحجـازَ سَنَـا نـارهـا
تَـرُدُّ على ٱلمُـزْن مـا أنـزلَتْ ... على الأرض من صَوْب أقطارها
لهـا شُـرُفـاتٌ كـأن ٱلـربيع ... كساهـا ٱلـرياضَ بـأنـوارهـا
فهنَّ كَمُصْـطَحِباتٍ خَـرَجْنَ ... لفصـح النصـارى وإفـطارهـا
فمِنْ بينِ عـاقصةٍ شعـرَهـا ... ومُصلِحـةٍ عَـقْـدَ زُنّـارِهَـا

وقال الوليد بن كعب[١]: [طويل]

بكتْ دارُ بِشرٍ شَجْوَهَـا أنْ تَبَـدَّلَتْ ... هـلالَ بن عَيـادٍ بِبِشْـر بن غـالبِ
ومـا هي إلا مثـلُ عِـرْسٍ[٢] تَنقَّلتْ ... على رَغْمِها من هاشمٍ في مُحَـارِبِ

وقال آخر: [وافر]

أَلَمْ تَـرَ حَـوْشبـاً أمسى يُبنِّي ... قصـوراً نَفعُهـا لـبني بُقَيْلَهْ
يُؤمِّـلُ أنْ يُعمَّـرَ عُمْـرَ نـوحٍ ... وأمـرُ الله يَحـدُثُ كـلَّ ليلَهْ[٣]

كـان ملك بن أسماء يَهْـوَى جاريـةً من بني أسد وكـانت تنـزل خُصّـاً[٤]
وكانت دارُ مالك مبنيةً بآجُرٍّ فقال: [كامل]

يـا ليتَ ليْ خُصّـاً يُجـاوِرُهـا ... بَـدَلاً بـداري في بني أسـدِ
الـخُصُّ فيـه تَـقَـرُّأعينُنَـا ... خيـرٌ من الآجُـرِّ والـكَمَـد

حـدّثنا محمـد بن خالـد بن خِداش عن أبيـه قـال: حـدّثنـا إسحـاق بن

---

(١) لم أقف له على ترجمة.
(٢) العِرْسُ: الزوجة.
(٣) تقدم هذان البيتان في ص ٢١١.
(٤) الخُصُّ: البيت من القصب كبيت دود القـزّ أو البيت يُسْقَفُ بخشبـة، والجمـع خِصـاص وخُصُوص.

ٱلفُرات قاضي مصر عن ٱلأوزاعيّ عن يحيى بن أبي كثير قال: قال سليمان بن داود لابنه: يا بُنيّ، إنّ من ضيق ٱلعيش شِراءَ ٱلخبز من السوق، والنقلةَ من منزلٍ إلى منزلٍ.

بلغني أن رجلًا من الزّهاد مرَّ في زورق، فلما نظر إلى بناء المأمون وأبوابه صاح: واعُمَراه! فسمعه ٱلمأمونُ فدعا به فقال: ما قُلتَ؟ قال: رأيتُ بناء ٱلأكاسرة فقلتُ ما سمعتَ، قال المأمون: أرأيتَ لو تحوَّلْتُ من هذه المدينة إلى إيوان كسرى بالمدائن هل كان لك أن تَعيْبَ نزولي هناك؟ قال: لا، قال: فأراك إنما عِبْتَ إسرافي في النفقة، قال: نعم، قال: فلو وهبْتُ قيمةَ هذا ٱلبِناء لرجل أكنْتَ تعيْبُ ذلك؟ قال: لا، قال: فلو بَنَى هذا ٱلرجلُ بما كنْتُ أهِبُ له بناءً أكنْتَ تَصيحُ به كما صِحتَ بي؟ قال: لا، قال: فأراك إنما قَصَدْتَني لخاصّتي في نفسي لا لعِلة هي في غيري، ثم قال له: هذا ٱلبناءُ ضَرْبٌ من مكايدنا نَبْنِيْه ونتَّخِذ الجيوشَ ونُعِدُّ السلاحَ والكُراعَ وما بنا إلى أكثره حاجةٌ، فلا تَعُودَنَّ إليَّ فتمسَّكَ عقوبتي، فإن الحفيظة ربما صَرفَتْ ذا الرأي إلى هواه، فٱستعمله.

باب المزاح والرَّخْص فيه

قال: حدّثنا محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن هشام بن عروة عن أبي سلمة قال: أخْبَرَتْني عائشةُ أنها سابقتْ رسولَ الله ﷺ في سفر فسبقَتْه في سفر آخر فسبقها وقال: «هذه بتلك».

حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع قال: كان أبو هريرة على المدينة خليفةً لمروانَ، فربما ركب حماراً قد شدَّ عليه بَرْذَعَةً[1] وفي رأسه حِليةٌ فيلقى

---

(١) البَرْذَعَة: الحِلْس يُلْقى تحت الرَّحْل يُوَقّى به ظهر البعير من الرَّحْل، والجمع براذع.

الرجلَ فيقول: الطريقَ، قد جاء الأميرُ، وربما دعاني إلى عشائه بالليل فيقول: دع العُرَاق[١] للأمير، فأنظر فإذا هو ثريدٌ[٢] نزيت.

قال: حدّثني محمد بن مرزوق عن زاجر بن الصَّلْت الطاحى عن سعيد ابن عثمان قال: قال الشعبيّ لخياط مرَّ به: عندنا حُبٌّ مكسور تَخيطُه؟ فقال الخياط: إن كان عندك خيوطٌ من ريح.

حدّثني بهذا الإسنادقال: دخل رجل على الشعبيّ ومعه في البيت آمرأة فقال: أيكم الشعبيُّ؟ قال الشعبيّ: هذه. وسئل الشعبيُّ عن لحم الشيطان فقال: نحن نرضى منه بالكَفَاف، قال: فما تقول في الذُّبَّان؟ قال: إنِ آشتَهَيْتَه فكُلْه.

قال خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه: ما أنت يا أبا فراس بالذي لمّا رأينه أكبْرنَه وقطعْن أيدِيهن، قال: ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة[٣] لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ آسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ منِ آسْتَأْجَرْتَ آلقَوِيُّ آلأَمِينُ﴾[٤].

حماد بن زيد عن غالب أنه سأل آبن سيرين عن هِشام بن حسان قال: تُوفي البارحة، أَمَا شَعَرْتَ؟ فجزع وآسترجع، فلما رأى ابنُ سيرين جزعه قرأ ﴿اللَّهُ يَتوفَّى آلأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالتَّي لَمْ تَمُتْ في مَنَامِهَا﴾[٥].

---

(١) العُراق: العظم أُكل لحمه أو العظم بلحمه.

(٢) الثَّرِيْدُ: كسرة الخبر، والجمع ثرائد.

(٣) هي إحدى الفتاتين اللتين وردتا ماء مَدْيَنَ لجلب الماء إلى أبيهما الشيخ الكبير، كما ورد في القرآن الكريم، سورة القصص ٢٨، آية ٢٣.

(٤) سورة القصص ٢٨، آية ٢٦. أي ما شهدت إلّا بما رأت من قوته وهو يسقي الغنم (أي موسى) ومن عفته حين توجّهت إليه بالدعوة إلى أبيها. التفسير المبين.

(٥) سورة الزُمَر ٣٩. آية ٤٢. أي للوفاة نوعان: الموت الذي يترك الجسم جثة هامدة، والنوم الذي يسلب الإدراك واليقظة فقط، وأشار سبحانه إلى النوع الأول بقوله (حين موتها) أي = .

مَرَّ بالشعبيّ حَمَّالٌ على ظهر دَنُّ خَلٍّ، فلما رآه وضعَ الدنَّ وقال: ما كان ٱسمُ ٱمرأةِ إبليسَ؟ فقال الشعبيّ: ذاك نكاحُ ما شَهِدناه.

حدّثني محمّد بن عبد العزيز عن الأصبهانيّ عن يحيى بن أبي زائدة عن الأعمش قال: عادني إبراهيم فنظر إلى منزلي فقال: أمّا أنتَ فَتُعرَفُ في منزلك أنكَ لستَ مِن أهل القَريتينِ عظيم.

وروى وكِيع عن ربيعة عن الزهريّ عن وهب بن عبد بن زمعة قال: قالت أم سلمة: خرج أبو بكر في تجارة ومعه نُعَيمان وسوَيبِطُ بن حرملة، وكانا شهدا بَدْراً[١]، وكان نعيمان على الزاد فقال له سويبط وكان مزّاحاً: أطعمْني، فقال: حتى يجيء أبو بكر، فقال: أما والله لأغيظنّك، فمرّوا بقوم فقال لهم سويبط: أتشترون مني عبداً لي؟ قالوا: نعم، قال: إنه عبد له كلام وهو قائل لكم: إني حرٌّ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه فلا تُفسدوا عليّ عبدي، فقالوا: بل نشتريه منك بعشر قلائص[٢]، ثم جاءوا فوضعوا في عنقه حبلاً وعِمامة وٱشتروه، فقال نعيمان: إن هذا يستهزىء بكم وإني حرّ، قالوا: قد أُخْبرنا بخبرك، وٱنطلقوا به، وجاء أبو بكر فأخبروه فأتبعهم فردَّ

= يقبض الروح حين يأتي الأجل، وأشار إلى الثاني بقوله (والتي لم تمت في منامها) أي ويقبض هذه أيضاً حين النوم. التفسير المبين.

(١) المقصود يوم بدر. ذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات (ج ١ ق ٢ ص ٣٧) غزوة بدر وقال: بدر موضع الغزوة العظمى لرسول الله ﷺ، وهو في الأصل ماء معروف وقرية عامرة على نحو أربع مراحل من المدينة. وقال ابن قتيبة في «المعارف» إن بدراً كانت لرجل يدعى بدراً فسميت به. وكانت وقعة بدر لسبع عشرة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة. وكان يوم بدر يوماً حاراً وكانت الوقعة يوم الجمعة.

(٢) القلائص: ج قَلُوص، وهي الناقة الطويلة القوائم.

عليهم القلائص وأخذه، فلما قدِموا على النبي ﷺ أخبروه فضحك هو وأصحابه منهما حولاً.

حدّثني محمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عبد الله بن عبد الوهاب الحَجَبيّ عن أبي عَوَانة عن قتادة أنَّ عَدِيَّ بن أرطاة تزوّج بالكوفة وشرط لها دارها فأراد أن ينقلها فخاصمته إلى شريح، فقال: أين أنتَ أصلحكَ الله؟ قال: بينك وبين الحائط، قال: إني رجل من أهل الشام، قال: بعيد سحيق، قال: إني تزوّجت آمرأة، قال: بالرِّفاء والبنين، قال: وولدَتْ غلاماً، قال: فليَهْنِئْك الفارسُ، قال: وشرطْتُ لها دراها، قال: الشرطُ أملكُ، قال: إقضِ بيننا، قال: قد قضيْتُ، قال: بِمَهْ؟ قال شريح: «حَدّث آمرأة حديثين فإن أبتْ فأرْبَعْ[1]» قال لي المحدّث: فأربعة، وإنما هو فأربع أي كُفَّ وأمسِكْ.

وتقدّم رجلان إلى شريح في خصومة فأقرَّ أحدُهما بما يدّعي الآخر عليه وهو لا يعلم، فقضى عليه شريح، فقال الرجل: أتقضي عليَّ بغير بينة؟ فقال: قد شهد عندي ثقة، قال: ومن هو؟ قال: ابن أخت خالتك.

كان ابن سيرين يُنشِد: [بسيط]

نُبّئتُ أنَّ فتاةً كنتُ أخطبها عُرقوبُها مثلُ شهر آلصوم في آلطُّوْلِ

وقال أيضاً: [طويل]

لقد أصْبَحَتْ عِرسُ آلفرزدق ناشزاً ولو رَضِيَتْ رمحَ آستِهِ لاستقرَّتِ

وكان آبن سيرين يضحك حتى يسيل لُعابه.

---

(١) أراد بالحديثين حديثاً واحداً تكرره مرتين فكأنك حَدَّثْتها حديثين؛ والمعنى؛ كرِّر لها الحديث لأنها أضعف فهماً فإن لم تفهم فآجعلهما أربعاً، والمعنى: قِفْ واقتصر وهو من: ربع يربع إذا كفَّ وأمسك.

آلمدائني قال: قال عمرو بن آلعاص لمعاوية: إني رأيت آلبارحةَ في المنام كأن القيامة قد قامت ووُضِعت آلموازينُ وأُحضِر الناسُ للحساب، فنظرْتُ إليكَ وأنت واقف قد ألجمك العرقُ، وبين يديك صحف كأمثال آلجبال، فقال معاوية: فهل رأيتَ شيئاً من دنانير مصر؟.

كان مَعْن بن زائدة ظَنِيْناً في دينه، فبعث إلى آبن عيّاش المَنْتوف بألف دينار، وكتب إليه: قد بعثتُ إليك بألف دينار آشتريْتُ بها دينَك، فآقبض المال وآكتب إليَّ بالتسليم، فكتب إليه: قد قبضْتُ آلدنانير وبِعتك بها دِيني خلا التوحيد لِمَا عرفتُ من زهدك فيه.

قال آلرشيد ليزيدَ بن مِزْيد: ما أكثرَ الخلفاءَ من ربيعة! فقال يزيد: أجل، ولكن منابرهم آلجُذوع.

قال بلال بن أبي بُرْدة لابن أبي علقمة: إنما دعوتك لأسخَر منك، فقال له آبن أبي علقمة: لئن قلْتَ ذاك لقد حَكَّمَ المسلمون رجلين سَخِرَ أحدُهما من الآخر.

كان يقال: آلسِّبابُ مِزاح آلنَّوْكى[1]. وقال الشاعر: [طويل]

أخو آلجِدّ إن جادَدْتَ أرضاكَ جِدُّه وذو باطلٍ إنْ شِئْتَ ألهاك باطلُهْ

وقال مِسْعرُ[2] بن كِدَام لابنه: [كامل]

ولقد حبوتك يا كِدامُ نصيْحتي فآسمع لقول أبٍ عليك شفيقِ

(١) النَّوكى: ج أنْوك، أي الأحمق. ولقد ورد في مجمع الأمثال للميداني: «المزاح سِبابُ النوْكي».

(٢) مِسْعر بن كِدام العامريّ الرَّوّاسي من ثقات أهل الحديث. توفي بمكة سنة ١٥٢ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢١٦.

أمّا المُزَاحةُ والمِراءُ فَدَعْهُما ... خُلُقانِ لا أرضاهما لصديق
ولقد بَلَوْتُهُما فلم أحمَدْهُما ... لمحاورٍ جارٍ ولا لرفيق

وقال الكميت[1]: [طويل]

وفي الناس أقذاعٌ مَلاهِيجُ بالخَنا ... متى يَبلُغ الجِدُّ الحفِيظةَ يلعبوا

ومما يقارب هذا قولُ بعض المحدَثين: [طويل]

أراني سَأُبدي عند أوّل سكرة ... هوايَ لفضلٍ في خفاءٍ وفي سِتْرِ
فإنْ رضِيَتْ كان الرضا سببَ الهوى ... وإن غَضِبَتْ حَمَّلْتُ ذنبي على السُّكْرِ

وقال الراعي[2] - في نحو هذا يصف نساء -: [طويل]

يُناجِيْنَنا بالطَّرْفِ دون حديثنا ... ويَقْضِيْنَ حاجاتٍ وهُنَّ مَوازحُ

عرض بعضُ الأمراء على رجل عَمَلَيْن ليختار أحدَهما فيوليه، فقال: «كلاهما وتمراً»، فقال: أعندي تمزح! لا وَلَيْتَ لي عملاً.

وقال عمر بن الخطاب: مَنْ كثر ضحكه قلّت هيبتُه. وقال عليٌّ: إذا ضَحِكَ العالِم ضَحكةً مجّ من العلم مَجّةً. وقال أكثم: «المُزاحَةُ تُذْهِبُ المهابةَ».

الهيثمُ عن عوانة الكلبيّ قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وهو مغموم وعنده رجل كان يحسُده الأخطل ويُقارضه، فقال الأخطل: يا أمير المؤمنين، عهدي بأبي هذا الفتى وهو سيدنا معشرَ بني جُشَم، وشيخنا الذي نصدرُ عن رأيه، فاهتزّ لها الفتى وقال: يا أمير المؤمنين، هو أعلم بنا قديماً

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) الراعي هو عُبَيْد بن حُصَيْن النميري، شاعر من فحول المُحْدَثِيْن. لقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. توفي سنة ٩٠ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٨٨ - ١٨٩.

وحديثاً، قال الأخطل: إن أباه أَمَرَنا ذات يوم وقد نَوَّرَتِ الرياضُ أن نَخرُجَ إلى روضة في ظهر بيوت الحيّ فنتحدّث فيها، فخرجنا وآنبسطنا لعباً، وخرج الرجل منا بالبَكْرة الكَوْماء[١] وبالخروف والجدي، وقام الفتيانُ فآجتزروا واشتَوَوْا ودارت السُّقاةُ علينا، فبينما نحن كذلك رُعِفَ أبوه فما تركنا في الحيّ روثة حمار إلا نَشَقْناه إياها فلم يَـرْقأ[٢] دمُـه، فقال لنا شيخ: شُـدّوا خُصْيَ الشيخ عَصْباً، ففعلنا ذلك فرقأ الدمُ، فوالله ما دارت الكأسُ إلا دورة حتى أتانا الصريخُ عن أمّه أنها قد رَعَفتْ، فبادرنا إليها، فوالله ما درَيْنا ما نَعصبُ منها حتى خرجَتْ نفسُها، وعبد الملك يَفحَصُ برجليه ضحكاً، والفتى يقول: كذب والله، فقال عبد الملك: ألم تزعم أنه أعلم الناس بقديمكم وحديثكم!.

حدّثني أحمد بن عمرو وقال: كان رجل من الفقهاء في طريق مكة، فرأى، وهو مُحْرِمٌ، يَرْبُوْعاً[٣] فرماه بعصا كانت في يده فقتله، فقال الجمّالُ: ألسْتَ مُحرِماً؟ قال: بلى وما كانت بي إلى رَمْيه حاجة إلا أنْ تعلمَ أنَّ إحرامي لا يمنعني من ضربك.

قال: وكان الأعمش يقول: مِنْ تمام الحج ضرب الجمّال.

المدائنيّ قال: كان نُعيمانُ رجلا من الأنصار وشهد بَدْراً وجلده النبيُّ عليه السلام في الخمر أربعَ مرات، فمرّ نعيمانُ بمَخْرَمة بن نَوْفل وقد كُفَّ بصرهُ فقال: ألا رجلٌ يقودني حتى أبولَ، فأخذ بيده نعيمان، فلما بلغ مؤخَّرَ المسجد قال: ها هنا

---

(١) البَكْرَةُ: بنت الناقة، والجمع أَبْكُر وبُكْران. والكَوْماء: الضخمة السَّنام.
(٢) رَقأَ الدمُ: جفَّ وسكن وآنقطع.
(٣) اليَرْبُوْعُ: نوع من الفار طويل الرِّجْلين قصير اليدين جداً وله ذنب كذنب الجُرَذِ يرفعه صعداً في طرفه، والجمع يرابيع.

قُبُلْ، فبال فَصِيحَ به، فقال: مَنْ قادني؟ قيل: نعيمان، قال: لله عليّ أن أضربه بعصاي هذه، فبلغ نُعيمانَ فأتاه فقال له: هل لك في نعيمانَ؟ فقال: نعم، فقال: قُمْ، فقام معه فأتى به عثمانَ بن عفانَ وهو يصلي، فقال: دونك الرجلَ، فجمع يديه في العصا ثم ضربه، فقال الناس: أمير المؤمنين، فقال: مَنْ قادني؟ قالوا: نعيمان، قال: لا أعود إلى نعيمان أبدا.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ٱبن أبي الزِّناد عن أبيه قال: قلت لخارجة بن زيد: هل كان ٱلغناء يُقام في العُرُسات؟[1] قال: قد كان ذاك، ولا يُحضر بما يُحضَر اليوم من السَّفَه، دعانا أخوالنا بنو نُبَيْط في مدعاةٍ لهم فشهد المدعاةَ حسّانُ بن ثابت وٱبنه عبد الرحمن وأنا، وجاريتان تُغنّيانِ: [منسرح]

أنظرْ خليليْ بباب جِلَّقَ[2] هل ... تُؤنِسُ دون البَلْقاء من أحد؟

فبكى حسان وقد كُفّ بصرُه، وجعل عبد الرحمن يُومىء إليهما أنْ زِيْدا، فلا أدري ماذا يُعجبه مِن أن تُبكيا أباه، ثم جيء بالطعام، فقال حسان: أطعامُ يدٍ أم طعامُ يدين؟ فقالوا: طعامُ يد، يريدون الثريدَ[3] فأكل، ثم أُتِي بطعام آخر فقال: أطعامُ يد أم طعام يدين؟ قالوا: طعامُ يدين، يعنون الشِّواء فكفّ.

حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: كان طُوَيسٌ يتغنّى في عُرْس،

---

(١) العُرُسات: ج عُرُس بضم السين وسكونها، وهو طعام الوليمة، يذكّر ويؤنّث. والمراد هنا الولائم.

(٢) جِلَّق: موضع بالشام معروف، يصرف ولا يصرف. وقال ابن بري: جِلَّق: إسم دمشق. لسان العرب مادة (جلق).

(٣) الثَّرِيْدُ: كسرة الخبز المتلطّخة بماء اللحم، من ثَرَدَ الخبزَ إذا كسره وفتّه والجمع ثرائد وثُرُد.

فدخل النعمان آبن بَشير العُرْسَ وطويسٌ[1] يقول: [متقارب]

أَجَـدَّ بعَمْـرَةَ[2] غُنيـانُهـا فتَهْجُـرَ أم شـأنُهـا شـانهـا

وعمرة أم النعمان، فقيل له: أسكت أسكت، فقال النعمان: إنه لم يقل بأساً وإنما قال: [متقارب]

وعُمْـرَةُ مِنْ سَـرَوَاتِ النّسا تَنفَحُ بـالمسك أَرْدانُهـا[3]

حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا الحجاج بن نُصير قال: حـدّثنا شُعبـة عن قتادة عن أبي العالية أنه كان مع آبن عباس وهو مُحْرِمٌ، فقال آبن عباس: [رجز]

وهُنَّ يَمشِيْنَ بنـا هَمِيَسـا إنْ تَصدُقِ الطيرُ نَنِلْ[4] لَمِيسَا

فقالوا: تقول الرفثَ[5] وأنت مُحْرِمٌ يا آبن عباس! فقال: إنما الرَّفَثُ عند النساء.

قـال جابـر الجُعْفيّ: رأيت الشعبيَّ خارجـاً من الكوفـة فقلت لـه: أين؟ قال: آنظرُ إلى الفِيل.

حدّثني أبو الخطاب قال: حدّثنا سَلْمُ بن قتيبـة قال: حـدّثنا شَـريك عن جابر الجعفيّ عن عِكْرِمة فقال: خَتَنَ آبنُ عباس بنيْه فأرسلني فدعوْتُ اللعّابين فلعبو فأعطاهم أربعمَائة درهم.

---

(١) طويس هو عيسى بن عبد الله، أول من غنّى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع. كان يجيد النقر على الدف، وهو من أشهر المغنين والعارفين بضاعة الغنـاء في صدر الإسـلام. وفيه المثـل: «أشأم من طويس». توفي سنة ٩٢ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١٠٥.

(٢) هي عَمْرَة أم النعمان.

(٣) الأردان: جمع رُدْن وهو أصل الكم كانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير.

(٤) ورد في العقد الفريد (ج ٤ ص ٣٥٧): «نَنِكْ» بالكاف بدل اللام.

(٥) الرَّفثُ: الفحش والجماع.

حدّثني شيخ لنا من أهل المدينة قال: وَلِيَ الأوقْصُ المخزوميُّ قضاءَ مكة فما رُئِيَ مثلُه في العَفاف والنُّبل، فبينا هو نائم ذات ليلة في جَناحٍ له مرَّ به سكرانٌ يتغنَّى، فأشرف عليه فقال له: يا هذا، شربْتَ حراماً، وأيقظْتَ نُوّاماً، وغنَّيْتَ خطأ، خذ عني فأَصْلَحَهُ له. وقال الأوقصُ قالت لي أمي: يا بُنيَّ، إنك خُلِقْتَ خِلقةً لا تصلُح معها لمجامعة الفِتْيانِ في بيوت القِيَان، إنك لا تكون مع أحد إلَّا تخطَّتْكَ إليه العيونُ، فعليك بالدِّين فإنه يرفع الخسيسةَ ويُتِمّ النقيصةَ، فنفعني اللهُ بكلامها فبلغْتُ القضاءَ.

قال عبد الله بن جعفر لرجل: لو غنّتْكَ فلانةُ جاريتي صوتَ كذا ما أَدْرَكْتَ زكاتكَ[1].

حدّثني شيخ لنا عن سَلِمْ بن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: مرَّ بي عمرُ، وأنا وعاصمُ بن عمرَ نتغنَّى غناء النَّصْبِ، فقال: أَعِيْدا، فأعدْنا، فقال: مَثَلُكُما مَثَلُ حِمارَي العِبَادِيّ، قيل له: أيُّ حماريْكَ أشرّ؟ قال: هذا ثم هذا.

وحدّثني أيضاً عن آبن عاصم عن آبن جُريج قال: سألتُ عطاء عن القراءة على ألحان الغِناء والحُداء فقال: وما بأس، لقد حدّثني عبيد بن عمير الليثيّ قال: كانت لداود نبيّ الله مِعْزَفةٌ يَضرِبُ بها إذا قرأ الزَّبُوْر، فكان إذا قرأ اجتمع إليه الإنس والجنّ والطير فبكى وأبكى مَنْ حوله. وقال لي غيره: ولهذا قيل: مزاميرُ داود، كأنه أغاني داود.

خرج أبو معاوية الضرير يوماً على أصحابه فقال:

---

(١) معنى القول: لو سَمِعْتَ جمال صوت جاريتي لَمُتَّ قبل أن يحول عليك الحَوْل وقبل أن تؤدي الزكاة المفروضة عليك.

[مجزوء الرمل]

وإذا المِعْـدةُ جـاشتْ ... فـآرمِهـا بـالْمِنْجَنِيْـقِ

بثـلاثٍ من نـبيـذٍ ... ليس بـالحُلْو الـرقيـق

النُوشَجانيّ قال: حدّثني محمد بن سابق قال: حدّثنا مالك بن مِغْوَل عن أبي حَصين قال: شَرِبَ الأسودُ فقال: لو سقيتموني آخرَ لغنَّيْتُ.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا أبو أسامة عن مجالد عن الشعبيّ عن عمه قال: صحبْتُ آبنَ مسعود حَوْلاً من رمضان إلى رمضان لم يَصم يوماً واحداً، فأهمَّني ذلك وسألْتُ عنه، ولم أَرَهُ صلَّى الضُّحى حتى خرج من بين أظهرنا.

قال: حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا مسلم بن إبراهيم عن مهديّ ابن ميمون قال: كان أبو صادق لا يتطوّع من السَّنة بصوم يوم، ولا يصلي ركعةً سوى الفريضة قبلها ولا بعدها، وكان به من الورع شيء عجيب.

حدّثني الزِّياديّ قال: قال حماد بن زيد عن أيوب قال: دخلت على رجل من الفقهاء وهو يلعب بالشِّطْرَنْج.

وحدّثني الزِّيادِيّ قال: حدّثنا حماد بن زيد عن هشام بن حسان قال: سئل آبن سيرين عن اللّعب بالشِّطْرَنج فقال: لا بأس به هو رِفقٌ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معتمر قال: قال أبي: تَرَوْن أن الشِّطْرَنْجَ[1] وُضِعت على أمر عظيم؟.

قال: وحدّثنا الأصمعيّ عن آبن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان قيس بن أبي حازم في مَدْعَاةٍ فقال لصاحب المنزل: طَيِّرْ.

---

(١) لا يصحُّ تأنيث الشطرنج، وقد يكون أنَّثها هنا على تأويله بآلة لعب الشطرنج.

حدّثني شَبابة قال: حدّثني القاسم بن الحَكَم العُرَنيّ قال: حدّثني سُلَيمٌ مولى الشعبيّ أنَّ الشعبيَّ كان إذا آختضَب غَرضَ[1] لاعبٌ آبنتَه بالنَّرْد حتى يَعْلَقَ الخضابُ.

حدّثنا إسحاق بن رَاهْوَيْهِ قال: أخبرنا النَّضْرُ بن شُمَيلٍ قال؛ حدّثنا شُعْبة عن عبد ربه قال: سمعْتُ سعيدَ بن المسيب وسُئل عن اللعِب بالنَّرد فقال: إذا لم يكن قِماراً فلا يأس.

حدّثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا الفضل بن موسى عن رِشْدِيْن بن كُرَيْب قال: رأيت عِكْرِمةَ أُقيم قائماً على اللعب بالنَّرْد. قال إسحاق: إن كان لَعِبُه على غير معنى القِمَار يريد به التعليمَ والمكايدةَ فهو مكروه، ولا يبلغُ ذلك إسقاطَ شهادته.

وروى عبد الملك بن عمير عن إبراهيم بن محمد قال: أخبرني أبي قال: رأيتُ أبا هريرة يلعب مع أبي بأربعةَ عشرَ على ظهر المسجد.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثني عليّ بن عاصم عن أبي إسحاق الشَّيْباني عن خَوّات التميميّ عن الحارث بن سُوَيد قال: أتى عبدَ الله بنَ مسعود رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنَّ لي جاراً يُرْبي وما يتورّع من شيء أصابه، وإني أُعْسِرُ فأستسْلِفُه، ويدعوني فأجيبُه، فقال: كُلْ فَلَكَ مَهْنؤُه وعليه وِزْرُه.

كان أبو فَضَاله أسَنَّ وشَقَّت عليه الصلاةُ، فكان يقول: مُشْقِيةٌ مُنصِبَة، مُقِيمَةٌ مُقْعِدة، لا تزال بصاحبها حتى يضعَ أكرمَه ويرفعَ أفحشَه.

---

(١) غَرَضَ الرجلُ ابنته بالنَّرد: شدَّها للعب بالنَّرْد، أي أثارها لتلعب وإياه بالنَّرْد. والنرد لعبة، وهي فارسية معرَّبة. ويقال: غرضَ الناقةَ: شدَّها بالغُرْضة، والغُرْضة للرَّحْل كالحزام للسَّرْج.

قال عبد الله بن القَعْقَاع[1] الأسديّ: [طويل]

أتانا بها صفراءَ يَزْعَمُ أنها زَبيْبٌ، فصدَّقْناه وهو كَذُوْبُ
فهل هي إلا ليلةٌ غابَ نَحْسُها أُصَلّي لربّي بعدها وأتوبُ؟

وقال آخر: [بسيط]

مَنْ ذا يُحرِّمُ ماءَ المُزْنِ خالطه في جوف آنيةٍ ماءُ العناقيْدِ
إني لأكره تشديدَ الرُّواة لنا فيها ويُعجِبُني قولُ آبن مسعود

وعيُون الأخبارِ ومُتَخيَّرُ الشعر في الشراب يقع في كتابَيْ المؤلف في الأشربة، ولذلك تركْت ذكرها.

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديق له في فصل: ونحن نحمد الله إليك فإنَّ عُقْدَةَ الإسلام في قلوبنا صحيحةٌ، وأواخِيَّه ثابتةٌ، ولقد آجتهد قومٌ أن يُدْخِلوا قلوبَنا من مرض قلوبهم، وأن يَلْبِسُوا يقينَنا بشكّهم، فمنَعْتنا عِصمةُ الله منهم، وحالَ توفيقُه دونهم، ولنا بعدُ مذهبٌ في الدُّعابة جميلٌ، لا يَشُوبه أذىً ولا قذىً، يُخرِج إلى الأنس من العُبُوس، وإلى الاسترسال من القُطُوب، ويُلحِقُنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين آرتفعوا عن لبسة الرياء والتصنّع.

التوسّط في الأشياء
وما يُكره من التقصير فيها والغلوّ.
باب التوسط في الدِّيْن

حدّثني الزِّياديّ قال: حدّثنا عبد العزيز الدَّرَاوَرْدِيّ قال: حدّثني محمد ابن طَحْلاء عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت: قال النبيّ ﷺ:

(١) لم أقف له على ترجمة.

«اكْلَفُوامِن العمل ما تُطِيقونَ فإنّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَملُّوا، وإنَّ أفضلَ العمل أدْوَمُه وإنْ قَلَّ».

حدّثني محمد بن يحيى القُطَعِيّ قال: حدّثنا محمد بن علي بن مُقَدَّم عن مَعْنٍ الغِفَاريّ عن المَقْبُريّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ هذا الدِّينَ يُسرٌ ولن يُشَادَّ الدِّيْنَ أحدٌ إلا غلبه، فَسَدِّدُوا وقَارِبوا وأَبشِرُوا».

حدّثني القُومَسِيُّ عن أحمد بن يونس عن زُهير عن قابوس عن أبيه عن آبن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الدِّيْنُ الحسنُ والسَّمْتُ الصالحُ والاقتصادُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوّة».

حدّثني محمد بن عُبيدٍ عن معاويةَ بن عمرو عن أبي إسحاق عن خالد الحَذّاء عن أبي قِلَابة عن مسلم بن يَسَار أنَّ رُفقةً من الأشعريين كانوا في سَفَر، فلما قَدِموا قالوا: يا رسولَ الله، ليس أحدٌ بعد رسول الله أفضلَ من فلانٍ، يصومُ النهارَ، فإذا نزلنا قام يُصلّي حتى نرتحلَ، قال: «مَنْ كان يَمْهُنُ له أو يَكْفيه أو يَعمَلُ له؟» قالوا: نحن، قال: «كُلُّكُم أفضلُ منه».

وروى أبو معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن عليّ عليه السلام قال: خيارُكم كلُّ مُفَتَّن تَوّاب. وقال علي أيضاً: خيرُ هذه الأمة النّمطُ الأوسطُ، يَرجعُ إليهم الغالِي ويَلْحَقُ بهم التالي.

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرَّة قال: قال حذيفةُ: خيارُكم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم، ومن آخرتهم لدنياهم. وكان يقال: دِينُ الله بين المقصِّرِ والغالي. وقال المطرّف لابنه: يا بُنيَّ، الحسنةُ بين

السيئتين، يعني بين الإفراط والتقصير، وخيرُ الأمور أوساطُها، وشرُّ السَّيرِ الحَقْحقةُ[1].

وفي بعض الحديث المرفوع: ليس خيركُم مَنْ تَرَكَ الدينا للآخِرةِ ولا الآخِرَة للدنيا ولكن خيركُمْ مَنْ أخذَ مِنْ هذه وهذه». وقال: «إنّ الله بعثني بالحَنِيفيَّة السهلة، ولم يبعثني بالرَّهْبانية المبتدَعة، سُنّتي الصلاةُ والنّوم، والإفطارُ والصوم، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منّي». وفي الحديث: إنّ هذا الدِّيْنَ مَتِينٌ فأوغِلْ فيه بِرِفقٍ، فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقَى».

وكان يقال: طالبُ العلم وعاملُ البِرّ كآكل الطعام إن أخذ منه قُوْتاً عَصَمه،وإن أسرف في الأخذ منه بَشِمَهُ[2]، وربما كانت فيه مَنِيَّتُه،وكآخذ الأدوية التي قَصْدُها شفاءٌ، ومجاوزةُ القَدْرِ فيها السُّمُّ المميتُ.

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن سالم بن أبي حَفْصة أنَّ آبن أبي نُعْمٍ كان يُهِلُّ من السنة إلى السنة ويقول في تلبيته: لَبَّيْكَ[3]، لو كان رياء لاضمحلَّ.

حدّثني أحمد بن آلخليل قال: حدّثنا موسى بن مسعود عن سفيان عن أبي إسحاق قال: قال عمر بن ميمون: لو أدركَ أصحابُنا محمدَ بن أبي نُعْمٍ لرجَموه، كان يُواصِل كذا وكذا يوماً ويُهِلُّ بالحج إذا رَجَعَ آلناسُ من آلحج.

وقال سلمانُ: القصدُ وآلدوامَ وأنت السّابقُ آلجواد. وفي بعض آلحديث أنَّ عيسى بن مَريم لَقِي رجلاً فقال: ما تَصنع؟ قال: أَتَعَبَّدُ. قال: مَنْ يعود عليك؟ قال: أخي، قال: أخوك أَعْبَدُ منك.

(١) الحَقْحَقَةُ: أرفع السير وأتعبه للظهر.
(٢) بَشِمهُ: سئمه؛ يقال: بَشِمَ الرجلُ من الطعام: أُتْخِمَ، وبَشِمَ من الشيء: سئمه.
(٣) لَبَّيْكَ: أي أنا مقيم على طاعتك.

رَوْحُ بن عُبادةَ عن ٱلحجاج بن ٱلأسود قال: مَنْ يَدُلّني على رجل بَكّاءٍ بالليل بَسّامٍ بالنّهار؟.

وروى أبو أُسامة عن حماد بن زيد عن إسحاق بن سُويد قال: قال مُطرِّفٌ: أنظروا قوماً إذا ذُكِروا ذُكِرُوا بالقراءة فلا تكونوا منهم، وٱنظروا قوماً إذا ذُكِروا ذُكِروا بالفجور فلا تكونوا منهم. كونوا بين هؤلاء وهؤلاء.

باب ٱلتوسُّط في ٱلمداراة وٱلحِلم

قرأت في كتاب للهند: بعضُ ٱلمقاربة حزمٌ، وكلُّ ٱلمقاربة عجزٌ، كالخشبة ٱلمنصوبة في ٱلشمس تُمالُ فيزيدُ ظلُّها، ويُفرَطُ في ٱلإمالة فينقُص ٱلظلُّ. ومن أمثال العرب في هذا: «لا تَكُنْ حُلْواً فتُسْتَرطَ[1] ولا مُرّاً فتُلْفَظَ» وأبو زيد يقول: ولا مُرّاً فتُعْقَى[2]، يقال: أعقَى ٱلشيءُ إذا ٱشتدّتْ مرارتُه.

وقال الشاعر: [طويل]

وإنّي لصعبُ ٱلرأس غيرُ جَمُوحِ

وقال آخر في صفة قوس: [رجز]

في كَفّه مُعطِيةٌ مَنُوعُ

وقال آخر: [رجز]

شِرْيَانةٌ تَمنعُ بعد اللِّينِ

وقال أبرويز لابنه: إجْعَلْ لاقتصادك السلطانَ على إفراطك، فإنك إذا

---

(١) سرطه وٱسترطه: ابتلعه.

(٢) قال في اللسان مادة (عقا): يقال في المثل: لا تكن مُرّاً فَتُعْقَى ولا حُلْواً فتُزْدَرَدَ. تعقى: تشتدّ مرارتك.

قـدَّرْتَ الأمورَ على ذلـك وَزَنْتَها بميـزان ٱلحكمة وقـوَّمْتَها تقـويمَ الثِّقَاف، ولم تَجعل للندامة سلطاناً على الحِلْم.

وقال ٱلنابغة[1] الجعديّ: [طويل]

ولا خيـرَ في حِلْمٍ إذا لم تـكن لـه بـوادرُ تَـحْمِـي صَفْـوَه أنْ يُـكَـدَّرَا

وقال آخر: [طويل]

ولا خيرَ في عِرْضِ ٱمرِىءٍ لا يصونه ولا خيـرَ في حِلْمِ ٱمرِىءٍ ذَلَّ جـانِبُه

وقـال أكثم بن صيفيّ: الانقباضُ من ٱلنـاس مَكْسَبَـةٌ للعـداوة، وإفـراطُ ٱلأنس مَكْسَبَةٌ لقُرَنَاءِ ٱلسُّوءِ.

باب ٱلتوسُّط في ٱلعقل وٱلرأي

رُوي في ٱلحديث أن زياد بنأبي سفيان كانكـاتباً لأبي مـوسى الأشعري فعزله عمر عن ذلك، فقال له زياد: أَعَنْ عجزٍ عَـزَلْتني يا أميـرَ المؤمنين أم عن خيانة؟ فقـال: لا عن ذاك ولا عن هذا، ولكِنّي كـرِهْتُ أن أحمِلَ على ٱلعـامّة فضـلَ عقلِكَ. ويقال: إفـراطُ ٱلعقل مُضِـرٌّ بالجَـدّ[2]. ومن ٱلأمثال ٱلمبتـذَلة: إستأذَنَ ٱلعقلُ على الجَدِّ فقال: إذهب لا حاجة بي إليك. وقال ٱلشاعر: [وافر]

فَعِشْ في جَـدِّ أَنْـوَكَ حـالَفَتْـهُ مقـاديـرٌ يُسـاعِـدُهـا ٱلصـوابُ

وقال آخر: [سريع]

إنّ ٱلمقـاديـرَ إذا سـاعَـدَتْ ألحقتِ ٱلعـاجـزَ بـالحـازمِ[3]

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الجَدُّ: الحظ والسعادة والغنى.

(٣) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٤٣) في «باب في صحبة الأيام بالموادعة»

وقال آخر: [طويل]

أرى زَمَناً نَوْكاهُ أسعدُ أهلِهِ ولكنّه يَشقَى به كلُّ عاقِلِ

وقال الحسن: تشبّه زيادٌ بعمرَ وأفرط، وتشبّه الحجاجُ بزيادٍ فأهلك الناسَ. وقال الحكماء: فضلُ ٱلأدب في غير دِيْنٍ مَهْلِكَةٌ. وفضلُ ٱلرأي إذا لم يُستعمَلْ في رِضوان الله ومنفعةِ ٱلناس قائدٌ إلى الذنوب، وٱلحفظُ ٱلزاكي الواعي لغير العلم النافع مُضِرٌّ بالعمل ٱلصالح، والعقلُ غيرُ ٱلمورِّع عن الذنوب خازنُ الشيطان.

تنازع ٱثنان: أحدهما سلطانيّ والآخر سُوقِيّ، فضربه السلطانيّ فصاح: واعُمَرَاه! ورُفِعَ خبرهُ إلى المأمون فأمر بإدخاله عليه، قال: مِنْ أين أنت؟ قال: من أهل فَامِيَةَ[1]، إن عمرَ بن ٱلخطاب كان يقول: مَن كان جاره نبطياً وٱحتاج إلى ثمنه فَلْيَبِعْه، فإن كنْتَ تطلبُ سِيرةَ عمرَ فهذا حكمه فيكم، وأمر له بألف درهم.

باب ذمّ فضل الأدب وٱلقول

قيل لبعض ٱلحكماء: متى يكون ٱلأدبُ شرّاً مِن عدمه؟ قال: إذا كَبُرَ الأدبُ ونقصَ ٱلعقلُ. وكانوا يكرهون أن يَزيد مَنطِقُ الرجل على عقله. ويقال: من لم يكن عقلُه أغلبَ خصال ٱلخير عليه كان حَتْفُه في أغلب خصال ٱلخير عليه. وقال الشاعر: [متقارب]

رأيتُ ٱللسانَ على أهله إذا ساسه ٱلجهلُ لَيْثاً مُغِيرَا

(١) فامِيَة: قلعة من أعمال حلب. وقد يزاد فيها الألف فيقال: أفامية. وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٣١٨).

وقال سليمان بن عبد آلملك: زيادةُ منطقٍ على عقلٍ خُدْعةٌ، وزيادةُ عقلٍ على مَنْطِقٍ هُجْنةٌ، وأحسنُ مِن ذاكَ ما زَيَّنَ بعضُه بعضاً.

قال ضِرارُ بن عمرو لابنته حين زوَّجها: أمسِكي عليك آلفَضْلَينِ: فضلَ الغُلْمَة وفضلَ الكلام.

وقال عمر بن آلخطاب رحمه الله: رَحِمَ اللهُ آمرَأً أمسكَ فضلَ آلقول وقدّمَ فضلَ العمل.

نَزَلَ آلمنذرُ بن آلمنذر في كتيبة موضعاً، فقال له رجل: أبيْتَ[1] آللّعنَ إنْ ذُبحَ رجلٌ هاهنا، إلى أيّ موضع يبلغُ دمُه مِن هذه الرابيةِ؟ فقال المنذر: آلمذبوحُ واللهِ أنتَ، ولأنظرنَّ أينَ يبلغُ دمُكَ، فقال رجل[2] ممن حضر: «رُبَّ كَلمةٍ تَقولُ لصاحبها دَعْني».

قال زياد على المنبر: إن الرجلَ ليتكلّمُ بالكلمة لا يَقطعُ بها ذَنَبَ عَنْزٍ مَصُورٍ ولو بَلَغَتْ إمامَه سَفكتْ دمَه. وقال أكثم بن صيفيّ: مَقْتَلُ الرجلِ بين فَكّيهِ. وقال آلأحنف: حَتْفُ آلرجلِ مخبوءٌ تحت لسانه.

باب آلتوسّط في آلجِدَة

كان دعاء رسول الله ﷺ: اللهمَّ إني أعوذ بك مِن غنىً مُبطِرٍ ومِن فَقْرٍ مُلِبٍّ أو مُرِبٍّ[3]، وكذلك اللهمَّ لا غِنىً يُطْغِي ولا فَقْراً يُنْسِي.

وقال أبو آلمعتمر آلسُّلميّ: آلناسُ ثلاثةُ أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط،

---

(١) أَبَيْتَ اللَّعْنَ: عبارة كانت العرب تُحَيِّ بها ملوكها في الجاهلية. والمعنى: أَبَيْتَ أيها الملك أن تأتي ما تُلْعَنُ عليه.

(٢) الذي في مجمع الأمثال للميداني: القائل هو المنذر نفسه.

(٣) من ألبَّ بالمكان وأربَّ به؛ أقام به ولزمه.

فالفقراءُ موتَى إلا مَنْ أغناه الله بعزّ ٱلقناعة، والأغنياءُ سُكَارَى إلا مَنْ عصمه اللهُ بتوقُّعِ ٱلغِيَرِ، وأكثرُ ٱلخير مع أكثر الأوساط وأكثرُ الشرِّ مع ٱلفقراء وٱلأغنياء لِسَخْفِ ٱلفقر وبَطَر ٱلغِنى. ومن أمثال ٱلعرب في هذا: «بينَ المُمِخَّةِ[1] والعَجْفَاءِ».

باب الإقتصاد في ٱلإنفاق وٱلإعطاء

قال ٱلله عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذلك قَواماً﴾[3].

حدّثني أحمد بن الخليل عن مسلم بن إبراهيم عن سُكَينِ بن عبد العزيز عن إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: مَا عَالَ[4] مُقْتَصِدٌ.

وحدّثني أيضاً عن مسلم قال: حدّثنا أبو قُدَامَةَ ٱلحارثُ بن عبيد قال: حدّثنا بُرْدُ بن سِنَان عن ٱلزُّهري قال: قال أبو الدَّرداء: حُسْنُ ٱلتقدير في ٱلمعِيشة أفضلُ مِن نصف ٱلكسب، ولَقَطَ حَبّاً منثوراً وقال: إنَّ فقهَ ٱلرجل رفقُهُ في معيشته.

قال أبو الأسود لولده: لا تُجَاوِدُوا ٱللهَ فإنه أجودُ وأمجدُ، وإنه لو شاء أن

(١) المُمِخَّة: الدابة والشاة والناقة التي سَمِنَتْ. والعجفاء: الهزيلة. ومعنى المثل: وسطٌ بين الغنى والفقير.

(٢) سورة الإسراء ١٧، آية ٢٩. والمعنى: لا تسرف ولا تقتر. التفسير المبين.

(٣) سورة الفُرْقان ٢٥، آية ٦٧. والمعنى: لا تقتير ولا تبذير في الإنفاق بل قوام واعتدال. نفس المصدر.

(٤) عال الرجل يَعِيْلُ: افتقر.

يُوَسِّعَ على الناس كلِّهم حتى لا يكونَ محتاجٌ لفَعَلَ، فلا تُجهِدُوا أنفسَكم في ٱلتوسعة فتَهْلِكُوا هُزْلاً.

قيل لمحمد بن عمران قاضي ٱلمدينة ـ وهو من ولد طلحة بن عبيد الله ـ: إنك تُنْسَبُ إلى البخل، فقال: والله إني لا أَحمُدُ في ٱلحق ولا أذوبُ في ٱلباطل. وكان يقال: لا تَصُنْ كثيراً عن حقٍّ ولا تُنفِقْ قليلاً في باطل. ومن أمثال العرب في ذلك «لا وَكْسَ ولا شَطَطَ»[1] و«إذا جَدَّ السؤالُ جَدَّ ٱلمنْعُ».

وقال ٱلشاعر: [طويل]

إلَّا أكن كلَّ ٱلجواد فإنّني ... على ٱلزاد في ٱلظَّلْماءِ غيرُ لئيمِ
وإلَّا أكُنْ كلَّ ٱلشجاع فإنني ... أَرُدُّ سِنان ٱلرمح غيرَ سَليمِ
وقد علِمَتْ عُلْيَا هوازنَ أنني ... فتاها وسُفلَى عامرٍ وتَميمِ

قال معاوية: ما رأيتُ سَرَفاً[2] قطُّ إلا وإلى جانبه حقّ مُضَيَّعٌ.

أفعال من أفعال السادة والأشراف

حدّثني ٱلرِّياشيّ قال: حدّثنا ٱلأصمعيّ قال: حدّثنا ٱبن عمران قاضي ٱلمدينة أن طلحة كان يقال له: طلحة ٱلخير، وطلحة ٱلفيّاض، وطلحة ٱلطَّلَحات وأنه فدى عشرة من أُسَارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سُئل برَحِمٍ فقال: ما سُئلتُ بهذه ٱلرحِم قبل ٱليوم، وقد بِعْتُ حائطاً لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخِيار، فإنْ شئْتَ ٱرتجعتُه وأعطيتُكه، وإن شئْتَ أعطيتُك ثمنَه.

---

(١) لا وَكْسَ ولا شَطَطَ: أي لا نقصان ولا زيادة.

(٢) السَّرَف: الشَّرَف والقدر الكبير.

حــدّثني سهــل بن محمــد عن الأصمعيّ قــال: أخبــرني شيــخ من مَشْيَخَتِنا، ـ وربما قال: هارون ٱلأعـور ـ أن قتيبة بن مسلم قـال: أرسلني أبي إلى ضِرَار بن ٱلقَعْقَاع بن مَعْبد بن زُرَارة فقال: قل له قد كان في قومك دمـاء وجِراح، وقد أحبّوا أن تَحضُرَ ٱلمسجدَ فيمن يَحضُر، قال: فأتيته فأبلغتُـه فقال يـا جاريـة: غَدِّيني، فجـاءت بأرغفـة خُشْنٍ فَثَرَدَتْهُنَّ في مَـرِيس[1] ثم بَرَقَتْهُنَّ[2] فأكل. قال قتيبة: فجعـل شأنُـه يصغُر في عيني ونفسي، ثم مسـح يده وقـال: الحمدُ لِله، حِنطةُ ٱلأهواز وتمرُ الفرات وزيتُ الشام، ثم أخذ نَعْلَيْه وٱرتـدى، ثم ٱنطلق معي وأتى ٱلمسجدَ ٱلجامع فصلَّى ركعتين ثم ٱحتبى، فما رأته حَلْقَة إلا تقوّضت إليه، فٱجتمع ٱلطالبون وٱلمـطلوبون فـأكثروا ٱلكـلام، فقال: إلى ماذا صار أمرُهم؟ قالوا: إلى كذا وكذا من إبل، قال: هي عليّ، ثم قام.

الهيثم عن ٱبن عباس قال: كـان معدِ يكْـرِب بن أَبْرَهـة جالسـاً مع عبد ٱلعزيز بن مرون على سريـره فَأُتِي بفتيـانٍ قد شـربوا ٱلخمـرَ، فقال: يـا أعداء الله، أتشربون الخمـرَ! فقال معـد يكرب: أنشُـدُكَ الله أن لا تَفضَح هؤلاء، فقـال: إنّ ٱلحق في هؤلاء وفي غيـرهم واحد، فقـال معد يكـرب: يا غـلام صُبَّ من شرابهم في ٱلقدح، فصبَّ له فشربه وقال: والله ما شرابُنا في منازلنـا إلا هذا. فقال عبد ٱلعزيز: خَلّوا عنهم، فقيل له حين ٱنصرفوا: شَـرِبتَ الخمرَ! فقـال: أما والله إن الله ليعلم أنّي لم أشْرَبْها قطُّ في سِرٍّ ولا عـلانية، ولكنّي كـرِهتُ أن يُفْضَحَ مثل هؤلاء بمحضري.

وحدّثني شيخ لنا قال: مدح شاعـرٌ ٱلحسنَ بن سهل فقـال له: احتكَمْ، وظنّ أنَّ همّته قصيرة، فقال: ألف ناقـة، فوَجَـزَ ٱلحسنُ ولم يُمكِنْه، وكـره أن

---

(١) المَرِيْسُ: تمر وزيت، أو التمر الممروس أو اللبن.

(٢) بَرَقَ الطعامَ بزيت أو تسمْن: جعل فيه منه قليلاً.

يَفتضِحَ وقال: يا هذا إنّ بلادنا ليست بلادَ إبل، ولكن ما قال آمرؤ القيس:

[وافر]

إذا ما لم يَكُنْ إبلٌ فَمِعْـزَى كـأنّ قـرونَ جِلّتِهَـا العِصِيُّ

قـد أمرتُ لـك بألف شـاة، فألْقَ يحيى بن خـاقان، فـأعطاه بكـلّ شـاة ديناراً.

قال: وقدم زائر على أبي دُلَفٍ فأمر له بألف دينار وكُسوَةٍ ثم قال:

[كامل]

أعْجَلْتَنـا فـأتـاك عـاجـلُ بِـرِّنـا قُـلّاً ولـو أمـهَلْتـنـا لـم يَـقْـلِلِ

فَخُـذِ القليـلَ وكُنْ كـأنـك لم تَقُـلْ شيئـاً، ونحن كـأننـا لـم نفـعَـلِ

وقال بعض الشعراء:

[خفيف]

ليس جُوْدُ الفِتيـان من فضـل مـالٍ إنمـا الجُـوْدُ لـلمقـلِّ المُـوَاسِي

وقال دِعْبِل[1] في نحوه:

[طويل]

لئن كنتَ لا تُـولِي يـداً دون إمْـرة فلستَ بِمُوْلٍ نـائِـلاً آخرَ الـدّهـرِ

فـأيُّ إنـاءٍ لم يَفِضْ عـنـد مَلْئِـه! وأيُّ بخيـلٍ لم يُنِلْ سـاعـةَ الـوَفْـر!

وليس الفتى المعطِي على اليُسْرِ وحدَه ولكنـه المعطِي على العُسْـر واليُسْـر

ابن الكلبيّ قـال: أخبرني غيـرُ واحد من قـريش قـالـوا: أراد عبـد الله وعبيـد الله آبنا العبـاس أن يقتسما ميـراثهما من أبيهمـا بمكة، فـدُعِيَ القـاسم ليَقْسم، فلما مدّ الحبل قال له عبد الله: أقِمْ المِطْمَرَ[2]. فقـال له عبيـد الله: يا أخي، الـدارُ دراك لا يُمدُّ واللهِ فيهـا اليومَ مِـطْمَرٌ. وكـان يقال: مَنْ أراد العلمَ

(١) هو دِعْبل الخزاعي وقد تقدمت ترجمته.
(٢) المِطْمَرُ: الحبل الذي يُمَدُّ.

والسخاءَ والجمالَ فَلْيَأْتِ دارَ العباس، كان عبدُ الله أعلمَ الناسِ، وعبيدُ الله أسخى الناسِ، والفضل أجملَ الناسِ.

باع عبدُ الله بنُ عتبة أرضاً بثمانين ألفاً، فقيل له: لو آتخذْتَ لولدك من هذا المال ذُخْراً! فقال: أنا أجعلُ هذا المالَ ذخراً لي عند الله، وأجعلُ اللهَ ذخراً لولدي، وقَسَم المالَ.

ويقال: إنّ أوّلَ ما عُرِفَ به سُؤدُدُ خالد بن عبد الله القَسري أنه مرَّ في بعض طرق دِمشقَ وهو غلام فأوطأ فرسَه صبيّاً فوقف عليه، فلما رآه لا يتحرّك أمرَ غلامَه فحمله، ثم آنتهى به أوّل مجلس مرَّ به فقال: إنْ حَدَثَ بهذا الغلامِ حَدَثُ الموتِ فأنا صاحبُه، أو طأتُه فَرسي ولم أعلم.

قال عَدِيُّ بن حاتم لابنٍ له حَدَثٍ: قُمْ بالباب فآمنعْ مَنْ لا تعرِفُ وأذَنْ لمن تَعرف، فقال: لا والله، لا يكونُ أوّلُ شيءٍ ولِيْتُه من أمر الدنيا مَنْعَ قومٍ من الطعام.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: ضاف بَني زيادٍ العبسِيّين ضيفٌ، فلم يَشعُرُوا إلا وقد آحتضنَ أُمَّهُم من خلفها، فَرُفع ذلك إلى ربيع بن زياد الكامل فقال: لا يُضارّ الليلةَ عائذُ أمّي، أنه عاذَ بحَقْوَيْها[1].

المدائنيّ قال: أحدثَ رجلٌ في الصلاة خلفَ عمرَ بن الخطاب، فلما سَلَّم عمرُ قال: أعزِمُ على صاحب الضرطة إلا قام فتوضأ وصلّى، فلم يَقُم أحدٌ، فقال جرير بن عبد الله: يا أميرَ المؤمنين، إعزم على نفسك وعلينا أن نتوضّأ ثم نُعيدَ الصلاةَ، فأمّا نحن فتصيرُ لنا نافلةً، وأما صاحبُنا فيَقْضِي

(١) بحَقْوَيْها: بكشحيها.

صَلاتَه، فقال عمرُ: رحمك الله، إنْ كنْتَ لشريفاً في الجاهلية فقيهاً في الإسلام.

كان عبدُ الله بنُ جُدْعانَ التيميّ حين كَبِر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يُعْطِيَ شيئاً من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال: أدْن مِنّي، فإذا دنا منه لطَمه ثم قال: إذهب فآطلبْ بلَطْمتك أو تُرْضَى، فتُرضِيه بنو تيم من ماله.

وفيه يقول آبنُ قيس[1] الرُّقيَّات: [خفيف]

والـذي إنْ أشـار نحـوك لَـطْمـاً تَـبِـعَ الـلَّطْمَ نـائـلٌ وعـطاءُ

وآبن جُدْعان[2] هو القائل: [بسيط]

إنّي وإن لم يَنَلْ مالي مَدَى خُلُقي وهَّابُ ما مَلَكَتْ كفّي من المالِ
لا أَحْبِسُ المالَ إلاّ رَيْثَ أتلِفُه ولا تُغَيِّرُني حالٌ عن الحال

الهيثم عن حمّاد الراوية عن مشايخ طيء قالوا: كانت عتبه[3] بنتُ عفيفٍ أمُّ حاتم لا تُلِيق[4] شيئاً سخاءً وجوداً، فمنعها إخوتُها من ذلك فأبتْ، وكانت مُوسرةً فحبسوها في بيت سَنَةً يُطعمُونها قُوتُها رَجاءَ أن تَكُفَّ، ثم أخرجوها بعد سنةٍ وظنّوا أنها قد أقصرت ودفعوا إليها صِرْمةً[5]، فأتتها آمرأة من هَوازنَ فسألتْها فأعطتها الصِّرْمَةَ وقالت: وآلله لقد مسّني من الجوع ما آليْتُ معه ألاّ أمنعَ سائلاً شيئاً. وقالت:

---

(١) سبقت ترجمته.
(٢) إبن جُدْعمان هو علب بن زيد بن عبد الله بن جُدْعان، القرشي التميمي الضرير. من حفاظ الحديث الأئمة. الأعلام ج ٤ ص ٢٨٩.
(٣) ورد في الأغاني (ج ١٦ ص ٩٧ ط. بولاق): «عتبة» بالتاء وفي مجمع الأمثال للميداني: «غنية».
(٤) لا تُلِيْقُ: لا تُمْسك.
(٥) الصِّرْمة: القطعة من الإبل وآختلف في عددها من العشرة إلى الخمسين.

[طويل]

لَعَمْري لَقِدْماً عَضّني ٱلجوعُ عَضّةً   فـآليْتُ أَلاَّ أمنعَ الـدّهـرَ جـائعَـا
فقـولا لِهـذا ٱلـلاَّئِمي ٱلآن أَعْفِني   فـإنْ أنْتَ لم تفعل فَعَضَّ الأصـابعـا
فمـاذا عسـاكُمْ أن تقـولـوا لأختكُمْ   سوى عَذْلكُمْ أو عَذْل مَنْ كان مـانعا
ولا مـا تَـرَوْنَ الـدّهــرَ إلا طبيعــةً   فكيف بتـركي يا ٱبنَ أُمِّ الـطبـائعَـا[1]

ابْن الكلبيّ عن أبيه عن رجالات طيء قالوا: كان حاتم جـواداً شاعـراً، وكان حيثما نَزَل عُرِفَ منزلُه، وكان ظَفِراً إذا قاتل غَلَبَ، وإذا غَنِمَ أَنْهَبَ، وإذا سُئِلَ وَهَبَ، وإذا ضَرَبَ بالقِدَاحِ سَبَقَ، وإذا أَسَرَ أطْلَقَ، وكان أقْسَمَ بـالله: لا يقتُل واحدَ أُمِّه.

أبـو ٱليقظان قـال:أخذَ عبيـدُالله بن زياد عـروةَ[2] بنَ أُدَيَّة أخـا أبي بـلال فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب داره، فقال لأهله: أنظروا هؤلاء الموكّلين بي فأحْسِنوا إليهم فإنهم أضيافكم.

سفيان بن عيينة قال: كان سعيدُ بن العاص إذا أتاه سائلٌ فلم يكُ عنـده ما سأل قال: أكتب عليَّ بمسألتك سِجِلّاً إلى أيام يُسْرِي.

باع أعرابيّ ناقةً لـه مِنْ مالـك بن أسماء، فلمـا صار الثمن في يـده نظر إليها فَذَرَفَتْ عيناه، ثم قال: [طويل]

وقـد تَنـزِعُ الحـاجـاتُ يـا أمَّ مَعْمـرٍ   كـرائـمَ مِـنْ ربٍّ بِـهِـنّ ضَـنِـيْـنِ

فقال له مالك: خُذ ناقتكَ وقد سَوَّغْتُكَ الثمنَ. اشتـرى عبيدُ الله بن أبي

---

(١) أقوى الشاعرُ هنا لأن الأصل في القول: «يا ٱبن أم الطبائع».

(٢) عُـرْوَة بن أُدَيَّة هـو الذي قتله عبيـد الله بن زيـاد بن أبي سفيـان فيمن قتـل من الخـوارج سنـة ٥٨ هـ. وهو عروة بن حدير التميمي، وأدية أمه. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٦.

بَكْرة جاريـةً نفيسةً فـطُلِبَتْ دابةٌ تُحمـلُ عليها فلم تُـوجَدْ، فجـاء رجل بـدابّـةٍ فحملها، فقال له عبيدُ الله: إذهب بالجارية إلى منزلك. باع ثابت بن عبيد الله ابن أبي بكرة دارَ الصِّفاق[1] من مُقاتِل بن مِسْمَع نَسِيئةً ثم آقتضـاه فلزمه في دار أبيه، فرآه عبيدُ الله فقال: ما لَكَ؟ قال: حبسني آبنُكَ. قـال: بِمَ؟ قال: بثمن دار الصّفاق، قال: يا ثابتُ، أمَا وَجَدْتَ لغُرَمائـكَ مَحْبِساً إلاّ داري؟ إدفـع إليه صَكَّه وأعوّضك. قيل لرجل: ما لَكَ تنزل في الأطراف؟ فقال: منازلُ الأشراف في الأطراف يتناولون ما يُريدون بالقدرة ويتناولهم مَنْ يريـدهم بالحـاجة. لمّـا كَبِر عَديُّ بن حاتم آذاه بَرْدُ الأرض وكان رجلاً لَحِيماً[2] فَنَهشتِ الأرضُ فَخِذَيـهْ فجمع قومَه فقال: يا بَني ثُعَلَ[3]، إني لستَ بخيركم إلا أن تَرَوْا ذلك فقد كـان أبي بمكـانٍ لم يكن بـه أَحَـدٌ من قـومـه، بَنَى لكم الشـرفَ ونَفَى عنـك العـارَ فأصبح الطائيّ إذا فعل خيراً قال العرب: مِنْ حَيٍّ لا يُحْمَدُون على الجـود ولا يُعذَرُونَ على البخل، وقد بلغت من السنّ ما تَرْونَ وآذاني بَرْدُ الأرض فأذَنُوا لي في وِطَاء[4] فوالله ما أريده فخراً عليكم ولا آحتقاراً لكم، وسأخبركم: مـا على مَنْ وضَعَ طَنْفَسة[5] وقُعِدَ حوله إلا أنَّ الحَقّ عليه أن يَذِلّ في عِرضه ويَنخَدِعَ في ماله ولا يَحسُدَ شريفاً ولا يَحقِرَ وضيعاً، فقال القوم: دَعْنا اليوم، ثم غَدَوْا عليه فقالوا: يا أبا طريف ضَعِ الطِّنْفِسَةَ وآلبِسَ التاجَ، فبلغ آبنَ دَارَةَ[6] الشاعـرَ فأتـاه

(١) الصِّفاق: الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر أو جلد البطن كله.

(٢) الرجل اللحيم: كثير لحم الجسد.

(٣) هو ثُعَل بن عمرو بن الغَوثْ بن طيِّء. جمهرة انساب العرب ص ٤٠٠ ـ ٤٠٢، ٤٧٦.

(٤) الوطاء: بكسر الواو وفتحها: خلاف الغطاء.

(٥) الطِّنْفَسَة: الثوب والبساط والحصير من سَعَفٍ عرضه ذراع، معرَّب تنبسة بالفـارسية. والجمـع طنافس.

(٦) إبن دارة هو سالم بن مسافع الغطفاني، شـاعر مخضـرم أدرك الجاهليـة والإسلام. ينسب إلى أمه «دارة» وهي من بني أسد. توفي نحو ٣٠ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٧٣.

وقال: قد مدحتُك، فقال: أمسكْ عليك حتى أُنْبِئَك بمالي فتمدَحَني على حَسَبه، لي ألفُ ضائنةٍ[١] وألفا درهم وثلاثةُ أعبُدٍ، وفرسي هذا حبيسٌ في سبيل الله، هاتِ الآنَ فقال: [طويل]

تَحِنُّ قَلُوصِي[٢] في مَعَدٍّ وإنما تُلَاقِي الربيعَ في ديارِ بني ثُعَلْ
وأبقَى اللّيالي مِنْ عِديٍّ بن حاتمٍ حُسَاماً كَلَوْنِ المِلح سُلَّ مِنَ الخِلَلْ
أبوكَ جوادٌ ما يُشَقُّ غُبارُهُ وإن جوادٌ لستَ تُعذَرُ بالعِلَلْ
فإن تفعلوا شرّاً فمثلُكُمُ أتَّقَى وإخ تفعَلوا خيراً فمثلُكُمو فَعَلْ

فقال: أمسكْ عليك، لا يبلغُ مالي أكثرَ من هذا، وشاطره ما لَه.

جاء رجل إلى مَعْنٍ فآستحمله عَيْراً فقال معنٌ: يا غلامُ، أعطه عَيْراً[٣] وبَغْلاً وبِرْذَوناً وفرساً وبعيراً وجاريةً، ولو عَرَفْتُ مركوباً غيرَ هذا لأعطيْتُكَهُ. وكان يقال: حَدِّثْ عن البحر ولا حَرَجَ وعن بني إسرائيل ولا حرجَ وعن مَعْنٍ ولا حرجَ. قال رجل من كَلْب للحكم بن عَوَانة وهو على السِّند: إنما أنت عبدٌ، فقال الحكم: والله لأُعطينَّك عطيّةً لا يُعطيها العبدُ فأعطاه مائةَ رأس من السَّبْي. وقرأت في بعض كتب العجم أن جاماتِ[٤] كسرى التي كان يأكل فيها كانت من ذهب، فسرَق رجلٌ من أصحابه جاما وكسرى يَنظُر إليه، فلما رُفِعت الموائدُ آفتقدَ الطبّاخُ الجام فرجع يَطلبها، فقال له كسرى: لا تَتَعَنَّ فقد أخذَها مَنْ لا يردُّها ورآه مَنْ لا يُفْشي عليه، ثم دخل عليه الرجلُ بعد ذلك وقد حَلّى سيفَه ومِنْطَقَته ذهباً، فقال له كسرى بالفارسية: يا فلان، هذا، يعني السيفَ، مِنْ

(١) الضائنة: مؤنث الضائن، وهو خلاف الماعز من الغنم.
(٢) القَلُوْصُ من الإبل: الشابة أو الناقة الطويلة القوائم.
(٣) العَيْرُ: الحمار الأهلي والوحشي.
(٤) الجامات: ج جام وهو إناء من فضة من كأس ومشربة ونحوهما.

ذاك قال: نعم وهذا، وأشار إلى مِنْطَقَتِه. قالوا: لم يكن لخالد بن بَرْمَك أخٌ إلاّ بَنَى له داراً على قَدْر كفايته ووقف على أولاد الإخوان ما يُعيشُهُمْ أبداً ولم يكن لإخوانه ولدٌ إلا من جاريةٍ هو وهبها له.

بلغ آبنَ المقفع أن جاراً له يبيْعُ داراً له لِدَيْنٍ ركبه وكان يجلس في ظلّ داره، فقال: ما قُمْتُ إدّاً[1] بحرمة ظِلّ داره إن باعها مُعْدِماً وبتُّ واجداً، فحمل إليه ثمنَ الدار وقال: لا تَبِعْ. قال أبو اليقظان: باع نَهِيْكُ بن مالك بن معاوية إبله وآنطلق بثمنها إلى مِنىً فجعل يُنْهِبُهُ، والناسُ يقولون: مجنونٌ، فقال: لستُ بمجنونٍ ولكنّي سَمْحُ أُنهِبكُم مالي إذا عزَّ الفتحُ. قال: وأتى عبدَ الله بنَ جعفر قَهْرَمَانه بحسابه فكان في أوّله حبلٌ بخمسين درهماً، فقال عبد الله: لقد غَلَتِ الحبالُ، فقال القَهْرَمانُ: إنه أبرقُ، فقال عبد الله: إن كان أبرقَ فأنا أُجيزُه، فهو الآن مثلٌ مضروب بالمدينة. كان أبو سفيان إذا نزل به جار قال له: يا هذا، إنك قد آختَرْتَني جاراً فجنايةُ يدِكَ عليّ دونك، وإن جَنَتْ عليك يدٌ فآحتكمْ عليّ حُكَم الصبيّ على أهله. وقال بعض الشعراء:

[طويل]

هُمُو خلطوني بالنفوس ودافعوا ورائي بركن ذي مَناكِبَ مِدْفَعِ
وقالوا تَعلَّمْ أنَّ مالكَ إنْ يُصَبْ يَعُدْكَ وإن تُحبَسْ يَرِدْكَ ويَشْفَعِ

وروى عبد الله بن بكر السَّهْمي عن حاتم بن أبي صَغِيرةَ عن حبيب بن أبي ثابت أنَّ الحارثَ بنَ هشام وعِكْرِمةَ بن أبي جَهْل وعَيَّاشَ بن أبي ربيعة خرجوا يوم اليَرْمُوك حتى آثْبِتُوا، فدعا الحارثُ بنُ هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمةُ فقال: ادْفَعْه إلى عكرمةَ فنظر إليه عيّاشٌ فقال عكرمةُ: إدفعه إلى

(١) الإدُّ: الأمر العظيم. وقُمْتُ إدّاً: جئت بشيء عظيم.

عيّاش، فما وصل إلى عيّاشٍ حتى مات ولا عاد إليه حتى ماتوا، فسُمِّي هذا حديثَ الكرام وهذا الحديث عندي موضوع لأن أهل السِّيرةِ يذكرون أنَّ عكرمةَ قُتِل يومَ أجنادين وعَيّاشٌ مات بمكة، والحارثُ مات بالشام في طاعون عَمْوَاس.

أعطى رجلٌ آمرأةً سألْته مالاً عظيماً، فلاموه وقالوا: إنها لا تَعرِفُكَ وإنما كان يرضِيها اليسيرُ، فقال: إن كانت تَرضى باليسير فإنّي لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تَعرِفُني فأنا أعرِفُ نفسي.

قال بعض الشعراء: [طويل]

وما خيرُ مالٍ لا يَقِي الذمَّ ربَّهُ ونفسِ امرئٍ في حَقّها لا يُهِيْنُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله[1] بن جعفر: [وافر]

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إلى أمورٍ ويَقْصُرُ دون مَبْلَغِهِنَّ حالي
فَنَفْسِي لا تُطاوِعُني بِبُخْلٍ ومالي لا يُبَلِّغُني فَعَالي

وقال أيضاً: [بسيط]

ولا أقولُ نَعَمْ يوماً فَأُتبِعُهَا مَنْعاً ولو ذَهبَتْ بالمال والولدِ
ولا آؤْتُمِنْتُ في سِرٍّ فَبُحْتُ به ولا مَدَدْتُ إلى غيرِ الجميل يَدِي

وقال كعب[2] بن سعد الغَنَوِيّ: [طويل]

وذي نَدَبٍ دَامِي الأظلّ[3] قَسْمتُهُ محافظةً بيني وبين زَمِيْلِي

---

(١) عبد الله بن جعفر بن طالب من شجعان الطالبين وأجودهم وشعرائهم. طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية (سنة ١٢٧ هـ) بالكوفة. توفي سنة ١٢٩ هـ. الأعلام ج ٤ ص ١٣٩.

(٢) كعب بن سعد غنوي، من بني غَنِي، شاعر جاهلي. توفي نحو ١٠ ق هـ. الأعلام ج ٥ ص ٢٢٧.

(٣) الأَظَلُّ: بطن الإصبع من الإنسان ومن الإبل باطن المنسم.

وزادٍ رَفَعْتُ الكفَّ عنه تجمُّلاً ... لِأُوثِرَ في زادي عليَّ أَكِيلي
وما أنا للشيء الذي ليس نافِعِي ... ويَغضَبُ منه صاحبي بِقَؤول

وقال زهير[1]: [طويل]

وأبيضَ فيّاضٍ يَدَاه غمامَةٌ ... على مُعْتَفِيْه ما تُغِبُّ[2] نَوافِلَهْ[3]
غَدَوْتُ عليه غَدْوَةً فوجَدْتُهُ ... قُعوداً لديه بالصَّرِيم عَوَاذِلُهْ
فَأَعْرَضْنَ منه عن كريمٍ مُرَزَّإٍ ... جَمُوعٍ على الأمر الذي هو فاعِلُهْ
أخِي[4] ثِقَةٍ لا تُذْهِبُ الْخمرُ مالَهُ ... ولكنه قد يُذهِبُ المالَ نائِلُهْ
تَراه إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كأنكَ تُعطِيْهِ الذي أنتَ سائِلُهْ

المدائنيّ قال: أَضَلَّ فيروزُ بنُ حصين سَوْطَه يوماً، فأعطاه رجلٌ سوطاً فأمر له بألف درهم، ثم أتاه بعد حول فقال: مَنْ أنْتَ؟ قال: صاحبُ السوط
فأمر له بألف درهم، ثم أتاه بعد حول فقال: مَنْ أنتَ؟ قال: صاحبُ السوط،
قال: أعطوه ألفَ درهم ومائةَ سوطٍ فٱنقطع عنه. قال الشاعر: [بسيط]

إنّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبانَ إذ خَمَدتْ ... نيْرانُ قَوْمِي فَشَبَّتْ فيهُمُ النارُ
ومِنْ تَكَرُّمِهِمْ في المَحْلِ أنّهُمُ ... لا يَحْسَبُ الجارُ فيهمْ أنه جارُ

وقال آخر: [طويل]

نَزَلْتُ على آل المُهَلَّبِ شاتِياً ... بعيداً قَصِيَّ الدارِ في زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بِي إلطافُهُمْ وٱفتقادُهمْ ... وإكرامُهُمْ حتى حَسِبتُهُمُو أهلي

---

(١) قال زهير هذا الشعر في هرم بن سِنان كما في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١).
(٢) ما تُغِبُّ: ما تتقطَّع.
(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٢): «نوائله».
(٤) في نفس المصدر والصفحة: «أخو ثقة».

وقال آخر: [طويل]

إذا كـان لِيْ شيئانِ يـا أمَّ مالـكٍ ... فـإنَّ لِجَـاريْ منهمـا مـا تَـخَيَّـرَا

وقال عمرو[1] بن الأَهْتم: [طويل]

ذَرِيْني فـإنَّ الشُّـحَّ يـا أمَّ هَيْثَمٍ ... لِصالـح أخـلاقِ الـرجـالِ سَـرُوقُ

ذَرِيْني وحُـطِّي[2] في هـوايَ فـإنَّني ... على الحَسَب العـالي الرّفيـع شَفِيقُ

ومُستَمْنِـحٍ بعـد الهُـدُوءِ دَعَـوْتُـه ... وقـد كان مِنْ سَارِي الشتـاءِ طُـرُوقُ

فقلْتُ لـه أهـلاً وسهـلاً ومـرحبـاً ... فـهـذا مَبِيـتٌ صـالِـحٌ وصَـدِيـقُ

أضَفْتُ فلم أُفْحِشْ عليـه ولم أقُـلْ ... لِأحْـرِمَـهُ إنَّ الـفِـنـاءَ مَـضِيـقُ

لَعَمْـرُكَ مـا ضـاقتْ بـلادٌ بـأهلها ... ولكنَّ أخـلاقَ الـرجـال تَـضِيـقُ[3]

كـان يقال: للعبـاس بن عبد المطلب ثوبٌ لِعَـاري بني هاشم، وجَفنـةٌ لجاره ومِقْطَرَةٌ[4] لجاهلهم. قال بكر[5] بن النَّطَّاح: [طويل]

لـو خَـذَلَتْ أمـوالُـه جُـوْدَ كَفِّـهِ ... لَقَاسم مَنْ يـرجـوه بعضَ حيـاتـهِ

ولـو لم يَجُدْ في العُمْـر قِسْماً لـزائـرٍ ... لجـادَ لـه بـالشَّطْر مِنْ حسنـاتِـهِ

وقال الفرزدق[6]: [كامل]

إنَّ المهـالـبـةَ الكـرامَ تَـحَـمَّلوا ... دَفْـعَ المكـارهِ عن ذوي المكـروهِ

زانـوا قـديمَهُمُـو بحسن حـديثهمْ ... وكـريمَ أخـلاقٍ بحـسن وجوهِ

(١) عمرو بن الأهتم أحد سادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام. لقِّب أبوه بالأهتم لأن ثنيتة هتمت يوم الكلاب. توفي سنة ٥٧ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٧٨.

(٢) حَطَّ في هواه وانحطَّ فيه: إندفع فيه، والمراد منه البيت مساعدته على الجود.

(٣) هذا البيت اشتهر به ابن الأهتم حتى قيل فيه: «وهو صاحب البيت المشهور» ويذكر البيت.

(٤) المِقْطره: خشبة فيها خروق، كل خرق على قدر سعة الساق يُدْخل فيها أرجل المحبوسين.

(٥) بكر بن النَّطَّاح الحنفي شاعر غَزِلٌ من فرسان بني حنيفة، من أهل اليمامية. إنتقل إلى بغداد في زمن الرشيد. توفي سنة ١٩٢ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٧١.

(٦) سبقت ترجمته.

كان يقال: الشّرفُ في السَّرفِ. قال عامر[١] بن الطُّفيل: [طويل]

إذا نَـزَلَتْ بالنـاس يـومـاً مُلِمَّـةٌ تَسـوْقُ من الأيـام داهـيـةً إدًّا[٢]
دَلَفْنـا لهـا حتى نُقَـوِّمَ مَيْلَهَـا ولم نَهْـدَ عنهـا بـالأسنّة أو تَهْـدَا
وكـم مُـظْهِـرٍ بَغْضـاءنـا وَدَّ أنـه إذا ما ٱلتقيْنا كان أَخْفَى الذي أبـدَى
مَطَاعيمُ في ٱللأواء مَطَاعِينُ في الوغى[٣] شمـائلُنـا تَنْكي وأيمـانُنـا تَنْـدَى

وقال حاتِم طيء: [طويل]

أَكُـفُّ يَـدِيْ مـنْ أنْ تَـنَـالَ أكفَّهـمْ إذا مـا مَـدَدْنـاها وحـاجتُنَا مَعـا
وإنـي لأَسْتَحْيي رَفِيقـيَ أنْ يَـرَى مكـانَ يدِي مِنْ جـانب الزادِ أقـرَعَـا

وقال جابر[٤] بن حيّان: [طويل]

فـإنْ يَقْتسِمْ مـالي بَنـيَّ ونِسْـوَتِـي فلن يَقْسِمُوا خُلْقِي الكريمَ ولا فِعْلي
ومـا وجـدَ الأضيـافُ فيما يَنُـوبُهُمْ لهم عنـد عِـلاّتِ النفـوس أبـاً مِثلِي
أُهِـيْـنُ لـهُـمْ مالي وأعْلَمُ أنَّـنـي سَـأُورِثُـهُ الأحيـاءَ سِيـرةَ مَنْ قَبلي

كان سعيد بنُ عمرو مؤاخياً لِيزيدَ بن المهلب، فلما حبسَ عمرُ بن عبد العزيز يزيدَ ومُنِعَ من الدخـول عليه، أتـاه سعيدُ فقـال: يا أميـرَ المؤمنين، لي

---

(١) عامر بن الطُّفَيْل العامري فـارس قومـه وأحد فتّـاك العرب وشعـرائهم وساداتهم في الجـاهلية. أدرك الإسلام شيخاً دون أن يدخل فيه. وهو ابن عم لبيد الشاعر. توفي سنـة ١١ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٥٢.

(٢) الإدُّ والأَدُّ: الداهية، والجمع إداد وإدَد.

(٣) أصلهـا «لأواء» وقد حـذفت الهمزة للضـرورة الشعريـة. واللأواء: الشـدة والمحنة، من فعـل «إلتـأي». ومطاعيم: ج مِطعام؛ يقـال) رجل مِـطْعام: كثيـر الأضـاف والقِـرى يُـطْعم النـاسَ ويَقْرِيْهم كثيراً. ومطاعين: ج مِطْعان وهو الكثير الطعن للعدو.

(٤) جابر بن حيان الكوفي فيلسوف كيمائي، من أهل الكوفة وأصله من خراسان. انقطع إلى جعفر ابن يحيى البرمكي. له تصانيف كثيرة عددها ٢٣٢ كتاباً. كـانت وفاتـه سنة ٢٠٠ هـ. الأعـلام ج ٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

على يزيد خمسون ألف درهم وقد حُلْتَ بيني وبينه، فإنْ رَأيت أنْ تأذَن لي فأقتَضِيَه؟ فإذِن له فدخل عليه فَسُرَّ به يَزِيدُ، وقال: كيف وصلتَ إليَّ، فأخبره، فقال يزيد: والله لا تخرج إلا وهي معك فآمتنع سعيدٌ فحلف يزيدُ ليَقبضَنَّها، فقال عَدِيّ[1] بن الرِّقَاع: [طويل]

لم أَرَ محبوساً من الناس واحداً ... حبَا[2] زائراً في السجن غيرَ يزيدِ
سعيدُ بنَ عمروٍ إذْ أتاه أجازه ... بخمسين ألفاً عُجِّلَتْ لِسَعيدِ

وقال بعضُ الشعراء: [طويل]

وإنّي لحَلَّالٌ بِيَ ٱلحقُّ، أتَّقي ... إذا نزلَ الأضيافُ أنْ أتجهَّمَا
إذا لم تَذُدْ ألبانُها عن لحُومها ... حَلبْنَا لهمْ منها بأسيافنا دَمَا

دخل شاعر على المهديّ فآمتدحه، فأمر له بمال فلما قبضه فرّقه على مَنْ حضر وقال: [طويل]

لَمَسْتُ بكفِّي كفَّه أبتَغِي الغِنى ... وما خِلْتُ أنَّ الجُوْدَ مِنْ كفِّه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذَوُو الغِنَى ... أَفدْتُ وأعْدَاني فبدَّدْتُ ما عندي

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون الهاشميّ قال: أخبرني وكيع قال: حدّثني أبو العَيْناء قال: كان بالبصرة لنا صديقٌ يهوديّ وكان ذا مالٍ وقد تأدَّبَ وقال الشعرَ وعرفَ شيئاً من العلوم وكان له ولدٌ ذكورٌ، فلما حضرته الوفاةُ جمعَ مالَه وفرّقه على أهل العلم والأدب ولم يَترك لولده مِيراثاً فعُوتِبَ على ذلك فقال:

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) حَبَا: أعطى؛ يقال: حباه كذا: أعطاه بلا مَنّ.

[منسرح]

رأيــتُ مــالــيْ أبــرَّ مــن وَلَــدِي فــالــيــومَ لا نِـحْــلَةٌ ولا صَـدَقَـهْ

مَنْ كــان منهمْ لهــا فــأبعــده الـلّـ ـه ومَــنْ كــان صــالــحــاً رَزَقَـهْ

وحدّثني الأخفشُ بهذا الخبرِ عن المبرّد عن الرِّياشيّ والله أعلم.

* * *

أنجز الجزء الأول ويتلوه الجزء الثاني.

فهرس

الجزء الأول من كتاب عيون الأخبار
لابن قتيبة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة